محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ

الزَّواجُ السِّياسِي

في أوروبا العصور الوسطى

(٤٩٢ - ٧٧٠ م)



الزّواج السّياسي
فِي
أوروبا العصور الوسطى

(492-770م)

الزواج السّياسي

فِي

أوروبا العصور الوسطى

(492-770م)

مَحمود عبد الله مهدي عبد الحافظ

العنـوان: الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى

المؤلف: محمود عبد الله مهدي عبد الحافظ

حجـم الكتـاب: 17 × 24

عدد الصفحات: 384

الطبعـــة: الأولى

سنة النشر: 2020

الناشر: نور حوران للدراسات والنشر والتراث دمشق

ISBN: 978-9933-600-98-3



© نور حوران

للدراسات والنشر والتراث

دمشـــق - سورية - ص. ب 5658

00963 933 329 555

00963 941 329 555

e.mail: nourpublishing@gmail.com



التوزيع الخارجي

مرايا للطباعة والنشر

دبي - الإمارات العربية المتحدة

00971 55 624 1269

00971 50 709 9425

e.mail: marayabooks@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾

صدق الله العظيم

سورة الرعد - الآية **17**

إهداء

إلى أُستاذتي الفاضلة والمؤرخة الجليلة

الأستاذة الدكتورة

زُبيدة محمد عطا

أُستاذ تاريخ العصور الوسطى بكليةِ الآداب جَامعة حلوان

وعميد كلية الآداب الأسبق جامعة حلوان

المُقدمة

لتاريخ العصر الوسيط Middle Age (476-1453م) أهميةٌ كبيرةٌ في حقل التاريخ عموماً، والتاريخ الأوروبي على نحو خاص؛ وتأتي هذه الأهمية لأسباب متعددة؛ فهذه الحقبة التاريخية الطويلة تشكل حلقة متصلة وأساسية في فَهم التاريخ الأوروبي الحديث، واستمراراً منطقياً للتاريخ القديم بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الخامس الميلادي على أيدي القبائل الجرمانية. فغالبية التطورات الَّتي حدثت في أوروبا منذ عصر النهضة والعصور اللاحقة، تستمد أصولها من التاريخ الوسيط. إلى جانب ذلك فإنَّ تاريخ العصر الوسيط في أوروبا يتزامن مع حقل التاريخ الإسلامي في الشرق، بل إنَّه يغطي الحقبة السابقة لظهور الإسلام، ويتزامن مع عهد الرسول محمد ﷺ والعصرين الأموي والعباسي، ثم الغزو المغولي للعالم الإسلامي وسقوط بغداد سنة (656هـ /1258م)، وظهور عدد من الأُسر الحاكمة في المشرق الإسلامي. ووفقاً لذلك، فإنَّ فَهم العصر الوسيط يمكن أن يكون مدخلاً لإدراك الكثير من التطورات التي حدثت في المشرق الإسلامي في ذلك العصر.

وقد وقع الاختيار على دراسة "**الزواج السياسي في أوروبا العصور الوسطى (492-770م)**" موضوعاً لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط لأسباب متعددة؛ منها أنَّ القبائل الجرمانية كانت سبباً في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 476م، وبداية مرحلةٍ جديدةٍ في تاريخ أوروبا أُطلق عليها مصطلح (العصر الوسيط). وقد أدى هذا التغلغل للقبائل الجرمانية إلى امتزاج الحضارة الرومانية مع التقاليد الجرمانية الجديدة، أسفر هذا الامتزاج تحولاً واضحاً، استمر نحو قرنٍ مِن الزمان. وعَبر هذا التحول عن نفسه بإنهاء وحدة

الإمبراطورية الرومانية الغربية وتشكيل عددٍ من الممالك الجرمانية الَّتي حددت مصيرَ القارة الأوروبية ومسار العالم في الحقب اللاحقة.

وقد وجدت عدة علاقات بين هذه القبائل الجرمانية مثل الزواج السياسي فيما بينهم، وكانت رغبة الباحث في اختيار ذلك الموضوع هي إلقاء الضوء على هذه المصاهرات والظروف التي أدت إليها ودوافعها والنتائج التي ترتبت عليها مع إلقاء الضوء من خلال تناولها إلى أهم حوادث هذه الحقبة التاريخية المُهمة في تاريخ أوروبا العصور الوسطى، إلى جانب الرغبة لمواصلة الدراسة في هذا المجال كانت الدافع للتخصص في هذا الحقل الشائك الذي يتطلب صبراً ومعرفة بعدد من اللغات الأوروبية للوصول إلى المصادر الأصيلة.

كما يُعد موضوع الزواج السياسي مِن الموضوعات المهمة في مجال دراسات تاريخ العصور الوسطى؛ لشيوعه آنذاك عند مختلف العناصر التي حَفل بها عالم العصور الوسطى، ولما له مِن الصفة الاجتماعية، السياسية والإنسانية أيضاً. وقد تم استخدام الزواج السياسي لتسوية النزاعات بين القبائل والعائلات النبيلة، ولإقامة تحالفات سياسية، ولتعزيز معاهدات السلام بين ذوي القربى. وقد مارست المرأة دورا ملحوظا في الحياة السياسية لزعماء الجرمان إذ حفلت علاقاتهم بإقامة تحالفات عن طريق المصاهرة أو ما يعرف بالزواج السياسي. وكان الزواج في الكثير من الحالات وسيلة ذات مضامين اقتصادية وسياسية وسلطوية مهمة. فإذا كانت الحروب هي التجلي الأكثر شدة ووحشية لحل المشكلات السياسية ما بين الأُسر الحاكمة والدول المتنافسة، فإنَّ القصور التي عُقدت فيها حفلات الزواج والمصاهرات، كانت الوجه الأكثر دبلوماسية وإنسانية لحل تلك المشكلات المستعصية.

والزواج السياسي في جوهره يعني زواج المصلحة دون النظر إلى الهدف الحقيقي من وراء الزواج -كما رسمته الشرائع السماوية- الذي هدفه بناء عائلة جديدة قائمة على أسس المودة والرحمة. وقد وضع البعض للزواج أهدافاً أخرى

عملوا على تحقيقها وهم أهل السياسة والرياسة والمناصب والجاه ليحققوا من ورائها أهدافاً سياسية، مقلدين في ذلك من قبلهم طلبا للتصالح مع الجيران، وحفاظا على حدود دِولهم، أو حتى طمعاً في توسيع حدودها على حساب جيرانهم، وما إلى ذلك من أهداف ابتغوا تحقيقها من وراء دبلوماسية المصاهرات.

ولقد شاع الزواج السياسي في العصور التاريخية حتى صار ظاهرة في أوروبا العصور الوسطى، وهو ظاهرة تحتاج إلى الرصد والتدوين والتحليل والاستنتاج، وهو ما أُحاوله في هذا البحث، ولكن في فترة محددة في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية، في الفترة الممتدة من 492م حتى 770م. إذ برزت خلال هذه الحقبة التاريخية ظاهرة المصاهرات السياسية بين الممالك الجرمانية، واستغل ملوك تلك الممالك أهدافاً سياسية أو تلك التي كانت سياسية محضة في مظهرها وجوهرها، ووضحت أهدافها قبل أن تتم المصاهرات، وبعد أنْ تمت أو استمرت أو فشلت، محاولاً خلال هذا البحث تقييم مدى نجاح هذه المصاهرات من فشلها، ومعيارنا هنا لم يكن نجاح المصاهرات اجتماعياً ودوام الزيجة والتناسل، بل كان المعيار هو الأهداف الموجودة نفسها من وراء هذه المصاهرات، وهي الأهداف السياسية، هل تحققت هذه الأهداف أم لا؟

والأهداف السياسية في هذا الموضوع جذبت انتباهي، واستحوذت على تفكيري، وربما يرجع ذلك إلى النتائج السياسية الخطيرة التي ترتبت على هذه المصاهرات. وفي واقع الأمر فإن الزواج من هذا النوع يخدم أولاً وأخيراً أهداف ومخططات سياسية بحتة، تحركها المصلحة السياسية وهي صاحبة الاعتبار الأول والأخير في هذه الزواج، أمَّا الفتاة فهي مجرد (نَص) أو (بند) في اتفاقية سياسية تُعقد بين المملكتين، فلم يكن لها رأي ولا إرادة في قبول من تتزوجه إلا فيما ندر، ولذلك اتخذ الملوك مَن بيدهم الحل والعقد زواج أبنائهم أو بناتهم وسيلة معتادة مألوفة لدعم الروابط بينهم وبين غيرهم على النحو الذي يتوقعون،

وهذا ملحوظ في زواج الأمراء والأميرات الذي يقضي بالضرورة إلى دعم الروابط بين مملكتين.

ولم تنجح المصاهرات السياسية جميعها في تحقيق الأهداف التي تُرجى من ورائها، فَلم تسفر إلا عن فترة سلام مؤقتة، ربما لبضع شهور أو لبضع سنين، ثم تتطور الأمور وتنقلب السياسات، وربما ينقلب ود وسلام الأمس إلى عداء وقتال اليوم، وهنا تكون الطامة الكبرى لمثل هؤلاء الفتيات.

واتبع الباحث في دراسة تلك الفترة على المنهج الوصفي التاريخي، علاوةً على المنهج التحليلي النقدي. وقد مال الباحث إلى تناول تلك الفترة من تاريخ أوروبا العصور الوسطى بالدراسة لأنَّها ذات أهمية كبيرة في تاريخ العصور الوسطى وما يترتب عليها؛ إذ إنَّ تلك الفترة شكلت مستقبل تاريخ أوروبا إلى حدٍّ بعيد، وذلك لأنَّ ظهور عدد من الممالك الجرمانية في أوروبا وتأسيس كل قبيلة من القبائل الجرمانية "مملكة لها" نتج عنه ظهور عدة دول في تاريخ أوروبا الحديث مثل إيطاليا وإسبانيا والبرتغال وفرنسا وبلجيكا وألمانيا الغربية. ولقد واجه الباحث العديد من الصعوبات للحصول على المصادر المتعلقة بهذه الفترة من تاريخ الممالك الجرمانية؛ إذ تتميز مصادر هذه الفترة بقلة الكتابات التاريخية، كما أنَّ الكثير منها لم يترجم، بالإضافة إلى تشابك المعلومات والروايات وتداخلها أحياناً خاصة في تلك المصادر التي كتبها رهبان الكنيسة.

أما عن حدود الفترة الزمنية التي تناولها الباحث فتشتمل على الفترة من عام 492م وهو تاريخ أول مصاهرة سياسية في الفترة عنوان الدراسة بين ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين وأودفيلدا شقيقة الملك كلوفس الفرنجي، وتنتهي الفترة الزمنية عام 770م وهو تاريخ مصاهرة الملك شارلمان Charlemagne ودسيدراتا ابنة الملك دسيدريوس اللمباردي وهي آخر مصاهرة تناولتها الدراسة. وبالنسبة للحدود الجغرافية فتشتمل على مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا، ومملكة البرجنديين والفرنجة بغالة ومملكة القوط الشرقيين ثم

اللمبارديين بإيطاليا، وهي منطقة غرب أوروبا التي تشتمل حالياً على فرنسا وإسبانيا وإيطاليا والنمسا وبلجيكا وهولندا وألمانيا الغربية وجزء من البرتغال.

توزعت الرسالة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة. ورغم أنَّ الفترة التي تناولتها الدراسة طويلة فإنَّها متشابكة الأحداث، فكان من المفيد تقديم **فصل تمهيدي** يتحدث عن القبائل الجرمانية وأصولهم، وعن الموطن الأصلي للجرمان، وعن أحوال الجرمان في هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم، وعن أبرز القبائل الجرمانية مما ورد في كتاب جرمانيا Germania للمؤرِّخ تاكيتوس Tacitus. ويتناول التمهيد أيضاً تحرك القبائل الجرمانية وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية التي مرت بأدوار مختلفة، وانتهت بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية وإقامة عدة ممالك جرمانية بين ربوعها.

وعالج **الفصل الأول "نشأة الممالك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى"** ليُشكل خلفية ضرورية لفهم العلاقات بين الممالك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى، وكيف نشأت هذه الممالك التي أدت دوراً رئيساً في تلك الفترة، وكان لها العديد من العلاقات فيما بينها. ويتناول ذلك الفصل نشأة مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا، نشأة مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة، نشأة مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا، نشأة مملكة الفرنجة في غالة، ونشأة مملكة اللمبارديين في إيطاليا.

وناقش **الفصل الثاني "ظهور الزواج السياسي في الممالك الجرمانية"**، متتبعاً ظهور الزواج السياسي ترتيبا زمنياً بدأ بزواج ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين وأودفيلدا شقيقة كلوفس ملك الفرنجة، ثم زواج كلوفس ملك الفرنجة وكلوتيلدا الأميرة البرجندية ابنة شلبريك Chilperic ملك البرجنديين، وزواج آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين وثيودوجوثا ابنة ثيودريك ملك القوط الشرقيين، وناقش هذا الفصل أيضاً "معركة فويه" بين الفرنجة والقوط الغربيين التي انتهت بفقد القوط الغربيين لأراضيهم بجنوب غالة، وأخيراً زواج

سيجسموند البرجندي واوسترجوثا ابنة ثيودريك ملك القوط الشرقيين التي كانت من أسباب نهاية مملكة البرجنديين.

ويتضح في هذا الفصل ظهور المصاهرات السياسية في الممالك الجرمانية ودورها الكبير في عَقد التحالفات بين تلك الممالك بل الأكثر من ذلك دورها في الحروب والدمار مثل الحرب بين كلوفس وآلاريك الثاني عام 507م، بل ودورها في القضاء على تلك الممالك مثل حالة الحرب ضد مملكة البرجنديين والقضاء عليها نتيجة زواج كلوفس وكلوتيلدا كما سوف يتضح في ثنايا ذاك الفصل.

أما **الفصل الثالث** فقد ركز على " **الزواج السياسي بين مملكتي القوط الغربيين والفرنجة**" بجانبيه العسكري والدبلوماسي، وعالج فيه الباحث الأسباب التي أدت إلى الزواج السياسي، ومن بينها التنافس الداخلي في مملكة الفرنجة الذي أدى إلى التحالفات السياسية الخارجية، كما وضح الباحث في هذا الفصل أسباب اتجاه ملوك القوط الغربيين إلى التحالف مع الفرنجة، وذلك لحماية حدود مملكتهم الشمالية من غارات الفرنجة، كما وضح الباحث أيضاً فشل الزواج السياسي بين الفرنجة والقوط الغربيين؛ إذ إنَّ الزواج لم ينجح في تقرير السلام بينهما إلا لبضعة شهور أو سنين وانقلب ود وسلام الأمس إلى عداء وقتال بينهما. ويتبين في ذلك الفصل أيضاً أن التأثير الديني كان له دورٌ كبيرٌ في حياة الأفراد، فقد كان سبباً في الكثير من الحروب والخراب بين مملكتي الفرنجة والقوط الغربيين، كما سوف نرى في زواج الملك أماليك وكلوتيلدا الصغرى وزواج الأمير هرمنجلد وانجوند.

وتتبع **الفصل الرابع والأخير "الزواج السياسي بين مملكتي الفرنجة واللمبارديين"**، تلك المصاهرات التي نجحت في البداية إلى تقرير السلام بينهما، ولكن طموح ملوك الفرنجة أدى إلى خرق الاتفاقيات بينهما بل والتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية للقضاء على مملكة اللمبارديين، ولكن في

النهاية يتضح أن اللمبارديين قد تعلموا من الدرس، وعملوا على محالفة مملكة الفرنجة، وهو ما سوف يتضح في ثنايا ذلك الفصل، ولكن قد يكون ضعف الممالك السبب في نهايتها، ولكن في حالة مملكة اللمبارديين كان الزواج السياسي السبب في القضاء عليها كما حدث مع شارلمان، وهو ما سوف نراه في ذاك الفصل.

وكان من الطبيعي أن تجمع الخاتمة أهم القضايا التي ناقشها الباحث، والنتائج التي توصل إليها مع الحرص على تزويد البحث بالخرائط التي تتناسب مع أحداثه لإكساب البحث عمقاً علمياً، وتم تذييل البحث بالعديد من الملاحق. وفي نهاية الرسالة تأتي قائمة المصادر والمراجع الأجنبية والعربية، التي حصل عليها الباحث من خلال شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت"، ومن مكتبات الجامعات المصرية.

وفي الختام فإنه لا يسعني بعد هذا كله إلا أن أنسب الفضل إلى أهله، وأسند المعروف إلى ذويه، فأتوجه بالشكر لله - عز وجل- أولاً وأخراً على ما أنعم به وتفضل، ومنح وأجزل فله الحمد وله الشكر.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا أستاذ التاريخ الإسلامي والوسيط بكلية الآداب جامعة حلوان التي كانت خير مرشد لي للسير على درب العلم، وخير مشجع في تخطي جميع الصعاب التي واجهت بحثي، وبفضل نصائحها السديدة وخبرتها الطويلة تم إنتاج هذا البحث بهذا الشكل فجزاه الله عني وعن العلم كل خير. كما يسرني أن أشكر الأستاذة الدكتورة فاطمة عبد اللطيف الشناوي أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بكلية الآداب جامعة حلوان لمشاركتها في الإشراف على الرسالة، التي لم تبخل على أيضاً بنصائحها السديدة فجزاه الله عنى كل خير.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور عادل عبد الحافظ حمزة أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية

الآداب جامعة المنيا الذي أسعدني موافقته على مناقشة الرسالة رغم مشاغله العديدة، فجزاه الله عني كل خير، ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور صلاح محمد ضبيع أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب جامعة سوهاج الذي أسعدني أيضا موافقته على مناقشة الرسالة، حتى أستزيد من علمه الوفير رغم عناء السفر، فجزاه الله عني كل خير.

وفي النهاية أرجو من الله أن يكون هذا الجهد المتواضع إضافة جديدة إلى المكتبة الأكاديمية العربية من باحث ما زال في بداية دربه الأكاديمي الشائك.

ومن الله التوفيق والسداد...

عرض لأهم مصادر البحث

1) تاكيتوس Tacitus .

2) كاسيودورس Cassiodorus .

3) جوردان Jordanes .

4) المؤرخ المجهول Anonymous Valesianus .

5) بروكوبيوس القيصري Procopius .

6) جريجوري التوري Gregory of Tours .

7) حولية ماريوس أسقف أفينش Marius of Avenches

8) فينانتيوس فورتيوناتوس Venantius Fortunatus .

9) حولية حنا البقلاري John of Biclaro .

10) إيزيدور الإشبيلي Isidore of Seville .

11) حولية فريديجار Fredegar .

12) المؤرخ المجهول وكتابه تاريخ الفرنجة Liber Historiae Francorum .

13) بولس الشماس Paul the Deacon .

14) إينهارد Einhard .

لكي نتناول أحداث الزواج السياسي بين الممالك الجرمانية في تلك الفترة لا بُد من تتبع الحوليات والمصادر التاريخية اللاتينية والمترجمة للغات الأوروبية الحديثة أيضاً؛ نظراً لانعدام المصادر العربية المتعلقة بالحديث عن تلك الفترة. فمن الطبيعي أن تشكل المصادر اللاتينية المتعلقة بتاريخ أوروبا العصور الوسطى الجزء الأكبر في معالجة موضوع البحث؛ نظراً لأن اللغة اللاتينية هي التي كانت سائدة في غرب أوروبا آنذاك.

ومن المعروف أنه خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين ساءت ظروف الكتابة التاريخية في أوروبا أياً كان نوعها، بل وفي داخل الممالك الجرمانية أخذ نموذج العصور الوسطى في الظهور رويداً رويدا، إذ انحصر التعليم في الكاتدرائيات والأديرة، إذ كان الأُسقف مسئولاً عن التعليم في حدود أسقفيته، وكان واجب الأسقف الأساسي أن يدرب الإكليروس التابعين له، وقد يقوم هو بالتدريب في المدرسة الكاتدرائية التابعة له، وبعد ذلك ظهرت أنماط جديدة من التدوين التاريخي تلبية للاحتياجات الجديدة، وكانت الحوليات هي أكثر أشكال التدوين التاريخي في العصور الوسطى بدائية[1].

أمَّا مؤرخو تلك الفترة فالزمان عندهم ممتد ما بين يوم الخليقة إلى يوم القيامة، أما المكان فهو عندهم محكوم بحدود التاريخ القديم، وحدود الكتاب المقدس في الماضي، ولم تكن الشعوب غير المسيحية تدخل التاريخ عادة سوى أن يدون المؤرخون المسيحيون أنباء الحرب التي نشبت على الحدود، أو البعثات التبشيرية التي كانت تُرسل إلى الوثنيين. كما كان الكاتب الذي يُدَوِّن

---

(1) بيريل سمالي: المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المعارف ط2، القاهرة (1984م)، ص 58-59.

سيرة أحد القديسين يشعر أنه يضيف صفحة جديدة إلى قصة الإنجيل، بالإضافة إلى أن المؤرخين الجرمان يميلون إلى التاريخ المقدس أكثر من ميلهم إلى التاريخ العلماني، ومِن ثَمَّ كان التاريخ الديني جزءاً أساسياً من كتاباتهم، كما كان المؤرخ الجرماني يشعر بالفخر لبطولة شعبه في الماضي ما دفعه إلى أن يسجل الأعمال الباهرة التي أتاها القادة العسكريون، كما كان بإمكان المؤرخ بصفته أحد رجال الكنيسة أن يجعل من اعتناق المحارب الناجح للمسيحية مجداً تكتسبه الكنيسة[1].

وفي خَضم تلك الفترة تناول الباحث المصادر المتعلقة بموضوع البحث، وتتمثل قيمة تلك المصادر التي تناولتها هذه الدراسة في أنَّ بعض منها كان معاصراً للأحداث التي تناولتها هذه الدراسة وذكر بعض المصاهرات بالتفصيل مثل: كتابات المؤرخ جريجوري التوري وفريديجار، والبعض الآخر أشار إلى تلك هذه المصاهرات في إشارة وجيزة لم تتعد الجملة الواحدة، فكان على الباحث التقصي والبحث في المصادر الأخرى المعاصرة لتلك الفترة حتى يتسنى له تغطية فترة الدراسة جيداً، ولقد قام الباحث بتناول مصادر البحث ترتيباً زمنياً من الأقدم إلى الأحدث كما سيأتي بالتفصيل.

---

(1) بيريل سمالي: المؤرخون في العصور الوسطى، ص 58-59.

• تاكيتوس[1] Tacitus

يُعد تاكيتوس واحداً من أعظم المؤرخين الرومان، عاش فيما يسمى العصر الفضي في الأدب اللاتيني. ولسنا نعرف متى أو أين ولد تاكيتوس، بل إننا لا نعرف اسمه الأول؛ وأكثر الظن أنه كان ابن كورنليوس تاكيتوس الذي وكل إليه الإشراف على إيرادات الإمبراطورية في غالة البلجيكية. وبفضل ما ناله هذا الرجل من الرقي في المناصب الحكومية، ارتفعت الأسرة من طبقة الفرسان إلى طبقة الأرستقراطية الجديدة[2]. أما سنة ميلاده بالضبط فهي غير محققة، والراجح أنّها كانت قرب نهاية حكم الإمبراطور كلوديوس[3] Claudius (41-54م) أي نحو عام 54م أو 55م، وأنه ولد في انترامنا Interamna إحدى قرى شمال إيطاليا[4]. ظل تاكيتوس حيا يعمل وينتج حتى نهاية عهد الإمبراطور تراجان Trajan (ت117م) وتوفي نحو 120م على الوجه الراجح وله قبر بني تخليداً لذكراه، وظل قائما حتى هُدم بأمر البابا بيوس الخامس في النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادي[5].

---

(1) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة إبراهيم علي طرخان، الخرطوم 1959.

(2) ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد 3، ج 2: قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1965م، ص438.

(3) الإمبراطور كلوديوس: تولى كلوديوس عرش الإمبراطورية بعد مصرع كاليجولا حيث نادى به الحرس الجمهوري، وكان قد جاوز الخمسين من عمره، وكان يؤثر العزلة، ويبتعد عن الظهور، وقام كلاديوس بضم بريطانيا إلى حظيرة الإمبراطورية في عهده. انظر: سيد أحمد علي الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، القاهرة 1991، ص 150، 155.

(4) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، المقدمة، ص11.

(5) تاكيتوس: المقدمة، ص11.

وقيل إن تاكيتوس يرجع إلى طبقة العبيد الرومان، ولكن على الأرجح أن عائلته ترجع أصلا إلى الدم الكلتي، وأنها وفدت مما وراء الألب من الإقليم المعروف في جنوب غالة باسم غالة البعيدة، وعلى هذا الأساس فإن تاكيتوس كغيره من الكثير من كُتاب اللاتينية الخالدين، ليس روماني الأصل أو حتى إيطاليا من حيث الجنس[1].

وقد تثقف تاكيتوس بالثقافة الرومانية العالية المعروفة في ذلك الوقت، فدرس القانون الروماني في السنوات الأولى من حياته. كذلك درس البلاغة حتى صار خطيباً، ولكن فُقدت جميع خطبه[2]. وتلقى تاكيتوس ما يتلقاه الناس عادةً من تعليم، وأتقن الفنون الخطابية التي تجعل أسلوبه ذات بهجة ورواء، وحذق كما في طريقة إيراد الحجج المؤيدة والمعارضة التي يمتاز بها ما في تواريخه من خطب. وكثيراً ما استمع إليه بليني الصغير في المحاكم، وأعجب بفصاحته وألفاظه الجزلة وسماه أعظم خطباء روما[3].

وقد تدرج تاكيتوس في الوظائف التي يشغلها أعضاء مجلس الشيوخ حتى وصل إلى قمتها. وبدأت حياته الرسمية منذ عهد الإمبراطور فسباسيان Vespasian (69-79م) مؤسس الأسرة الفلافية. فشغل وظيفة تربيون حربي، وهذه أول وظيفة لأعضاء مجلس الشيوخ وشاغلها عبارة عن ضابط في إحدى الفرق الحربية في الجيش الروماني. ثم ارتقى إلى وظيفة كويستور على عهد الإمبراطور تيتوس Titus (79-81م) في عام 80 أو 81م، ومهمة هذه الوظيفة هي الشئون المالية، ثم تولى وظيفة المهمندار أو المحتسب المتعلقة بشئون البلدية كالإشراف على المنشآت العامة والأمن والأسواق والأسعار أي إنها تقرب من وظيفة المحتسب[4]. وعلى عهد الإمبراطور دوميتيان Domitian (81-96م)

---

(1) تاكيتوس: المقدمة، ص 11.

(2) تاكيتوس: المقدمة، ص 13.

(3) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص 439.

(4) تاكيتوس: المقدمة، ص13- 14.

عُين في منصب بريتور وذلك في عام 88م[1]، وخلال شغله لهذا المنصب الأخير أُختير عضواً في جماعة الكهنة أو لجنة الخمسة عشر، والمعروف أن أعضاء هذه اللجنة لا يكونون إلا من كبار الرومان، فقد شغل عضويتها عظماء أمثال أغسطس وأجريبا، ما يدل على أن من يصل إلى هذا المنصب لا بُد وأن يكون من عائلة رفيعة سامية، وهذا يرجح من ناحية أخرى سمو أصل تاكيتوس[2]. ثم حصل تاكيتوس على منصب في إحدى الولايات الرومانية، إما أنّه كان ضابطا مساعداً في إحدى الفرق الحربية الرومانية المعسكرة في ألمانيا السفلى، وإما أنه كان حاكماً على بلجيكا، ولذلك غاب عن روما أربع سنوات وخلال هذه المدة مات صهره أجريكولا Agricola[3]. وفي عام 97م ارتقى تاكيتوس إلى منصب قنصل زمن الإمبراطور نيرفا Nerva (ت98)[4]، ونحو عام 112م في عهد الإمبراطور تراجان شغل تاكيتوس وظيفة البروقنصل، وبهذا اللقب تولى حكم ولاية "آسيا" وهذه أرفع وظيفة يمكن أن يصل إليها عضو السناتو. وقد أشار تاكيتوس إلى هذه الفترة الأخيرة في كتابه عن حياة أجريكولا[5]. وما من شك في أنه كان خبيراً بشئون الإدارة، وأنه كان ذا تجارب عملية. ولقد كانت كتبه ثمرة تجارب حياته السابقة، ونتاج شيخوخته الخالية من الكد وعقله الناضج العميق.

أما عن مؤلفات تاكيتوس فلم يبق منها سوى خمسة كتب، وهي بحسب ظهورها الحوار، حياة أجريكولا، جرمانيا، التواريخ والحوليات؛ ورغم أن كتابي التواريخ والحوليات هما الكتابان التاريخيان الأساسيان، فإن الذي رفعه إلى مصاف المؤرخين العظماء كتابان آخران هما حياة أجريكولا وجرمانيا، إذ إنه فضلاً عن قيمة هذين الكتابين بشكل إجمالي، فإنه أضاف فيهما شيئاً جديداً ونعني بذلك

---

(1) تاكيتوس: المقدمة، ص14.

(2) تاكيتوس: المقدمة، ص14.

(3) تاكيتوس: المقدمة، ص14.

(4) ول ديورانت: قصة الحضارة، ص 439.

(5) تاكيتوس: المقدمة، ص 15.

الوصف الشامل القيم لبريطانيا تحت الحكم الروماني في كتاب أجريكولا، وتلك الدراسة الاثنوجرافية لوسط أوروبا "جرمانيا"، ثم هما بجانب هذه الميزة الخاصة، من الكتب التاريخية البالغة الأهمية بالنسبة للبلاد التي تناولتها[1].

ويُعد كتاب جرمانيا من الكتب المهمة إذ إن تاكيتوس قد شغل منصب ضابط في فرقة حربية رومانية في ألمانيا السفلى، وحكم بلجيكا لمدة أربع سنوات (90-94م)، وهذا ما أتاح له فرصة مشاهدة القبائل الجرمانية بنفسه، وجمع قدراً كبيراً من المعلومات عنها، يضاف إلى ذلك أنّه كان شخصيا كثير الاهتمام بألمانيا والقبائل الجرمانية إذ أدرك في قراره نفسه مدى الخطر الذي يتهدد الإمبراطورية الرومانية من ذلك الجمع[2].

وتناول تاكيتوس في كتابه جرمانيا، ووصف أخلاق وعادات القبائل الجرمانية التي احتكت بها روما، كما تناول وصف جغرافية ألمانيا، ثم عرض لتاريخ القبائل الجرمانية وأحوالهم الاجتماعية والسياسية والدينية. إذ وصل الجرمان على عهد تاكيتوس إلى درجة متقدمة نسبياً من المدنية، وكانوا لا يزالون يقيمون في قرى، وتكون مجتمعهم من ثلاث طبقات الأثرياء والنبلاء والعبيد، وكانت القبيلة هي وحدة النظام السياسي عندهم، وكان الجيش عندهم يتكون من الفرسان والرجالة. كما يؤكد تاكيتوس فضيلة الجرمان فضلاً عن الرذائل البدائية من القبائل الجرمانية، وعلى النقيض من الانحلال الأخلاقي لروما المعاصرة، والتهديد بأن هذه القبائل إذا ما تصرفت واتحدت معاً، يمكن أن تتقدم إلى بلاد الغال[3] Gaul الرومانية.

---

(1) تاكيتوس: المقدمة، ص21-22.

(2) تاكيتوس: المقدمة، ص 36-37.

(3) بلاد الغال: هو الاسم القديم للمنطقة الواقعة في أوروبا الغربية التي تشمل فرنسا الحالية، بلجيكا، غرب ألمانيا وشمال إيطاليا. غزتها شعوب متعددة كالرومان والكلت والجرمان. وقد ارتبط اسم هذه المنطقة بالفرنجة، لأنهم استوطنوا فيها واستقروا على نحو دائم. فاشتق اسم فرنسا France من اسمهم. للمزيد انظر:

Edward James: The Origins of France, The Macmillan press, (London 1982), pp. 13-5.

ويبين تاكيتوس أيضاً في كتابه جرمانيا عن مركز الألمان وأصلهم والفرق بين فضائل الشعب الحر المنبعثة عن الرجولة وبين انحلال الرومان وجبنهم في عهد الطغاة المستبدين. تاكيتوس حين يثني على الألمان لأنهم يرون قتل الأطفال جريمة تجلل مقترفها العار، ولا يعلون من شأن العقم، فإنَّه بذلك لا يمدح الألمان في واقع الأمر بل يندد بالرومان. وهكذا نرى الهدف الفلسفي يفسد موضوعية البحث، ولكنه يدل على اتساع أفق الموظف الروماني الذي يمتدح قدرة الألمان على مقاومة روما[1]. إن الهدف من الكتاب تهذيب خلقي، وتاكيتوس يعد كاتبا أخلاقيا أكثر من كونه مؤرخاً علمياً، فهو يريد أن يهذب مما عنف مظاهر الحياة الجرمانية ويسخر في الوقت نفسه من مفاسد روما لعلها تعلو[2].

وقد ظهر كتاب جرمانيا سنة 98م بعد انتصارات الإمبراطور تراجان على القبائل الجرمانية في صيف 98م عندما ابتهجت روما بانتصاراته الرائعة، في ذلك الوقت ظهر كتاب جرمانيا حيث استغل تاكيتوس ميل الرومان إلى ولايتي جرمانيا العليا والسفلى ومظاهر الفرح العام بانتصارات تراجان على القبائل الجرمانية. وقد أخرج تاكيتوس كتاب جرمانيا في هذا العام عقب إصداره كتاب أجريكولا مباشرة، وكتاب جرمانيا عبارة عن رسالة أخرجها المؤلف نتيجة لخبرته الشخصية ومشاهداته وبحوثه ودراساته التي قام بها عدة سنوات، وكان ينوي أن يخرج مؤلفا تاريخيا ضخما، غير أنه آثر نشر هذه الرسالة على هيئة كتاب مستقل بمناسبة مشروعات تراجان على ضفاف نهر الراين.

ويُعد كتاب جرمانيا من المصادر التي أفادت الباحث كثيراً عن أصول القبائل الجرمانية، فقد أضاف تاكيتوس وصفاً شاملاً عن الجرمان في مؤلفه، وعن حياة الجرمان البدائية.

---

(1) تاكيتوس: المقدمة، ص40-41.

(2) تاكيتوس: المقدمة، ص41.

• كاسيودورس[1] Cassiodorus :

ولد ماجنوس أوريليوس كاسيودورس Aurelieus Cassiodorus Magnus في مدينة سكويلاسي Squillace بإيطاليا عـام 480 م[2]، واشـتهر باسـم جـده، نظرا لمكانه ومنزلة أسرته، التي تعد من صفوة العائلات الأرستقراطية الرومانية، وقد تميزت تلك الأسرة بالثراء الشديد، حيث امتلكت المزارع الشاسعة، فضلاً عن قطعان الخيول، التي كانت تفوق الأسرة الملكية، وكانت أسرته تهدي بعضاً منها تجنباً للحسد[3].

دخل كاسيودورس معترك الحياة العمليـة أثنـاء فتـرة شـبابه، حيـث تقلـد العديد من المناصب المدنية في عهـد ثيودريـك Theodoric(489-526م) ملـك القوط الشرقيين، كما تـولى منـصب الـوالي البريتـورى[4] Praetorian Perfects لمدة ثلاث سنوات (534 -537 م) خلال عهد ملوك القوط الـشرقيون ثيوداهـاد Theodahad (534 - 536م) وويتجيز Witigis (536 - 537م)[5]، ومـن خـلال تلك المناصب قام بكتابة العديد من الرسائل الملكية باسـم الـبلاط الملكـي، ثم جمعها في مصنف عرف باسم "المنوعات" Variae[6].

---

(1) Cassiodorus: Letters of Cassiodorus, eng. Trans, Hodgkin, (London 1886).

(2) Cassiodorus: Letters of Cassiodorus, P. 4.

(3) Cassiodorus: Letters of Cassiodorus, P. 174.

(4) منصب الوالي البريتوري: يعادل منصب الوالي البريتوري في وقتنا الحالي منـصب رئـيس الوزراء، ومسئوليته تتضمن إعداد الميزانية، وتدبير احتياجات الدولـة، وجمـع ضـرائب الأرض الزراعية، ورئيس الإدارة المركزيـة، بالإضـافةِ إلى إصـدار الأحكـام القـضائية، وهى غير قابلة للاستئناف. انظر: Cassiodorus: Letters, PP. 311-2

(5) Moorhead: Theoderic in Italy, PP.1-2.

(6) Hodgkin: Italy, vol.3. P.289 .

بدأ كاسيودورس في تدوين مصنفه "المنوعات" عـام 504 م، وانتـهى مـن كتابته عام 540م، وربما قبل ذلك بسنه أو سنتين[1]، والمصنف ينقسم إلى اثـني عـشر فـصلاً، احتـوت الفـصول الخمـسة الأولى علـى رسـائل عرفـت باسـم ثيودريك، بينما احتوى الكتابان الـسادس والـسابع علـى رسـائل عرفـت باسـم الفورمولا Formula، والأخيرة لا تعدو أن تكون بمثابـة قـرارات التعـيين الـتي أصدرها ثيودريك لمرءوسيه بمناسـبة ترقيتـهم إلى مناصـب عليـا، أمـا رسـائل الكتابين الثامن والتاسع فقد كتبـت باسـم آتالاريـك Athalaric (526 - 534 م) وجـاءت رسـائل الكتـاب العاشـر باسـم آمالاسـونتا Amalasuntha وثيوداهـاد وويتجيز، أما رسائل الكتـابين الحـادي عـشر والثـاني عـشر فقـد كتبـت باسـم كاسيودورس عنـدما كـان يـشغل منـصب الـوالي البريتـورى[2]. وتُعـد كتابـات كاسيودورس من أهم الكتابات التي تناولت تاريخ القـوط الـشرقيين، ولا غـنى عنها لأي باحث، وترجع أهمية كتاباته إلى أمرين، الأول باعتباره مؤرخاً معاصراً للأحداث، والثاني باعتباره رومانياً وليس قوطياً.

ولا شك أن مـصنف كاسـيودورس الـسالف الـذكر قـد أفـاد الباحـث في التعرف على ظروف الحرب التي وقعت بين الفرنجة والقـوط الغـربيين، وعلـى الرغم من ذلك، فإن المصنف يؤخذ عليه أكثر من أمـر، **الأول**: إغفالـه لـبعض الأحداث التي وقعت في أواخر حكم ثيودريك (523- 526 م) ولا ندري السبب في ذلك، إن كان بقصد أم غير ذلك، وأغلب الظن أنه كان متعمـداً ذلـك، مـا سبب الحيرة والارتباك في فهم كـثير مـن الأحـداث. **الثـاني**: تجاهلـه -أيـضاً- للأحداث الخارجية التي شهدتها إيطاليا أثناء حكم ثيودريـك، فلـم يتطـرق إلى تفاصيل الحروب التي خاضها ثيودريك في إقليم الغال، إلا مـن خـلال رسـائل محدودة لا تشفي غليل الباحث، وأخيراً جميع الرسائل التي وردت في المصنف غير مؤرخة، ولا ندري السبب أو الهدف من وراء ذلك.

---

(1) Hodgkin: Italy, vol.3. P.290 .

(2) Hodgkin: Italy, vol.3. P.290 .

كتب كاسيودورس مصنفا آخر عن تاريخ القوط بشطريه -شرقيين وغربيين- عام 520م[1]، ولكن من المؤسف فقدان ذلك المصنف، ولم يتبق منه أثر سوى تلخيص جوردان له[2]، وبوجه عام يحتوى المصنف على اثني عشر كتاباً، تحدث فيه كاسيودورس عن أصل القوط وقيام مملكتهم في إيطاليا حتى زواج ماتاسونثا Matasuntha حفيدة ثيودريك من جرمانوس Germanus ابن أخي جستنيان[3]. وكان كاسيودورس يهدف من وراء مصنفه السالف الذكر إلى أمرين، **الأول**: تمجيد أسرة آمال Amal الملكية العظيمة التي ينتمي إليها ثيودريك، **والثاني**: تمجيد القوط وبيان عظمة تاريخهم.

---

(1) Hodgkin: Italy, vol.3. P.29 3.

(2) Hodgkin: Italy, vol.3. P.29 3.

(3) Hodgkin: Italy, vol.3. P.29 3.

• جوردان[1] Jordanes :

ينتمي جوردان إلى الجنس القوطي، وله مصنفان الأول بعنوان "رومانا Romana، والثاني بعنوان "أصل وآثار القوط"، وهو من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الباحث في دراسته، إذ أورد معلومات قيمة عن تاريخ القوط منذ هجرتهم من أوطانهم الأصلية، وحتى نهاية حكمهم في إيطاليا، ولا نعرف الكثير عن حياة جوردان سوى ما كتبه بنفسه في فقرة سجلها في مصنفه السالف الذكر جاء فيها **"كانت قبائل السكريين Scyrii والساداجريل Sadagril وبعض الآلان Alani تحت قيادة كانداك Candac، يقيمون في منطقة سكثيا Scythia ومؤيزيا Moesia بعد الإطاحة بالهون، وكان جدى باريا Paria يعمل سكرتيراً عند كانداك..."**[2].

لم يكن مصنف جوردان سوى تلخيص وإيجاز لتاريخ القوط الذي سبق وكتبه السناتور الروماني كاسيودورس، وقد ذكر جوردان السبب الذي دفعه إلى ذلك العمل بقوله **"بينما كنت أنوى الإبحار بجوار الشاطئ لأصطاد بعض الأسماك الصغيرة، جاءني أخي كاستاليوس Castalius وأقنعني بأن أترك ما كنت أقوم به، وأتفرغ لتلخيص المؤلفات الرومانية، وأن أركز جهدي على مؤلف واحد يجمع المحتويات الأساسية لاثني عشر كتاباً بشأن أصل وآثار**

---

(1) Jordanes: The Gothic History of Jordanes, eng. trans. Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915).

ذكر اسم جوردان بأكثر من صورة، منها جوردان Jordanes أو جورنانديس Jornandes أو جوردانيس، وقد اشتق اسمه من نهر الأردن Jordan River، الذي كان مرتبطا بشكل كبير بالشعائر الدينية المسيحية. انظر:

Hodgkin: (Th.): Italy and her Invaders, Vol. 1 (Oxford. 1891), p.32

(2) Jordan's: the Gothic History, P. 127.

القوط، بداية من ظهورهم ومروراً بالأجيال والملوك المتعاقبة حتى الوقت الحالي، وكانت طبيعة العمل في هذه المهمة شاقة... واستلمت الكتب واطلعت عليها في ثلاثة أيام فقط..."[1].

ولا شك أن مصنف جوردان يُعد ذا قيمة كبيرة بالنسبة لتاريخ القوط، فقد حفظ لنا الكثير من آثارهم السياسية والعسكرية، وعلى الرغم من ذلك، فإن تلخيص وإيجاز جوردان له، كانت له أضراره البالغة التي تمثلت في ثلاثة أشياء، **أولاً**: حذف أشياء قد تبدو ذات قيمة كبيرة كما ذكر هودكين Hodgkin[2]، **ثانيا**: عدم تحققه مما كتبه كاسيودورس عن أصل القوط الذي أرجعه إلى أصول رومانية[3]، وأخيراً خلطه بين تاريخ القوط Goths وتاريخ الجيتيين[4] Getes حتى أطلق على مصنفه اسم "تاريخ الجيتيين" Getic History[5]، وأغلب الظن أن ذلك الخطأ راجع إلى ما قرأه كاسيودورس عن المؤرخين الرومان العظام أمثال ديو.

---

(1) Jordanes: The Gothic History, P. 51.

(2) Hodgkin: Italy, vol. 1.P. 28.

(3) Jordanes: The Gothic History, P.76.

(4) الجيتين: أحد الشعوب التي سكنت منطقة داكيا Dacia، وأسسوا مملكة عرفت باسمهم، ونظرا لتحالفهم مع الفرس، فقد صاروا أعداءً للرومان، الأمر الذي لم يرض عنه الإمبراطور تراجانTrajan (98-117م)، حيث قاد حملة عسكرية، انتهت بهزيمتهم، وقام بتحويل داكيا إلى ولاية رومانية. انظر: Hodgkin: Italy, vol.1. P. 98

(5) Jordanes: The Gothic History, P.66.

المؤرخ المجهول[1] Anonymus Valesianus :

يُعد مصنف المؤرخ المجهول من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الباحث في دراسته عن زواج ثيودريك وأودفيلد، وقد عرف المصنف بذلك الاسم نسبة إلى عالم فرنسي يدعى هنري دي فالوا Henri de Valois، الذي قام بنشره لأول مرة في باريس[2] عام 1636م[3]، ويرى هودكين Hodgkin أن المؤرخ المجهول ما هو إلا ماكسيميان Maximian أسقف رافنا[4] Ravenna،

---

(1) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau (Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana), Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, (Leipxic, 1968).

(2) باريس: تقع باريس على ضفاف نهر السين في الجزء الشمالي من بلاد الغال، واسم باريس مستمد من سكانها الأوائل، وهم إحدى قبائل الغال ويعرفون بباريسي Parisii حيث سكنوا المنطقة الواقعة على ضفاف نهر السين في عام 250 ق.م تقريبا ثم غزا الرومان باريس في عام 52 ق.م تقريباً، وقد سميت المدينة لوتيشيا Lutetia في عهد الإمبراطورية الرومانية، ثم تغير اسمها إلى ليوتيس. إلا أنها سميت باريس مرة أخرى في عهد الإمبراطور جوليان المرتد (360-363م). ويعتقد البعض أن اسم باريسي يأتي من الكلمة السلتية الغالية باريسو التي تعني الشعب العامل أو الحرفيون. ثم أصبحت باريس تحت سيطرة الفرنجة في أواخر القرن الخامس. وجعل منها الملك كلوفس الأول عاصمة لبلاده. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, pp.599-601.

(3)Moorhead: Theoderic in Italy, P.3.

(4) رافنا: مدينة إيطالية بإقليم إميليا رومانيا Imilia Romania وعاصمة مقاطعة رافنا في الوقت نفسه، شهدت ازدهارا كبيرا في عهد الرومان، حيث شيد بها الإمبراطور تراجان قناة بطول سبعين كم، تتميز بكثرة آثارها البيزنطية التي تعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وفي عام 402م نقل الإمبراطور هونوريوس Honorius (395-423م) عاصمة الإمبراطورية الرومانية من ميلانو إليها لأغراض دفاعية، فهي محاطة بالأهوار والمستنقعات، وعلى الرغم من ذلك، فإنها لم تصمد أمام غزو القوط الغربيين بزعامة آلاريك الأول Alaric I عام 409م. كانت عاصمة للقوط الشرقيين أيام ثيوديك العظيم ثم استعادها البيزنطيين عام 540م، ووقعت تحت سيطرة اللمبارديين بعد غزوهم إيطاليا حتى عام 756م حيث سيطر عليها بيبن القصير وأعادها للبابوية. انظر: خريطة رقم (9)، انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.647.

الذي توجد له صورة فسيفسائية في كنيسة القديس فيتال St. Vital يظهر فيها والصليب الذهبي في يده[1].

يتألف المصدر السالف الذكر من قسمين، **الأول**: يستعرض حياة الإمبراطور قسطنطين الأول Constantin I (324 - 337م)، **والثاني** يتضمن عهد الملك ثيودريك[2]، ويرى مورهيد Moorhead أنَّ المؤرخ المجهول هو مؤلف القسم الثاني، ويستند في رأيه إلى أسلوبه، فضلا عن طريقته في ترتيب الفقرات[3].

وعلى الرغم من أهمية ذلك المصنف، فإنه يؤخذ عليه ما يلي، **أولاً**: لم يكن المؤرخ المجهول معاصراً أو شاهد عيان للأحداث التي تناولها، التي وقعت قبل مولده بفترة تمتد إلى عشرين أو ثلاثين سنة كما ذكر هودكين[4]، **ثانيا**: نظرته للأحداث من وجهة نظر دينية، وتعصبه الشديد لمذهبه الكاثوليكي، الأمر الذي جعله متحاملاً في بعض كتاباته على ثيودريك، باعتباره آريوسي المذهب.

---

(1)Hodgkin: Italy, vol.3 . P. 261.
(2) Moorhead: Theoderic in Italy, P. 4.
(3) Moorhead: Theoderic in Italy, P P. 4-5.
(4)Hodgkin: Italy, vol.3 . P. 261.

• بروكوبيوس القيصري[1] Procopius:

ولد بروكوبيوس سنة 500م بقيصرية بفلسطين، وتلقى تعليمه في قيصرية وغزة، حيث تعلم المنطق والقانون، ثم رحل إلى القسطنطينية التي كانت مركزاً للدراسات القانونية والفقهية ليعمل هناك، وقد ذاع صيته هناك عام 527م أي العام الذي تولى فيه جستنيان دفة الأمور، لذلك عُين سكرتيراً خاصاً ومستشاراً قانونياً للقائد بليزاريوس[2] Belisarius[3].

كان بروكوبيوس كاتباً بليغاً، رفعه بيانه الناصع إلى عضوية السناتو حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه وصل إلى منصب والي القسطنطينية عام 562م. ولعل وجود بروكوبيوس في منصبه كمستشار للقائد بليزاريوس قد هيأ له الفرصة ليحصل على المعلومات من مصادرها الأساسية، وكان لمشاركته لبليزاريوس في

---

(1) Procopius of Caesarea: History of the Wars Books V and VI, eng. Trans Dewing, (H.b.) vol.3. (London, 2007).

Procopius of Caesarea: History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), vol.2.

بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبرة، القاهرة، 1986، الجزء الأول والثاني.

(2) بليزاريوس: يُعد بليزاريوس من أشهر القادة العسكريين في التاريخ البيزنطي، ولد سنة 505م، وكان صديقاً للإمبراطور جستنيان وكانت زوجته أنتونينا Antonina صديقة للإمبراطورة ثيودورا Theodora، وبدأ نجم بليزاريوس يلمع منذ موقعة دارا ضد الفرس سنة 530م، ثم عُين قائداً للشرق، وفي عام 532م تمكن بالتعاون مع القائد نارسيس من القضاء على ثورة نيقيا، وأرسله جستنيان سنة 533م إلى شمال إفريقيا إذ قضى على مملكة الوندال، ثم بعث به إلى إيطاليا ليخلصها من القوط الشرقيون. انظر:

Ostrogorsky: History of the Byzantine State. Trans - by Jon Hussey. (Oxford 1968), pp. 70-3; A.A. Vasiliev: History of the Byzantine empire, Wisconsin 1999, pp.91-2.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، القاهرة، 1986، ج1، المقدمة، ص 6.

حروبه أكبر الأثر في تدوين تاريخ هذه الحروب من مواقعها وكشاهد عيان إذ شارك سيده بليزاريوس في حروبه ضد الفرس 531-537م، وضد الوندال Vandals[1] 533م، وضد القوط في إيطاليا536م[2].

ومن أهم المؤلفات التي ألفها بروكوبيوس ثلاثة أعمال تاريخية مهمة أولها تاريخ الحروب، وثانيها ما عرف باسم التاريخ السري Historia- Arcana، وثالثها عن المباني والمنشئات. ويهمنا في هذا المقام كتاب الحروب الذي يقع في ثمانية أجزاء، الجزء الأول والثاني خصصها للحروب الفارسية والثالث والرابع للحروب ضد الوندال في شمال إفريقيا، ومن الخامس إلى الثامن للحروب ضد القوط الشرقيين في إيطاليا.

وقد أفاد الباحث كثيراً من كتاب بروكوبيوس عن الحروب القوطية حيث أشار إلى زواج ثيودريك وأودفيلدا، كما أشار إلى أن ثيودريك العظيم زوج ابنته

---

(1) الوندال: هم قبائل جرمانية شرقية عبروا بحر البلطيق باتجاه ما يعرف اليوم باسم بولندا، إذ استوطنوا منطقة سيليزيا نحو سنة 120 ق.م. وقد سجل المؤرخ الروماني تاكيتوس وجودهم في المنطقة الواقعة بين نهر أودر ونهر الفستولا في كتابه جرمانيا. ثم امتد نفوذهم حول ضفاف نهر الراين ناحية الغرب. وقد ظهر خطر الوندال لأول مرة عام 167م، حيث تحركوا حتى وصلوا إلى حدود بوهيميا، إذ تركوا اسمهم على الجبال التي تفصل بين سيليسيا وبوهيميا ومن ثم عرفت باسم جبال الوندال. ظل الوندال هادئين فترة من الزمن ثم زحفت قبائلهم وبدأت تنتشر تدريجيا في كل من الجنوب الغربي لألمانيا خلال القرن الرابع الميلادي، ثم تقدموا إلى بلاد الغال ووصلوا إلى إسبانيا عام 409م. وفي عام 428م دخل الوندال شمال إفريقيا تحت قيادة ملكهم جيزريك وأسسوا مملكة لهم بشمال إفريقيا، ولكن استطاع الإمبراطور جستينيان الأول القضاء على مملكة الوندال واستعادة شمال إفريقيا مرة أخرى إلى حظيرة الإمبراطورية عام 534م. للمزيد انظر: محمود سعيد عمران: مملكة الوندال في شمال إفريقيا، القاهرة 1985، المقدمة؛ عبد الهادي التازي: شمالي إفريقيا والوندال، 439-534م، المجلة التاريخية المصرية، مج 11 لسنة1963، ص92-93.

(2) بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ 1، ص 6-7.

الصغرى ثيودوجوثا Theodichusa لآلاريك قائد القوط الغربيين، كما زوج آمالابرجا Amalaberga ابنة شقيقته آمالافريدا[1] Amalafrida إلى هرمنفريد Herminifred حاكم الثورنجيين[2]، كما تحدث بروكوبيوس عن الحرب التي وقعت بين الفرنجة والقوط الغربيين سنة 507م، وأشار إلى تحالف القوط الشرقيين والفرنجة ضد البرجنديين عام 523م. وذكر بروكوبيوس أيضاً زواج أماريك وكلوتيلدا الصغرى عام 526 أو 527م.

وما يؤخذ على بروكوبيوس أنّه كان شديد الانتباه للوصف الدقيق الذي يقدمه للقارئ حول أحداث المعارك، وفجأة ينتقل بك إلى حادث عارض يشرحه بإسهاب حتى ينسى القارئ الموضع الذي وقف عنده من الحدث الأصلي، ثم ما يلبث أن يعود إلى حديثه الأول، وهكذا اختلطت أحداثاً ثانوية كثيرة مع الأحداث الأساسية التي سجلها بروكوبيوس[3].

---

(1) آمالافريدا: تعد أمالافريدا شقيقة الملك ثيودريك العظيم، وقد تزوجت تراسموند ملك الوندال عام 500م، وعندما سافرت آمالافريدا إلى قرطاج ذهب معها ألف من القوط كحرس شخصي لها، ثم تبعهم نحو خمسة آلاف من المحاربين، كما قدم ثيودريك مدينة ليليبيوم Lilybaeum - التي امتلكها القوط عام 490م- بائنه لزواج شقيقته ... انظر:

Procopius of Caesarea: History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), eng. Trans Dewing, (H.b.) vol.2. (London, 2007) pp.77-9; Merriils, Andy and Richard Miles: the Vandals, Blackwell 2010, p.196;

انظر أيضاً: محمود سعيد عمران: مملكة الوندال في شمال إفريقيا، ص61-62.

(2) بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ1، ص90.

(3) بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ1، ص 11.

• جريجوري التوري[1] Gregory of Tours :

ولد جريجوري التوري عام 539م في كليرمونت Clermont بفرنسا، لعائلة مميزة سياسياً وكنسياً، وقد توفي والده وهو طفل فانتقلت والدته للعيش في برجنديا[2] Burgundy حيث توجد ممتلكاتها. وفي سن الثامنة تم إرساله إلى كليرمونت للحياة في بيت عمه سان جالوس أسقف المدينة. وبعد وفاة عمه احتضنه افيتوس Avitus الذي خلف عمه في منصب الأسقف. وقد تم رسمه شماساً في سنة 563م وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وفي عام 573م تم انتخابه أسقفاً لمدينة تور Tours[3]، واعتمد سيجبرت الأول ملك الفرنجة نتيجة الانتخاب، وظل جريجوري يخدم الكنيسة في هذا الموقع حتى وفاته عام 594م. وكان هدفه من وضع مؤلفه تسجيل الأحداث السائدة في بلاده في تلك الفترة[4].

---

(1) Gregorii Episcopi Turonensis: Libri Historiarum Francorum X, editionemalteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I;
Gregory of Tours: The History of the Franks, Translated by Ernest Brehaut, New York: Columbia Uuiversity Press, 1916.

(2) برجنديا: منطقة تقع في الجنوب الشرقي من غاله، وتمتد من لانجرز إلى البحر المتوسط. على سهول الساؤون عاصمتها ديجون Dijon، غزها يوليوس قيصر وظلت تابعة للرومان حتى استولى عليها البرجنديون في القرن الخامس الميلادي، ثم استولى عليها الفرنجة الميروفنجيون عام 534م. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.134.

(3) تور: هي مدينة فرنسية تقع على بعد 206كم إلى الجنوب الغربي من باريس، استولى عليها القوط الغربون في القرن الخامس، ثم استولى عليها الفرنجة من القوط في القرن السادس الميلادي، وتعد مدينة تور مثابة معبر على الطريق الرئيسي بين باريس وجنوب غالة، وهي تصنع النبيذ وتطحن الغلال وتصنع الآلات الزراعية والمخصبات. لمزيد من التفاصيل انظر: انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص157، Moore: Encyclopedia of Places, p.791.

(4) Shami Ghosh: The Barbarian Past in Early Medieval Historical Narrative, (Toronto 2009), P80-82;
انظر أيضاً: إسحق عبيد: من آلارك إلى جستنيان، دراسة في حوليات العصور المظلمة، الطبعة الأولى، القاهرة 1977م، ص 168-169.

وترجع شهرة كتاب تاريخ الفرنجة لجريجوري التوري لكونه يعطي الصورة الوحيدة عن أصل الثقافة الفرنجية، كما يوضح النفوذ المتزايد للكنيسة الذي قُدِّر لها أن تشغله في حضارة العصور الوسطى، هذا فضلاً عما يصوره كتاب جريجوري من سذاجة مطلقة اتصفت بها عصور الإيمان، وذلك لأن كتابه جاء مليئاً بالخرافات والمعجزات والكرامات المقدسة، وكان العنصر الذي أدى إلى وجود وحدة في كتاب جريجوري من أوله لأخره، هو تأكيده أهمية الكنيسة بوصفها المحور الرئيسي الذي دارت حوله الحياة في غالة في عصر الفرنجة[1].

ويضم كتاب جريجوري الذي يحمل عنوان تاريخ الفرنجة عشرة فصول: الفصل الأول منها يغطي الفترة الأطول في هذا المصدر منذ نشأة العالم طبقاً للإنجيل حتى وفاة القديس مارتن عام 397م، ويغطي الفصل الثاني والثالث ومعظم الرابع الفترة من 397م حتى تولى جريجوري منصب أسقف تور عام 573م، ويتناول الفصل الخامس إلى العاشر الفترة من 575م حتى 591م وهي الفترة التي كتب فيها جريجوري مؤلفه؛ لذلك فهو مؤرخ معاصر[2].

وعن كتاب جريجوري فهو تاريخ سردي وزمني، يحتوي على أحداث كثيرة، ومع ذلك غالباً كان جريجوري غير دقيق في الاقتباسات وتسلسل الأحداث، إذ كان يقطع روايته للحديث عن المعجزات التي حدثت في عهده، كأن يتحدث عن ميلاد ثيودريك الثاني بن الملك شلدبرت الثاني عام 587م، ثم ينتقل للحديث عن المعجزات التي حدثت في العام نفسه، دون التطرق لنتائج ميلاد الأمير ثيودريك الثاني، ويرجع ذلك إلى أن فكرة كتاب جريجوري هي الانتصار للمسيحية. وعلى الرغم من الصبغة المسيحية لعمل جريجوري فإنه يُعد أحد المصادر المهمة، وأحياناً الوحيدة لمعرفتنا بالتاريخ الفرنجي المبكر في تلك

---

(1) هاري ألمر: تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1963م، ص 90.

(2) علية عبد السميع الجنزوري: جريجوري التوري وقيام دولة الفرنجة، القاهرة 1988م، ص 25-32.

الفترة. هذا علاوة على أن جريجوري أمد القارئ في نهاية الفصل العاشر بقائمة تضم جميع أسماء أساقفة تور مقرونة بإنجازاتهم. كما يذكر جريجوري أيضاً أعماله الأدبية، ويوصى من يأتون بعده بعدم تدمير مؤلفاته، أو إعادة كتابة جزء منها وترك بعضها الآخر، بل يتم كتاباتها بأكملها، والاحتفاظ بها في المكتبات من دون تعديلات، وقد تم الوفاء بهذه الوصية، وأفاد من مؤلفاته المؤرخون القدامى والمعاصرون[1].

كما أن تاريخ الفرنجة يحوي العديد من الكتب التي راجعها جريجوري بدقة مثل: كتابات القديس جيروم Saint Jerome، وكتابات يوسبيوس Eusebius، بالإضافة إلى معرفته بالإنجيل. وعند اعتماد جريجوري على تلك الكتب فإنَّه يذكر أنه أخذ منها، فيضيف كلمات مثل: Fertur وFerunt بمعنى أنه يقال أو أنهم يقولون ليؤكد أنه يروى عن الآخرين[2].

كما أن جريجوري كان متحيزاً في كتاباته إلى ملوك أوستراسيا؛ ففي أثناء حديثه عن ملك أوستراسيا سيجبرت الأول يذكر لفظ سيدي، في حين اتهم شلبريك ملك نوستريا Neustria[3] بأنه نيرون العصر، ويرجع ذلك التحيز من جانب جريجوري إلى أن مدينة تور- التي ينسب إليها جريجوري- كانت خاضعة لمملكة أوستراسيا. كذلك تحامل جريجوري ضد الآريوسيين،

---

(1) وضح جريجوري في نهاية كتابه تاريخ الفرنجة قائمة موجزة بمؤلفاته حيث قال "كتبت أنا جريجورى العشرة كتب لهذا التاريخ، وسبعة كتب عن المعجزات، وواحد عن حياة الآباء، وألفت كتابا في الشرح والتعليق على الترانيم المقدسة، كما كتبت كتابا أيضاً عن مناصب الكنيسة، بالإضافة إلى كتاب بعنوان إحصاء حركة النجوم". لمزيد من التفاصيل انظر:
Gregory of Tours: The History of the Franks, Translated by Ernest Brehaut, New York: Columbia University Press.1916, PP. 247-8.

(2) علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 46-48.

(3) نوستريا: (المنطقة الغربية) وتقع في شمال غرب بلاد الغال بين القنال الانجليزي ونهر اللوار. وكان يقطنها الرومان الغاليون، وقد كثرت فيها الملكيات الواسعة. انظر:
Bouillet :Dictionnaire universel d'histoire et de géographie,pp.1341-2.

فوصف الأساقفة الآريوسيين بالمهرطقين في معرض حديثه عن تحول الملك ريكاردو (601-586م) ملك القوط الغربيين للمذهب الكاثوليكي، ويرجع هذا الموقف إلى أن جريجوري كان أسقفاً كاثوليكياً متشدداً في كاثوليكيته[1].

كذلك اُتهم جريجوري بأنه نظر إلى العالم من خلال نوافذ مبنى الكنيسة في تور؛ فقد أرجع السبب في العديد من الأمور إلى الكنيسة، وانغمس أيضاً في بعض القضايا الصغيرة مثل: حديثه عن أسقف ما، أو حديثه عن صراع دائر بين شخصين، كذلك أخطأ جريجوري في بعض المواضيع التي جاءت في تاريخه، فمثلاً قال جريجوري أن ألبوين Alboin ملك اللمبارديين خرب إيطاليا لمدة تسع سنوات في حين أنها في الحقيقة كانت أربع سنوات فقط بداية من دخوله إليها في عام 568م حتى وفاته عام 572م، ثم أن جريجوري عيَّن بالاسم شخصاً سماه بول Paul وجعله خليفة لأوثاري Outhary (584-590م) ملك اللمبارديين، وهو شيء لم يذكره أي مؤرخ آخر، فمن المعروف أن الملك أجيولف Agilulf (590-616م) هو خليفة أوثاري على عرش اللمبارديين[2]. كذلك جعل حكم الإمبراطور جستين الثاني (578-565م) لمدة ثمان عشرة عاماً، وهو ما يخالف الواقع إذ حكم جستين الثاني 12 عاما فقط.

ولكن في الحقيقة أنَّ كل تلك الأخطاء ترجع إلى الصعوبات التي تواجه مؤرخي القرن السادس الميلادي في الغرب الأوروبي، ولا تقلل من قيمة هذا المصدر بشكل عام، ولموضوع الرسالة بوجه خاص، بالإضافة إلى أن كل تلك الهفوات قليلة في عددها، ومِن ثَمَّ من السهل معالجتها.

أما جريجوري فقد كتب كتابه بأسلوب لاتيني واضح وبسيط، يقرأه ويفهمه الرجل العادي المتوسط التعليم في أيامه، كما تميز أسلوبه بالبساطة وقلة

---

(1) إسحق عبيد - من آلارك إلى جستنيان، ص 159.

(2) Paul the Deacon: Langobards, Translated by William Dudley Foulke. (University of Pennsylvania Press, 1907), P.194.

الزخرفة، كما أنه أكثر من الاقتباسات خاصة من الكتاب المقدس، كـذلك فقـد كانت معظم مقارنات جريجوري بسيطة، فقد وصـف الملـك شـلبريك بـنيرون العصر. وإذا كان جريجوري أسقفاً بعيداً عن ميادين القتال فإنَّه كـان يـستطيع أن يصف استعداداً عسكرياً بتفاصيله الكاملة، فلقد وصف حروب الملك كلـوفس وتوسعاته في بلاد الغال بكل جدارة، وعلى الرغم من ذلك لم يعلق جريجـوري على أي من الأحداث التي تناولها في كتابه تاريخ الفرنجة.

وقد اعتمد الباحث على نسخة جريجوري التوري المترجمة للإنجليزية في معظم البحث، ولكن وجد النسخة الإنجليزية مختصرة في بعض الأحيان فاضطر إلى الرجوع للمصدر اللاتيني في تلك الأجزاء المختصرة فقط.

• حولية ماريوس أسقف أفينش[1] Marius of Avenches :

ولد الأسقف ماريوس في أبرشية أوتون Autun بغالة نحو عام 530م لعائلة غنية، وربما غالورومانية، وفي عام 574م تم تعيينه أسقفاً لمدينة أفينش Avenches التي تقع على بعد كيلومترات شمال غربي فريبورج في سويسرا حالياً. وقد نقل ماريوس مقر أسقفيته من أفينش إلى لوزان Lausanne (بسويسرا حالياً) حيث توفي نحو عام 593 أو 594م ودفن أيضاً بتلك المدينة، وقد ألف ماريوس التاريخ الذي أضيف إلى ترجمة جيروم، الذي كان تكملة لتاريخ يوسبيوس Eusebius.

ويعتبر ماريوس نفسه رومانياً، إذ يهتم بأباطرة الشرق أكثر من اهتمامه بملوك الفرنجة، ويؤرخ تاريخه وفقاً للقناصل الرومان، كما أن القسطنطينية تجذب أكبر قدر من اهتمامه حتى أنه يروى قصصاً عنها، باعتبارها عاصمة له، ويُعد ماريوس شاهداً معاصراً لأحداث النصف الثاني من القرن السادس. وتعد حولية ماريوس تأريخاً للأحداث من سنة 455م وتنتهي عام 581م، وضع فيها الأسماء والأحداث في قوائم، ويعتبر تاريخه موجزاً بليغاً جافاً غير مشوق، لكن أهميته تكمن في أنه كتب من جهة النظر البرجندية، وقد عرف ماريوس الملك جونترام جيداً مثل جريجوري التوري، ويقال إن الرجلين تقابلا في مجمع (شالون على الساؤون) في عام 579م. وما هو مؤكد أن ماريوس استخدم جزءاً من تاريخ جريجوري عندما كان يؤلف تاريخه الذي كتبه في نهاية حياته.

---

(1) Marius of Avenches: Marii Episcopi Aventicensis Chronica In Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomvs, XI. VOL. II.

وقد أمدت الحولية الباحث بالكثير من المعلومات مثل أحداث الحرب الأهلية البرجندية بين الملك جندوباد (نحو 480-516) وشقيقه جوديجزل، فقد أضافَ ماريوس وصفاً طويلاً عن الحرب في حوليته عاماً بعد آخر، كما أمدت الحولية الباحث بأحداث عصر الملك سيجسموند (516 - 523م)، وحرب البرجنديين ضد الفرنجة والقوط الشرقيين، وحملات الفرنجة على مملكة البرجنديين.

ومما يؤخذ على الأسقف ماريوس ذكرهِ سنوات في حوليته دون ذكر أحداث لتلك السنوات، وتُعد حوليته عملاً صغيراً ومختصراً جداً، فهي لا تقدم الكثير من الأحداث الجديدة، ولكنها قيمة جداً لدقة المعلومات التي تقدمها لنا ولا غنى عنها لأي باحث، على الرَّغم من أن هذه المعلومات تقتصر تقريباً على الجانب السياسي فقط.

• فينانتيوس فورتيوناتوس[1] Venantius Fortunatus :

ولـــد فينـــانتيوس هونوريـــوس كليمنتنـــوس فورتيونـــاتوس Venantius Honorius Clementianus Fortunatus بـالقرب مـن مدينـة تريفـو Treviso بشمال إيطاليـا بـين عـامي 530 و 540م، وتـوفي عـام 600م، ودرس فورتيوناتوس في رافنا في إيطاليا، ثم رحل إلى غالة سنة 564 أو 565م أثناء حكم أبناء كلوثر الأول لمملكة الفرنجة، - شاريبرت Charibert (561-567م) بباريس Paris، جـونترام Gunthram (561-592م) بأورليـان[2] Orleans، سـيجبرت الأول Sigibert I (561-575م) بـريميس[3] Rheims، وشـلبريك الأول Chilperic I (561-584م) بسواسون[4] Soissons [5] - وذلك لزيارة قبر القديس

---

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, Translated from Latin by Judith W. George. (Liverpool University Press, 1995).

(2) أورليان: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي على بعد 113كم من باريس، بناها الإمبراطور أورليان (270-275) وقد سميت على اسمه. انظر: خريطة رقم (9)؛

Moore: Encyclopedia of Places, p.585.

Gwater: The Colmbia Encylopedia, P. 1452.

(3) ريميس: تقع مدينة ريميس على بعد 132كم شمال شرق باريس، وقد تأسست أثناء الإمبراطورية الرومانية، وأثرت هذه المدينة بشكل كبير على التاريخ الفرنسي إذ كانت المكان الذي اعتلى فيه ملوك فرنسا على العرش وفي كنيستها تم تتويج كلوفس ملكاً على الفرنجة عام 496م. انظر:

Marie Nicolas Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, (paris 1872), p 1036; Moore: Encyclopedia of Places, p.649.

(4) سواسون: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي من باريس وهي عاصمة لمقاطعة ازن Aisne وتبعد 3 كم جنوب غرب لاوون laon وهي أسقفية وبها أسوار مزينة بالنباتات العربية وفيها كاتدرائية من القرن السابع، أقيمت على أنقاض قصور ميروفنجية. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.727.

(5) Gregory of Tours: Franks, P.87; Walter C. perry: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London,1957)، p.128.

مارتن في مدينة تور التي كتب مؤلفا عنها أيضاً. وكان وصول فورتيوناتوس إلى مدينة ميتز[1] Metz بمملكة الفرنجة يتزامن مع زواج الملك سيجبرت من الأميرة القوطية برونهيلد فأعد لهما قصيدة أثناء حفل الزواج، وبعد عام من وصوله ميتز سافر إلى بلاط الملك شاريبرت وبقي هناك حتى وفاة الأخير عام 567م فعاد إلى مدينة تور، واستقر فورتيوناتوس في بواتييه حيث أصبح الصديق الحميم للقديسة راديجوند[2] Radegund أول رئيسات دير الراهبات بمدينة أجنس Agnes[3]، التي كتب العديد من القصائد على شرفها، وظل فورتيوناتوس

---

(1) ميتز: تقع في شمال شرق فرنسا، عاصمة منطقة اللورين وتابعة لإدارة أقليم موزيل. وهي تقع عند التقاء نهري الموزيل والسال على بعد 99كم من ستراسبورج، وكانت مقراً أسقفيا للفرنجة. انظر خريطة رقم (9):

Moore: Encyclopedia of Places, p.510.

(2) راديجوند: هي ابنة الملك برثيشار Berthechar ملك الثورنجيين، وقد قتله شقيقه هرمنفريد (507-532م) عام 507م، واستولى على مملكته، وكانت راديجوند تعيش في بيت عمها هرمنفريد، وعندما استولى كلوثر الأول على مملكة الثورنجيين عام 532م كانت راديجوند جزءاً من غنيمة كلوثر الأول فتزوجها. وبعد عدة سنوات من زواجها أصبحت راهبة وأنشأت ديراً للراهبات في بواتية، وقد حاول الملك كلوثر أن يسترجعها ولكنها رفضت أن تعيش مع الرجل الذي شن حرباً ضد شعبها وقبض عليها وقتل شقيقها. وقد كتب فورتيوناتوس مؤلفا عن حياة القديسة راديجوند الذي أكملته الراهبة بودونفيا Baudonivia. للمزيد انظر:

Baudonivia: De Vita Sanctae Radegundis libri duo edidit Bruno Krusch, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Merovingicarum II, pp380-2; Baudonivia: "The Life of the Holy Radegund" In Sainted Women of the Dark Ages. Jo Ann McNamara, John E. Halborg, with E. Gordon Whatley. (Durham and London: Duke University Press, 1992), P.86.

(3) Pfister, (CH.): " Gaul under the Merovingian Franks ", In Cambridge Medierval History Vol. II, (Cambridge. 1913), P.156; Lewis Thorpe: The Introduction of The History of the Franks by Gregory of Tours, New York: Penguin, 1974, p.7;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، هامش ص 55.

بمملكة سيجبرت حتى وفاة الأخير عام 575م وتولي ابنه شلدبرت الثاني (575-596م) عرش الملكة، وبقي هناك حتى نحو عـام 599-600م، حيـث تم تعيينـه أسقفاً على مدينة بواتيية.

وقد كتب فورتيوناتوس العديد من المؤلفـات عـن حيـاة القديـسين بـالنثر والشعر، مثل "حياة القديس مارتن" Vita S. Martini في أربعة فصول، و"حيـاة القديـسة راديجونـدا" The Life of the Holy Radegund[1]، وكـان الـسبب الرئيسي لشهرته هو كتابه باللغة اللاتينية المـسمى Carmina[2] الـذي تـرجم إلى الإنجليزية تحـت عنـوان "أشـعار وقـصائد سياسـية" "Personal and Political Poems"، وهو سلسلة من القصائد عن وضع المجتمع وقتئذ، وهـو مقـسم إلى أحد عشر فصلاً، وقد ضاع الفصلان الأول والثاني وبقي من الفصل الثالث حتى الحادي عشر، وفي الفصل الخامس كتب فورتيوناتوس إلى أهالي مدينة تـور في 573م لتهنأتهم باختيار جريجوري التوري أسقفاً عليهم. كما وجه إلى جريجوري التوري نفسه اثنتا عـشرة قـصيدة في الفـصل الثـامن، إلى جانـب قـصيدتين في الفصل التاسع[3].

كما كَتب فورتيوناتوس أربعة فصول رئيـسية لأربعـة ملـوك ميروفنجـيين: الملك سيجبرت الأول والملكة برونهيلد تكريماً لزواج سيجبرت وبرونهيلد وهي قصيدة خيالية، تحكي قصة كيف تم جمع العروس والعريس معاً من قبل كيوبيد إله الحب عند الإغريق، والثانية للملك شاريبرت يحتفل فيها بحكمـه، ويعطـي انطباعا بأن هذا الملك ينحدر من الملوك الرومـان، والثالـثة موجـه إلى الملـك

---

(1)Venantius Fortunatus: The Life of the Holy St. Radegund In Sainted Women of the Dark Ages. Jo Ann McNamara, John E. Halborg, with E. Gordon Whatley. (Durham and London: Duke University Press, 1992), pp.70-86.

(2) Lewis Thorpe: The Introduction of The History of Gregory of Tours, p.36;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 56.

(3) علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 55.

شلبريك، مليئة بالجدل حيث كان شلبريك معروفاً بأنه حاكم عنيد، ولكن في هذه المرحلة، يصوره فورتيوناتوس أنه ملك كريم ورحيم، ولا يصدر أحكاماً بسرعة كبيرة، بل يشيد بشعر الملك. وقد نُظمت هذه القصيدة بمناسبة محاكمة جريجوري التوري المتهم بالخيانة صديق فورتيوناتوس. وقد اقترح بعض المؤرخين أن فورتيوناتوس ببساطة يحاول استرضاء الملك شلبريك بسبب مستقبل جريجوري غير المؤكد.

وتعتبر قصائد فورتيوناتوس مبهجة سارة في قراءتها، لكنها في الحقيقة لا تضيف سوى قليلاً من المعرفة عن الأحداث العظيمة لتلك الفترة[1]. والواقع أن أشعاره بثرائها بالتلميحات والإشارات الميثولوجية، (أي التي لها علاقة بالأساطير والخيال) أرضت ذوق الأمراء والملوك الميروفنجيين، الذين كان يتملقهم ويداهنهم إلى حد ما[2]. وقد سعى فورتيوناتوس إلى إرضاء العائلة الملكية عن طريق كتابة ما يريد جمهوره ورعاياه أن يسمعوه، لذا فأننا نأخذ قصائده وأشعاره المكتوبة على وجه التحديد للعائلة الملكية على أنها تعكس رغباتهم ودوافعهم. وقد كتب فورتيوناتوس قصائد مدح لسيجبرت وبرونهيلد، الملك شاريبرت، والملك شلبريك، حتى أنه كان سخيا مع فريديجوندا بمدائحه التي قدمها إليها. كما قدم فورتيوناتوس قصيدة رثاء طويلة في وفاة جالسيونثا قدمت مزيداً من الأدلة عن تاريخ وفاتها. ومع ذلك فقد كتب فورتيوناتوس بعض الترنيمات والتراتيل التي لا تزال الكنيسة تستخدمها.

---

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, Translated from Latin by Judith W. George. (Liverpool University Press, 1995).

(2) Pfister: " Gaul under the Merovingian Franks ", P.156;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 56.

• حولية حنا البقلاري[1] John of Biclaro :

ولد حنا في مدينة Scallabis في ولاية لوزيتانا Lusitania في إسبانيا سنة 540م في عهد ثيوديس Theudis ملك القوط الغربيين (531-548م)، بعد نحو نصف قرن من بداية استقرار القوط الغربيين في شبه الجزيرة الأيبيرية، ويُعد حنا قوطي بالمولد، وعندما بلغ مرحلة الشباب ذهب إلى القسطنطينية، وبعد أن تلقى علوم اليونان والرومان عاد إلى إسبانيا بعد سبعة عشر عاماً قضها في القسطنطينية، وقد شجعه على ذلك الملك ليوفجيلد، ولكن الملك الآريوسي المتعصب أجبره على اعتناق المذهب الآريوسي ولكنه قاوم ذلك بشدة، ومن ثم فقد تم نفيه إلى برشلونة لمدة عشر سنوات، وعانى حنا كثيراً من المؤامرات والاضطهادات من الجانب الآريوسي. وقام بعد ذلك ببناء دير يعرف باسم بقلار Biclar، وبعد أن تجمع فيه مجتمع من الرهبان، كتب دستوراً لهذا الدير. وقد صار حنا أسقفاً لكنيسة جيرونا Gerona في عام 590 أو 591م وظل في منصبه إلى أن توفي سنة 621م.

أما عن حولية (Chronicle) حنا البقلاري فكل ما تبقى منها هو تاريخ الفترة الممتدة من سنة 567 إلى 590م، ومن المحتمل أن يكون حنا قد بدأ كتابة تاريخه أثناء وجوده بالقسطنطينية. ويصور حنا في تاريخه الإحساس بقوة مملكة القوط الغربيين التي بدأت منذ عصر الملك ليوفجيلد Leovigild (568-586م). الذي أعاد لمملكة القوط حدودها فقاد الحملات ضد البيزنطيين وطرد المعارضين إلى المناطق الجبلية، وانتصر على الفرنجة، كما انتصر على السويفي.

---

(1) John of Biclaro: Chronicle in Conquersors and Chroniclers of Early Medieval Spain, Trans Kenneth Wolf, Liverpool 1999, P.67.

وتكمن أهمية تاريخ حنا البقلاري في أنه كان كاثوليكياً وليس آريوسياً، وأنه وصف الأحداث من وجهة نظر القوط الغربيين وقد أعطى حنا البقلاري تقريرا موجزا عن حكم ليوفجيلد ملك القوط الغربيين في إسبانيا والسنوات الأولى لحكم ابنهِ ريكاردو. وقد اعتمد الباحث على حنا البقلاري في أحداث الملك أثاناجيلد وأيضا أحداث حكم الملك ليوفجيلد، كما لاحظ حنا البقلاري زواج هرمنجلد وانجوند، إذ ذكر في أحداث عام 579م "**إن الملك ليوفجيلد اختار ابنة سيجبرت ملك الفرنجة زوجة لابنهِ هرمنجلد، كما أعطاه جزءاً من المملكة لكي يحكمه**"[1].

إن القيمة الحقيقية لتاريخ حنا تأخذ مصداقيتها من شخصية حنا نفسه، ذلك لمعاصراته للأحداث وأحياناً كان مشاركاً فيها. كما أن كتابات حنا تعكس التأثير المشترك لمولده القوطي وتعليمه وخبرته التي اكتسبها في الشرق وموقعه في الكنيسة الكاثوليكية، ما يجعله مصدراً تاريخياً من الطراز الأول. ومع أن حولية حنا البقلاري قصيرة ومختصرة، لكن لا يستطيع الباحث الاستغناء عنها.

---

(1) John of Biclaro: Chronicle,p.67.

• إيزيدور الإشبيلي[1] Isidore of Seville :

ولد إيزيدور الإشبيلي سنة 560م عندما كانت مملكة القوط الغربيين تعاني من الاضطرابات، وكانت البلاد قد توحدت تحت قيادة ملوك القوط في طليطلة، وعانت عائلته بعض الشيء بسبب عدم استقرار الأمور. وكان والده سفريانو مواطنا بارزا في قرطاجنة، ثم تركها وانتقل إلى إشبيلية عند مولد إيزيدور، وربما هرباً من غزو القوات البيزنطية لجنوب إسبانيا في عهد الإمبراطور جستنيان، وكان إيزيدور أصغر إخوته، فقد كان له أخوان هما ليندر Leander وفولجنتيوس Fulgentius وشقيقته فلورنتينا Florentina.

وكل ما يعرف عن حياة إيزيدور أن والديه توفيا وهو في سن مبكرة، وقام ليندر شقيقه الأكبر برعاية الأسرة، وكان راهباً عندما انتقلت الأسرة إلى إشبيلية ثم صار بعد ذلك أسقفاً لمدينة إشبيلية، وتحت تأثير الأخ الأكبر لم يكن من المستغرب أن يتحول باقي الأسرة إلى الكنيسة، فصار فولجنتيوس أسقفاً لمدينة أستيجي Astigi، وصارت فلورنتينا راهبة، وبعد وفاة ليندر خلفه إيزيدور في الكرسي الأسقفي لمدينة إشبيلية وكرس باقي حياته للحياة الدينية والدراسة.

وقد كتب إيزيدور في موضوعات متنوعة حيث العلوم الدينية والعلمانية على مدار حياته الطويلة، ولكن أشهر أعماله هو كتاب الأصول أو الإيتمولوجيا Etymologiae. أما كتابه الذي تناول فيه تاريخ القوط والوندال والسويفي History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi، فقد أراد به إيزيدور أن يكتب تاريخاً للقوط لتسجيل إنجازاتهم في إطار سياق هذه الفترة والتأريخ لهم عصرا بعصر، وقد أظهرت كتاباته في بعض الأحيان رغبته في أن

---

(1)Isidore of Seville: History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi, Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970).

يخفف ويهون من الانتكاسات التي تعرض لها القوط في إقامة مملكتهم آنذاك، وكان يرى السبب في وجود بعض المشاكل هو الطموح السياسي الزائد الذي ظهر لدى بعض الحكام القوط في ذلك الوقت، وفي بعض الأحيان يغفل مثل هذا القصور لصالح أحد الحكام الذي كان أكثر حظاً، كما في حالة إيورك (466-484م) ملك القوط الغربيين الذي قتل شقيقه من أجل الاستئثار بالسلطة، ويبدو أن السبب في ترفع إيزيدور عن النقد يرجع أساساً إلى إنجازات هذا الملك وجهوده في توسيع حدود المملكة.

ومن الملاحظ على إيزيدور أنه تجاهل تسجيل هزيمة القوط الغربيين على أيدي الفرنجة في معركة فويية عام 507م، كما تجاهل أيضاً ذكر العاصفتين اللتين تسببتا في منع أسطول القوط الغربيين من العبور إلى صقلية سنة 410م في عهد آلاريك، ومن العبور من إسبانيا إلى إفريقيا في عهد الملك واليا. ويبدأ إيزيدور تاريخه بالحديث عن فضائل إسبانيا، ثم ينتقل إلى الحديث عن أصل القوط، ثم يدخل في الحديث عن تدخل القوط في الصراع بين بومبي ويوليوس قيصر. وفي نهاية الكتاب يتحدث عن بداية عهد الملك سونثلا Suinthila (621-631م) وينتهي تاريخ إيزيدور بالحديث عن فضائل القوط. وقد أفاد الباحث كثيراً من كتاب إيزيدور الإشبيلي فقد أشار إلى زواج الملك أماريك من كلوتيلدا الصغرى، وأشار أيضاً إلى تمرد الأمير هرمنجلد ضد أبيه ليوفجيلد.

وعلى الرغم من أن الكتاب مختصر جداً بل يمكن القول إنه مقتطفات من تاريخ القوط في إسبانيا، فإن قيمته العلمية عالية، كما يستمد الكتاب قيمته وأهميته من شخص إيزيدور نفسه، خصوصاً السنوات التي عاشها وكان شاهد عيان لها، ثم يجب ألا نغفل أنه وشقيقه ليندر قد شغلا منصب أسقف مدينة إشبيلية، وكان لهما دور بارز في السياسة الدينية في إسبانيا.

• حولية فريديجار[1] Fredegar :

يتفق جميع الباحثين على أن فريديجار كان من برجنديا[2]، وما يؤكد ذلك أنه كان بالفعل الأكثر معرفة وعلماً بتاريخ مملكة برجنديا؛ ولذلك فإن حوليته هي لملوك برجنديا، ولا يتكلم كثيراً عن ملوك أوستراسيا أو نوستريا إلا بمناسبة علاقاتهم مع البرجنديين، أو عندما تكون مملكة برجنديا قد اندمجت مع أوستراسيا ونوستريا، مثلما حدث تحت حكم كل من كلوثر الثاني (584-629م) وابنه داجوبرت الأول (629-639م).

ومن المحتمل أيضاً أن فريديجار كان ذا مكانة متميزة في البلاط البرجندي، فكان يستطيع الوصول إلى الوثائق الرسمية، كما كان يستطيع مقابلة المبعوثين الفرنجة، والعائدين من المدن الأجنبية مثل بيزنطة، أو من بلاط القوط الغربيين أو اللمبارديين، ومع ذلك لا تبدو كتابات فريديجار رسمية الطابع، فلم يكتبها بناء على أمر أحد الملوك أو رؤساء البلاط. على الرغم من أن فريديجار أفاد في جمع معلوماته من قربه من البلاط الفرنجي.

---

(1) Fredegar: Fredegarii et aliorum chronica, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomvs II, (Hannoverae. 1888).
Fredegar: The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar, English & Latin with its continuations. Translated by J.M. Wallace-Hadrill. Westport, CT: Greenwood Press, 1981.

(2) نسب أدريان فالواه Adrien Valois وطن فريديجار، ونسب محل ميلاده إلى مدينة أفينش Avenches، وذلك بسبب المحاباة والتفضيل الذي يتكلم بها كاتب الحوليات عن هذه المدينة، وعن تاريخها، وبعض التفاصيل التي لا نجدها في أي مكان آخر، هو المسوغ الأساسي لهذا الترابط وهذه المواءمة. لمزيد من التفاصيل انظر:
M.Guizot, Collection des Memoires Relatifs A L histoire de France, Paris 1823, P.155.

وقد ذكر فريديجار في مقدمته أنه أخذ عن يوليوس الإفريقي Jules L Africain، ويوسابيوس Eusebius، والقديس جيروم St. Jerome، وإيداس Idace، والقديس إيزيدور الإشبيلي St. Isidore de Seville، وجريجوري التوري، ثم اختتم كتابه بأحداث عصره، ومِن ثَمَّ فإن مؤلف فريديجار ينقسم إلى أربعة فصول: الفصول الثلاثة الأولى منه لا تتضمن شيئا جديداً مميزاً عن السابقين لفريديجار إذ تتضمن الأحداث منذ خلق العالم حتى عام 584م. أما الفصل الرابع فهو أكثر الفصول أهمية حيث أدرج فيه فريديجار أحداث عصره، وأصبح هو المؤرخ الوحيد المعاصر لتلك الأحداث[1].

وتتوقف حولية فريديجار بشكل مفاجئ في عام 643م، ويسود الغموض حول السبب الذي دفع المؤرخ فريديجار للتوقف عن الكتابة عام 643م، على الرغم من أنَّه توفي عام 660م، ربما يرجع سبب ذلك إلى أن كاتب حولية فريديجار أراد أن يضع في صدر كتابه مقدمة عن خلق العالم حتى يصل إلى العصر موضوع الكتابة. إلا أن حولية فريديجار اكتملت بعد ذلك بواسطة كتَّاب آخرين. الجزء الأول الذي تم استكماله يمتد بين عامي 643- 680م، وكانت تلك الفترة جسر اتصال للأحداث بين كتابات فريديجار والكتابات اللاحقة التي أضيفت لحوليته بعد ذلك، وعلى الأرجح تمت كتابة هذا الجزء من قبل واحد أو أكثر من الرهبان، ولا تتوفر لديهم أي معرفة بالوقائع في تلك الفترة.

---

(1) يذكر فريديجار في مقدمته " لقد قرأت بدقة أعمال القديس جيروم St Gerome وإيزيدور Isidore وجريجورى Gregory منذ بدأ العالم إلى نهاية حكم جونترام، وأعدت كتابة ما سرده هؤلاء الأشخاص المثقفون مطولا في سجلاتهم التاريخية، ولكن بلغة مناسبة وبدون الكثير من الحذف. ولكي أكون أكثر دقة لاحظت في الكتب المذكورة سلفاً فترات حكم جميع الملوك وترتيبها الزمني، وقمت بتجميع وترتيب هذه الصفحات، ورتبت أفعال العديد من الشعوب، وإذا كان لدى أي قارئ شك في شخص فعليه فقط أن يتحول إلى المؤلف الأصلي ليتأكد أن مقالته هو الحقيقة ". لمزيد من التفاصيل انظر:
J. M. Wallace, Hadrill, Fredegar and the History of France, The John Rylands Library, Manchester, P. 527.

أما الجزء الثاني فيبدأ من عام 680 إلى 736م، وهو يعطي معرفة كافية لما حدث خلال تلك الفترة في أوستراسيا، أما الجزء الثالث فيمتد حتى عام 752م، ولم يتم معرفة من الذي قام بكتابة هذا الجزء، ولكن يبدو أن هذا الجزء قد تمت كتاباته بناءً على أمر من أسرة نيبلونج Nibelonge التي تنسب إلى الكارولنجيين عن طريق السيدة ألبيدا Alpaida زوجة شارل مارتل، والجزء الرابع من حولية فريديجار يمتد حتى قدوم شارلمان في عام 768م، وتتسم تلك الأجزاء من الحولية بالمصداقية، إذ إن مؤلفيها كانوا معاصرين للأحداث في تلك الفترة، ومِن ثَمَّ تُعد هذه الحولية تاريخاً متصلاً تقريباً لبلاد الغال منذ الحكم الروماني حتى تأسيس الدولة الكارولنجية[1].

أما عن فريديجار فقد كان مجرد سارد أو مخبر للأحداث وليس مؤرخاً؛ فقد كانت توجهه المادة التي يعتمد عليها؛ لهذا السبب تنتقل روايته بشكل مرتبك وغير متناغم من بلاط فرنجي إلى آخر من خلال مسارات غريبة للأحداث، وعلى الرغم من أن هذه الأحداث يمكن أن تكون مهمة فإنَّ التنقل وراء الأحداث يفكك وحدة الرواية.

فمن الملاحظ أنَّ فريديجار يُؤرِّخ لبعض سنوات بشكل تفصيلي، بينما يترك أو يتجاهل سنوات أخرى، فمثلاً يتحدث عن السياسة الفرنجية ثم ينتقل بدون سابق إنذار بسرد مطول عن ثأر خاص، أو رواية عن سفارة لإسبانيا أو بيزنطة. كما كان لدى فريديجار معلومات وفيرة عن الشئون البيزنطية سواء أثرت في بلاد الغال أو لا، ويمكن أن يرجع ذلك إلى قرب برجنديا من إيطاليا البيزنطية، ولقد مكَّنه ذلك من تقديم بعض الإضافات لجريجوري عن جاندوفالد المدعي للعرش، التي تضمنت أحداثاً وقعت في بيزنطة أو لها علاقة بها، وعلى الرغم من ذلك حملت بعض كتابات المؤرخ فريديجار عن بيزنطة المبالغة الكثيرة في أحداثها؛ فيعرض على سبيل المثال الحروب البيزنطية الفارسية بشكل

(1)Hadrill, Fredegar and the History of France, P. 528; M. Guizot, Collection des Memoires Relatifs A L histoire de France, P. 159.

مبالغٍ فيه، وربما يرجع ذلك لما كان يمثله الشرق من عظمة ومهابة لدى الغـرب الأوروبي في العصور الوسطى.

كما ذكر فريديجار في مقدمته أنَّه إذا كان لدى قارئ أي شـك فيمـا تمـت كتاباته، فعليه أن يرجع إلى المؤلف السابق أو القديم؛ ليتأكـد أنَّ مـا ذكـره هـو الحقيقة، ولم يكن المؤرخ فريديجار هو المؤرخ الوحيد الذي اعتمد على كتابات إيزيدور وجيروم وغيرهم، وإنما كان الاعتماد على كتابات هؤلاء المؤرخين هي السمة المميزة لكتابات المؤرخين في تلك الفترة، فكانت تلـك الكتابـات تمثـل دليلا إرشادياً لأزمنة العالم، وبشكل يمثل مقدمة أو تمهيـداً لتأريخـات العـصور الوسطى المبكرة، وعلى أساس تلـك الأعمـال الموثـوق بهـا يـستطيع المـؤرخ المحلي أن يبني تاريخه[1]. ويرجع اعتماد فريديجار على المؤلفين السابق ذكرهم لعدة أسباب: أنَّه اهتم بتاريخ اليهود لأن ديانتهم كانت سـابقة للمـسيحية، ومـن هنا تأتي أهمية مصدر إيزيدور بالنسبة له، كذلك كان اهتمـام فريـديجار بجانـب معين من التاريخ اليوناني، وهذا الجانب هو الأصل الطروادي للفرنجـة، الـذي تحدث عنه فريديجار في بداية مؤلفه.

وعلى الرَّغم من أن فريديجار نقل عن جريجوري، فـإنَّ ذلـك لم يمنـع أنه أضاف العديد من الأمور التي لم يذكرها جريجوري مثـل قـصة كيـف أن الملكة برونهيلد زوجة الملك سيجبرت الأول أنزلت ابنـها الملـك شـلدبرت الثاني الصغير من نافذة محبسها في بـاريس عقـب القـبض عليهـا بعـد وفـاة زوجها سيجبرت عام 575م، إذ تم نقل ابنها شلدبرت إلى ميتز ليكـون ملكـاً على مملكة أوستراسيا. كما أضاف فريديجار إلى نص جريجـوري أن الملـك كلوفس تم تعميده علـى يـد القـديس ريميجيـوس Remigius أسـقف مدينـة ريميس، وهي حادثة تفصيلية لم يـذكرها المـؤرخ جريجـوري التـوري. كمـا حذف فريديجار الجزء الأول من كتاب جريجوري الذي يتحدث فيه عن وفاة

(1) Hadrill, J. M. Wallace, Fredegar and the History of France, The John Rylands Library, Manchester., PP.527-8.

القديس مارتن St. Martin، وربما يرجع السبب إلى اهتمام فريديجار بالأحداث السياسية إلى حد كبير. وتبدأ الأحداث التي أخذها فريديجار من جريجوري منذ انهيار قبائل الوندال، ثم يتبع ذلك بالحديث عن أصل الفرنجة وتاريخهم قبل اندفاعهم لشمال بلاد الغال. ومن الواضح أن إضافات فريديجار لنص جريجوري بعضها ذو طبيعة واقعية مثل الشئون البرجندية، وتتمثل في وضع اسم شخص أو مكان لم يعرفه جريجوري، وعرفه فريديجار، والبعض الآخر إضافات من القصص الشعبية أو الملاحم الطويلة، ومِن ثَمَّ فرغم أن فريديجار يقبل ويتفهم سرد جريجوري لشئون الفرنجة حتى عام 591م، فإنَّه كان قادراً على تقديم إضافات مهمة يمكن أن تكون مستمدة من مصادر جيدة شفهية أو مكتوبة[1].

كما انفرد فريديجار في حوليته بالحديث عن النبلاء وصراعهم مع ملوك الفرنجة، ولكنه اقتصر الحديث فقط عن نبلاء برجنديا في معظم الأحيان، لأنَّ برجنديا كانت مقر إقامته. ولكن كانت كتابته تحمل المبالغة الواضحة في تناول أعداد الموتى في المعركة، فمثلاً عند الحديث عن معركة تولبياك Tolbiac عام 612م التي قامت بين كلٍ من ثيودريك الثاني (596-613م) وثيودبرت الثاني(596-612م)، وصف ضحايا المعركة بأنَّهم كانوا متراصين وقوفاً في صفوف، كناية عن كثرة أعداد القتلى في تلك المعركة.

وعلى الرَّغم من معاصرة فريديجار للأحداث فإنَّه تناول أحداث الفترة من عام 614م حتى 622م بشكل مختصر وسريع، فينتقل من الحديث عن سفارة اللمبارديين إلى الملك كلوثر الثاني عام 616م مباشرة إلى تولية داجوبرت الأول على أوستراسيا عام 622م بدون ذكر أي من المعلومات عن تلك الفترة خلاف ذلك. ويرجع ذلك إلى أن فريديجار قد بدأ كتابة حوليته بأحداث عام 625م، ونقل الفترة السابقة من 614-624م من بعض المصادر الشفهية.

---

(1)Wallace, Fredegar and the History of France, PP. 534-40.

في نهاية الأمر وعلى الرَّغم من مميزات حولية فريديجار وبعض عيوبها فإنَّ الباحث لا يستطيع أن يستغني عنها حولية فريديجار لعدة أسباب يأتي في مقدمتها: أن فريديجار كان معاصراً لأحداث تلك الفترة، كما تميزت معلوماته في عددٍ كبيرٍ منهَا بالمصداقية، والسلاسة أيضاً في معظم الأحيان.

وقد اعتمد الباحث على الفصل الرابع من حولية فريديجار الَّذي تم ترجمته إلى اللغة الإنجليزية نظراً لأهميته ومعاصرته للأحداث، أما باقي الفصول فإنَّها لم تترجم من اللاتينية بعد، وقد عاد إليها الباحث في الأجزاء التي تخص البحث.

• المؤرخ المجهول وكتابه تاريخ الفرنجة[1] Liber Historiae Francorum:

يُنسب كتاب تاريخ الفرنجة Liber Historiae Francorum إلى مؤلف مجهول من القرن الثامن، ويُعد الجزء الأول من الكتاب مصادر ثانوية لتاريخ الفرنجة في الفترة المبكرة أيام الدوق ماركومير[2] Marcomer (نحو 388م)، وأحداث قصيرة لمملكة الفرنجة في عهد الميروفنجيين. وكانَ المؤرخ المجهول معاصراً للفترة من نهاية الميروفنجيين واعتلاء الكارولنجيين، وهو مصدر أساسي لتلك الفترة.

ويعتقد البعض أن المؤرخ المجهول كان يعيش في مدينة سواسون، وربما في دير القديس ميدارد الملكي St. Medard، ويعتقد البعض أنَّه شخص علماني وليس كنسيّاً من نوستريا، وربما كان المؤرخ المجهول من الطبقة الأرستقراطية.

يرجع كتابة تاريخ المؤرخ المجهول إلى سنة 727م، وربما كتبه في شمال باريس[3]، وذلك بسبب إشارته إلى نهاية السنة السادسة من حكم ثيودريك الرابع Theoderic IV(721-737م). وهو يرى الأحداث من وجهة النظر النوسترية[4]، وهو واحدة من مجموعة من كتب التاريخ الجديدة المكتوبة في القرن الثامن، وقد وزعت نسخها على نطاق واسع في القرن التاسع، التي عُرضت على القراء (والمستمعين) حيث وضَعت خلفية عميقة بأن الفرنجة ورثة الإمبراطورية الرومانية.

---

(1)Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomvs II, (Hannoverae. 1888).

(2) ذكر جريجوري التوري أن أول ظهور للفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل وهم جينوبود Genoboud، وماركومير Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة كلوني Cologne وهُزموا على يد قوات الإمبراطورية. انظر:

Gregory of Tours: Franks, P.27

(3) Emily Wilson: The Rise of the Carolingians or the decline of the Merovingians?, Academic Essays, Access: History Vol. 2, No. 1, p.6.

(4) Emily Wilson: The Rise of the Carolingians, p.6.

ويقع الكتاب في 53 فصلاً، وتم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يمتد من القرن الرابع حتى عام 584م، وهو ملخص للفصول الستة الأولى من تاريخ جريجوري التوري عن الفرنجة، القسم الثاني من 584 حتى عام 700م، وقد استمد المؤرخ مؤلَّفه من وثائق رسمية، أمَّا القسم الثالث فإنَّه يمتد من سنة 700 حتى سنة 727م. وفي بداية الكتاب يتحدث المؤرخ المجهول عن أصل ملوك وشعب الفرنجة وأهم أعمالهم. ويقول إن أصل الفرنجة يعود إلى أهل طروادة Trojan الذين وجدوا أنفسهم على الساحل الشمالي للبحر الأسود، ومِن ثَمَّ عبروا نهر الدانوب إلى راينلاند Rhineland؛ وهو بذلك يعتمد بشكل كبير على تاريخ جريجوري التوري.

كما تقدم الفصول الإحدى عشر الأخيرة 43-53، تقريرا مستقلاً عن الأحداث في مملكة الفرنجة في القرن السابع وأوائل القرن الثامن الميلادي، وتجذب هذه الفترة اهتمام المؤرخين، لأنَّها تغطي فترة لم يتناولها مؤرخ آخر. فهو يقدم معلومات جيدة عن عصر رؤساء البلاط. ففي الفصل 43 يذكر محاولة جريمولد[1] (639-656م) رئيس بلاط أوستراسيا نقل التاج إلى ابنه شلدبرت (Childebert) وذلك سنة 656م بعد وفاة الملك سيجبرت الثالث (632-656م) ملك أوستراسيا، ولكن لم يحقق نجاحاً في مشروعه وقتل مع ابنه في السنة

---

(1) جريمولد: تولى جريمولد Grimoald، رئاسة البلاط بعد وفاة والده ببين اوف لاندن (الأول)، وقد نجح غريمولد في إدارة أوستراسيا مدة سبعة عشر عاماً، إلا أنَّه حاول سنة 656م نقل التاج إلى ابنه شلدبيرت (Childebert)، فلم يحقق نجاحاً في مشروعه وقتل مع ابنه في السنة ذاتها. وجاءت هذه الحادثة لتؤكد أن نبلاء أوستراسيا لم يرغبوا في أن يكون عليهم ملكا قويا، فاتحدوا مع نبلاء أوستريا وأعدموا الملك الغاصب وأباه. وقد أدرك الحجاب الذين جاءوا بعد ذلك هذا الدرس ولم يفكروا في محاولة مشابهة لقرن من الزمن. انظر:

Liber Historiae Francorum, pp.315-6; C. W. Previte, Orton: The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I, (Cambridge, 1952), P.158;

انظر أيضاً، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، 1986، ص145.

ذاتها[1]. ويتحدث في الفصل 45، عن تولي إبروين[2] Ebroin (؟ -680م) حجابة القصر في نوستريا وبرجنديا، وينتهي هذا الفصل بتولي شارل مارتل (714-741م) لرئاسة البلاط. ويُعد المؤرخ المجهول مصدراً رئيسيا لحولية فريديجار.

وقد أفاد الباحث من كتاب المؤرخ المجهول Liber Historiae Francorum، حيث ذكر المؤرخ المجهول تفاصيل عن زواج كلوفس وكلوتيلدا لم يذكرها جريجوري التوري، وإنّ الذي أجبر جندوباد على قبول الزواج أنه كان منشغلاً في مناوره حربية ضد منافسه. كما يدعي المؤرخ المجهول أن كلوفس كان مستعداً للقتال من أجل خطيبته كلوتيلدا، وإن جندوباد كان مرتاباً من أن كلوفس يبحث عن ذريعة لمهاجمة البرجنديين[3]. ويقول في النهاية إن كلوفس حصل على عروس وثروة كبيرة، حيث إنّ كلوتيلدا في ليلة زواجهما طلبت من كلوفس مطالبة عمها جندوباد بميراثها من والديها[4].

---

(1) Liber Historiae Francorum, pp.315-6; Orton: The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I., P.158.

(2) أبروين: كان أبروين، حاجب نوستريا طموحاً إلى أن يصبح حاجب القصر الوحيد للمملكة، وقد قاومه الحاجب البرغندي ليويجر Leodegar أو ليجر Leger، أسقف أوتون Autun. وبعد حرب متقطعة استطاع أبروين الانتصار عليه وقتله، وتولى أبروين حجابة القصر في نوستريا وبرجنديا بالفعل، وتحدى سلطة النبلاء بعدم استشارتهم لتعيين خلف لكلوثر الثالث Chlotar III (657-673م) في نوستريا. فتجمع النبلاء في الممالك الثلاثة وعزلوا أبروين وحبسوه في أحد الأديرة سنة 670م. إلا أن أبروين هرب من السجن بمساعدة أنصاره ورجع إلى منصبه في نوستريا، واستمرت الحرب بين المملكتين وحجابها حتى سنة 679م. إلا أن وفاته في سنة 680م أشرت بنهاية تفوق نوستريا في الشئون الفرنجية. انظر:

Orton: The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I., P. 158.

(3) Liber Historiae Francorum, p.256 .

(4) Liber Historiae Francorum,p.258.

• بولس الشماس[1] Paul the Deacon:

ولد بولس الشماس في الفترة من (720-725م) في دوقية فريولي Fruili بإيطاليا، ويحتمل أنَّه كان ينتمي إلى عائلة لمباردية نبيلة، وقد تلقى تعليمه على يد فلافيوس النحوي، ويحتمل أن ذلك كان في بلاط بافيا الملكي في عهد الملك ليتوبراند (712-744م)، وقد عمل بولس بالتدريس للأميرة اللمباردية أدلبيرجا Adelperga ابنة الملك ديسدريوس (756-774م) وذلك حينما رحلت إلى دوقية بنفينتو جنوب إيطاليا للزواج من أريكيس الثاني Arichis II دوف بنفينتو وذلك نحو عام 763م فذهب بولس بصحبتها، وهناك أصدر باكورة أعماله الأدبية.

وفي ظروف غامضة غادر بولس بنفينتو ودخل دير القديس بندكت St. Benedict في مونت كاسينو Mont Casion، وبقي فيه حتى عام 783م، حيث قرر السفر إلى البلاط الفرنجي لمقابلة شارلمان، في محاولة لإطلاق سراح شقيقه أريكيس Arichis الذي كان قد تورط مع النبلاء اللمبارد في ثورة فاشلة ضد شارلمان، فتم اعتقاله سنة 776م، وهناك لقى بولس الشماس حفاوة بالغة من جانب شارلمان الذي دعاه للبقاء في مملكته بعد أن أعجب بمواهبه الأدبية، ولذا فقد مكث بولس بضع سنوات في قصر الملك الفرنجي في آخن، وفي أواخر سنة 787م عاد بولس إلى إيطاليا حيث مر في طريقه على روما زائراً، وبعدها عاد إلى مونت كاسينو حيث توفي عام 790م.

وقد ترك بولس الشماس عدة مؤلفات أهمها كتاب "تاريخ اللمبارد"، ويبدو أنَّه صنفه خلال السنوات الأخيرة من حياته بعد عودته من بلاد الغال وقبل وفاته بزمن قصير. وينقسم الكتاب إلى ستة فصول، الأول يتناول اصل

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, Translated by William Dudley Foulke. (University of Pennsylvania Press, 1907).

اللمبارديين وتحركاتهم فيما قبل القرن السادس الميلادي. بينما يوضح القسم الثاني مرحلة دخولهم إيطاليا بقيادة ألبوين، ثم تضمن القسم الثالث الصعوبات التي واجهت اللمبارديين في تأسيس مملكتهم بزعامة أوثاري Authari أما بالنسبة للأقسام الثلاثة الباقية فقد تناولت أحداث المملكة أيام أقوى ملوكها المشرعين روثير Rothair (636-652م)، وجريموالد Grimwald (662-671م)، وليرتبراند Liutprand (712-744م)، ثم تعرض من خلال حديثه عن هؤلاء الملوك الثلاثة إلى شرح كثير من مواد القانون اللمباردى الصادر في عصر كل منهم.

ورغم امتلاء كتاب بولس الشماس بالخرافات والأساطير الشائعة في التراث اللمباردي القديم، كما أن التحديد الزمني غير واضح في أثناء سرده للأحداث، ومعلوماته قليله عن الفرنجة، إلا أن أهمية ما كتبه بولس ترجع في المقام الأول إلى كمية المصادر المتنوعة التي اعتمد عليها في تدوين تاريخه، فقد اعتمد على كتاب أصل الشعب اللمباردي Origo gentis Langobardorum[1]، وغيرها من المصادر المهمة.

كذلك ترجع أهمية كتاب بولس إلى أنَّه المصدر اللمباردي الوحيد الذي روى لنا أحداث القرن الثامن الميلادي بعيون لمباردية. وقد أفاد الباحث كثيراً من كتاب بولس الشماس فقد ذكر زواج ابنتي واكو (510-540م) ملك اللمبارديين من ملوك الفرنجة، كما أشار بولس إلى زواج ألبوين وكلوسندا،

(1) يُعد كتاب المؤرخ المجهول أصل الشعب اللمباردي Origo gentis Langobardorum من المصادر المبكرة عن تاريخ اللمبارديين، وهو عمل قصير ومختصر جداً، جاء في شكل مقدمة لقانون روثاري عام 643م، وقد اختلف المؤرخون في تدوينة، فهناك من ينسبه إلى وقت تدوين قوانين روثاري، في حين أن البعض يذهب إلى أنه دون بعد تنصيب بركتاريت (671-688م) ملكاً على اللمبارديين، والبعض الآخر يذهب إلى أنه تم تدوينه في السنة السابعة من عهد جريموالد (662-671م) أي سنة 669م. انظر:

Paul the Deacon: Langobards, p. 331.

وأن سبب الزواج في الحقيقة، أن ألبوين أراد أن يكتسب اسماً لامعاً ومتميزاً وتوطيد مكانته كملك مستقبلي للمبارديين[1]. ويُعد أيضاً كتاب بولس الشماس مصدرنا الوحيد لخطبة ابنة ثيودبرت الثاني إلى الأمير أدلوالد Adaloald (616-626م) بن أجيلولف ملك اللمبارد، وهي عبارة عن إشارة وجيزة في تاريخ بولس الشماس[2]، كما أشار بولس إلى الحملات الفرنجية على مملكة اللمبارديين، وهكذا نجد أنَّ كتاب بولس الشماس لا غنى عنه لأي باحث.

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, p.49.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.173.

• إينهارد[1] Einhard :

يـأتي كتـاب إينـهارد[2] Einhard المعنـون "حيـاة شـارلمان" Vita caroli Magni في مقدمة المصادر المعاصرة لشارلمان، وقد كُتب بعد وقت قريب مـن وفاة شارلمان.

ويُعد الكتاب من أفضل الدراسات في حقل السير في العصر الوسيط، ومن المحتمل إن إينـهارد شـرع بتأليفـه بـين عـامي (830-817م)[3]، أي بعـد وفـاة

(1) إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، دار حسان للطباعـة والنـشر، ط 1 دمـشق 1989.

(2) إينهارد: يسمى أيضاً إينهاردوس Einhardus وإيجنهارد Eginhard. وكان شارلمان يناديـه باسمه الأول بيزاليل Bezaleel، وقد درس إينهارد في دير فولدا Fulda الذي كـان مركـزاً كبيراً للتعليم خلال النهضة الكارولنجية. وكان إينهارد بارزاً في دراسته، فقدمه رئيس الدير إلى شارلمان، والتحق في سنة 791م بالبلاط الملكـي، وأصـبح أحـد المقـربين للملـك ومستشارا له. وقد حصل إينهارد على تعليم أوسع في مدرسـة الـبلاط علـى يـد ألكـوين Alcuin (735-804م)، الذي كان رئيساً للمدرسة. فقرأ في مدرسة الـبلاط العديـد مـن كتب التاريخ القديمة اللاتينية مثل كتب شيشرون وليفي وتاكيتوس وسـوتونيوس، واطلـع على كتابات عدد من كتاب الحوليات الفرنجة الأوائل. بعد وفـاة شـارلمان سـنة 814م، انتقل إينهارد إلى خدمة ابنه لويس التقي Louis the pious (814-840م) باعتباره سكرتيراً لـه ومعلماً لابنـه لوثر Lothair (إمبراطـور 840-855م) وفي سـنة 830م تـرك إينـهارد البلاط، وتفرغ لدير سيليجنستاد Seligenstadt، الذي أنشأه، حيث توفي فيـه بعـد عـشر سنوات في 14 مارس سنة 840م. للمقارنة انظر:

Lewis Thorpe (Translator), Einhard and Notker the Stammerer Two Lives of Charlemgne, London Penguin Books, 1969, pp.12-3; Indrikis sterns, The Greater Medieval Historians, Boston University Press of America, 1980, p. 94.

(3) يشير لويس ثورب إلى إن تأليف الكتـاب تم بـين (829-836م). ولإينـهارد ثلاثـة كتـب أخرى ألفها باللاتينية للمقارنة انظر:

Lewis Thorp, Einhard and Notker., P. 15.

الإمبراطور شارلمان بثلاث سنوات[1]. وقد كانت العلاقة بين إينهارد وسيده شارلمان علاقة ودية، لذلك فأنه كتب عن مآثره وحروبه وأعماله العامة، وعن البلاط ومدرسة البلاط والسياسات الدينية، مع إشارات إلى أسلاف شارلمان وشبابه، وحياته الخاصة وساعاته الأخيرة. لذلك ترك إينهارد رواية معاصرة عن عصر شارلمان والنهضة الكارولنجية[2].

اعتمد إينهارد أساسا على الملاحظات والانطباعات الشخصية حول الإمبراطور شارلمان. وباعتباره موظفاً لدى شارلمان ثم ابنه لويس التقي فقد اطلع على وثائق البلاط الرسمية، وجمع بعض معلوماته من المراسلات والحوليات الملكية المعاصرة له. وقد تأثر في كتابة سيرته عن شارلمان بالمؤرخ الروماني سوتونيوس Suetonius الذي كتب عن حياة القياصرة الاثني عشر Lives of the twelve Caesars. ويتضح تأثير سوتونيوس كثيراً على إينهارد، فإلى جانب تأثره بالبنية المنهجية التي اتبعها سوتونيوس وأوصافه لحياة القياصرة، فإنَّه اقتبس منه عبارات متعددة ضمها إلى كتابه. حتى أنَّ وصفه لمظهر شارلمان الجسماني كان مقارباً لمظهر أغسطس Augustus (27 ق.م-14م) طبقاً لوصف سوتونيوس[3].

اعتمد إينهارد طريقة الحوليات، فسجل الأحداث التاريخية المرتبطة بحياة

---

(1) لم يسجل إينهارد اسمه على الكتاب، إلا أن الذي أدى إلى شيوع اسمه هو المقدمة التي كتبها رئيس دير ريشينو Abbot of Reichenau والافريد سترابو Walahfrid strabo للكتاب وأشار فيها إلى اسم مؤلفه إينهارد، إلى جانب معرفة الكتاب في القرن التاسع الميلادي لاسم المؤلف. للمقارنة انظر: Lewis Thorp. Einhard and Notker, P. 13.

(2) Sterns: The Greater Medieval Historians,pp. 94-5.

(3) يلاحظ أن نقد المؤرخين المحدثين لكتاب إينهارد فيه نوع من التجني. فعند فتح قبر شارلمان سنة 1861، تبين أن طوله مساوٍ لما كتبه إينهارد، وهو ستة أقدام. وهذا أدى إلى الاعتقاد أن إينهارد اقتبس فقط التعابير والوصف الذي ينطبق على شارلمان من كتاب سوتونيوس. للمقارنة انظر:

Sterns: The Greater Medieval Historians, PP. 95 -6.

شارلمان، منذ توليه الحكم حتى وفاته، مع ذكر معلومات مختصرة عن أسلاف شارلمان والدولة الميروفنجية. إلا أن مما يؤخذ على إينهارد معلوماته القليلة في بعض الأحيان عن قضايا أساسية في سيرة شارلمان، كعلاقاته مع العباسيين والأمويين بالأندلس، التي أدت فيما بعد إلى مشكلة منهجية كبيرة في الدراسات التي تناولت العلاقات بين الكارولنجيين والعباسيين، لا سيما أنَّه لم يذكر معلومات واضحة عن طبيعة هذه العلاقات.

وقد ركز إينهارد أيضا على الإيجابيات في بلاط شارلمان وتجاوز بعض المسائل التي قد تسبب له بعض المشاكل والإحراجات مع عائلة شارلمان، يتضح ذلك بمروره دون تعليق على ولادة شارلمان وطفولته، وعلاقة والده بيبن القصير[1] Pepin the Short مع أمه برثراده Bertrada، التي يرى بعض المؤرخين أنَّها كانت زوجة غير شرعية. ومهما تكن الانتقادات التي وجهت إلى إينهارد، فإن سيرته عن شارلمان تُعد مصدراً أساسيا استقت منه الرسالة معلوماتها عن حياة شارلمان وعلاقاته الخارجية، فلا يخلو فصل تقريباً من إحالات إلى إينهارد، لتغطيته معظم نشاطات شارلمان العسكرية والسياسية والدينية.

---

(1) بيبن القصير: هو ابن شارل مارتل وكان رئيساً للبلاط فى عهد ملك الفرنجة شلدريك الثالث(743-751م)، وأرسل بيبن إلي البابا زكريا(752-741م) يستشيره فى عزل شلدريك هذا، وجاء رد البابا واضحاً، وهو من الافضل أن يكون الملك لمن بيده السلطة الفعلية فى البلاد، وبالفعل عزل بيبن الملك شلدريك من الحكم، ونفاه إلي احد الاديرة فى حين اعتلى هو عرش مملكة الفرنجة (768-752م)، وبذلك يعتبر شلدريك الثالث آخر ملوك الفرنجة من الاسرة الميروفنجية، فى حين يعتبر بيبن القصير أول ملوك الفرنجة من الأسرة الكارولنجية. انظر: عاشور: أوروبا، جـ 1، ص151.

التمهيد

* القبائل الجرمانية وأصولهم.
* الغزوات الجرمانية على أوروبا.

* القبائل الجرمانية وأصولهم:

تميز العصر الأوروبي الوسيط[1] بثلاثة مظاهر، أدت دوراً كبيراً في نقل المجتمع الأوروبي إلى مرحلة تاريخية مختلفة، فقد انتقل من العصر القديم إلى العصر الوسيط، وتحددت هذه المظاهر في التأثير اللاتيني الروماني الكلاسيكي، والمسيحية وهيمنة البابوية، وتغلغل البرابرة[2] Barbarians في أصقاع متعددة من أقاليم الإمبراطورية الرومانية[3]. وقد شكلت القبائل

---

(1) اصطلح عدد من المؤرخين على المدة من 476م حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي اسم العصر الوسيط.

(2) البرابرة: مجموعات متعددة من القبائل الرعوية الأسيوية التي غزت الإمبراطورية الرومانية أو أحاطت بها مثل السكيثيين والساراماثيين والهون والبلغار والآفار والمجريين والمغول والأتراك والسلاف والجرمان والكلت. وقد أطلق عليهم الرومان هذا الاسم باعتبارهم يحملون قيماً وأعرافاً غير متحضرة. فالبربرية من التنظيم الاجتماعي القبلي الذي لم يرتق بعد إلى مرحلة الاستقرار المدني، وإقامة الدول ذات الحدود الثابتة. للتفاصيل ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، جـ1، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 7219، ص 55.

(3) الإمبراطورية الرومانية: هو مصطلح أطلق على المرحلة التي تلت الجمهورية الرومانية التي حكمت روما، فهي تطور للحكم السياسي لروما، وقد تميزت مرحلة الحكم الإمبراطوري لروما في تلك الفترة بالحكم الاستبدادي، وقد خلف الحكم الإمبراطوري 500 عام من الحكم الجمهوري لروما (510 ق. م - القرن الأول قبل الميلاد) الذي كان قد ضُعف بسبب النزاع بين جايوس ماريوس وسولا والحرب الأهلية من يوليوس قيصر ضد بومبي، وليس هناك تاريخ محدد يبين انتقال روما من الجمهورية إلى الإمبراطورية، ولكن يمكن اعتبار بداية الإمبراطورية الرومانية من بداية تعيين يوليوس قيصر دكتاتوراً دائماً لروما سنة 44 ق. م، في المرحلة التي انتصر فيها أوكتافيوس وريث يوليوس قيصر في معركة أكتيوم 31 ق. م. وكذلك منح مجلس الشيوخ الروماني عبارات التعظيم لأوكتافيوس وتلقيبه أغسطس العظيم في 16 يونيو 27ق.م... للمزيد انظر: إبراهيم طرخان: نهاية الإمبراطورية في الغرب 476م مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة. مجلد 20. ديسمبر 1958. ص 77.

الجرمانية[1] Germans جزءاً مهماً من العالم البربري الواسع الذي أحاط بالإمبراطورية الرومانية من معظم جوانبها، والذين لم يلبثوا أن أثروا في تغيير مصائر هذه الإمبراطورية عندما أخذوا يهاجمونها منذ منتصف القرن الثاني الميلادي. والواقع أنّه كان من الممكن أن تعيش الإمبراطورية الرومانية في الغرب عمراً أطول، وأن تموت موتاً أبطأ رغم الانحلال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي تعرضت له، لولا هجمات هؤلاء البرابرة التي أسرعت بالإمبراطورية نحو مصيرها المحتوم[2].

واستمر اندفاع الجرمان نحو الجنوب والغرب طوال القرون الأربعة الأخيرة قبل الميلاد، وانتشروا في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد في أواسط أوروبا وشرقيها عبر نهري الراين[3]

---

(1) الجرمان: أرجع معظم المؤرخين الموطن الأصلي للجرمان إلى المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبه جزيرة اسكنديناوه، ولغتهم الأصلية المشتركة هندو - أوربية. ويتمير الجرمان عن غيرهم بصفات جثمانية معينة منها العيون الزرقاء الحادة والشعر الأصهب مع بسطة في الجسم ما ساعدهم على القيام بالأعمال العنيفة القاسية غير أن قدرتهم على العمل اليدوي الشاق قليلة، وهم من أقل الشعوب تحملاً للظمأ والحر، أما البرد فقد تعودا عليه نتيجة للمناخ والتربة. وهم مجموعات كثيرة من القبائل أهمها القوط الغربيون، القوط الشرقيون، الوندال، الفرنجة، الألماني، السويفي، البرجنديون، الفريزيون، السوابي، اللمبارديين، الإنجليز، السكسون، الجوت، وغيرهم. ويُعد المؤرخ الروماني تاكيتوس (55-118م) أول من ألف كتاباً عنهم في القرن الأول الميلادي عنوانه (جرمانيا Germania) في سنة 98م، قدم فيه وصفاً لحياتهم وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية. للتفاصيل انظر: تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص50، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 6؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط: قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، ط5، عين للدراسات والبحوث، القاهرة 1997، ص 146.

(2) سعيد عاشور: أوروبا، جـ 1، ص55-54.

(3) نهر الراين: ينبع الراين من جبال الألب ويجري نحو الشمال والشمال الغربي ويصب في بحر الشمال طوله نحو 1319كم. ويعتبر الراين من أهم طرق الملاحة النهرية في أوروبا الغربية. وقد شكل الراين في العصور الرومانية الحد الشرقي لبلاد الغال، كما أنه تمتع بأهمية استراتيجية كبيرة لعدة قرون وبخاصة بالنسبة لفرنسا وألمانيا. انظر:

Moore, W, Encyclopedia of Places, London,1971, p.652.

والدانوب[1] وفي اتجاه الحدود الرومانية [2]، وأصبح الرومان وجهاً لوجه أمام العناصر الجرمانية على طول الحدود، على الرَّغم من أن الرومان لم يهتموا كثيراً بهذه العناصر الجرمانية أول الأمر، نظراً لانشغالهم بشئونهم الداخلية وتوسعهم الخارجي، ولعدم اكتراثهم بعد ذلك[3]، فضلا عن أن الجرمان لم يكونوا قد بدءوا بعد غزوهم للعالم الروماني، لكن ترتب على نشاط الرومان في القرن الأخير قبل الميلاد، والقرن الأول الميلادي، أن أصبح الاتصال مباشراً بالجرمان، وسرعان ما انكشفت هذه العناصر الجرمانية أمام الرومان الذين فطنوا كثيرا من صفاتها[4].

وكان الجرمان في اندفاعهم نحو الجنوب تجاه بلاد الغال قد دفعوا أمامهم قبائل الكلت[5]Celts من كل الأراضي الواقعة شرق نهر الراين، ولولا ظهور

---

(1) نهر الدانوب: ينبع نهر الدانوب من ألمانيا مما يسمى بالغابة السوداء، طوله نحو 2816كم، وهو ثاني أطول نهر في أوروبا ويجري عبر ثمانية بلاد ويصب في البحر الأسود. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.216.

(2) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص61؛ كرستوفر دوسن، تكوين أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1967، ص91.

(3) محمد مرسى الشيخ: الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، (القاهرة 1975)، ص5.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 5.

(5) الكلت: هم أحد عناصر الجنس الهندو- أوربي، وهم الذين عرفهم الرومان باسم الغاليين، وكانوا يحتلون في أول الأمر الغابات الواقعة في شمال أوروبا حتى نهر الألب شرقاً المعروفة الآن بجنوب ألمانيا، ثم قاموا بعد ذلك بحركة توسعية ضخمة هددوا فيها جمهورية روما الناشئة بالزوال، إذ تدفقوا عبر جبال الألب في إيطاليا وعبر نهر الراين، كما غزوا غالة والجزر البريطانية، غير أنهم ما لبثوا أن ذابوا وسط محيط العالم الروماني... للمزيد انظر: عاشور: أوروبا، جـ 1، ص57؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص4.

يوليوس قيصر[1] Julius Caesar (50 -44 ق.م)[2] والفرق الرومانية على مسرح الأحداث في منتصف القرن الأول قبل الميلاد لتمكن الجرمان من غزو بلاد الغال، وتحتم على الرومان أن يسبقوهم إليها إذا كان لهم أن يحفظوا وحدة إمبراطوريتهم، وقد تمكن يوليوس قيصر بعد قتال مرير أن يدفع بالجرمان إلى وراء نهر الراين عام 55ق.م[3]، وأصبح الرومان وجهاً لوجه مع الجرمان[4]، ما أدى إلى توجه الحملات الرومانية إلى الحدود، والقيام بالنشاط التجاري

---

(1) يوليوس قيصر: ولد يوليوس قيصر في عائلة عريقة من الأشراف الرومان عام 100 قبل الميلاد، وكان يوليوس قيصر منذ صغره محباً للعلم، إذ درس في اليونان العديد من العلوم، وانضم إلى صفوف الجيش الروماني كضابط ومحاسب تابع للحكومة الرومانية إلى أن قاد جيشه الخاص المعروف كأكثر جيوش روما انضباطاً على الإطلاق. وشكل قيصر وبومبي وكراسوس أول حكومة ثلاثية. وفي تلك الفترة انشغل قيصر بقيادة حملاته في بقاع مختلفة من العالم شملت توسعة نفوذ روما إلى كل من بلاد الغال (فرنسا) وسوريا ومصر وغيرها، إذ كانت معظم حملاته ناجحة إلى حد مثير، حيث عين حاكما لإسبانيا البعيدة ليتم انتخابه قنصلاً. ونصب بعد ذلك حاكماً على بلاد الغال، ثم عاد إلى روما بعد انتصار عظيم على بومباي ليكون حاكمها الدكتاتوري المطلق، حاول تحسين ظروف حياة المواطنين الرومان وزيادة فعالية الحكومة وجعلها تتبني مواقف تتم عن صدق واستقامة وأمانة، وأعلن عام 44ق.م عن جعل ديكتاتورية المطلقة حكماً دائماً على روما، غير أن أعداءه دبروا له مؤامرة كانت نتيجتها اغتياله عام 44ق.م... للمزيد انظر: يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ترجمة على زيتون، ط2، دار علاء الدين للنشر، دمشق 2007، ص 5.

(2) يقصد بالتاريخ الأول سنوات حياته والثاني سنوات حكمه.

(3) يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ص115، 110. ذكر قيصر في مذكراته عام 55ق.م أنه نجح في صد قبيلتان جرمانيتان هما البوسيبتيون Usibetes والتينكثيريون Tencethri الذين اضطروا للنزوح من أوطانهم ووصلا إلى نهر الراين ولكن نجح قيصر في هزيمتهم. للمزيد انظر: يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ص115، 110.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 5؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، جـ 1، ص146.

وحدوث الاحتكاك بين الجانبين[1]، وأيضاً انتشار الجرمان في القرنين الأول والثاني الميلاديين في أواسط أوروبا وشرقها، كما ازداد الاتصال المباشر بينهم، وأصبحوا أقرب الشعوب المتبربرة إلى حدود الإمبراطورية الرومانية[2].

أما عن الموطن الأصلي للجرمان فقد أرجعه معظم المؤرخين إلى المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبة جزيرة إسكندناوه[3]، إذ ذكر المؤرخ جوردان Jordanes أن القوط هاجروا من إسكاندزا Scandza ووصلوا إلى مصب نهر الفستولا[4] Vistula[5]، كما أن بليني Pliny ذكر ذلك، ولكنه كتب الاسم محرفاً إسكندنافيا Scandinavia[6]، كما ذكر بولس الشماس Paul the Deacon

---

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 5-6. قام يوليوس قيصر بالعبور الأول لنهر الراين عام 55ق.م بعد هزيمة الجرمان وعقد تحالف مع قبائل اليوبيين، ثم عبر نهر الراين مرة أخري عام 53ق.م. للمزيد انظر: يوليوس قيصر: فتح بلاد الغال، ص163، 115.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 6؛ عاشور: أوروبا، جـ 1، ص58.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 6؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، جـ 1، ص 146.

- اسكنديناوة: تقع شبه جزيرة اسكنديناوة شمال القارة الأوربية، وهي تضم الدنمارك والنرويج والسويد، ويلحق البعض كل من فنلندا وأيسلندا وجزر فارو بهم على الرغم من عدم انتمائهم لشبه الجزيرة من الناحية الجغرافية، ولكن بسبب التقارب التاريخي والحضاري والعلاقات الثقافية التي تربط هذه الدول مع الدول الإسكندنافية، وأقدم المصادر التي تشير إلى اسكنديناوة ترجع إلى القرن الأول الميلادي في كتاب بليني التاريخ الطبيعي "Natural History" ولكنه كتب الاسم محرفاً إسكندنافيا Scandinavia...انظر:

Pliny: Natural History, Translated by Philemon Holland, VOL. I.,(New York, 1947), P.32 ; Moore: Encyclopedia of Places, p.701.

(4) الفستولا: أطول أنهار بولندا طوله 1594كم ينبع من جبال كارباثيان في جنوبي بولندا ثم يتخذ مجرى دائريا نحو الشمال ثم يشق مدينة وارسو، ويصب من خلال عدة فروع في بحر البلطيق... للمزيد انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.837.

(5) Jordanes: The Gothic History, P.53.

(6) Pliny: Natural History, VOL. I, P.32.

أيضاً أن اللمبارديين هاجروا من إسكنديناوه التي أطلق عليها إسكدنافيا Scadinavia [1]، وذكر ذلك أيضاً مؤرخ اللمبارديين المجهول Origo gentis Langobardorum، ولكنه أطلق عليها اسم إسكدنان Scadanan[2].

ويمكننا الوقوف على كثير من أحوال الجرمان في هذه المرحلة المبكرة من تاريخهم مما ورد في كتاب جرمانيا Germania للمؤرخ تاكيتوس Tacitus في أوائل القرن الثاني الميلادي من وصف لهم، إذ تتضح صورة الحياة التي كانت تحياها هذه العناصر المتبربرة، وطرقها في المعيشة وأساليبها في الحياة العامة وحياتها الحربية، فيشير تاكيتوس إلى أنهم قوم من البدو الرحل، يعشقون الحرب ويزدادون شغفا بالصيد، ولا يميلون كثيرا للعمل بالزراعة، لأنّهم لا طاقة لهم بها من حيث حرث الأرض وبذر البذور، على أنّ أهم فضائلهم (كرم الضيافة، واحترام العهد، والشجاعة الفائقة والنظافة، والعفة)، ويتخذون من جلود الحيوانات المفترسة لباساً يغطي جانباً ضئيلا من أجسادهم، كما كرهوا تعدد الزوجات فيكتفي الفرد منهم بزوجة واحدة، ويغتسل ذكورهم وإناثهم معاً في الأنهار، ويتجولون في الغابات والمستنقعات وهم دائماً على أهبة الرحيل من مكان إلى مكان آخر، وليس لهم دخل سوى ما يمكن أن يحصلوا عليه بطريق الحرب والعنف[3].

ولكن تاكيتوس صور أولئك الجرمان في صورة هدفها الخلقي أن يقارن بين مثالية حياتهم وبساطتها وبعدها عن الانحلال، وبين انغماس المجتمع الروماني في حياة الترف والدعة والإغراق في الرفاهية، وأن يضع أمام عيون

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, p.3.

(2) Anonymus: Origo Anonymus gentis Langobardorum in Monumenta Germaniae Historica. Scriptores Rerum Langobardicarum et Italicarum, Saec.VI-IX, edidit Societas aperiendis fontibvs, (Hannover: Impensis Bibliopolii Hahniani.1988), p.2.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص60-69.

الرومان صورة الحياة البسيطة لهذا العنصر البدائي بما تنطوي عليه عن حرية ونبل في الصفات لتكون مادة لتطهير المجتمع المتحضر من شوائب الانحلال والرفاهية وإيثار العافية[1]، وهو أمر جعل كتابات تاكتيوس تفتقر أحياناً إلى الدقة، وتبتعد إلى حد ما عن الحقيقة، إلَّا أنه مع ذلك أعطى صورة عن الشعوب الجرمانية في أوائل القرن الثاني الميلادي فيها جانب كبير من الوضوح قبل أن تزداد معرفة الرومان بهذه الشعوب ازديادا مطرداً، ليصبح الجرمان معروفين تماماً للعالم الروماني في القرنين الثالث والرابع.

وجرمانيا كما وصفها تاكيتوس كانت منطقة تكتنفها الغابات وتغطيها المستنقعات رغم أنها تختلف بعض الاختلاف من مكان لآخر، انعكست وحشتها وما كان يكتنفها من غموض على طباع سكانها، ولم يكن العنف هو كل ما اختص به الجرمان من صفات، فهم كذلك أصحاب أجسام فارعة وبشرة ناصعة البياض وعيون حادة زرقاء وشعر أصهب مرسل، وكانوا يشربون الخمر حتى الثمالة، ويتيهون في عالم الشراب والأحلام ويهوون التشاجر والمقامرة، ويغنون ويشغفون بالغناء، ولا يفوق إخلاصهم الشديد للسيد والعشيرة سوى شهوتهم الجامحة دائما نحو المغامرات الحربية[2].

ويعتبر رباط الأسرة القوي لدى الجرمان، ورعايتهم للمرأة، وكرههم لتعدد الزوجات وحبهم للإكثار من الذرية، فضلا عن تمتع الأب بسلطة تامة على زوجته وأولاده، هي أهم مميزاتهم الاجتماعية[3]، والواقع أن مبدأ الإكثار

---

(1) فشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، الجزء الأول، دار المعارف، ط6، القاهرة1966، ص18-19؛ إبراهيم طرخان، تاكيتوس والشعوب الجرمانية، المقدمة، ص40-41؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، جـ 1، ص149.

(2) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 50-51؛ فشر: أوروبا، جـ1، ص20.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص64-65؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 8.

من الذرية في الأسرة الواحدة، أدى إلى تفوق الجرمان على الرومان تفوقاً عددياً حاسماً حين اندلعت الحروب بينهما[1].

وتتألف العشيرة الجرمانية من مجموعة الأسرات ذات القرابة، ولم يلحق العشيرة الجرمانية تغير كبير بمرور الأجيال، بل ظلت تحتفظ بكثير من خصائصها وسماتها، إذا عاشت دائما في صخب، وتمتع رئيسها بمكانة متميزة وسلطة تكاد تكون مطلقة، وحصل من رفاقه المحاربين على يمين الولاء والعهد بالدفاع عنه وحمايته[2]، وتحتم عليه أن يبالغ في إظهار كرمه وسخائه نحو رفاقه فيبذل لهم الجياد والحراب، ويقيم لهم الحفلات والولائم من حصيلة الحروب والنهب والسلب[3].

ومن مجموعة العشائر المختلفة كانت تتألف القبيلة الكبرى، أو الفرع الجرماني الكبير، أو الدولة الجرمانية، وانتظم الجرمان من حيث بناء المجتمع في ثلاثة طبقات طبقة النبلاء وطبقة الأحرار وطبقة العبيد، فبينما كان العبيد يقومون بأعمال الفلاحة وزراعة الأرض وغيرها من الأعمال اليومية، اقتصر دور النبلاء وهم صفوة المجتمع الجرماني على ممارسة الحرب والتمتع بشرف الانتساب للفئة المميزة في المجتمع وهي فئة المحاربين[4]، وكذلك قضاء فترات السلم في حياة لاهية، وممارسة الصيد والقنص وإبراز سمات الأرستقراطية الجرمانية، وهنا نلاحظ أمرين: **أولاً**: أن الحرية وملكية الأرض كانا أمرين متلازمين بعضهم مع بعض في المجتمع الجرماني، **ثانياً**: أن النبالة ارتبطت بشرف المولد والوراثة لا بملكية الأرض، ولم يعرف الجرمان حياة المدن في

---

(1) فشر: أوروبا، جـ1، ص 19.؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 8.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 9.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص54-60؛ الشيخ: الممالك، ص 9.

(4) موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967، ص 81؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص9.

عصورهم الأولى، وإنما عاشوا في قرى متناثرة وسط الأدغال والغابات، في حين كانت منازلهم عبارة عن أكواخ مشيدة من الأغصان والطمي[1].

ونظراً لما اكتنف أرض جرمانيا من غابات ومستنقعات؛ فقد كانت حياة الرعي تمثل عصب الحياة الاجتماعية في العصور الأولى، رغم أن مساحات متفاوتة من تلك البلاد كانت تصلح للزراعة، ولهذا حددت قطعان الماشية والخيل ثروة الأسرة أو العشائر الجرمانية، وعينت قدرها في المجتمع[2]، وتجمع الجرمان في قرى صغيرة وكفور متناثرة حول منابع الماء والمراعي والأحراش، وغدت القرية تشتمل في الغالب على حقل زروع ومرعى تمرح فيه القطعان وغابة تحمي القرية وتمدها بالأعشاب وحيوانات الصيد، وكانت منازل القرية الجرمانية لا تزيد على أكواخ مقامة من أغصان الشجر ومدعمة بالطمي؛ وكان طعام الجرمان بسيطاً خالياً من الإسراف قوامه الحبوب ولحوم الصيد وألبان الماشية والفاكهة وشرابهم يصنعونه من الشعير أو القمح[3].

وكانت الزراعة تمثل جانباً ضئيلاً من حياتهم الاقتصادية حتى تحولوا زمن هجراتهم من الرعي إلى الزراعة، فلما استقروا داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، لم يعد ثمة فارق كبير بين حياتهم الزراعية وحياة المجتمع الروماني، ولهذا تعاونت القرية الجرمانية مع المزرعة الرومانية في إظهار نظام الضياع في أوروبا الذي غدا عصب النظم الزراعية في العصور الوسطى[4].

واختلفت الوحدات السياسية التي انتظم فيها الجرمان، فوجدت المجالس أو الجمعيات تضم جميع الرجال الأحرار في الوحدة، سواءٍ كانت قرية أم مائة أم

---

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 9-10؛ صلاح الأمين عبد الله محمد: البرابرة الجرمان ودورهم في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام 476 م، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية بجامعة بنغازي، العدد الأول - المجلد الثاني لسنة 2014 م، ص152.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 10.

(3) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص62-69.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 10.

مقاطعة أم قبيلة جرمانية أم دولة قبلية كبيرة، فلكل من هذه الوحدات مجلسها العام. وكان للقرية وهي أصغر هذه الوحدات مجلسها أو جمعيتها العمومية Moot التي تضم جميع رجالها الأحرار، كما كان للدولة الجرمانية وهي أكبر هذه الوحدات جمعيتها العمومية التي تجتمع بكل أمر يتصل بمصلحة القبيلة بأسرها كالحرب أو الهجرة، غير أن تلك الأمور المهمة كان ينظر فيها رؤساء العشائر قبل أن يجرى عرضها على الجمعية العامة التي تضم جميع المحاربين الأحرار والزعماء ورجال الأسرات النبيلة، ويتحدث فيها الزعماء والقادة كل حسب عمره ونبل أصله وفصاحة بيانه وصيته في الحرب، فإذا قبل الحاضرون رأيه وحاز إعجابهم صاحوا صخبا وقارعوا الحراب، وإذ لم يحز رأيه رضاهم أعلنوا رفضهم له بالصياح، وفي الجمعية العمومية الكبيرة أيضاً كان يجرى اختيار القادة الكبار طبقا لسمعتهم الحربية ودرجة بسالتهم، ثم جرى اختيار الملوك بعد ذلك وفقاً لعراقة أصولهم ودرجة نبلهم[1].

وعلى الرغم من وحدة أصول وعادات الجرمان، فإنَّهم عاشوا حياةً خالية من الروح القومية طافحة بالحروب الداخلية والمنازعات القومية، فحاربت القبيلة أختها من القبائل وشاجرت العشيرة جارتها من العشائر، حتى لم يعد الجرمان سوى جموع من القبائل المتحاربة المتشاجرة كما أن نظرتهم لجاراتهم الإمبراطورية الرومانية اختلفت أيضاً، فنظر إليها بعضهم على أنها عدو ينبغي محاربته ومناهضته، في حين نظر إليها البعض الآخر على أنها موطن يرجى استيطانه ومصدر للرزق يمكن الإفادة منه ببذل الخدمة العسكرية[2].

وتنقسم العناصر الجرمانية إلى شماليين وغربيين وشرقيين، فأساس هذا التقسيم هو الوضع الجغرافي لفروع هذه المجموعات؛ **فالشماليون**، هم الذين آثروا البقاء في شبه جزيرة اسكنديناوة وما حولها من شواطئ البحر البلطي، حيث تفرعت منهم الأمم السويدية والنرويجية والدانية الحالية[3].

---

(1) تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص58-60؛ موس: ميلاد العصور الوسطى، ص 79-80؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص10.

(2) فشر: أوروبا، جـ1، ص21؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

(3) فشر: أوروبا، جـ1، ص16؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

أما **الغربيون**، فإنهم انتشروا بين نهري الألب والراين، وأخذوا في التنقل والترحال جنوباً سعياً وراء العيش أو الجو المعتدل، أو حباً في المغامرة والحرب، والجرمان الغربيين هم الذين حاربوا ماريوس ويوليوس قيصر، وهم الذين وصفهم تاكيتوس في كتاباته، ومن أبرز قبائل الجرمان الغربيين: الفرنجة والإنجليز والسكسون والسويفيين والألماني Alamans والثورنجيين Thuringians[1]. في حين اتجه **الجرمان الشرقيون** إلى ضفاف نهر الدانوب وسواحل البحر الأسود، وضمت مجموعة الجرمان الشرقيين: القوط والوندال والجبيداي Gepids[2] والبرجنديين واللمبارديين والروجيين وغيرهم[3].

---

(1) الثورنجيون: هم إحدى القبائل الجرمانية، الذين استوطنوا في المنطقة الواقعة جنوب غرب ألمانيا، التي عرفت باسم ثورنجيا Thuringia، نسبة إلى اسمهم. وكان أول ظهور للثورنجيون نحو سنة 350م، ثم خضعوا للهون في الربع الثاني من القرن الخامس الميلادي. إلا أنهم استطاعوا تأسيس مملكة واسعة في سنة 500م، امتدت حتى نهر الدانوب. استطاع الملك الميروفنجي كلوفس أن يخضع مملكة الثورنجيين لسيطرته عام 492م، وفي سنة 531م سيطر الملك ثيودريك الأول نهائياً على مملكة الثورنجيين، وأصبحت ثورنجيا يحكمها دوقات الفرنجة. انظر:

Gregory of Tours: Franks, PP.38,56-7; Moore: Encyclopedia of Places, p.780.

(2) الجيبداى: يرجع الجيبداى إلى عنصر الجرمان الشرقين عاشوا على سواحل بحر البلطيق في القرن الأول الميلادي، ثم هاجروا جنوباً خلال القرن الثاني، وورد ذكرهم في جبال ترانسيلفانيا الشمالية بحلول نهاية القرن الثالث. اتحدوا مع القوط في هجوم على الإمبراطورية الرومانية عندما غزوا إقليم داكيا، ولكنهم هزموا في عام 269م في معركة بالقرب من نيسوس (نيش). وفي عام 454م اشترك الجيبداى مع القبائل الجرمانية في هزيمة الهون على نهر نيداو (نيداد) في بانونيا، ثم استولوا على سيرميوم وداكيا الواقعة جنوبي الراين، وأسسوا مملكة لهم في سيرميوم، ولكن تمت هزيمتهم على أيدي اللمبارديين 567م، واندمجوا في دولة اللمبارديين في إيطاليا، ولم يؤدوا أي دور في التاريخ منذ ذلك الوقت. للمزيد انظر: موس: ميلاد العصور الوسطى، ص 98؛ الحويري: اللمبارديون، ص 31.

(3) فشر: أوروبا، جـ1، ص16؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص12؛ الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ط3، دار المعارف، القاهرة 1995، ص 83.

* الغزوات الجرمانية على أوروبا:

ليس من المعروف الأسباب التي أدت إلى تحرك القبائل الجرمانية من مواطنها الأصلية فيما وراء نهري الراين والدانوب، كما أن المصادر المتاحة لدى الطالب لم تذكر تلك الأسباب، ولكن البعض يرى أن الدافع وراء ذلك هو التخلص من الضغوط الشديدة التي جاءت في مؤخرتها من أجناس أخرى أشد بربرية، إذ تعرضت هذه الأجناس لكثير من أحداث المجاعات والقحط، وهذا ما يؤدي إلى ضغطها على ما يجاورها من شعوب[1]، ويرى البعض الآخر أن السبب الحروب المستمرة بين القبائل الجرمانية التي ترغم الخاسر إلى النزوح جنوباً والتجوال خلف الحدود الرومانية حتى يجد المأوى المنشود[2]، بينما يرى البعض أن التزايد في السكان المقترن بندرة المؤن والصيد في مجتمع يتميز بالخصب الجنسي، هذا فضلا عن حبهم للمغامرات والحرب وعدم الاستقرار، كل تلك الأسباب يبدو أنها دفعت الجرمان إلى التحرك[3].

وصفوة القول إن تلك الشعوب لم يكن لديها هدف أو سياسة مرسومة تسعى إلى تحقيقها عندما انهالت في جوف الإمبراطورية الرومانية، كذلك لم تقصد بداية- عند ظهورها على مسرح الأحداث- القضاء على الإمبراطورية، ولم تقم بتلك الحركات لغرض الاستعمار[4]، ولكنها عندما اقتربت من حدودها

---

(1) إبراهيم علي طرخان: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (دولة القوط الغربيين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958، ص22؛ جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية 1984، ص 69؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96.

(2) نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ص 148.

(3) طرخان: القوط، ص 21-22؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، جـ1، ص 148.

(4) جوزيف نسيم: العصور الوسطى الأوروبية، ص 69؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ص148.

أدهشها ما تتمتع به الإمبراطورية من ازدهار وتقدم ورخاء ومناخ لطيف معتدل، فأثرت بغزواتها وتجوالها السلمي مشاركة الإمبراطورية ثرواتها وخبراتها من ناحية، وإيجاد مكان آمن للعيش بين ظهرانيها من ناحية أخرى[1].

على الرغم من أنه لم يكن هناك اختلاف كبير بين الجرمان قبل هجراتهم فإن الاختلافات ما لبثت أن ظهرت بينهم بعد الهجرات بسبب اضطرار كل فريق إلى مواءمة حياته في البيئة التي حل بها، فبينما انسابت جماعات الفرنجة والسويفيين[2] والسكسون[3]

---

(1) الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 96؛ نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، جـ1، ص 148.

(2) السويفي: هم مجموعة من الشعوب الجرمانية التي دخلت في القرن الخامس نهر الراين للبحث عن وطن جديد وتمكنوا من الوصول إلى غاله ثم إلى إسبانيا واحتلوا جليقية بإسبانيا عام 409م، وأسسوا مملكة لهم في جليقية دامت قرابة مائة وخمسين عاما من 411 حتى سنة 585م عندما انتصر عليهم الملك ليوفجيلد القوطي وضم مملكة السويفي إلى مملكة القوط الغربيين عام 585م. للمزيد انظر: محمد عبده حتاملة: أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن 1996، ص 198-201.

(3) السكسون: هم شعب جرماني، قطن في العصور القديمة في منطقتي شلزفيك Schleswig، وهولشتاين Holstein الألمانيتين وعلى طول ساحل بحر البلطيق. وخلال عصر الانحلال الروماني في الغرب، مارس السكسون القرصنة في بحر الشمال. وخلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي، انتشر السكسون بسرعة في شمال ألمانيا وعلى طول سواحل الغال وبريطانيا. وكان أول الصدامات بين الفرنجة والسكسون تعود إلى القرن السادس الميلادي، وقد تمكن كلوثر الأول ملك الفرنجة من إجبارهم على دفع إتاوة سنوية مقدارها خمسمائة بقرة، ظلوا يدفعونها حتى سنة 631م. وقد عمل أيضاً الإمبراطور شارلمان منذ سنة 772م على إخضاع السكسون لسلطته، ويؤكد إينهارد أن الحروب السكسونية كانت من أعنف الحروب التي خاضتها الدولة الفرنجية، واجهت خلالها شعباً عنيفاً اتصف بالوحشية والقسوة، استغل طبيعة بلاده ليوقع أفدح الخسائر بالقوى المهاجمة. وقد نجح شارلمان في إخضاع قبائل السكسون، واعتنق عدد كبير من السكسون المسيحية ودرب رهائنهم على التبشير بالديانة المسيحية... للمزيد انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، ط1، دار حسان للنشر دمشق 1989، ص 65-66:
Seeliger, Gerhard, "Conquests and Imperial Coronation of Charles the Great", in: The Cambridge Medieval History, VOL.II, Cambridge, The University Press, 1964, P.610;
محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان (768-814م)، أطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003، ص84-89.

والألماني[1] من مواطنها نحو الجنوب إلى بلاد لا تختلف كثيراً في طبيعتها عن بلادهم، فصاروا إلى شيء من الزراعة والاستقرار قبل أن يغيروا على الإمبراطورية الرومانية، نجد أن القوط والوندال واللمبارديين في الفرع الشرقي قد هاجروا إلى سهول البحر الأسود وإلى بلاد بالغة الاختلاف عن بيئاتهم، ولذا ظلوا رعاة يضربون في مناكب الأرض الوعرة والغابات طلباً للعيش والمرعى، كما ظلوا فرساناً شديد البأس[2]. وهكذا ظل الجرمان الشرقيون في حالة بداوة لم يصبهم كثير من التغير، وغاراتهم ليست سوى هجرات وتحركات تبدأ وتنتهى من آن إلى آن بحثاً عن مراع جديدة ومواطن صالحة لهذه الحياة، بينما اتخذت غزوات الجرمان الغربيين صفة الزحف الدائم مع الاحتفاظ بالأصول والموطن تمد وتدعم وتقوى بانتظام[3].

والواقع أن علاقة الجرمان بالإمبراطورية الرومانية مرت بأدوار مختلفة، وانتهت بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية وإقامة ممالك جرمانية بين ربوعها، وتشير دلائل كثيرة إلى أن علاقة الجرمان بالرومان في بدايتها مرت بفترة من السلم والتعاون بين الجانبين استمرت قرنين من الزمان حتى نهاية القرن الثاني الميلادي[4]،

---

(1) الألماني: ترجع قبائل الألماني إلى عنصر الجرمان الغربيين، وقد ورد أول ذكر لهم في المصادر التاريخية في كتاب المؤرخ كاسيوس ديو Cassius Dio في سياق حديثه عن حملة الإمبراطور كاراكالا على الألماني عام 213م، إذ كانت قبائل الألماني تقيم بالقرب من ملتقى نهري الراين والدانوب، وكانت تهدد حدود الإمبراطورية، ومن ثم قاد كاراكالا حملة تمكن فيها من سحقهم. كما تمت هزيمتهم على يد الإمبراطور كلوديس القوطي عام 269م. وكانت علاقة الألماني بالإمبراطورية الرومانية علاقة عدائية، بل كانوا يقومون بعدة حملات على حدود الإمبراطورية بين الحين والآخر بغرض السلب والنهب. وحاولوا عدة مرات الاستقرار ببلاد الغال إلا أن الملك كلوفس طردهم شر طرده وألحق بهم الهزيمة في معركة تولبياك Tolbiacعام 496م. انظر:

Gregory of Tours: Franks PP.13,39-40;

سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 376، 333.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 12.

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 15.

وفي هذه الفترة نلاحظ عدم وجود أي عداء بين الرومان والجرمان في أول الأمر، كما أنه لم توجد مطامع للجرمان في أراضي الإمبراطورية، وإنما كل ما أراده الطرفان هو الحياة الآمنة المستقرة في بلاده[1].

وبالفعل ساد جو من السلام بين الجرمان والرومان بين عهدي يوليوس قيصر (50 -44ق.م) وحتى بداية عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس[2] Marcus Aurelius (161-180م)، فقد عاشت القبائل الجرمانية الرابطة على حدود الإمبراطورية حينئذ في حالة واضحة من الهدوء والاستقرار. إلا أن هذا الوضع لم يستمر كثيراً وأخذ يتغير في أواخر القرن الثاني الميلادي، وذلك عندما تعرض المجتمع الجرماني لنوع من الضغط والقلق سببا له شيئاً من الحركة[3]. وذلك لأن السلاف[4] وغيرهم من العناصر الشرقية أخذوا يضغطون

---

(1) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص62.

(2) ماركوس أورليوس: ولد الإمبراطور ماركوس أورليوس (180-161م) في روما عام121م لأسرة إسبانية ثرية، تلقى تعليمياً متميزاً، تولى حكم الإمبراطورية كإمبراطور مشارك مع لوكيوس فيروس Lucius Verus وذلك بعد وفاة الإمبراطور أنطونيوس بيوس عام 161م... للمزيد انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 276-277.

(3) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص62.

(4) السلاف: يرجع السلاف Slavs أو الصقالبة في أصلهم إلى مجموعة الشعوب الهندو-أوربية، واستقروا في بداية أمرهم في أواسط أسيا، ثم تعرضوا لضغط العناصر الأسيوية فبدءوا يهاجرون إلى أجزاء أخرى من أوروبا ما بين عامي 200 و500م، وكان أول ظهور للسلاف في الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي منذ عهد الإمبراطور جستنيان الأول حتى عهد الإمبراطور موريس، حيث أخذوا يغيرون على أقاليم الإمبراطورية، وقد استقر بعضهم في المناطق التي تشكل في الوقت الحاضر غربي الاتحاد السوفيتي السابق وشرقي ووسط أوروبا، وهاجروا فيما بعد آخرون إلى شبه جزيرة البلقان وأصبحوا يعرفون باسم البلقانيين، واستمروا في التوسع حتى القرن العاشر نحو الغرب والجنوب، وقد وقع الكثير من السلاف في الأسر أو العبودية حتى اشتقت كلمة عبد في كثير من اللغات الأوروبية Slave من اسم السلاف... للمزيد انظر محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، دار المعرفة الجامعية 1986.، ص 65؛ عاشور: أوروبا، جـ 1، ص57؛ وسام عبد العزيز فرج: السلاف في شبه جزيرة البلقان وجهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها 101859 - 1 م، المجلة التاريخية المصرية، مج 3130,، لسنه 1984، ص 143.

على الجرمان من جهة الشرق، في الوقت الذي ازدادت فيه أعداد الجرمان وضاقت أمامهم سبل العيش[1]. وهنا نظر الجرمان حولهم فلم يجدوا إلّا أرضاً فقيرة مجدبة تغطيها الغابات وتكتنفها المستنقعات، فضلاً عن تأخرهم ووقوعهم تحت رحمة الطبيعة وظروفها القاسية من فيضانات خطيرة إلى قحط ومجاعات، ما جعلهم في حالة من الشدة ونقص في الأقوات دفعتهم إلى الحركة. وهكذا أخذ الجرمان يتطلعون إلى أراضي الإمبراطورية الرومانية التي جذبتهم إليها بنظامها المستقر وخيراتها الوفير وحضارتها الزاهرة[2].

وهكذا نرى نتيجة الضغوط المستمرة على الجرمان أن بدأ موقفهم يتغير تجاه الإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك في عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس عندما تحالفت بعض القبائل الجرمانية المعرفة باسم الماركوماني[3] Marcomanni والقواضي Quadi والصرماتيين Sarmatiani لمهاجمة جبهة أعالي الدانوب عند بانونيا[4] Pannonia، ولكن استطاع أورليوس

(1) C.W. Previte - Orton, The shorter Cambridge Medieval History, Vol.I, (Cambridge, 1952), pp. 37 - 38.

(2) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص63.

(3) الماركوماني: وصفهم تاكيتوس بأنهم من أشهر القبائل الجرمانية وأقواها وكانوا يسكنون على حدود ألمانيا بالقرب من الدانوب وكان حكمهم ملكياً. انظر: تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ص 92.

(4) بانونيا: هي إحدى الأقاليم الرومانية المهمة الواقعة بطول نهر الدانوب، يحدها من الشمال والشرق نهر الدانوب ومن الغرب نوريكوم وإيطاليا العليا، وجنوباً مع دالماشيا وموزيا العليا، وتقع بانونيا في الوقت الحاضر على أراضي غرب المجر والنمسا الشرقية وشمال كرواتيا وشمال غربي صربيا وسلوفينيا وسلوفاكيا الغربية وشمال البوسنة والهرسك، وقسمت إلى أقاليم منفصلة بانونيا العليا وعاصمتها بتوفيو Petovio وبانونيا السفلى وعاصمتها سرميوم. وكان الكلت أول من سكن بانونيا، ثم وقعت تحت سيطرة الرومان وتم تقسيمها في عهد الإمبراطور دقلديانوس إلى أربعة أقسام بين عامي 293-296م، ثم استولى عليها الهون ثم القوط الغربيين إلى أن تمكن جستنيان من استعادتها ثم اللمبارديين والآفار حتى تمكن شارلمان من إخضاعها للسيادة الفرنجية... للمزيد انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.597; Mattew Busnan: A Dictionary of the Roman Empire, (New York 1991), P.310.

القضاء عليهم جميعاً وتدمير قوتهم واحتل مناطق هذه القبائل لمدة أربعة عشر عاماً[1].

ولكن في واقع الأمر تهديد الجرمان لحدود الإمبراطورية لم ينقطع بعد ذلك، إذ لم يلبث أن ظهر خطرهم من جديد على الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي في عهد الإمبراطور كاراكالا[2] Caracalla (211-217م)، وذلك عندما هددت قبائل الألماني حدود الإمبراطورية ولكن استطاع الإمبراطور كاراكالا هزيمتهم عام 213م[3]، ولكن في عهده تقدم أيضاً القوط جنوباً من شواطئ البحر البلطي فسحقوا الصرماتيين وهاجموا إقليم داكيا[4] Dacia (ترانسلفانيا برومانيا حالياً) على الدانوب، إلا أن الرومان، وقد استشعروا خطرهم الداهم، تحالفوا معهم في نحو عام 225م، وقرروا لهم جزية سنوية نظير قيام القوط بحماية حدود الإمبراطورية ضد الصرماتيين البرابرة الذين يقيمون فيما وراء القوط[5]. وظل القوط خمسين عاماً يعيثون فساداً في

---

(1) طرخان: القوط، ص 30؛ عاشور: أوروبا، جـ 1، ص63؛ سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص281.

(2) الإمبراطور كاراكالا: هو ابن الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس(193- 211م) تولى الحكم بعد وفاة أبيه هو وشقيقه جيتا، ولكن اندلع الصراع بينهما الذي انتهى باغتيال كاراكالا لأخيه عام 213م وانفرد بحكم الإمبراطورية الرومانية حتى مقتله عام 217م. انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص325.

(3) سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص333.

(4) داكيا: يقع إقليم داكيا في الجزء الجنوبي الشرقي من أوروبا، ويتألف من الجزء الأكبر من رومانيا الحالية، وقد سكنه قديما شعبه أطلق عليه الرومان داكي Daci، وأصبح هذا الإقليم رومانيا في أوائل القرن الثاني الميلادي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.214.

(5) طرخان: القوط، ص 35.

منطقة البلقان حتى هزمهم الإمبراطور كلوديوس الثاني القوطى[1] Caudius II (268-270) في نيسوس[2] Naissus سنة 269م[3].

ويهمنا في أمر هذا الدور المبكر من أدوار الحرب بين القوط والرومان أن أباطرة الرومان اختاروا أن يسالموا القوط على الرغم من تفوق الرومان، فتنازلوا لهم عن إقليم داكيا وسحبوا منه الجيوش الرومانية والموظفين على عهد الإمبراطور أورليان[4] (270-275م)، وعندئذ استقر القوط وأعرضوا عن أعمال السلب والنهب، وبدءوا يتأثرون بالمسيحية وغيرها من التيارات الحضارية، ما مهد لقيام أول مملكة جرمانية داخل حدود الإمبراطورية الرومانية[5].

كما أن الخطر الذي هدد الإمبراطورية الرومانية في تلك الفترة لم يأت من جانب القوط وحدهم، وإنما قامت قبائل الألماني والفرنجة والبافاريون والسكسون

---

(1) الإمبراطور كلوديوس الثاني: كان كلاديوس أحد القادة الإلليريين الأكفاء تولى حكم الإمبراطورية بعد الإمبراطور جالينوس(253-268م)، واستطاع هزيمة القوط، ولهذا كرمه الرومان وانعموا عليه بلقب القوطي Gothicus وتوفي كلوديوس متأثرا بالطاعون عام 270م، انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص376.

(2) نيسوس: تقع مدينة نيسوس أو نيش حاليا على نهر نيشافا بالقرب من تقاطعه مع نهر جنوب مورافا في دولة صربيا الحالية، وتبعد 204كم عن مدينة بلجراد، وتعتبر نيسوس من أقدم مدن البلقان وأوروبا، وتعتبر بوابة بين الشرق والغرب منذ العصور القديمة، وهي مسقط رأس كل من قسطنطين الكبير، وقسطنطين الثالث، وجستين الأول. وهي موطن لواحدة من أقدم الكنائس المسيحية في صربيا... للمزيد انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.563.

(3) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص63؛ سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص376.

(4) الإمبراطور أورليان: بعد وفاة الإمبراطور كلوديوس تولى الإمبراطور كونتللوس ولكنه عُزل وانتخب أورليان إمبراطورا وكان يشغل منصب قائد الفرسان المدرعة واشترك في الحرب ضد القوط، للمزيد انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص377.

(5) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص20.

والثوريجيون والفريزيون[1] والوندال بعدة هجمات أخرى متفرقة على أراضي الإمبراطورية الرومانية، حتى انتهى الدور الأول من حركة الهجرة الجرمانية سنة 300م لتبدأ فترة أخرى جديدة من العلاقات السلمية الهادئة بين الرومان والجرمان[2]. على أن توغل الجرمان داخل حدود الإمبراطورية لم يتوقف في هذا الدور السلمي الجديد، وإنما استمر بعد أن غير طابعه من الهجمات الحربية العنيفة إلى الزحف البطيء والتسلل السلمي الهادئ. وهنا نجد الإمبراطورية الرومانية تفتح صدرها لهؤلاء الوافدين من الجرمان، فتستخدمهم جنوداً في بعض الفرق الرومانية، وتمنحهم مستعمرات وأراضي يقيمون فيها داخل الحدود الرومانية، بل إن بعض ضباط الجيش الروماني البارزين في تلك الفترة جرت في عروقهم دماء جرمانية[3].

وفي الحقيقة إن استخدام الجرمان في الجيش الروماني والسماح لهم بالإقامة السلمية لم يكن أمرا جديداً، إذ ترجع جذور هذه الظاهرة إلى أيام الإمبراطور أغسطس[4]

---

(1) الفريزيون: هم إحدى القبائل الجرمانية التي كانت تدفع الإتاوات للرومان بين القرنين الأول والخامس الميلاديين ثم اقتحموا غرب أوروبا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية. وتمتد مواطن الفريزيين على جانب الراين حتى المحيط وحول البحيرات الواسعة حول سواحل خليج زيدرزي Zuyder-Zee. للتفاصيل انظر: تاكيتوس: تاكيتوس والشعوب الجرمانية، 84، 137؛ Encyclopaedia Britannica Online

(2) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص64.

(3) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص64.

(4) الإمبراطور أغسطس: ولد أغسطس عام 44ق.م لعائلة غنية محترمة، تم تبنى أغسطس من قبل خال والدته غايوس يوليوس قيصر. أقام أغسطس الحكم الثلاثي الثاني مع ماركوس أنطونيوس وماركوس ليبيدوس لهزيمة قاتلي قيصر. بعد فوزهم في معركة فيليبي، وتقاسم الثلاثي الجمهورية الرومانية وحكموها. وبعد سقوط الحكم الثلاثي، بسبب طموحات الثلاثي التنافسية، وكانت النتيجة نفي ليبيدوس وتجريده من منصبه، وانتحر أنطونيوس عقب خسارته معركة أكتيوم لصالح أغسطس في 31 ق.م. وقد توفي أغسطس قيصر عام 14 م، عن عمر يناهز 75 عاماً إثر عوامل طبيعية في الغالب، وإن كانت هناك إشاعات أن زوجته ليفيا سممته. وخلفه في الحكم ابنه بالتبني تيبريوس. للمزيد انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 22-23، 127.

Augustus (27ق.م-14م) نفسه، ولكنها أخذت تتخذ مظهراً شاملاً واسع النطاق في القرنين الثالث الرابع الميلاديين، عندما بدأت العلاقة بين الرومان من جهة والجرمان المقيمين وسطهم من جهة أخرى تمتد إلى التزاوج والتفاعل الاجتماعي، ما ترك أثراً بعيد المدى في مستقبل الحوادث. وهكذا لا يمكن القول بأن الحدود السياسية للإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع كانت تفصل بين العالمين الروماني والبربري لأن كلا الطرفين أخذ يتأثر بالآخر ويؤثر فيه[1].

ثم تجددت الهجمات الجرمانية على حدود الإمبراطورية الرومانية مرة أخرى منذ سنة 375م متخذة طابعاً جديداً. فحتى هذا التاريخ كانت تلك الهجمات عبارة عن عمليات حربية متقطعة لا تربطها رابطة واحدة ولا توحد بينها خطة موحدة. وكان يكفي أن تتعرض قبيلة لضغط قبيلة أخرى، أو تصاب منطقة من مناطق الجرمان بقحط أو نقص في الأقوات، أو يستكشف أحد زعمائهم الطموحين نقطة ضعف في الحدود الرومانية، للقيام بهجوم محلي على أراضي الإمبراطورية. ولكن هجمات البرابرة أخذت تتخذ شكل غارات عامة ضخمة منذ سنة 375م، وقد امتدت هذه الحركة الواسعة حتى سنة 568م، أي نحو قرنين من الزمان استطاع فيها كثيراً من الجموع الجرمانية اجتياح أقاليم رومانية مهمة، وتأسيس ممالك جرمانية جديدة داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية، مما غير وجه العالم القديم تغييراً تاماً وجعل صورة أوروبا العصور الوسطى تبدو أقرب وضوحاً[2].

وحدث ذلك في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي حينما اندفع

---

(1) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص64.

(2) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص65.

الهون[1] الآسيويون خلال المنفذ الواقع بين جبال أورال وبحر قزوين نحو جنوب روسيا، وانقضوا على القوط[2]. وجاء هجوم الهون على درجة من العنف والشدة جعلت الرومان والجرمان يتآزرون جميعاً لصد هذا الخطر المشترك، على أن ضغط الهون أحدث رد فعل عنيف بين الجرمان، مما أثر مِن ثَمَّ في أوضاع الإمبراطورية الرومانية تأثيراً خطيراً، ذلك أن القوط الغربيين لم يجدوا بُداً من الفرار من وجه الهون، فطلبوا من الإمبراطور

---

(1) الهون: اختلف المؤرخون في أصل الهون، فالبعض يشير إلى أنهم مجموعة من القبائل الآسيوية ذات الأصول التركية المغولية، في حين يذكر البعض أنهم من أصول تورانية. ولا يُعرف الكثير عن مواطنهم الأولى وإن كانت بعض الدراسات ترجح انطلاقهم من شرقي سيبيريا أو صحراء غوبي الصينية، أو أعالي النهر الأصفر هوانج هو Hsiung -Hu شمال ولاية كان -سو kan-Sou الصينية. بدءوا التوسع والانتشار في القرن الثاني قبل الميلاد حتى وصلوا بنفوذهم غرب بحيرة بلكاس، وتمكنوا من القضاء على إمبراطورية الاورز Aorses، وفي القرن الثاني والثالث سيطروا على شمال الصين (منغوليا)، وفي سنة 370م اجتازوا نهر الدون Don، ثم أخضعوا القوط الشرقيين لهم عام 375م، كما أجبروا قبائل القوط الغربيين على التراجع باتجاه نهر الدانوب وبعدها باتجاه غالة وشبه الجزيرة الإيبيرية سنة 376م. وامتدوا في توسعهم في نهاية القرن الرابع لدرجة السيطرة على أجزاء من مناطق نهر الفولجا شمالاً ومنطقة البحر الأسود شرقاً وألمانيا غرباً، إضافة إلى معظم مناطق شرقي أوروبا شمال نهر الدانوب. وانتهت إمبراطوريه الهون بهزيمتهم في موقعة شالون 451م... للمزيد انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص111-114؛ صلاح محمد ضبيع: الهون وبيزنطة دراسة في العلاقات السياسية337-450م ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، ص453-456؛ أسامة إبراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الأولى القاهرة 2009، ص29؛ مشتاق طالب حسين الخفاجي: أتيلا ودوره السياسي والعسكري في بناء الإمبراطورية الهونية 453-406م، مجلة كلية التربية، جامعة بابل (العراق)، ع1، لسنة 2008، ص319-320.

(2) أسامة إبراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، ص41-42.

فالنز[1] Valens (364-378م) السماح لهم بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون، وبالفعل وافق الإمبراطور فالنز على طلبهم ليتخذ منهم ستاراً يحمي الحدود الرومانية من خطر الهون[2]، إلا أن عبور ما يقرب من مليون ومائة ألف محارب من أمة القوط الغربيين لنهر الدانوب سنة 376م - حيث سمحت لهم الحكومة الرومانية بالإقامة في دالماشيا وتراقيا - أحدث هزّة عنيفة في جسم الإمبراطورية ذلك أن هؤلاء الدخلاء لم يلبثوا أن ثاروا على الإمبراطورية، وأنزلوا الهزيمة بالإمبراطور فالنز وقتلوه في موقعة أدرنة - Adrianople- سنة 378م[3].

---

(1) الإمبراطور فالنز: تولى الإمبراطور فالنز الحكم مشاركاً لأخيه الإمبراطور فالنتيانوس (364-375م)، وبعد وفاة فالنتيانوس أصبح ابنه جراتيانوس مشاركاً لفالنز في الحكم، واستطاع فالنز هزيمة القوط 369م، وصد هجمات الفرس لاحتلال أرمينيا وبلاد ما بين النهرين، ولكن فشل في صد هجمات القوط عام 378 في معركة أدرنه، حيث لم ينتظر قوات جراتيانوس ابن أخيه، وانتهى الأمر بهزيمته واحتلال القوط منطقة البلقان بأكملها... للمزيد انظر: المؤرخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق وتعليق طارق منصور، تقديم زبيدة عطا، القاهرة 2008، ص79؛ سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص461-462.

(2) Jordanes: The Gothic, P.88.

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛ كانتور: التاريخ الوسيط، ص 160.

(3) Ammianus Marcellinus: eng. trans, Rolfe,(J.c.), vol. 2, (London. 1935), p.401; Jordanes: The Gothic, pp.89-90;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص120-122؛ جوزيف داهموس: سبع معارك، ص8.

ولكن أدرك الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم[1] (378-395م) أن معاداة القوط الغربيين ليست من الحكمة في شيء، وتجنب الدخول معهم في مواجهة متعظاً من الماضي، وعقد معهم اتفاقية أصبحوا بمقتضاها معاهدين Foederati للإمبراطورية، كما سمح لهم بالإقامة في إقليم تراقيا، وقد تمتع القوط بسلطة مطلقة في هذه الأقاليم التي احتلوها فأعفوا من الضرائب مقابل الخدمة العسكرية التي تعهدوا بتقديمها إلى الإمبراطورية[2].

وهكذا نجد أن علاقة الجرمان بالإمبراطورية الرومانية مرت بأدوار مختلفة، حيث كانت في بدايتها سلمية حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، ولكن نتيجة الضغوط المستمرة على الجرمان أن بدأ موقفهم السلمي يتغير تجاه الإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك على عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس، كما أن تهديد الجرمان لحدود الإمبراطورية لم ينقطع حتى أن بعض أباطرة الرومان اختاروا أن يسالموا الجرمان، كما أن قبائل الهون وضغطها على الجرمان كان لها أثراً كبيراً على أوضاع الإمبراطورية الرومانية، على سبيل المثال نجد أن القوط الغربيين يطلبون من الإمبراطور فالنز السماح لهم بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون، ولكن لم يلبث القوط الغربيين أن ثاروا على من الإمبراطور فالنز وأنزلوا به الهزيمة وذبحوه في موقعة أدرنة سنة 378م. ومِن ثَمَّ نجد أن

---

(1) الإمبراطور ثيودوسيوس: هو ابن الجنرال ثيودوسيوس وهو من أصل إسباني، وقد عينه الإمبراطور جراتيانوس قائداً للفرسان عام 378م ثم رقاه إلى أغسطساً شريكاً عام 379م وكان ثيودوسيوس في الرابعة والثلاثين من عمره حينذاك، وأوكل جراتيانوس إليه حكم ولايات الشرق وحل مشكلة القوط وعقد مع القوط اتفاقية سلام... انظر: سيد الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص464.

(2) Jordanes: The Gothic, P. 92 ; Ostrogorsky: History of the Byzantine, p. 52.
انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص22؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص461-462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص123-124.

العلاقة بين الجرمان والرومان قد تغيرت وأنها بدأت سلمية ثم انتهت بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية، وإقامة عدة ممالك جرمانية بين ربوعها. وسوف نتناول نشأة تلك الممالك الجرمانية الخاصة بفترة الدراسة الواحدة تلو الأخرى، وكيف نجحت تلك القبائل في تكوين ممالك لها على أنقاض الإمبراطورية بدايةً من تحركهم من موطنهم الأصلي حتى استقرارهم داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية.

الفصل الأول

"نشـــأة الـمـمالك الجرمانية فـي أوروبا في الـعـصـور الـوسـطـى"

- نشـــأة مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا.
- نشـــأة مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة.
- نشـــأة مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا.
- نشـــأة مملكة الفرنجة في غالـة .
- نشـــأة مملكة اللمبارديين في إيطاليا.

لقد كانت الغزوات الجرمانية على أوروبا من أخطر الغزوات وأشدها ضراوة، إذ تميزت هجمات الجرمان على الإمبراطورية الرومانية منذ أواخر القرن الرابع بطابع الهجمات المنظمة والهجرات الجماعية الكبيرة، وانتهى الأمر باستقرار الجرمان الدائم داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، وتأسيس ممالك جرمانية معروفة، ظلت قائمة فترات متفاوتة من التاريخ، لتصبح أحد العناصر المكيفة للتاريخ الأوروبي الوسيط. ولكن تلك الشعوب لم يكن لديها هدف أو سياسة مرسومة تسعى إلى تحقيقها عندما انهالت في جوف الإمبراطورية، كذلك لم تقصد في البداية- عند ظهورها على مسرح الأحداث- القضاء على الإمبراطورية الرومانية عام 476م، ولم تقم بتلك الحركات لغرض الاستعمار، ولكن في النهاية انتهى الأمر بسقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، ونجاح الجرمان في تأسيس ممالك لهم في جوف تلك الإمبراطورية. وسوف نتناول نشأة تلك الممالك الجرمانية الخاصة بفترة الدراسة الواحدة تلو الأخرى، وكيف نجحت تلك القبائل في تكوين ممالك لها على أنقاض الإمبراطورية الرومانية بدايةً من تحركهم من موطنهم الأصلي حتى استقرارهم داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية.

* نشأة مملكة القوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا :

ترجع قبائل القوط Goths إلى عنصر الجرمان الشرقيين[1]، وينتمي القوط إلى العديد من الأسرات الملكية، من أهمها أسرة آمال Amal؛ وهي الأسرة المشهورة التي انحدر منها ملوك القوط الشرقيون[2]، ولتلك الأسرة شهرة واسعة

(1) طرخان: القوط، ص 32.

(2) Jordanes: The Gothic, P. 61.

في الحروب؛ وهي سليلة بطل مظفر يلقب "بآمال" أي العظيم[1]، كذلك أشار جوردان إلى أسرة البالطيين Balthi أي (الشجعان)، نظراً لما تميزت به تلك الأسرة من أعمال البطولة في الحروب، وهي التي انحدر منها ملوك القوط الغربيون[2]، وتأتي في المرتبة الثانية بعد أسرة آمال[3].

وقد هاجر القوط من جزيرة سكاندزا Scandza (جنوب مملكة السويد) تحت زعامة الملك بيرج Berig في ثلاث سفن اتجهت جنوباً حتى وَطَأَتْ أقدامهم ساحل بحر البلطيق عام 330 ق.م[4]، واشتغلوا بتجارة العنبر Amber، الذي يجمعونه من سواحل البحر البلطي، وكانت إقامتهم طويلة حتى تركوا اسمهم عليه Gothic Scandza أي (الشاطئ القوطي)[5].

بعد استقرار القوط على ساحل بحر البلطيق، قرر زعماؤهم الاتجاه جنوباً[6]، وقد واجه زحفهم مصاعب وعقبات جمة، واشتبكوا خلالها مع قبائل الروجيون[7] Rugii والوندال Vandali وأخضعوهما لسيطرتهم[8]،

(1)Jordanes: The Gothic, P.61;Bradley: The Goths, P.13; Hodgkin: Italy, vol. 1. p. 43;
انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص 35.

(2) Jordanes: The Gothic, P.61.

(3) Jordanes: The Gothic, P.61.

(4) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Bradley (H): The Goths From Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain (London. 1888) P.19; Hodgkin: Italy and her Invaders, vol.1. P.33.

(5) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Hodgkin: Italy, vol.1. P.33.

(6) Jordanes: The Gothic, P.57; Bradley: The Goths, P.20.

(7) الروجيون: قبيلة جرمانية شرقية، عاشت في القرن الأول على الشاطئ الجنوبي لبحر البلطيق وفي بداية القرن الرابع تحركت إعداد كبيرة من الروجيين جنوبا واستقرت في بانونيا لكن تعرضوا لهجوم قبائل الهون، وبعد وفاة أتيلا أقاموا مملكة لهم في منطقة استريا الدنيا أو نوريكوم Norcium (454 - 488م) ... للمزيد انظر
Paul the Deacon: Langobards, Note p.2.

(8) Jordanes: The Gothic, P.57; see Also, Hodgkin: Italy, vol.1. P.33.

ثم انتشـــروا في المنطقة الممتدة بيـــن نهري الأودر[1] Oder والفـستولا Vistula واستقروا بها لسنوات طويلة[2].

بعد ذلك قرر زعماء القوط الاستمرار في الاتجاه جنوباً بحثاً عـن أراضـي أكثر خصوبة[3]، لا سيما بعد زيادة أعدادهم من جهـة، وفقـر البيئـة مـن جهـة أخرى[4]، وكانوا بقيادة الملك فيليمـر Filimer وقـد واجـه القـوط الكـثير مـن المعاناة، حيث اضطروا إلى عبور مستنقعات "بريبت" Pripet[5]، ثم انتـشروا في المنطقة الواقعة بين نهري الدنيبر Dniper والدنيستر Dnister، التي تقـع شمـال البحر الأسود، وتعرف باسم "سكثيا"[6] Scythia، وأطلق عليهـا القـوط بلغتـهم اسم "أويوم" Ouim أي (المروج الزراعية الخضراء)[7].

---

(1) الأودر: يبلغ طول نهر الأودر 866 كم، وهو يقع في وسـط أوروبـا، وينبـع مـن جبـال السوديت التشيكية. ثم ينساب في اتجاه الشمال عبر غربي بولندا إذ يلتقي بنهر نيسا الـذي يعرف رسميا باسم لوسترز نيسا. ويكـون النـهران الملتقيـان معظـم الحـدود بـين بولنـدا وألمانيا. ويصب نهر الأودر في بحر البلطيق عن طريق بحيرة ستاتين... للمزيد انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.576.

(2) Hodgkin: Italy, vol.1. P.35;

انظر أيضاً، محمد شاكر محمود: الجرمان، نظمهـم وعلاقتـهم بالإمبراطوريـة الرومانيـة حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة عـين شمس، 1993، ص 57.

(3)Jordanes: The Gothic, P.57.

(4) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Bradley, The Goths, P.21.

(5)Jordanes: The Gothic, P.57;

انظر أيضاً: محمد شاكر: الجرمان، ص 57.

(6) سكثيا: هي منطقة تقع في النصف الشرقي مـن شمـال أوروبـا وفي غـرب ووسـط آسـيا شمالي البحر الأسود، وعرفت بذلك الاسم نسبة إلى قبائل الإسكيث الإيرانيـة، وأصـبح من يقطن تلك المنطقة- بعد ذلك - يطلق عليه ذلك الاسم... للمزيد انظر:

Smith, William: Dictionary of Greek And Roman Geography, Vol-2, London 1875, p.936.

(7) Jordanes: The Gothic, P.57.

وفي اتجاه القوط جنوباً قابلوا قبائل الصرماتيين فسحقوهم، وهاجموا إقليم داكيا على الدانوب، حتى سيطروا على الساحل الشمالي للبحر الأسود[1]، وذلك زمن الإمبراطور الروماني كاراكالا، وكان يجاورهم من الشرق قبائل الآلان[2] Alans الإيرانية، ومن الشمال الغربي قبائل الفِن Finns السلافية[3]، إلا أن الرومان، وقد استشعروا خطرهم الداهم، حالفوهم نحو عام 225م، وقررا لهم جعلاً سنوياً نظير قيام القوط بحماية حدود الإمبراطورية ضد الصرماتيين البرابرة الذين يقيمون فيما وراء القوط[4].

وفي تلك المرحلة من تاريخ القوط حدث انقسامهم إلى فرعين، إذ حدث أثناء عبور القوط نهر الدنيستر أن تحطم أحد الجسور المقامة فوق النهر، فاطلق على الذين عبروا النهر بقيادة الملك فيليمر واتجهوا شرقاً باسم "الأوستروقوط" "Ostrogoths"[5] أي (القوط الشرقيين)، بينما عُرف الذين لم يعبروا النهر واتجهوا غرباً حتى وصلوا إلى مصبات نهر الدانوب باسم "الفيزقوط" "Visigoths" أي (القوط الغربيين)[6].

---

(1) نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، جـ 1، ص 148؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص20.

(2) الآلان: قبائل من البدو الرحل الذين احتلوا منطقة السهول شمال شرق البحر الأسود. وقد تم ذكر الآلان لأول مرة في الأدب الروماني في القرن الأول الميلادي، وكثيرا ما داهموا الإمبراطورية البارثية والمقاطعات القوقازية في الإمبراطورية الرومانية. وقد سكنت قبائل الآلان منطقة Scitia ثم استقروا في منطقة Ponto Euxine، ومع ذلك وقعوا تحت ضغط الهون نحو 370 م، ولكن هرب الكثير منهم إلى بلاد الغال مع الوندال والسويفى نحو عام 406م. واستقروا الآلان في منطقة لوزيتانيا في إسبانيا عام 411م. وعلى كلٍ فإن معظم الآلان ذهب إلى شمال إفريقيا مع الوندال... لمزيد انظر: طرخان: القوط، ص 86؛ محمد عبده حتامله: أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ص 192-193؛

Alani in Encyclopædia Britannica Online.

(3) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also Bury, (J.B): The Invisions of Europe by Barbarian, Aseries of lecture, London, 1928, without Numbers of the pages, Net, Lec.1.

(4) طرخان: القوط، ص 35.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 57.

(6) Jordanes: The Gothic, P.57; See Also, Hodgkin: Italy, vol.1. P.41.

وقد اتجه القوط الشرقيون نحو حوض نهر الدون وسهول روسيا الجنوبية، بينما اتجه القوط الغربيون نحو بلاد البلقان و إقليم داكيا، الذي تنازلت عنه الإمبراطورية مرغمة كما ذكرنا على عهد الإمبراطور اورليان Aurelian (270-275)[1]، وسمحت لهم بالإقامة فيه نحو قرن من الزمان (275-375م) قبل أن يعبروا إلى داخل الإمبراطورية ويقيموا مملكة مستقرة، ويقوضوا نفوذ الحكومة الغربية وسلطانها[2]. على أن القوط الغربيين ما لبثوا أن أظهروا من الحماسة لتقبل الحضارة التي أضحوا بقربها ما جعلهم شديدي التأثر بعناصر تلك الحضارة، مسرعة في تعلم كل ما كانت الإمبراطورية تبغي أن تعلمه لهم[3]، فكانوا أول الشعوب الجرمانية اعتناقاً للمسيحية الآريوسية[4]، على يد مبشر يدعى أولفلاس[5] Ulfilas[6].

---

(1) سعيد عاشور: أوروبا، جـ 1، ص63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص20.

(2) ديفز: أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، ط1، الاسكندرية1958، ص15؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص20.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص20.

(4) الآريوسية Arianism: نسبة إلى آريوس Arius، أحد رهبان الإسكندرية الذي اعتقد بأن السيد المسيح ليس من جوهر الله ولا يشاركه أزليته، ولا يمكن أن يسمو إلى الله قدراً أو منزلة، على خلاف رأي الكنيسة الكاثوليكية التي اعتقدت بألوهية السيد المسيح. وقد كان للآريوسية أثر كبير في تاريخ الجرمان وعلاقتهم بالكنيسة، لان جميع القبائل الجرمانية، عدا الفرنجة، اعتنقوا المسيحية وفقا للمذهب الآريوسي، كالقوط الغربيين والشرقيين واللمبارديين والوندال وغيرهم. وعدت الكنيسة الكاثوليكية الآريوسية حركة هرطقية خارجة على الكنيسة الكاثوليكية، وتمت مطاردة الآريوسيين، وانتشر هذا المذهب في البلقان وما وراء الدانوب. للتفاصيل انظر:
Carl Stephenson, Mediaeval History, New York,Harper Brothers-publishers, 1951,pp. 62-3.

(5) أولفلاس: ولد أولفلاس نحو عام 310م وتوفي عام 380م وهو يوناني من إقليم قبادوقيا بآسيا الصغرى، نال قسطاً من التعليم في القسطنطينية، وترجم الإنجيل إلى اللغة القوطية، واهتم بنشر المسيحية بين أهل البلاد التي اتخذها موطناً. وساعده على ذلك ما حدث من إقبال القوط على تفهم الدين الجديد، لاتخاذه وسيلة للتلاؤم على المدنية الجديدة التي حرصوا على المشاركة في ركبها... للمزيد انظر: فشر: أوروبا، جـ1، ص17؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص120.

(6) فشر: أوروبا، جـ1، ص17.

غير أن الهون ما لبثوا أن نفذوا إلى ربوع داكيا Dacia سنة 376م، وهزموا عشائر القوط الغربيين وأجلوهم عن تلك المنطقة كما ذكرنا أيضاً، فتوسل القوط الغربيون إلى الإمبراطور فالنز Valens (364-378م) أن يهبهم ملجأً ثانياً يحتمون به من خطر الهون، فسمح لهم الإمبراطور بعبور نهر الدانوب والالتجاء إلى الأراضي المهملة في تراقيا (جنوب بلغاريا الحالية) ومحاولة استصلاحها[1]. ويبدو أن الإمبراطور فالنز كان يهدف إلى الإفادة من القوط لحماية حدود إمبراطوريته عند الدانوب، واتخاذهم حاجزاً بينه وبين الهون[2].

ولكن الإمبراطور فالنز أدرك خطورة هذا التصرف، وعرف أبعاد هذا الخطأ، إذ لم يكن بوسع السلطات الرومانية توفير سبل العيش والحياة المستقرة لهذه الجموع الكثيرة، وكبح جماحها عن العبث بالجهات المجاورة، وبالفعل سرعان ما أحس القوط بالضجر والضيق من الوضع الجديد، وقاسوا شظف العيش في مضاربهم الجديدة ولم يقتنعوا بأن يكونوا مواطنين، فأخذوا يفرضون سلطانهم على السكان المجاورين، ويستولون على كل المنطقة حتى نهر الدانوب لحسابهم الخاص، وإذ طفح الكيل بهم في النهاية، أعلنوا الثورة على الإمبراطور فالنز والتجئوا إلى السلاح[3].

وقد استبد القلق بالإمبراطور فالنز، وكان حينذاك بأنطاكية، فبادر بالنهوض في جيش من الشرق غير منتظر قدوم إمدادات من الغرب، فتعرض

---

(1) Jordanes: The Gothic, P.88 ;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛ كانتور: التاريخ الوسيط، جـ 1، ص 160.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21.

(3) فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص120-122؛ جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط2، القاهرة1992، ص8؛ كانتور: التاريخ الوسيط، جـ 1، ص 160.

لهزيمة ساحقة في موقعة أدرنة سنة 378م، ولقي حتفه على أيديهم، بعد أن اجتاحوا بخيالتهم الثقيلة جيوشه الراجلة، وحصلوا على نصراً كبيراً بدءوا به مرحلة مهمة في علاقتهم بالإمبراطورية الرومانية[1]. ويمكن القول بأن هذه المعركة هي البداية الحقيقية للغزوات الجرمانية[2]، بل يضعها البعض نهاية العصور القديمة وبداية العصور الوسطى.

وقد كتب المؤرخ الروماني أميانوس مارسللينوس Ammianus Marcellinus عن هذه الموقعة يقول "**ولم يضع حداً لتلك الكارثة المفجعة سوى الليل، تلك الكارثة التي تركت النتائج المترتبة عليها آثارها على مصير الإمبراطورية**". وهو يعتبر تلك المعركة بمثابة نهاية للتاريخ الروماني القديم. ويأخذ بهذا الرأي إدوارد جيبون وكثير من المؤرخين الغربيين المحدثين الذين يعتبرون موقعة أدرنة نقطة تحول في التاريخ، أو حداً فاصلاً بين العالمين القديم والوسيط[3].

أدرك الإمبراطور ثيودوسيوس (395-378م) خليفة فالنز أن معاداة القوط ليست من الحكمة في شيء وتجنب الدخول معهم في مواجهة متعظاً من الماضي، ولهذا حرص على محاولة استرضائهم، ونجح بفضل مهارته السياسية في تحويل القوط الغربيين إلى معاهدين أوفياء Foederati، وذلك حين هيأ لهم موطناً آمناً في إقليم تراقيا[4]، وسمح لمن يرغب منهم بالانخراط في الجيش كجنود مرتزقة، وأن تمنحهم روما معونة سنوية من الغذاء مقابل تجنيد جزء من

---

(1) Ammianus Marcellinus: vol. 2,p.401; Jordanes: The Gothic, pp.89-90;
انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص21؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص120-122؛ جوزيف داهموس: سبع معارك، ص8.

(2) كانتور: التاريخ الوسيط، جـ 1، ص 160.

(3) Ammianus Marcellinus: vol. 2, p.401;
انظر أيضاً، جوزيف نسيم: تاريخ العصور الوسطى، ص 73.

(4) Jordanes: The Gothic, PP.90-91 ;
انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص22.

قـواتهم، ووافـق علـى احتفـاظهم باسـتقلالهم القبلـي وخصائـصهم القوميـة واحتفـاظهم بقوانينـهم وعقيـدتهم الآريوسـية، وإعفـائهم مـن الـضرائب نظـير تقديمهم الخدمة العسكرية، وكان ذلك بمعاهدة عقدها معهم ترتبت عليها نتائج بالغة الأهمية بالنسبة للأحداث اللاحقة[1]، وكان ذلك تصرفاً غاية في الذكاء لأن ثيودوسيوس أدرك أنه من العبث بل من المحال طرد القوط، وأنّه مـن الأفـضل احتوائهم في كيان الإمبراطورية وتجنيدهم في الدفاع عنها.

ولكن الظروف ما لبثت أن تغـيرت في غـير صـالح الإمبراطوريـة بعـد وفـاة الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم سنة 395م، حيث قُسمت الإمبراطورية بـين ولديـه فكان القسم الشرقي من الإمبراطورية وعاصمته القسطنطينية من نصيب أركاديوس[2] Aracdius(395-408م) الذي كان وقتذاك في الثامنة عشرة من عمره، بينمـا عـرش القسم الغربي من الإمبراطورية وعاصـمته رافنـا Ravenna مـن نـصيب هونوريـوس Honorius (395-423م)، وكان في الحادية عشرة من عمره[3].

---

(1) Jordanes: The Gothic, P. 92 ; Ostrogorsky: History of the Byzantine, p. 52.
انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص22؛ الشيخ: الممالـك الجرمانيـة، ص22؛ الناصـري: الإمبراطورية الرومانية، ص461-462؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص123-124.

(2) أركاديوس: ولد أركاديوس عام 377م في إسبانيا، وهـو ابـن الإمبراطـور ثيودوسـيوس الكبير، والدته تدعى إيليا فلافيا فلاكيا. كان أركاديوس غلامـاً يافعـاً عنـدنا تبـوأ العـرش البيزنطي في الحادية عشر من عمره، وكان بطيء الحس ضعيف الإرادة، دبر مـؤامرة مـع القائد جايناس للتخلص من القائد روفنيوس سنة 396م، واستمر في الحكم إلى أن توفي عام 408. انظر: أسد رستم: الروم، الجزء الأول، بيروت 1955، ص108-116.

(3) فشر: أوروبا، جـ1، ص 23؛ طرخان: القوط، ص63؛ الـشيخ: الممالـك الجرمانيـة، ص22؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص468؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص124.

- تزوج الإمبراطور ثيودوسيوس الأول أكثر من مرة، الأولى عـام 377م، وأنجـب منـها ولدان، الأكبر اسمه أركاديوس عام 377م، والأصـغر اسمـه هونوريـوس عـام 384م، ولما فارقت زوجته الحياة عام 388م، تزوج الأميرة جالا ابنة الإمبراطور فالنـشيان الأول (364-375م) وشقيقة الإمبراطور جراتيان (375-378م) وأنجب منه طفلة سميت على اسم والدتها. انظر: Hodgkin: Italy, vol.1. P.464.

ويُعد ذلك أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لتاريخ الإمبراطورية الرومانية بصفة خاصة والتاريخ الأوروبي الوسيط بصفة عامة، إذا انقسمت الإمبراطورية منذ ذلك الوقت إلى قسمين، وبدأت وحدتها تفتت وقوتها تضعف، وخضع أركاديوس في القسم الشرقي لسلطة القائد روفنيوس[1] Rufinus، وقنع الآخر- هنوريوس- في القسم الغربي بسلطة شكلية في ظل القائد ستيلكو[2] Stilicho[3].

وفي تلك الأثناء ظهرت بعض التطورات المهمة بين القوط الغربيين، حيث اختار القوط ملكاً عسكرياً عليهم في سن العشرين ممتلئاً بالحماس والجسارة وهو آلاريك الأول Alaric I (395-410م)[4]، الذي أفزعت أخبار

---

(1) روفنيوس: كان يشغل الوالي البريتوري في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول، وعندما ذهب ثيودوسيوس إلى الغرب عينه مستشاراً لابنه أركاديوس، وقد اتهم أنه شجع الآريك لمهاجمة اليونان، وقد كان يشعر بالغيرة الشديدة تجاه ستليكو الذي كان له قوة عسكرية في الغرب، وقد قتله القوطي جانياس Gains بناء على تعليمات القائد ستليكو وذلك في السابع والعشرون من نوفمبر 395م، وكان يأمل في أن يزوج ابنه إلى ابنة الإمبراطور أركاديوس... للمزيد انظر:

Alexander P. Kazhdan: The Oxford Dictionary Of Byzantium, Vol 3, Oxford University Press (New York 1991), p.1815.

(2) ستيلكو: ولد فلافيوس ستيلكو في الفترة ما بين 350 و360م، وهو ابن زعيم وندالى، انضم ستيلكو للجيش الروماني وترقى في المناصب على عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول حتى أصبح قائدا عاما للقوات الرومانية عام 393م، وأصبح مقربا من الإمبراطور ثيودوسيوس حتى تزوج من ابنته المتبناة سيرينا، وتولى الوصاية على هونوريوس بعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس... للمزيد انظر: طرخان: القوط، حاشية ص63.

(3) فشر: أوروبا، جـ1، ص 23؛ طرخان: القوط، ص63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص22؛ الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص468؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص124.

(4) Jordanes: The Gothic, P. 92 ;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص 24؛ طرخان: القوط، ص63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص23؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص125.

آلاريك الأول: ولد آلاريك الأول في الفترة ما بين 360 و370م في جزيرة بيوكي Peuce في دلتا الدانوب. انظر: طرخان: القوط، حاشية ص 64.

جسارته الحربية أفئدة المعاصرين[1]، إذ قاد عشائره من القوط الغربيين، وهاجم أثينا وتساليا والبلوبونيز، واستولى على كورنثة وإسبرطة، وراح يعمل بحماس للحصول لقومه على إقليم خصب من أقاليم الإمبراطورية[2]. وهكذا نجد القوط الغربيين يغيرون على أقاليم الإمبراطورية الغربية، ولكن ليس بغرض السلب والنهب، ولكن من أجل الحصول على إقليم خصب من أقاليم الإمبراطورية يؤسسون فيه مملكتهم الخاصة، كما نجح آلاريك في حصار روما ذاتها عام 410م حتى اضطرت في النهاية لفتح أبوابها له، فأباحها لقومه يعيثون فيها فساداً[3].

وبعد وفاة آلاريك اختار القوط الغربيون أتولف Athavulf(410-415م) - شقيق زوجة آلاريك- ملكاً عليهم[4]، الذي استطاع أن يحصل من الإمبراطور هنوريوس على منطقة ناربون Narbonne[5] في جنوب غرب بلاد الغال في

---

(1) فشر: أوروبا، جـ1، ص 24؛ طرخان: القوط، ص63؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص23؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص125.

(2) Jordanes: The Gothic, pp.92-3;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص24.

(3) Jordanes: The Gothic, p.94;

انظر أيضاً، فشر: أوروبا، جـ1، ص 24؛ طرخان: القوط، ص70، 77؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص24؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص125-127.

(4)Jordanes: The Gothic, p. 95;

انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص82؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص25.

(5) ناربون: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا، على ساحل البحر المتوسط، هي أول مستعمرة رومانية في بلاد الغال، وفي عام 462 أصبحت ناربون عاصمة لمملكة القوط الغربيين في إسبانيا، وفي عام 759م سقطت ناربون في أيدي الفرنجة على يد بيبن القصير. انظر إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص49:

Moore: Encyclopedia of Places, p.540.

المنطقة الممتدة من نهر اللوار[1] حتى حدود البرانس[2] ومنطقة طركونه في أقصى شمال إسبانيا، لتكون موطنا لهم[3]. وبالفعل مضى القوط الغربيين في عام 411م نحو غالة وبسطوا سيطرتهم على مدن مهمة مثل بلنسية وبوردو[4] Bordeaux ونـاربون وتولـوز[5] Toulouse[6]، وتـزوج أتولـف الأميرة

---

(1) نهر اللوار: ينبع نهر اللوار من الكتلة المركزية في وسط فرنسا، ثم يتجه نحو الشمال ثم إلى الشمال الغربي ماراً بأورليان وتور، وهو أطول نهر في فرنسا حيث يبلغ طوله 1009كم ويصب في خليج بسكاي في المحيط الأطلسي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.446.

(2) جبال البرانس: هي عبارة عن سلسلة من الجبال تمتد مسافة 440كم من خليج بسكاي في الغرب إلى البحر المتوسط في الشرق، ويبلغ ارتفاع أعلى قممها نحو 3404 كم وتقع سفوحها الشمالية في فرنسا بينما سفوحها الجنوبية في إسبانيا أي أنها تفصل شبه الجزيرة الإسبانية عن فرنسا. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.638.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص26.

(4) بوردو: مدينة فرنسية تقع على نهر الجارون وعلى بعد 96كم من البحر وهي في الجنوب الغربي من فرنسا وأصبحت عاصمة لمقاطعة أكوتين في القرن الرابع الميلادي. انظر: خريطة رقم (9):

Moore: Encyclopedia of Places, p.112.

(5) تولوز: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا على ساحل البحر المتوسط، وتعد تولوز جزءاً من إقليم أكوتين، وكانت أول عاصمة لمملكة القوط الغربيين حيث اتخذها الملك أتولف (410-415م) عاصمة له، وقد استولى عليها كلوفس ملك الفرنجة عام 507م في معركة فوييه. تم نقل العاصمة من تولوز إلى ناربون. انظر خريطة رقم (9)؛ انظر: طرخان: القوط، حاشية ص139:

Wood, Merovingian Kingdoms, p. 47; Moore: Encyclopedia of Places, p.790.

(6) Bury: History of the later Roman Empire: from the death of Theodosius I to the death of Justinian, Vol. 1, University of Toronto, (New York. 1923), p. 196; انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص129.

جالابلاسيديا[1] GalaPlacidia شقيقة الإمبراطور هنوريوس سنة 414م[2] ليصبح مقرباً للإمبراطور وداخلاً في طاعة الإمبراطورية، وبذلك أسس أتولف نواة مملكة القوط الغربيين في جنوب بلاد الغال.

ثم نجح واليا Wallia (415-420م) الذي أصبح حاكماً على القوط الغربيين، في تهدئة غالة وطرد السويفيين إلى شمال غرب إسبانيا وإزاحة الوندال إلى جنوب نهر إبرو[3] Epro، وترتب على حروب واليا في إسبانيا أن خضع للقوط الجانب الأعظم منها باستثناء الجزء الشمالي الغربي[4]

---

(1) بلاسيديا: ولدت نحو 390م وماتت عام 450م، وهي ابنة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول(379-395م)، كانت زوجة لأتولف ملك القوط الغربيين من عام 414 حتى موته عام 415م، ثم تزوجت الإمبراطور قسطنطينيوس الثالث من عام 417 حتى وفاته عام 421م. وتولّت الوصاية على ابنها الإمبراطور فالنشيان الثالث (425-455م) من عام 425 حتى بلوغه سنّ الرشد عام 437م، ممّا جعلها الحاكمة الفعلية لروما لمدة خمسة عشر عاماً، ومنحث لقب الأوغسطا Augusta. كانت بلاسيديا ذات سلطة سياسية كبيرة في روما خلال معظم حياتها، ويتميز عهدها بالامتزاج بيم البرابرة والطبقة الرومانية الحاكمة، وقد ماتت بلاسيديا عام 450م بعد أن بلغت من العمر ستين عاماً. للمزيد انظر: طرخان: القوط، حاشية ص 89؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص130-131، 163؛ حتامله: أيبريا، ص209-210.

(2) Jordanes: The Gothic, p.95; Isidore of Seville: History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi, Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970), p.11; Bury: later Roman Empire, p. 197.
انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص84؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص56؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص72.

(3) نهر إبرو: هو نهر في إسبانيا كان يعرف قديماً باسم ايبروس طوله نحو 917كم ينبع من جبال كانتابرين ويجري في اتجاه الجنوب الشرقي نحو البحر المتوسط. انظر:
Moore: Encyclopedia of Places, p.245.

(4)Isidore of Seville: Goths, p.12;
انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص89؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص57؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص74.

(جيليقية)[1]، وعقد اتفاقية سلام مع الرومان عام 418م حصل بمقتضاها على إقليم أكوتين[2] Aquitaine، واُعترف به حاكماً معاهداً سنة 419م فاتخذ من مدينة تولوز عاصمة له، ولم تمض عدة سنوات حتى كان القوط الغربيون قد استقروا في جنوب غالة وحول تولوز، وابتعلوا كل المنطقة بين نهري الجارون[3] واللوار[4]. وبذلك نجح الملك واليا في تأكيد وضع القوط الغربيين في جنوب غالة وشمال إسبانيا.

كما نجح ثيودريك الأول Theoderic I (420-451م) ملك القوط الغربيين[5]،

---

(1) جيليقية: هي مقاطعة تقع في الشمال الغربي من إسبانيا، يحدها خليج بسكاى شمالا والمحيط الأطلسي غرباً والبرتغال جنوباً، وقد احتلت قبائل السويفي جليقية في عام 409م، وأنشأوا مملكة لهم في جليقية دامت قرابة مائة وخمسين سنة من 411 حتى سنة 585م عندما انتصر عليهم الملك ليوفجيلد القوطي وضم مملكة السويفي إلى مملكة القوط الغربيين585م. للمزيد انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص103؛ محمد عبده حتاملة: أيبيرا قبل مجيء العرب المسلمين، الأردن 1996، ص 198-201.

(2) أكوتين: يقع إقليم أكوتين بجنوب فرنسا، يمتد بين نهر الرون شرقاً وخليج بسكاى غرباً، وبين اللوار شمالاً ونهر الجارون جنوباً، وكان الرومان قد أخضعوه عام 56ق.م واستولى عليها القوط الغربيون عام 418م وانتزعها منهم كلوفس ملك الفرنجة عام 507م في معركة فوييه، وأصبحت دوقية مستقلة في القرن السابع الميلادي وكانت تضم بواتييه وبوردو وتولوز. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.44;

انظر أيضاً، نجاة محمد أحمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان (768- 814م)، رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بنها 2005، حاشية ص61.

(3) نهر الجارون: هو نهر يقع في فرنسا طوله نحو 579كم، ينبع من أواسط جبال البرانس ويصب في المحيط الأطلسي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.298.

(4) طرخان: القوط، ص89-90؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص57؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص130؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص74.

(5) Jordanes: The Gothic, p. 100.

في توسيع رقعة أراضيه في جنوب غالة بالحرب تارة، والخداع تارةً أخرى، وبمحاربة الرومان والقضاء على نفوذهم حيناً، والتحالف معهم أحياناً أخرى، كما حدث أثناء حرب الهون في مستهل النصف الثاني من القرن الخامس، فقد التحقت قوات القوط الغربيين تحت قيادة ثيودريك بقوات الرومان وحلفائهم والتقوا بالهون، وأنزلوا بهم الهزيمة في موقعة شالون Chalons[1] سنة 451م، وأبلى القوط فيها بلاءً حسناً حتى أن ملكهم ثيودريك لقي حتفه في تلك الموقعة[2]. واستطاع الملك ثيودريك الثاني Theoderic II (453-466م)[3] هزيمة السويفيين حين تجرءوا فعبروا جبال البرانس وهجموا على غالة، فتتبعهم إلى إسبانيا وأحدث كثيراً من الخراب ببلادهم سنة 456م[4]، ودخل ثيودريك براجا Braga عاصمة السويفي دون مقاومة تذكر[5].

(1) موقعة شالون: وقعت يوم 20 يونيو سنة 451 م بين ائتلاف الرومان بقيادة الجنرال الروماني إيتيوس وثيودريك الأول ملك القوط الغربيين والفرنجة البربين والآلان ضد الهون والتابعين لهم بقيادة ملكهم أتيلا. وكانت اهم المعارك العسكرية الكبرى الأخيرة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية الغربية، فقد أوقفت زحف الهون على أوروبا وعجلت بانهيار إمبراطورية الهون، وتوفي أتيلا بعدها عام 453م... للمزيد انظر: جوزيف داهموس: سبع معارك فاصله في العصور الوسطى، ص48، 44؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص8.

(2) Jordanes: The Gothic, pp. 104-105; Isidore of Seville: Goths, pp.12-3;
انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص90-91؛ الشيخ: الممالك، ص57؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص131.

(3) Jordanes: The Gothic, p. 115.

(4) Jordanes: The Gothic, pp. 115-116; Isidore of Seville: Goths,, pp.15-6;
انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص92-93؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص58.

(5) Marius of Avenches: Marii Episcopi Aventicensis Chronica: in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomvs, XI. VOL. II,p.232; Isidore of Seville Goths, p.17;
انظر أيضاً، طرخان: القوط، ص92-93؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص58.

أمـا الملـك إيـورك Euric (466-484م) فقـد نجـح في توسـيع رقعـة مملكته ومد حدودها، ففي عام 469م دفع السويفيين إلى جيليقية Galecia، وفي عام 471م استولى على إقليم بروفانس Provence[1] وبرى Berry، وفي عام 476م اتجه إلى تحقيق أطماعه في إسبانيا فعـبر جبـال الـبرانس، واحتـل معظم شبة الجزيرة الإسبانية، باستثناء جيليقية (شمال غـرب إسـبانيا) وجـزء من لوزيتانيا (جنوب غرب إسبانيا)، التي ظلـت تحـت حكـم الـسويفيين[2]. كمـا نجـح إيـورك في حمـل إمبراطـور الـشرق زينـون[3] (474-491م)

---

(1) بروفانس: تقع بروفانس في جنوب شرق فرنسا، وتعد مـن أهـم وأقـدم المقاطعـات الفرنسية الحالية، كان يطلق عليهـا قـديما Provincia، يحـدها مـن الـشرق الحـدود الإيطالية، ومن الجنوب البحر المتوسط، ومن الغـرب نهـر الـرون، تتميـز بمناخهـا الرائع. انظر:

Moore, W.: Encyclopedia of Places, p.634.

(2) Isidore of Seville: Goths,p.17.

(3) الإمبراطور زينون: يرجـع أصـل زينـون إلى إقلـيم ايـسوريا في جنـوب شـرق أسـيا الصغرى، جاء إلى الإمبراطورية عام 466م وأصبح محل ثقـة لـدى الإمبراطـور ليـو الأول وعينه كنبيل أو أمير روماني في العاصمة ثم رقـاه إلى والي بريتـوري، وزوجـه مـن ابنتـه آليـا أريـادن Aelia Ariadne عـام 467م. وفي عـام 469 تـولى منـصب القنصل. وقد تـولى زينـون عـرش الإمبراطوريـة مـرتين مـن 474إلى 475م، ولكـن قامت ثورة ضده وتم عزلة ولكنه تمكن من العودة مرة أخرى عام 476 حـتى 491م. للمزيد انظـر: المـورخ المجهـول: تـاريخ ملـوك القـسطنطينية، ص118؛ مـصطفى الروبي جمعة: الدولة البيزنطيـة في عهـد الإمبراطـور زينـون (474-491م)، رسـالة دكتوراه غـير منـشورة بكليـة الآداب جامعـة حلـوان 2013، ص 21؛ الـسيد البـاز العـريني: الدولـة البيزنطيـة (323-1081م)، دار النهـضة العربيـة بـيروت 1965، ص55؛ محمـود سـعيد عمـران: معـالم تـاريخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة، القـاهرة 2000، ص 40.

على منحه المنطقة الممتدة من نهر الرون حتى جبال الألب[1] جنوب نهر الديورانس Durance[2].

وبذلك أصبح إيورك أقوى ملك في غرب أوروبا، وبلغت مملكة القوط الغربيين في عهده أوج اتساعها وقوتها على يديه سنة 476م، فامتدت من نهر اللوار شمالاً إلى بوغاز جبل طارق جنوباً، ومن جبال الألب شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وعلى الرغم من أن القوط نجحوا حينذاك في ضم كل إسبانيا تقريباً، فإنهم ظلوا يفضلون الحكم من غالة ومن مدينة تولوز بصفة خاصة، وتوفي إيورك سنة 484م بمدينة آرل Arles[3]، بعد أن أسس مملكة كبيرة للقوط الغربيين في جنوب غالة وإسبانيا ظلت قائمة لفترة طويلة وأرسى دعائم حكم

---

(1) جبال الألب Alps: هي سلسلة جبلية كبيرة تقع جنوبي أوروبا الوسطى، وتكون قوساً عظيماً يمتد من سواحل البحر المتوسط بين فرنسا وإيطاليا إلى سواحل بحر الأدرياتيك بيوغوسلافيا ويقع طرفها الشمالي الأقصى في بافاريا، فهي تفصل سهل البو شمال إيطاليا عن فرنسا من الغرب وألمانيا في الشمال وسهل الدانوب من الشرق، وينبع منه ثلاثة أنهار: الراين ويتجه شمالاً، والرون ويتجه إلى البحر المتوسط، والبو ويتجه إلى الأدرياتيك. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.30.

(2) طرخان: القوط، ص94-96؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص58-59.

نهر الديورانس: يجرى نهر الديورانس في جنوب شرف فرنسا، وينبع من جبال الألب، ويصب في نهر الرون بالقرب من أفينون، وطوله 350كم، ويمر بالعديد من المقاطعات والمدن الفرنسية. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, pp.239-240.

(3) آرل: مدينة فرنسية تقع على الضفة اليسرى لنهر الرون، وتبعد عن مدينة مارسيليا بنحو 47 ميلاً من ناحية الشمال الغربي، تميزت بأهميتها طيلة العصور القديمة، وكانت عاصمة بلاد الغال في القرن الرابع الميلادي، وخلال عصر شارلمان كانت مركزاً رئيساً للتجارة، وفي القرن العاشر الميلادي أصبحت عاصمة لمملكة آرل، التي تشكلت من مملكة بروفانس ومملكة برجنديا. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.50.

القوط في تلك الجهات[1]. وبذلك نجح القوط الغربيون في تحقيق هدفهم والحصول على إقليم خصب من أقاليم الإمبراطورية الرومانية وتأسيس مملكتهم الخاصة. وتُعد مملكة القوط الغربيين من أولى الممالك الجرمانية التي نشأت واستقرت في أوروبا العصور الوسطى وأسست كياناً خاصاً بها.



خريطة رقم (1) مملكة القوط الغربيين عام 476م.

نقلاً عن إبراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، ص 97.

---

(1) طرخان: القوط، ص92-93؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص58؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص131. لمملكة القوط الغربيين انظر خريطة رقم (1)

* نشأة مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة :

البرجنديون Burgundians هم أحد الشعوب الجرمانية الشرقية، وقد هاجروا من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة اسكندناوة من جزيرة بورنهولم Bornholm التي حفظت اسمهم Burgunarholm[1]، واستقروا بين نهري الاودر والفستولا في القرن الأول الميلادي، وفي نحو سنة 150م نزحوا إلى سيليزيا Silesia (ببولندا حالياً)، ثم نحو سنة 286م دخلوا وادي نهر المساين[2] Main ثم شقوا طريقهم إلى حوض نهر الراين، واستقروا هناك فترة من الزمن[3].

في تلك الفترة، تولى عرش البرجنديين الملك جندكار Gundakar (411-436م) الذي ساعد الإمبراطور جوفيان[4] Jovinus (411-413م) في الوصول لعرش الإمبراطورية الغربية عام 411م وحكم بلاد الغال، بعد الإطاحة

---

(1) الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص140.

(2) نهر الماين: يقع نهر الماين في ألمانيا طوله نحو 515 كم (320 ميل)، ويعتبر أطول روافد نهر الراين اليمنى، يمر خلال الولايات بافاريا وبادن - فورتمبيرغ وهسن. انظر:
Moore: Encyclopedia of Places, p.484.

(3) موس: ميلاد العصور الوسطى، ص88؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص140.

(4) الإمبراطور جوفيان: يعد جوفيان سيناتور غالوروماني، أعلن جوفيان نفسه إمبراطورا في مينز Mainz بغالة عام 411م بدعم من جندهار ملك البرجنديين وجور Goar ملك الآلان، بعد الإطاحة بالإمبراطور قسطنطين الثالث، وقد وحكم بلاد الغال لمدة عامين، وقد تحالف القوط الغربيين بقيادة أتولف مع الإمبراطور هونوريوس وقضوا على جوفيان وتم القبض على جوفيان وتم إعدامه بناربون عام 413م. انظر:
Olympiodorus of Thebes: in The Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire, Trans by, R. C. Blockley, Francis Cairns 1983,p.183;Gordon,(C.d.) The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan, 1960), p.39; Drinkwater, J. F., "The Usurpers Constantine III (407-411) and Jovinus (411-413)", Britannia, 29 (1998), pp.288 -289.

بالإمبراطور قسطنطين الثالث[1] (406-411م)[2]، وقد حكم جوفيان الإمبراطورية لمدة عامين، ونتيجة على مساعدة البرجنديين له أن سمح لهم بالإقامة على الضفة اليسرى لنهر الراين حول ورمز Worms[3] وسباير Speyer ومينز Mainz وستراسبورج Strasbourg[4]، واتخذوا من ورمز عاصمة لهم، وأصبحوا معاهدين للإمبراطورية، وذلك في عام 413م[5]. وبذلك استطاع البرجنديين تأسيس نواة لمملكتهم في جنوب شرق غالة.

ولكن لم يكتف البرجنديون بتلك المناطق الصغيرة ولم يجنحوا إلى السلم، وبدلاً من ذلك قاموا بإغارات على المناطق المجاورة لهم، وقاموا

---

(1) قسطنطين الثالث: هو فلافيوس كلوديوس قسطنطين قائد روماني أعلن نفسه إمبراطوراً روماني في بريطانيا في عام 406/407م، وشق طريقة إلى بلاد الغال، مستهدفاً انتزاعها من الجرمان وضمها إلى ممتلكاته، ولكنه عندما وصل إلى هناك اكتفى بعقد معاهدات هزيلة الشأن مع زعماء الجرمان ثم زحف جنوباً ووصل إلى إسبانيا واستفحل أمره مما اضطر الإمبراطور هونوريوس إلى الاعتراف به زميلاً في الحكم بلقب أغسطس، ولكن في النهاية استطاع قسطنطيوس القائد العام للقوات الرومانية القضاء عليه في مدينة آرل عام 411م. انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص161-162:

Drinkwater: The Usurpers Constantine III and Jovinus, p. 271.

(2)Olympiodorus of Thebes: The Fragmentary, p.183; Gordon: The Age of Attila, p.39; Drinkwater: The Usurpers Constantine III and Jovinus, p.288.

(3). ورمز: تقع ورمز بالقرب من الضفة اليسرى لنهر الراين على بعد 34كم جنوب غرب دوقية هس- دارماستاد Hesse-Darmastead وهي حاليا مدينة بتلك الدوقية، ويوجد بورمز كاتدرائية قوطية. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.865.

(4) Edouard Sécretan: Le premier royaume de Bourgogne, (Lausanne 1868), p. 9;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص140-141.

(5) Sécretan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 9;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص29.

بأعمال سلب ونهب على جيرانهم، ما دفع القائد إيتيوس[1] قائد جيوش الإمبراطورية الغربية أن يحرض عليهم جنوده المرتزقة من الهون الذين اشتبكوا معهم، وانزلوا بهم هزيمة فادحة أدت إلى مقتل ملكهم جندكار سنة 436م، ففروا إلى منطقة الرون الأعلى وفقدوا مملكتهم الصغيرة[2].

على أي حال، كان البيت البرجندى الحاكم قد أُزيل، إثر هزيمة البرجنديين القاسية على أيدي الهون سنة 436م، وتولى الحكم بيت آخر جديد، مارس أفراده دوراً بارزاً في تاريخ المملكة البرجندية قرب منتصف القرن الخامس الميلادي حيث استطاعوا إعادة تأسيس المملكة البرجندية من جديد، فتولى الملك جنديوك Gondioc (نحو 436-473م) عرش المملكة، وهو من سلالة الملك أثناريك Athanaric القوطي[3]، وقد تزوج شقيقة القائد

---

(1) إيتيوس: ولد فلافيوس إيتيوس في دوروستولوم في موسيا (وهي الآن سيليسترا في بلغاريا) في أواخر القرن الرابع الميلادي، أمضى إيتيوس سنوات من حياته كرهينة، في البداية مع ألاريك الأول ملك القوط الغربيين ولاحقا مع رواس ملك الهون، فامتلك بذلك المعرفة اللازمة لكي يهزمهم لاحقا. وفي الفترة من عام 433 إلى 450 كان إيتيوس الشخصية المسيطرة في الإمبراطورية الرومانية الغربية، فقد تم تعيينه قائداً عاماً للقوات الرومانية عام 433م، وأصبح صاحب النفوذ المطلق في الإمبراطورية الغربية يدير شئونها ويستقبل السفراء ويعقد المعاهدات معه بدلاً من الإمبراطور، وكان أعظم انتصاراته في شالون، وفي عام 454م ظهر إيتيوس في البلاط ليطلب يد يودكيا Eudocic ابنة الإمبراطور لابنه جاودينتيوس Gaudentius، ولكن فالنشيان شك في أنه يخطط للاستيلاء على العرش فقتله بيده. للمزيد انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص163-166.

(2) Hydatius: The Chronicle of Hydatius, Edited with an English Translation by R. W. Burgess, (Oxford.1993), p.93; Gordon: Age of Attila, p.39;
انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص141.

(3) Gregory of Tours: Franks,, P.38.

ريكيمير[1] Ricimer[2]، واستطاع مصالحة الإمبراطورية الرومانية التي سمحت لهم بالنزول في منطقة سابوديا[3] Sapaodia (سافوى Savoy) قرب نهر الساءون سنة 443م أو 447م كمعاهدين للإمبراطورية الرومانية[4].

وقد استطاع البرجنديون التوسع فيما حولهم ذلك الوقت، وسلكوا في سبيل الحفاظ على مملكتهم طريق القوة حيناً والدهاء أحيانا أخرى، كما شارك البرجنديون بقيادة ملكهم جنديوك القائد إيتيوس جهوده في صد الهون حينما تطرقوا إلى غالة في موقعة شالون 451م، وأفادوا من هذه المشاركة فحصلوا على سلام امتد عدة سنوات حتى وفاة القائد إيتيوس والإمبراطور فالنشيان

---

(1) ريكيمير: ينحدر ريكيمير من بيت سويفى، وأمه ابنة واليا ملك القوط الغربيين (415-419م) وشقيقته قد تزوجت جنديوك(436-473م) ملك البرجنديين، وقد تدرج ريكيمير في سلك المناصب المدنية والعسكرية، فحصل أولا على لقب كونت، ثم القائد العام للقوات الرومانية، وأخيرا حصل على لقب البطريق عام 457م، وكان صاحب النفوذ الفعلي في الإمبراطورية الغربية يقيم العروش ويثلها، يصنع الأباطرة ويخلعهم في الفترة منذ عام 456 حتى وفاته 472م وقد تزوج ريكيمير أليبيا Alypia ابنة الإمبراطور انثيموس. انظر:

Hodgkin: Italy, vol. 2. pp. 399-400;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص170-171.

(2) Sécretan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 51;Gordon: Age of Attila, p.205.

(3) سابوديا: سابوديا أو سافوى Savoy الحالية هي منطقة تقع في جنوب شرق فرنسا غربي جبال الألب، وقد ذكرت سافوى لأول مرة في كتاب أمانيوس مارسللينوس Ammianus Marcellinus، سيطر عليها الرومان ثم تم احتلالها من قبل البرجنديين سنة 443م أو 447م، ثم أصبحت سافوى جزءاً من مملكة الفرنجة بعد القضاء على مملكة البرجنديين عام534م. للمزيد انظر:

Ammianus Marcellinus: eng. Trans, Rolfe, (J.c.), vol. 1, (London. 1935), p.193; Gregory of Tours: Franks, P. 56; Ian Wood: The Merovingians kingdoms, 450 - 751, (London and New York. 1991), p.8; Moore: Encyclopedia of Places, pp.699-700.

(4) Wood: The Merovingians kingdoms, p.8;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص137.

الثالث[1] Valentinian III (425-455م) سنة 455م[2]، وفي سنة 456 دخلوا في خدمة الإمبراطورية في غالة، وقاموا بحملة عسكرية ضد السويفيين في إسبانيا[3].

ويبدو أن البرجنديين انتهزوا فرصة ذلك التحالف لمد نفوذهم في الجهات المجـاورة، فأخذوا في التوسع فيما وراء مضاربهم بجنوب شرق غالة عـام 456م[4]، إلى أن وصل الإمبراطور ماجوريان[5] Majorian (456-461م) إلى غالة لمحاولة إعـادة

---

(1) الإمبراطور فالنشيان الثالث: هو ابن قسطنطيوس الثالث وبلاسـيديا Placidia ابنـة الإمبراطـور ثيودوسيوس الأول العظيم. وكان بعمر ســت ســنوات عنـدما حـصل علـى لقـب أغـسطس، وخلال سنوات طفولته كانت مقاليد الأمور في يد أمه التي أهملت تعليمه عن عمد، وحـدث في عهده احتلال الوندال لإفريقيا، وهجر بريطانيا نهائيا في عام 446، وفقد جزء عظـيم مـن إسبانيا والغال وأسس فيها البرابـرة ممـالكهم، وتخريـب صـقلية وسـواحل البحـر المتوسـط الغربية من قبل أسطول جيزريك الوندالي، وأيـضاً حـدثت معركـة شـالون 451م في عهـده. للمزيد انظر: الحويري: سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص163-165.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص137-138.

(3) Avitus of Vienne: IntroductionI of Letters and Selected Prose,Translated with an introduction and notes by Danuta Shanzer and Ian Wood, (Liverpool University Press. 2002), p.15;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص137-138.

(4) Marius of Avenches: Chronica,p.232.

(5) الإمبراطور ماجوريان: هو يوليوس فاليروس ماجوريان من عائلـة رومانيـة أرسـتقراطية وقائـد عسكري قدير، أسهم في انتصارات القائد اتيوس العسكرية حتى أثار حقد اتيـوس وغيرتـه، ثم اجبره الأخير على الاستقالة من الجيش، وحينذاك انصرف ماجوريان إلى الهـدوء والعنايـة بمزارعه، وقد استدعاه الإمبراطـور فالنـشيان الثالـث بعـد مـصرع اتيـوس، وعينـه في أحـد المناصب الحربية المهمة، وقد وصل ماجوريان إلى العرش بعد أن تعاون مع القائـد ريكـيمير في الإطاحة بالإمبراطور أفيتـوس Avitus (455-456م)، وكـان ماجوريـان آخـر إمبراطـور يقوم بجهد منسق لاستعادة أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية، فقد كانـت ممتلكاتـه تكـاد لا تتعدى إيطاليا ودلماشيا، وبعض المناطق في الغال الجنوبيـة، لـذا فقـد جاهـد ماجوريـان باستمرار طيلة ثلاث سنوات ضد أعداء الإمبراطورية. للمزيد انظر:

Priscus of Panium: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire,vol,2, Trans, Blockley, Roger C(Francis Cairns.1983), pp.335-9; Hodgkin: Italy, vol. 2. p. 404; Bunson, Mattew: ADictionary of the Roman Empire, (New York 1991). P,256.

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص171، 169.

السلطة الرومانية فيها، فعاد البرجنديون من جديد إلى حدود الطاعة عام 458م[1].

وقد استغل البرجنديون فرصة وفاة الإمبراطور ماجوريان عام 461م لتوسيع مملكتهم الصغيرة على حساب أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية، فاستولوا على ليون[2] lyons، وفيينا[3] Vienne، وداي Die، وفيفاري Vivarais فيما بين سنة 470، 461م، لكنهم لم يستطيعوا الانتصار في بروفانس Provence وفيما وراء جبال الألب، بسبب وجود إيورك ملك القوط الغربيين، فقد كان يتحكم حينذاك في مداخل نهر الرون والساحل البروفنسالي[4].

بعد وفاة الملك جنديوك سنة 473م احتل أبناؤه الأربعة مكان الصدارة وقيادة الأسرة الملكية الجديدة، وتم تقسيم المملكة فيما بينهم، فحكم جودمار الأول Godomar I (473-474م) في فيينا، وشلبريك الثاني Chilperic II (473-486م) في فالنسيا، وجوديجزل Godegisel (473-500م) في جينف، وجندوباد Gundabad (473-516م) في ليون[5].

---

(1) Priscus of Panium: Fragmentary,p. 335; Gordon: Age of Attila, p.116;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص138.

(2) ليون: مدينة فرنسية تقع على نهر الرون، وهي عاصمة مقاطعة الرون وثالث اكبر المدن في فرنسا، أسست عام 43ق.م كمستعمرة يونانية وكانت أول مدينة في غالة تحولت إلى المسيحية في القرن الثاني الميلادي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.477.

(3) فيينا: مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر الرون، وعلى بعد 27كم إلى الجنوب من ليون. تحتوي آثارا رومانية رائعة، وبخاصة معبد أغسطس كما تحتوي على كنيسة القديس موريس. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.833.

(4) Sécretan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 51;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص138-139.

(5) Sécretan: Le premier royaume de Bourgogne, p. 51;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص138-139.

ومن بين الأربعة لعب جندوباد دوراً كبيراً في الأحداث السياسية في الغرب الروماني، فقد شارك في كثير من الأحداث السياسية في الإمبراطورية الغربية، حيث أشار حنا الانطاكي John of Antioche إلى أن جندوباد ساعد خاله ريكيمير في خلع الإمبراطور الروماني الغربي أنثيميوس[1] (467-472م) Anthemius وقتله عام 472[2]. كما أصبح جندوباد قائداً عاماً للقوات الرومانية بعد وفاة ريكيمير[3]، وعُين حاكماً رومانياً على يد الإمبراطور الغربي اوليبريوس[4] Olybrius (472م) عام 472 حتى 473م ونال لقب بطريق، وذلك قبل أن يصبح جندوباد ملكاً على البرجنديين، ويحكم المنطقة الممتدة من سهول شمبانيا Champagne إلى الديورانس Durance[5].

كما ساعد جندوباد الإمبراطور جليريوس Glycarios (473م) في اعتلاء عرش الإمبراطورية الغربية عام 473م[6]، ولكن لم تعترف به القسطنطينية

---

(1) الإمبراطور أنثيميوس: هو أحد كبار رجال البلاط، وقد استطاع الإمبراطور ليو الأول وضع أنثيميوس إمبراطوراً في الغرب، ولكن القائد ريكيمير قام بشنقه علناً في روما عام 472م بسبب اتصاله بالسناتو الروماني من ورائه. انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص482؛ مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص83.

(2)Priscus of Panium: Fragmentary, p.373; John of Antioche: Fragments, in the Age of Attila, pp.122-3; Wood: The Merovingians kingdoms, p.15.

(3) Gordon: Age of Attila, p.126.

(4) الإمبراطور أوليبريوس: هو زوج ابنة فالنتيان الثالث، عينه ريكيمير إمبراطور عام 472م، ولكنه لم يبقي في الحكم غير شهرين فقط حيث تُوفِّي في العام نفسه. انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 482؛ مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص83.

(5) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص139.

(6)John of Antioche: Fragments, in The Age of Attila, p.123; Evagrius: The Ecclesiastical History of Evagrius, eng. Trans, Whtby, (M.), (Liverpool. 2000), P.160; Wood: The Merovingians kingdoms, p.15.

واختـارت بـدلاً منـه يوليـوس نبـوس[1] Nepos (473-475م) ليعتلـى عـرش الإمبراطورية الغربية، لذلك فضل جندوباد العودة إلى غالة خاصة بعد وفاة والده 473م[2]، ويعلق إيان وود على رحيل جندوباد على أنه متعلق بقدوم الإمبراطور الجديد الذي يدعم من القسطنطينية[3]، ولكن يبـدو مـن الأحـداث اللاحقـة أن جندوباد عاد ليسيطر على المملكة بعد وفاة والده.

وبالفعل عاد الملك جندوباد إلى وادي نهر الرون، حيـث أرسـى دعـائم مملكة البرجنديين الناشئة في تلك الجهات، واحتل جندوباد وادى نهر الساءون الأوسط والأعلى حتى منابعهما[4]. وتشير بعض الروايات إلى أن جنـدوباد لجـأ إلى قتل إخوته لينفرد بـالحكم فقتـل أخيـه شـلبريك الثـاني لينفـرد بالـسلطة في المملكة، ويمد نفذوه إلى ساحل البحر المتوسط[5].

واستطاع الملك جندوباد السيطرة على المناطق من أفينون Avignon[6] حـتى بيساكون Besancon ولانجر Langre[7]، وحـاول أن يثبـت أقـدام البرجنـديين في

---

(1) الإمبراطور يوليوس نبوس: تم تعيينه إمبراطوراً من قبل ليو الأول إمبراطـور بيزنطـة عـام 473م وبقي نيبوس على العـرش عـامين فقـط، إذ تمكـن الجنـرال اوريـستيس Orestes القائد العام للجيش بالغرب من خلعه وتعيين ولده رومانوس مكانـه عـام 475م، واتجـه نيبوس بعد عزله إلى مدينة سالونا على ساحل دالماشيا وقضي بقية حياته هناك حـتى قتـل عـام 480م. انظـر: الناصـري: الإمبراطوريـة الرومانيـة، ص 482؛ مـصطفى الـروبي: الإمبراطور زينون، ص83-84، 89.

(2) John of Antioche: Fragments, in The Age of Attila, p.123; Wood: The Merovingians kingdoms,,p.15.

(3) Wood: The Merovingians kingdoms,p.15.

(4) Oman: The dark ages, London1898, p.25.

(5) Gregory of Tours: Franks, P.38;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص139.

(6) أفينون: تقع مدينة أفينون في وادي نهر الرون على الضفة اليسرى في جنوب شرق غالـة، تبعد 91كم عـن مارسـيليا، وهـي مـن أكـبر المـدن تتميـز بأنهـا سـوق ومركـز لتعليـب الخضروات. انظر: Moore: Encyclopedia of Places, p.66.

(7) Oman: The dark ages,p.25.

مواقعهم الجديدة، ويؤكد استقلال مملكتهم الناشئة، ولا سيما بعد أن غزا الفرنجة غالة، لكن يبدو أن البرجنديين كانوا أكثر توفيقاً في امتدادهم جهة الشرق والشمال، فقد نجحوا في إزاحة الألمان عن تلك الجهات والحلول محلهم[1]، وبذلك نجح البرجنديون في تأكيد مملكتهم الجديدة في تلك الجهات.

وفي نهاية القرن الخامس الميلادي استقرت مملكة البرجنديين في جنوب شرق غالة، وأصبحت تمتد من نهر الديورانس في الجنوب إلى مشارف شمبانيا في الشمال، ومن سفيني Cevennes إلى ريوس Reusse وأقام ملوكهم في ليون وفيينا Vienne وجنيف Jeneva وبيساكون وبصفة خاصة في جنيف وليون[2].

* نشأة مملكة القوط الشرقيين في إيطاليا:

ينتمي القوط الشرقيون لفرع الجرمان الشرقيين، والقوط الشرقيين كما ذكرنا سابقاً كانوا قد نزلوا بالجهات الواقعة شمال البحر الأسود حول حوض نهر الدون وسهول روسيا الجنوبية في المنطقة الممتدة من نهر الدنيستر غرباً إلى نهر الدون شرقاً، وكان ذلك قرب منتصف القرن الرابع الميلادي[3]. ولكن سرعان ما خضع القوط الشرقيين لقبائل الهون عام 375م، حيث لم تنجح قبائل القوط الشرقيون في الفرار عبر الدانوب، كما فعل القوط الغربيون، ولذلك ظلوا خاضعين لحكم أتيلا[4] Attila (445-453م) ملك الهون يأتمرون بأمره،

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص140.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص140.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص37.

(4) أتيلا: هو ابن مونديك Moundiuch شقيق روجا Ruga ملك الهون السابق، تولى السلطة هو وأخاه بليدا Bledo كملكين مشتركين، وصفه المؤرخ جوردان بأنه "رجل ولد ليهز أركان الأمم" لم يسمح أتيلا باقتراب أحد سوى أفراد أسرته وأكثر المستشارين تقربا إليه، كما يصفه جوردان بأنه كان سوطاً على كل البلاد استطاع أن يرهب كل الجيوش بفضل الإشاعات المثيرة للذعر التي ذاعت عنه، توفي أتيلا عام 453م. انظر:

Jordanes: The Gothic, p. 101 ;

جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، 36-35.

ولا يرفضون له أمراً، أكثر من ثلاثة أرباع قرن حتى وفاة أتيلا سنة 453م، وعندئذ طرحوا طاعه الهون، وشاركوا في تدمير إمبراطورتيهم واخذوا يؤدون دورهم الخاص كبقية الطوائف الجرمانية[1].

ولكن استطاع القوط الشرقيون الفرار من سيطرة الهون، خاصةً بعد وفاة ملكهم أتيلا عام 453م، وظهور الخلاف بين أبنائه عندما حاولوا اقتسام الإمبراطورية الهونية، كما تقسم أملاك الأسرة الواحدة على أفرادها بعد وفاة الأب، الأمر الذي أغضب رعاياهم من الجرمان والسلاف من المعاملة التي تشبه معاملة الرقيق، فقاموا بالثورات وحاول الابن الأكبر لأتيلا إللاك Ellac قمع تلك الثورات التي اندلعت بين القبائل، إلا أنه لقي مصرعه في معركة نهر نيداو Nedao في بانونيا Pannonia عام 454م[2].

ولقد كانت الظروف رحيمة بالقوط الشرقيين، فغداة تحررهم من ساداتهم الهون، فضل القوط أن يطلبوا أرضاً من البيزنطيين ليعيشوا عليها، بالإضافة إلى مورد مالي منتظم أسوة بأقرانهم من قبائل الجيبداى، فبعثوا بسفارة إلى الإمبراطور البيزنطي مارقيان[3] Marcian (450-457م) يطلبون السماح لهم

---

(1) Jordanes: The Gothic, P. 123;

انظر أيضاً، عاشور: أوروبا، جـ 1، ص85؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص37.

(2) Priscus of Panium: Fragmentary, p.321;Jordanes, The Gothic, P. 125.

(3) الإمبراطور مارقيان: ولد مارقيان عام 392م بإقليم تراقيا، وتولي عرش الإمبراطورية بعد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، وكان جندياً ماهراً وقائداً عسكريا مميزاً وصل إلى العرش بزواجه من بولكيريا شقيقة الإمبراطور الراحل، وفي عهده استطاعت الإمبراطورية الغربية هزيمة الهون في موقعة شالون 451م وفي عهده تفاقمت المشاكل الدينية وزاد الخلاف بين روما والقسطنطينية. انظر: المؤرخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، ص112-113؛ محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 1994، ص32؛ محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 40؛ محمد بخيت بخيت محمد: الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مارقيان دراسة في السياسة الداخلية والخارجية (450-457م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة سوهاج 2013م، ص 44.

بالاستقرار داخل أراضيه، فوافق الإمبراطور وسمح لهم بالاستقرار في بانونيا، ومِن ثَمَّ أصبح القوط الشرقيون محالفين Federati[1]. ولكن لم تكن فترة السلام بين القوط والرومان طويلة العمر، إذ سرعان ما شهد عام ٤٥٩م توتراً في العلاقات بينهم، وذلك بسبب تأخر وصول الأموال السنوية للقوط الشرقيين من جهة، التي كانت قد وعدت بها الإمبراطورية البيزنطية كل عام[2]، ومحاباة الإمبراطور ليو الأول[3] (457-474م) لقوط تراقيا[4]، وما كانوا يتلقونه من أموال

---

(1) Priscus of Panium: Fragmentary, p.323; Jordanes: The Gothic, P. 127.
انظر أيضاً، محمد بخيت: الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مارقيان، ص 100.
(2) Gordon: Age of Attila, P. 158 ; see Also Bradley: The Goths, p. 134.
(3) الإمبراطور ليو الأول: ولد ليو في إقليم داكيا، وبدأ حياته المهنية كضابط في الجيش، تولى حكم الإمبراطورية البيزنطية بعد الإمبراطور مارقيان. كان ليو الأول إمبراطوراً قوياً تمكّن من الاستقلال عن سلطة القائد أسبار ما أدى إلى تأزم العلاقة بينهما الأمر الذي أودى بحياة أسبار قتلاً في النهاية.... للمزيد انظر: المؤرخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، ص116؛ السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت 1965 ص 54-55؛ عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص40.
(4) قوط تراقيا: مجموعة من القوط الشرقيين، نجحوا في الفرار من سيطرة الهون بعد معركة نيدوا عام ٤٥٤م، بزعامة ثيودريك سترابو، وقد دخلوا في خدمة الإمبراطورية البيزنطية، وأصبحوا يشكلون الركيزة الأساسية للجيش البيزنطي، ويرجع ذلك النفوذ الكبير الذي تمتعوا به في عهد الإمبراطور ليو الأول إلى محاباة القائد أسبار Aspar لهم، وذلك بسبب وجود صلة قرابة أو نسب بينهما، إذ يعد ثيودريك سترابو ابن شقيقة زوجة أسبار، ومِن ثَمَّ يكون أسبار بمثابة العم له، وبعد وفاة ثيودريك سترابو خلفه ابنه ريسيتاش Recitach الذي لم يكن على نفس كفاءة أبيه، وقد تم اغتياله على يد اتباع ثيودريك بن ثيوديمير في بداية عام 484م، وانضم بعد ذلك كل القوط تحت رئاسة ثيودريك بن ثيوديمير وبذلك توحد القوط في البلقان... للمزيد انظر:
Gordon: Age of Attila, P. 159;
انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص78، 76.

وهدايا سنوية بانتظام[1]، الأمر الذي أغضبهم وجعلهم يشعرون بالاحتقار والامتهان[2].

ولم يكن من الطبيعي أن يسود الوفاق بين الطرفين إذ نزع القوط إلى حمل السلاح عام 459 م، وقاموا بتخريب إقليم إلليريكيوم[3] Illyricum سعيا وراء المغانم، عندئذ تنبه الإمبراطور ليو الأول إلى خطرهم وشعر بخطئه في تجاهل مطالبهم، وأخذ يجهز للاتفاق معهم على معاهدة سلام[4]. وعلى وجه السرعة أرسل الإمبراطور ليو الأول سفارة إلى فالامير Valamir(حوالي 444-470م) ملك القوط الشرقيين جددت معه الاتفاقية التي عقدت في عهد الإمبراطور مارقيان. وكان من ضمن شروطها أن يرسل القوط ثيودريك[5] بن ثيوديمير Thiudimir أكبر وريث للعرش من بيت آمال كرهينة للقسطنطينية عام 461م[6].

---

(1)Jordanes: The Gothic, P. 129.

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص76، 78.

(2) Jordanes: The Gothic, P. 129 ; Gordon: Age of Attila, p.158.

(3) إلليريكيوم: مقاطعة رومانية في الجزء الشمالي الغربي من منطقة البلقان، وقد تعرضت الليريكيوم في الفترة من القرن الخامس إلى السابع لمختلف الغزوات من القوط الشرقيين والهون واللمبارديين والآفار. للمزيد انظر:

Alexander P. Kazhdan:The Oxford Dictionary Of Byzantiu, p.987.

(4) Priscus of Panium: Fragmentary, p.341; Jordanes: The Gothic, P. 129 ; See Also Bradley: The Goths, p.134; Hodgkin, (T).: Theoderic the Goths, (New York and London, 1891) P. 37.

(5) ولد ثيودريك بالقرب من مدينة فينا Vienna عاصمة جمهورية النمسا Austria الحالية، ومعنى الاسم في اللغة القوطية حاكم أو قائد، للمزيد انظر:

Bradley: The Goths, p.133

(6) Gordon: Age of Attila, p.158;

انظر أيضاً، صلاح ضبيع: القوط الشرقيون في البلقان، ص 172.

ويُعد بقاء ثيودريك في القسطنطينية - رهينة - لمدة عشر سنوات، نقطة تحول في حياته، حيث إنها أسهمت بدور كبير في تشكيل شخصيته إذ نشأ وترعرع في القسطنطينية، ونال قسطاً وافراً من التعليم على أيدي أفضل المعلمين في العاصمة[1]، وزادت من إحساسه بالحضارة البيزنطية، فقد خبر عن قرب أساليب الحكم والإدارة والقانون والفنون[2]، الأمر الذي سيكون له أكبر الأثر على تشكيل شخصيته فيما بعد في إيطاليا.

بعد وفاة الملك فالامير تولى شقيقه ثيوديمير (470-474م) حكم القوط الشرقيين[3]، وفي عام 471م عاد ابنه ثيودريك من القسطنطينية محملا بالهدايا، بعد انقضاء فترة وجوده كرهينة، وكان قد تجاوز السابعة عشرة من عمره، وشب عن فترة الصبا[4]، وفي عهد ثيوديمير بدأ القوط يعانون من خطر المجاعة، حيث شعروا بنقص حاد في الغذاء، ولما كانت الحرب هي وسيلتهم في الحصول على ضروريات الحياة، كان من الطبيعي أن يتوسل القوط إلى ملكهم ثيوديمير يطلبون منه القيام بالغزو للحصول على ما يريدون[5]، لذ دارت محادثات بين ثيوديمير وأخيه الأصغر فيديمير، تقرر على أثرها أن يتجه فيديمير إلى الشطر الغربي من الإمبراطورية، بينما يتجه ثيوديمير إلى الشطر الشرقي من الإمبراطورية[6]. وذلك للإغارة على أراضي الإمبراطورية أملاً في الحصول على منطقة جديدة لهم تكون أكثر خصباً يؤسسون عليها مملكتهم.

---

(1) Malalas, (J): Chronicle of Malalas, eng Trans, Jeffery, (A.) and Jeffery, (M.), (Melbourne. 1986) P. 212.

(2)Bradly: The Goths, p.135; Hodgkin: Theoderic the Goths, P.45; Hodgkin: Italy, vol.3, P.24; Oman: The Dark Ages, P.40.

(3) Jordanes: The Gothic, P. 132.

(4) Jordanes: The Gothic, P. 132.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 133, See Also Bradley: The Goths, P.136.

(6) Jordanes: The Gothic, P. 133

وعلى كلٍ، قاد فيديمير قسماً من الشعب القوطي تجاه إيطاليا، ولكن الإمبراطور الغربي جليريوس Glycarios (473م) استماله -عن طريق الهدايا- للذهاب إلى غالة، وهناك انضم بجماعته إلى القوط الغربيين[1]. وبذلك فشل ذلك القسم في تحقيق مهمته. أما ثيوديمير فقد قام بغزو مدينة نيسوس أول مدن إقليم إلليريكيوم، واتخذها قاعدة لعملياته العسكرية، ومن نيسوس أرسل ثيوديمير ابنه ثيودريك مع أكفأ قواد القوط لغزو مدينة أولبينا Ulpina وغيرها من المدن المهمة[2]، ولم تقتصر غزوات ثيودريك على إقليم إلليركيوم، بل تعدتها إلى إقليم مقدونيا حيث سقطت مدن هيراقليا[3] Heraclea ولاريسا Larisa [4] في أيدي القوط[5].

ولم يكتفِ الملك ثيوديمير بذلك بل غادر مدينة نيسوس عام ٤٧٤م، وتقدم بجيشه لغزو مدينة تسالونيكا Thessalonica عاصمة إقليم مقدونيا Macedonia[6]، وعندما رأى هيلاريا نوس Hilarianus حاكم المدينة، حصار القوط للمدينة، أدرك عجزه عن مواجهتهم لذا بادر بإرسال الهدايا إليهم ليصرفهم عن تدمير المدينة[7]، وبالفعل تم توقيع معاهدة سلام بين الطرفين، تقرر على إثرها ألا يقوم القوط بالإغارة على أراضي الإمبراطورية مرة أخرى، مقابل

---

(1) Jordanes: The Gothic, P. 133

(2) Jordanes: The Gothic, P. 134.

(3) هيراقليا: مدينة تقع على الشاطئ الشمالي لبحر مرمرة marmara عند نقطة اتصال طريق إجناتيا Via Egnatia وطريق البلقان الرئيسي المؤدي إلى نيسوس. انظر:

Alexander P. Kazhdan: The Oxford Dictionary Of Byzantium, Vol 1, Oxford University Press (New York 1991), pp.915-16.

(4) لاريسا: مركزاً إدارياً تقع على الضفة اليمنى على نهر بنيوس Peneios باليونان، عند نقطة اتصال الطرق التسالية الرئيسية. انظر:

Alexander: The Oxford Dictionary Of Byzantium, Vol 1, p.1180.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 134.

(6) Jordanes: The Gothic, P. 134; See Also Hodgkin: Theoderic the Goths, P. 59; Hodgkin: Italy, vol.3. P.26.

(7) Jordanes: The Gothic, P. 134.

احتفاظهم بالمدن التي فتحوها[1]، وبذلك نجح القوط الشرقيين في السيطرة على بعض المدن الجديدة، وبعد تلك الأحداث استدعى ثيوديمير مجلس القوط عام ٤٧٤م، وأخذ موافقتهم على انتخاب ثيودريك ملكا عليهم بعد وفاته[2].

وهكذا يمكن القول إن القوط الشرقيين انتقلوا من إقليم بانونيا إلى مقدونيا في سنة 473م، ويمكن القول أيضاً أن القوط حققوا الهدف الذين غادروا من أجله بانونيا، كما أثبت الأحداث أن الإمبراطورية البيزنطية كانت ضعيفة جدا -آنذاك- من الناحية العسكرية، ويعلق بعض المؤرخين قائلاً: إن الإمبراطور ليو الأول عندما وجد أنه غير قادر على الدفاع عن أراضيه تنازل عن أجزاء منها للقوط الشرقيين للإقامة فيها[3].

بعد ذلك بوقت قصير توفي الملك ثيوديمير 474م، وتولى ابنه ثيودريك(526-474م) عرش مملكة القوط الشرقيين[4]، وفي العام نفسه تولى الإمبراطور زينون (491-474م) حكم الإمبراطورية البيزنطية، وفي عهده تعاظم خطر القوط عن ذي قبل، ويرجع ذلك إلى أمرين، الأول شخصية زينون التي اتسمت بالجبن والضعف والتردد[5]، **والثاني** كثرة المؤامرات الداخلية التي باتت

---

(1) Jordanes: The Gothic, P. 134.

(2) Gordon: Age of Attila, p. 159; Bradley: The Goths,P137; See Also Hodgkin: Theoderic the Goths, P. 63.

(3) Warren Treadgold: A Concise History of Byzantium, (Palgrave, 2001), p.155.

(4) Hodgkin: Italy, vol.3. P.27.

(5) Malchus of Philadelphia: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire,vol,2, Trans, Blockley, Roger C (Francis Cairns.1983),p.413; See Also, Bradley: The Goths, p.138; Oman: The Dark Ages, p. 37.

كما ذكر المؤرخ مالاخوس Malchus أن الإمبراطور زينون قد أعد حملة عسكرية ضد القوط الشرقيين، ولكنه تخلى عن قيادة تلك الحملة وأعاد الجيش إلى معسكره عام 479م، وقد أرجع المؤرخ مالاخوس سبب تخليه عن قيادة الحملة بسبب جبنه وخوفه من القوط. انظر:
Malchus of Philadelphia: Fragmentary, vol,2, p.433.

تهدد حكمه[1]. ولذلك حاول زينون طوال فترة حكمه أن يستفيد من القوط إلى أقصى درجة. فعندما قامت ثورة في القسطنطينية على يد باسيليسكوس Basiliscus أخي الأوغسطا فيرينا Verina وانضم إليهم ثيودريك سترابو[2] Theoderic Strabo[3] وذلك بعد أسابيع من تولية العرش، أن قام هو بالاتصال بثيودريك بن ثيوديمير قائد القوط الشرقيين في مدينة نوفا لمساعدته في القضاء الثورة في مقابل وعده براتب سنوي كبير، وأن ينعم عليه بمنصب قيادة الجيش الإمبراطوري، وأن يوافق زينون على إقامته هو وشعبه في الأراضي التي استولوا عليها مؤيزيا السلفي Lower Moesea فوافق ثيودريك بن ثيوديمير واستطاع زينون العودة إلى عرشه، وقضى على الثوار بقيادة باسيليسكوس في نهاية

---

(1)Candidus of Isaurian: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire,vol,2, Trans, Blockley, Roger C (Francis Cairns.1983), p. 471 ; See Also, Oman: The Dark Ages, p. 38.

(2) ثيودريك سترابو: هو ثيودريك بن القائد ترياريوس Triarius قائد القوط في تراقيا وكان يلقب أيضاً بثيودريك سترابو Strabo أو ثيودريك الأحول Squinter، ويعد ثيودريك سترابو ابن شقيقة زوجة أسبار، ومن ثَمَّ يكون أسبار بمثابة العم له، وقد قام قواط تراقيا تحت قيادة ثيودريك سترابو بالكثير من النهب والسلب لأراضي الإمبراطورية التي كانت تحالفهم أحيانا مقابل خدمتهم لها، وفي عام 481م قام ثيودريك بالإغارة على بلاد اليونان ولكن توفي ثيودريك سترابو بسبب سقوطه من فوق جواده على رمح كان مغروساً وسنه لأعلى أمام خيمته وأصابه في جنبه الأمر الذي أدي إلى وفاته عام 481م. انظر:

Evagrius: The Ecclesiastical History, P.160; Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, Trans by Mango, C. & Scott, R., (Oxford. 1997), p.194;

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص75-76.

(3) Candidus of Isaurian: Fragmentary,vol,2, p. 467 ; Herwig Wolfram, The Roman Empire and its Germanic peoples. Translated by Thomas Dunlap. Berkeley: University of California Press, 1997, pp.199-200;

انظر أيضاً، أحمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار، دار المعرفة الجامعية، 2007، ص 181-182؛ مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 61.

أغسطس عام 476م[1]. وبذلك أصبح هناك تحالف بين القوط الشرقيين بقيادة ثيودريك والإمبراطور زينون.

كما ساعد ثيودريك بن ثيوديمير الإمبراطور زينون في القضاء على ثورة إيللوس Illus في أنطاكية، وذلك بعد أن اتفق مع زينون على أن يصبح قنصلاً وسيداً للجند، وأن يحصل هو وقومه على منطقة يعيشون فيها في إقليم داكيا ومؤيزيا Moesea[2]، وبذلك تتضح نية ثيودريك الذي أراد أن يؤسس لنفسه ولقومه موطناً أمناً يقيمون فيه؛ إلا أن ثيودريك لم يقتنع بهذا المقابل خاصة بعد زيادة عدد القوط وزيادة متطلباتهم مع حدوث فترة من الجفاف مما يهدد بحدوث مجاعة لهم لذا أخذ يطلب المزيد، فقام في عام 486م بعمليات سلب ونهب واسعة واستولى على مدينة ريجيوم Regium في تراقيا وخرب الأراضي المجاورة لها، كما فرض حصاراً شديداً على القسطنطينية نفسها وقطع المياه التي تغذيها عام 487م[3].

وبذلك أصبح ثيودريك مصدر ازعاج وقلق للإمبراطور زينون، الذي لم يكن أمامه حلاً سوى التخلص منه، وأن يبعده نهائيا عن القسطنطينية، وقد فكر زينون أن يضرب قوة ثيودريك بقوة أدواكر في إيطاليا، لذلك عهد زينون إلى ثيودريك بالتوجه -مع قومه- إلى إيطاليا بهدف تخليصها من أدواكر[4]،

---

(1) مصطفى الروبي: الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور زينون، ص 61-62.

(2) Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor, p.201;

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 77.

(3) John of Antioche: Fragments, in The Age of Attila, P. 181 ;Malalas: Chronicle, p. 212; Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor, p.201;

انظر أيضاً، مصطفى الروبي: الإمبراطور زينون، ص 78-79.

(4) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau (Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana), Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow, (Leipxic,1968), p.14; Gordon: Age of Attila, p.129

وذلك حتى يبعده عن البلقان، ويتخلص من عبث قومه[1]، ويؤكد سلطة الإمبراطورية الرسمية على إيطاليا حيث إن أدواكر قد بدأ في توطيد استقلاله عن الإمبراطورية[2]، ولا بد أنه أراد بإحداث الصدام بين ثيودريك وأدواكر، أضعاف الجانبين وشغلهما عن دولته[3]. ولكن الملك ثيودريك وجدها فرصة مناسبة جدا للقوط الشرقيين لتأسيس مملكتهم الذين يحلمون بها.

وبالفعل بموجب الاتفاق السابق غادر ثيودريك مقر إقامته في مدينة نوفاي Novae مع جميع أفراد قومه وتجوهوا نحو إيطاليا الخصبة، وكان ذلك في أواخر فصل الخريف عام 488م[4]، ووصل القوط إلى الأراضي الإيطالية بعد عبورهم جبال الألب الجوليانية ذلك في شهر يوليو 489م[5]. ودخل ثيودريك في العديد من المعارك الطاحنة مع أدواكر واستطاع هزيمته في معركة نهر ايسونزو Isonzo ومعركة فيرونا[6]، وفر أدواكر إثر هزيمته إلى مدينة رافنا[7]، أمّا ثيودريك الذي واصل زحفه حتى استسلمت له مدن مثل فيرونا وميلان Milan[8]. وقد انتهى أمر أدواكر بحصاره في مدينة رافنا 492م؛ حيث ضرب ثيودريك حصارا بريّاً وبحرياً على المدينة، مما أدى إلى استسلامها وتفاوض

---

(1) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص86.

(2) فشر: أوروبا، جـ1، ص33

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص38.

(4) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana,p. 14; Bradley: The Goths,P145; Hodgkin: Italy, vol.3. P.181.

(5) Hodgkin: Theoderic the Goths, P. 115.

(6) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, pp14-15; Bradley: The Goths,P147; Hodgkin: Italy, vol.3.P.191;
انظر أيضاً، عاشور: أوروبا، جـ 1، ص86؛ عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص99؛ إيهاب صديق حميدة العربي: مملكة القوط الشرقيين في شبه الجزيرة الإيطالية، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية البنات للآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011، ص153-155.

(7) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana,p. 15; Bradley: The Goths,P147.

(8) Hodgkin: Italy, vol.3. P.196.

أدواكر على الصلح مع ثيودريك، وبمقتضى الصلح الذي تم بينهما دخل ثيودريك رافنا مارس 493م، وبذلك نجح الملك ثيودريك في تأسيس مملكة للقوط الشرقيين بإيطاليا في ظل تبعية اسمية للإمبراطورية الشرقية[1].

* نشأة مملكة الفرنجة في غالة :

يُعد الفرنجة أحد العناصر الجرمانية الغربية، وقد ورد أول ذكر للفرنجة في القرن الثالث الميلادي، وكان المؤرخ فلافيوس فوبيسكوس Flavius Vopiscus من أوائل الكُتاب الذين ذكروا الفرنجة، إذ سجل في كتابه Divus Aurelinus أن الإمبراطور الروماني أورليان Aurelian (270-275م) قاتل الفرنجة Franks في مقاطعة مينز Mainz. وأقدم ذكر للفرنجة موجود في نقش Chamvi qui et Franci في Peutinger table[2]، ويؤكد هذا النقش أن الفرنجة استقروا شمال الراين الأدنى (المقابل لجزيرة باتافي Batavi بين نهري الشيلت والراين)[3].

وقد ذكر جريجوري التوري أنَّ أول ظهور للفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل وهم جينوبود Genoboud، وماركومير Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة كلوني[4] Cologne وهزموا قوات الإمبراطورية الرومانية، وذبحوا العديد من الأهالي[5].

---

(1) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana,p. 16; Hodgkin: Theoderic, P.123;Bradley: The Goths,P150.

(2) Encyclopaedia Britannica, vol. 9, p. 808.

(3) عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص87؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص 22.

(4) كلوني: هي مدينة في جمهورية ألمانيا الاتحادية حاليا، وتقع على الضفة الغربية لنهر الراين وهي ميناء نهري، وأصبحت مستعمرة رومانية عام 50م، وأصبحت مقراً شعبياً في القرن الرابع الميلادي ثم رفعها شارلمان إلى مقر رئيس الأساقفة في عام 785م ولعب رؤساء أساقفتها دوراً سياسياً كبيراً. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, pp.190-91.

(5) Gregory of Tours: Franks, P.27

وينقسم الفرنجة إلى فرعين هم: البحريون أو الساليون Salians نسبة إلى نهر السال، والبريون أو الريبواريون Repuarians. وتشترك هاتان المجموعتان باللغة والعادات، إلا أن كلاً منها مؤلف من مجموعات قبلية منفصلة، تتوحد أحيانا تحت قيادة زعيم واحد، ثم سرعان ما تتفرق بعد نهاية الحرب[1]. وكان الفرنجة يعيشون في القرن الثالث على امتداد الجزء الأوسط من الحدود الرومانية على الضفة الشرقية لنهر الراين. وقد اشتملت أراضيهم على ثورنجيا وما يليها من الأراضي[2].

وعلى مدى ثلاثين عاما منذ أواسط القرن الثالث الميلادي، تغلغل الفرنجة في بلاد الغال، قبل أن ينجح الإمبراطور الروماني بروباس[3]probus (276-282م) في إيقاف زحفهم واستعادة المدن التي احتلوها وإبعادهم نحو شرق الراين[4]. ومنذ أواسط القرن الرابع الميلادي، انطلق الفرنجة في غزوتهم الثانية لبلاد الغال، وتمكنوا من التمركز في المنطقة المعروفة باسم توكساندريا Toxandria (شمال بلجيكا الحالية) الواقعة بين نهري الميز Meuse والشيلت Scheldt سنة 358م. ولعجز قوات الإمبراطورية عن إزاحتهم قرر الإمبراطور

---

(1) الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 148؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص 22؛

Encyclopaedia Britannica, vol. 9, p. 808.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.31;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص80؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص23.

(3) الإمبراطور بروبوس: تولى الإمبراطور ماركوس أورليوس بروبوس عرش الإمبراطورية بعد اغتيال الإمبراطور تاكيتوس، وكان بروبوس جنديا قديراً من أصل الليري، وبدأ عهده بتحرير بلال الغال من الفرنجة والألماني، وأضاف سلسلة من الحصون على ضفاف نهر الراين الشرقية. للمزيد انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 384.

(4) الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 384؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية الكارولنجية، ص24.

قسطنطيوس[1] (336-360م) الإفادة من الأمر الواقع، فعقد معهم معاهدة تحالف foederati لمواجهة غزوات القبائل الجرمانية الأخرى. ومن الواضح أنّ مسلك الإمبراطور على هذا النحو، حقق للفرنجة الحصول على أول وطن استقروا فيه داخل أراضي الإمبراطورية الرومانية. وقد ساعد ذلك على وصول بعض قادة الفرنجة الذين خدموا الإمبراطورية إلى مراتب عليا في الإمبراطورية، فمنهم من وصل إلى قواد الفرسان وحكام الأقاليم كما وصل البعض منهم إلى منصب القنصلية، والبعض الآخر إلى مرتبة الأوغسطس[2].

ويمكن القول إن الفرنجة خلال تلك الفترة وطدوا كيانهم تحت قيادة ملكهم كلوديو Chlodio (نحو428-448م) الذي انتصر على القوات الإمبراطورية، واستولى على مدينة كامبريا Cambria عام 438م، ثم استولى على البلاد الوقعة على نهر السوم[3] Somme غرباً، واتخذ من مدينة

---

(1) الإمبراطور قسطنطيوس: بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين الكبير قسمت الإمبراطورية بين أبنائه، قسطنينوس الثاني الذي تولى حكم الولايات الغربية وقسطنطيوس الذي تولى الشرق وكونستانس الذي تولى حكم الليريا وإفريقيا والليريكوم، واستطاع قسطنطيوس توحيد الإمبراطورية تحت قبضته وحكمه بمفرده عام 353م، واستطاع رد الغزاة الفرنجة والألماني عن الدانوب والراين، كما حالف الفرنجة وجعل منهم foederati، وقد توفي قسطنطيوس فجأة في طرسوس بآسيا الصغرى عام 360م. انظر الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص454-456.

(2) Gregory of Tours: Franks, p. 35 ;

انظر أيضاً، كرستوفر دوسن: تكوين أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة وسعيد عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1967، ص 104؛ أدوار بروي وآخرون، القرون الوسطى (تاريخ الحضارات العام)، م 3، ط1، بيروت، منشورات عويدات، 1986، ص ص27-28؛ الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 151؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية الكارولنجية، ص24.

(3) نهر السوم: ينبع نهر السوم من وسط بلاد الغال، ويمتد مجراه شمالا ليصب في بحر المانش Manche. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.727.

توروناي[1] Tournai عاصمة له[2]. وبذلك يمكن القول إن كلوديو وضع اللبنة الأولى لمملكة الفرنجة.

وقد خلف الملك كلوديو على عرش الفرنجة بعد وفاته الملك ميروفتش Merovech (448-456م)، الذي تنتمي إليه الأسرة الميروفنجية، وبرز اسمه خلال تصدي الفرنجة والرومان لموجة الهون بقيادة أتيلا (445-453م)، ويروي المؤرخ جوردان أن الفرنجة بقيادة ميروفتش حاربوا بشجاعة فائقة جديرة بأصلهم[3]. وقد توفي الملك ميروفتش سنة 456م، فخلفه ابنه الملك شلدريك Cheldric (456-481م)، وكان حاكماً نشيطاً، حافظ على صلة قومه بالإمبراطورية، وساعد القائد الروماني بول Powl في قتال السكسون Saxon[4]. وفي الوقت ذاته، اتبع شلدريك سياسة توسعية، فتقدم نحو اللوار، واستولى على أنجرز Angers على سواحل الغال، بعد طرد السكسون[5].

---

(1) توروناى: تقع في شمال غرب الغال، استولى عليها يوليوس قيصر أثناء حروب الغال، ثم استولى عليها كلوديو ملك الفرنجة واتخذها عاصمة لمملكته الناشئة. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.791.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 31 ;

انظر أيضاً، عمران: معالم تاريخ أوروبا، ص87؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون عام 486م، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 لسنة 2007، الجزء الثاني، ص874-875.

(3) Jordanes: The Gothic, p. 112;

انظر أيضاً، الحويري: سقوط الإمبراطورية، ص 153.

(4) Fredegar: III, MGH SRM II,: pp.97-8 ; Jane Ellen Woodruff: The "Historia epitomata" (third book) of the "Chronicle" of Fredegar: an annotated Translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987,pp.24-5;

انظر أيضاً، محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص24؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص876.

(5) Gregory of Tours: Franks, P. 35.

خلف كلوفس[1] Clovis (481-511م) والده شلدريك على عرش الفرنجة، وكان في السادسة عشر من عمره، وقد حاول كلوفس توطيد وضع مملكته الناشئة فبدأ أول نشاطه في غالة بتوجيه ضربة ساحقة لسياجريوس Siagrius[2] الذي كان يمثل الأرستقراطية الرومانية القديمة، حيث كان سياجريوس يحكم مملكة تضم كلا من ريميس، سانس Sens، تروي Troyes وشالون[3] واوكسير Auxerre، ويتخذ من سواسون Soissons[4] عاصمة له، وبذلك سيطر سياجريوس على الأراضي التي تمتد من سواسون في الشرق إلى

---

(1) اسمه الفرنجي Chlovech ويعني المحارب أو القس البارز Renowned Priest or Warrior للمزيد انظر:

Gregory of Tours: Franks, P. 35.

(2) سياجريوس: هو ابن أجيديوس Aegidius الحاكم الروماني في بلاد الغال، وقد حكم أجيديوس بلاد الغال بتفويض من الإمبراطور ماجوريان (457-461م) واستقل بعد وفاة ماجوريان واتخذ من مدينة سواسون عاصمة له، وقد دخل أجيديوس في صراع مع ثيودريك الثاني (453-466م) ملك القوط الغربيين انتهى بمقتله، وتولى سياجريوس الحكم بعد وفاة أبيه... للمزيد انظر

Priscus of Panium: Fragmentary, p.343; Gregory of Tours: Franks, P. 36; Woodruff: The Third book of the Chronicle of Fredegar, p.24.

(3) شالون: مدينة فرنسية تقع على نهر المارن Marne في الشمال الشرقي من باريس، وتبعد نحو 43كم من مدينة ريميس، وقعت بها معركة شالون سنة 451م بين الرومان والهون. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.165.

(4) سواسون: مدينة فرنسية تقع في الشمال الشرقي من باريس وهي عاصمة لمقاطعة ازن Aisne وتبعد 3 كم جنوب غرب لاوون laon وهي أسقفية وبها أسوار مزينة بالنباتات العربية وفيها كاتدرائية من القرن السابع، أقيمت على أنقاض قصور ميروفنجية. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.727.

حدود بريتاني[1] Bretagne في الغرب ومملكة القوط الغربيين في الجنوب، وهي مساحة شاسعة تمثل وسط بلاد الغال ذات الأهمية الاستراتيجية في تلك الفترة[2]. وعلى هذا الأساس سعى الملك كلوفس لحشد قواته والقضاء على سياجريوس، وقام كلوفس بالتحالف مع راجناشار[3] Ragnachar ملك كامبري، وسار إلى سواسون عاصمة سياجريوس وأنزل به هزيمة ساحقة، وبذلك قضى كلوفس على آخر أثر للسلطة الرومانية في الغرب في معركة سواسون Bataille De Soisson سنة 486م[4].

---

(1) بريتاني: Bretagne أو Britaney ويطلق عليها إقليم أرموريكا أيضاً، يحدها من الغرب المحيط الأطلنطي، ومن الشمال بحر المانش ونورمنديا، ومن الجنوب بواتو Poitou ومن الشرق مملكة الفرنجة، وعاصمتها هي مدينة ران Rennes. وتنقسم بريتاني إلى بريتاني العليا وبريتاني السفلى، وجبالها قليلة الارتفاع، وأنهارها كثيرة. استوطنتها قبائل الكلت في أواخر القرن الخامس الميلادي، سيطر عليها الرومان عام 56 ق.م واستمرت سيطرتهم عليها حتى القرن الخامس الميلادي. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.127; Marie Nicolas Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, (paris 1872), pp. 282-3

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ;

انظر أيضاً، فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص880-881.

(3) راجناشار: هو ملك كامبرى Cambraiوهو من أقارب كلوفس، وكان قد اصطحبه معه أثناء محاربة سياجريوس، وقد قتله كلوفس هو وإخوته فيما بعد واستولى أراضيهم وثرواتهم... للمزيد انظر:

Gregory of Tours: Franks, PP.49-50;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 111؛ عمران: جريجوري التوري، ص 43-44.

(4) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 88؛ عمران: جريجوري التوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص887، 882.

بعد القضاء على سياجريوس قام كلوفس بنقل عاصمته إلى باريس[1]، واستطاع كلوفس أن يوسع سيطرته على أنحاء بلاد الغال كلها فيما عدا برجنديا Burgundy وسبتمانيا[2] Septimania وبروفانس Provence[3]، وبذلك مهد السبيل لقومه للانتشار فوق الجهات الشمالية من غالة، وبذلك نجح الملك كلوفس في تأسيس مملكة للفرنجة في بلاد الغال.



خريطة رقم (2) مدن غالة في العصر الميروفنجي

نقلاً عن : سعيد عاشور : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، جـ1، ص150.

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ;

انظر أيضاً، ديفز: أوروبا، ص42؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص188.

(2) سبتمانيا: هي منطقة ساحلية تمتد من جبال البرانس غرباً إلى مصب نهر الرون شرقا، سميت بذلك الاسم لأنها تشمل سبع مدن وهم نيم وناربون واجديا وبيرنييه ولوديف وكركصون وعاصمتها مدينة ناربون. وتسمى أيضاً المقاطعة الناربونية أو بلاد الغال الناربونية وجوثية أو القوطية انظر: إينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص113؛ نجاة محمد أحمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان، حاشية ص 56.

(3) محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية، ص25.

* نشـــأة مملكة اللمبارديين في إيطاليا :

يـري الـبعض أن اللمبـارديين ينتمـون إلى مجموعـة الـشعوب الجرمانيـة الغربية، في حين يرى آخـرون أنهـم ينتمـون إلى مجموعـة الـشعوب الجرمانيـة الشمالية[1]، وقد هاجر اللمبارديون من شبة جزيرة اسـكنديناوة في القـرن الأول أو الثاني قبل المـيلاد تحـت قيـادة الزعيمـان آيبـور Ibor وآيـوا Aio إلى إقلـيم سكورينجا Scoringaعلى الضفة اليسرى لنهر الألـب Elb إذ اسـتقروا بـه بـضع سـنين[2]، ثم تحركـوا منــه إلى منطقــة هولــشتين Holstein أو مكلنبــورج Mecklenburg على الضفة اليمنى لهذا النهر[3].

ثم تحرك اللمبارديون جنوباً مرة أخرى إلى منطقة الدانوب الأوسط، وذلك زمن الإمبراطـور مـاركوس أورليـوس (180-161م)، حيـث قـاموا بعبـور نهـر الـدانوب إلى بانونيـا علـى عهـد هـذا الإمبراطـور، ولكـن القائـد الرومـاني فيندكس[4] Vindex أذاقهم هزيمة ساحقة ارتـدوا علـى أعقابهـا عـن بانونيـا، ثم

(1)Dudden,(H): Gregory The Great, In Two Volumes, Vol.I.(London,190 5), pp.80-1;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبـارديون في التـاريخ والحـضارة (568-774م)، القـاهرة دار المعـارف، ط 1986، ص30-31؛ أحمـد محمـد محمـود عبـد الله: اللمبـارديون في إيطاليـا (774-568م)، رسـالة ماجـستير غـير منـشورة بكليـة الآداب جامعـة حلـوان، ص32.

(2) Paul the Deacon: Langobards, pp.3-11;

أحمد محمد محمود عبد الله: اللمبارديون في إيطاليا، ص32.

(3) Dudden: Gregory The Great, Vol. I,pp.80-1;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبـارديون، ص10؛ أحمـد محمـد: اللمبـارديون في إيطاليـا، ص32.

(4) يوليوس فيندكس: قائد روماني تولى قيادة الجيش في منطقـة بـلاد الغـال في أواخـر عـام 67م وفي بداية عام 68، وقد تزعم ثورة قامت ضـد الإمبراطـور نـيرون، ولكـن انتـهت الثورة بالفشل وقُتل فيندكس. انظر: الناصري: الإمبراطورية الرومانية، ص 169.

أنفذوا سفارة إلى آيليوس باسوس Aelius Bassus حاكم بانونيا نجحت في عقد اتفاقية سلام وحسن جوار معه[1].

ومما يسترعي الانتباه أن المصادر التاريخية الرومانية والإغريقية تقف منذ ذلك التاريخ صامتة إزاء أحداث اللمبارديين لفترة تربو على ثلاثمائة سنة (166-508م)، وهي فترة معتمة من تاريخهم تعرقل أي محاولة تستهدف تتبع تجوالهم الغامض وسط جموع البربر الصاخبة. وليس بإمكان الباحث سد فراغ هذه الفترة الطويلة واستجلاء أحداثها إلا من كتاب (بولس الشماس- تاريخ اللمبارديين).

ويروي بولس الشماس ترتيب الملوك اللمبارديين بعد وفاة الزعيمان آيبور وآيوا، وأن اللمبارديين اختاروا أجيلموند Agelmund بن آيوا ملكاً عليهم الذي قادهم إلى مناطق جديدة، وأنه أول من حمل لقب ملك، لأنَّ من جاءوا قبله كانوا زعماء فحسب[2]، ثم حكم من بعده لاميسيو Lamissio، ثم خلفه ليثو Lethu الذي حكم أربعين سنة، وأتى من بعده ابنه هلديوك Hildeoc، ثم جوديوك Gudeok الذي كان ترتيبه الخامس في قائمة ملوك اللمبارد[3]. وفي عهد الأخير تحرك اللمبارديين من جديد، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا أراضي الروجيين Rugii الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الدانوب (مورافيا)، فاستولوا عليها[4].

---

(1) Hodgkin: Italy, vol.V.P.88; Dudden: Gregory The Great, Vol. I,p.82-3;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص14؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص36-37.

(2) Paul the Deacon: Langobards,pp.24-26; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 94;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص19.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.30;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص21؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص43.

(4) Paul the Deacon: Langobards,p.33; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 97; Gregory The Great, Vol. I, p.83;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص21.

بعد وفاة جوديوك خلفه على العرش ابنه كلافو Claffo، وبعد وفاته خلفه ابنه تاتو Tato الذي غادر أرض الروجيين إلى منطقة فيلد Feld تقع بين نهري تيس Theiss والدانوب، وقاد الحرب ضد الهيرولي[1] Heruli، وأحرز عليهم انتصاراً ساحقاً نحو 508م، وبدأ اللمبارديون يمارسون دوراً مهماً وأكثر وضوحاً من ذي قبل على مسرح أحداث تاريخ أوروبا العصور الوسطى[2].

استولى الملك واكو Waccho (510-540م) على العرش بعد الإطاحة بعمه تاتو[3]، وقد أثبت واكو جدارته في الحكم، إذ استطاع أن ينشر الأمن والاستقرار في أرجاء المملكة، التي بلغت خلال عهده الطويل البالغ ثلاثين عاما درجة من القوة والبأس، جعلت زعماء القبائل الجرمانية في المناطق المجاورة يخطبون ودها، ويسعون إلى التحالف معها[4]. وعلى هذا الأساس تحالف واكو مع الكثير من زعماء الجرمان، فقد أرسل إليه ويتجيز[5] Witigis (536-540م)

---

(1) الهيرولي: من أكثر القبائل الجرمانية تجولاً، حيث تجولت في جميع أنحاء أوروبا تقريباً، وظهروا على نهري الدنيستر والراين. ونهبوا اليونان وإسبانيا. ويعتقد هودجكين أن قبيلة الهيرولي انقسمت إلى قبيلتين أحدهما انتقلت من شواطئ بحر البلطيق إلى شواطئ البحر الأسود، والأخرى استقرت في نهاية المطاف على نهر الراين. واستقر الفرع الشرقي في هنغاريا على الضفة الشرقية لنهر الدانوب أثناء نضالهم مع اللمبارديين. للمزيد انظر:
Hodgkin: Italy, vol.V.PP. 103-104.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.33; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 97;
انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص21؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص43.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.38; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 117;
انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص21؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص50.

(4) الحويري: اللمبارديون، ص29-30؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص50.

(5) ويتجيز: تولى ويتجيز حكم القوط الشرقيين بعد عزل الملك ثيوداهات عام 536م، نظر لما تمتع به من كفاءة وخبرة عسكرية تؤهله لتولي مقاليد الحكم، وقد اكتسب ويتجيز شهرة عسكرية كبيرة أثناء حرب ثيودريك ضد قبائل الجيبداى، التي انتهت باستيلاء القوط على مدينة سيرميوم عام 504م. انظر: بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، القاهرة، 1986، ج1، ص83-84.

ملك القوط الشرقيين بإيطاليا سفارة يعرض عليه مبالغ ضخمة، مقابل الدخول معه في حلف ضد الإمبراطورية البيزنطية، وذلك أثناء حصار القائد بليزاريوس لإيطاليا، ولكن رفض واكو، لأنَّه ارتبط مع الإمبراطور جستنيان (527-565م) بعلاقات وطيدة، بوصفه حليفاً (معاهداً) للإمبراطورية البيزنطية[1].

وقد دخل الملك واكو في العديدِ من التحالفات السياسية عن طريق الزواج، فقد تزوج ثلاث زوجات، فكانت الأولى تدعى رانكيندا Ranicunda ابنة ملك الثورنجيين، كما تزوج اوستريجيثا Austrigusa ابنة ملك الجيبداي، التي أنجبت له بنتان، الأولى تدعى وزجارد Wisegarda[2]، التي تزوجت "ثيودبرت الأول" (نحو 534-548م)، ملك الفرنجة[3]، والثانية تدعى والديرادا Walderada، التي تزوجت ثيودوبلد الأول Theudebald I (نحو 548-555م) ملك الفرنجة[4]، وسوف يأتي الحديث عنهم بالتفصيل فيما بعد، أما زوجته الثالثة فهي سالينجا Salinga ابنه ملك الهيرولي، ومنها أنجب ابنه والتاري Walthari (540-546م)[5].

وعندما توفي واكو عام 540م، خلفه على العرش ابنه والتاري تحت وصاية المحارب أودوينAudoin ، ولكن والتاري لم يعش طويلا، إذ تُوفي بعد حكم

(1) Procopius of Caesarea: History of the Wars, Books I and II (Persian wars), In six Volumes, eng. Trans Dewing, (H.B.),vol.1, (London. 1913), p.265; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 119-120; Dudden: Gregory The Great, VOL. I,p.85-6;
انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص29-30؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص51.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.40; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 120.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.66; Paul the Deacon: Langobards,p.40; Hodgkin: Italy and her Invaders, vol.V.P. 120.

(4) Gregory of Tours: Franks, P.78; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 120.

(5) Paul the Deacon: Langobards,p.40; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 120.

دام سبع سنوات، اختار اللمبارديين أودوين (546-565م) ملكاً عليهم[1]، ويعتبر عهده من أبرز عهود مملكة اللمبارديين، حيث ازدادت العلاقات والروابط بين اللمبارديين وبين الإمبراطورية البيزنطية متانة أكثر من ذي قبل، على سبيل المثال عندما استعان بهم الإمبراطور جستنيان في حربه ضد القوط الشرقيين في معركة تاجيناي سنة 552م، ونتيجة لمساعدتهم الإمبراطور جستنيان أن سمح لهم بالإقامة في إقليم بانونيا[2].

تولى الملك ألبوين Alboin (565-572م) عرش المملكة بعد وفاة أبيه أودوين، وفي عهده قرر اللمبارديون الرحيل عن بانونيا، وفي أبريل عام 568م، انطلقت الجموع اللمباردية إلى إيطاليا بقيادة ألبوين رجالا ونساء وأطفالا، ومعهم عبيدهم وماشيتهم وعرباتهم[3].

لم يسلك ألبوين الطريق الذي سلكه آلاريك ملك القوط الغربيين عام 410م إلى إيطاليا، إذ اقتحمها من أضعف نقطة بها، وهي الجهة الشمالية الشرقية، وكان أن زحف ألبوين واجتاز جبال الألب الجوليانية عبر ممر برديل، ثم واصل زحفه عبر التلال إلى أن ظهرت إيطاليا أمامه حتى وصل إلى سهول البندقية، ولم يصادف أي مقاومة تذكر[4]، ثم واصل تقدمه حتى استولى على

---

(1) Paul the Deacon: Langobards,p.40-1; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 119; Dudden: Gregory The Great, Vol. I,p. 86;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص30؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص51.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.41; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 124;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص30-31؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص52.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.95;Paul the Deacon: Langobards,p.62;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص47.

(4) Dudden: Gregory The Great, VOL. I,p. 92;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص48؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص70.

البندقية Venice وفيرونا Verona وأكويليا Aquileia، وأسس دوقية فريولي[1] Friuli[2].

ثم واصل ألبوين زحفه على المدن الإيطالية في سهل البو Po[3]، فاجتاح في العام التالي 569م ولاية ليجوريا Liguria وميلان Milan[4]، وولاية الألب الكوتية، وتمكن من إخضاع وادي نهر البو كله لسيطرته في سنة 570م، دون أن يواجه أي مقاومة من الأهالي أو الحاميات البيزنطية. وفي العام التالي عبر ألبوين بجيوشه جبال الابنين حيث أمكنه الاستيلاء على توسكانيا Tuscany، أمبريا Umbria، بولونا Bologna، وإيمولا Imola، وفي العام نفسه استطاع نبيلان

---

(1) فريولي: منطقة تقع في الشمال الشرقي من إيطاليا، على الحدود الإيطالية اليوغوسلافية وتطل على البحر الادرياتيك. انظر:

Moore, Encyclopedia of Places, p.291.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.71; Hodgkin: Italy, vol.V.P. 160; Dudden: Gregory The Great, VOL. I, p. 93;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص48؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص70.

(3) نهر البو: أطول الأنهار الإيطالية، يبلغ طوله نحو 417 ميلاً، وينبع من جبل فيزو Monte Viso في جبال الألب، ويتدفق شرقاً عبر الشمال الإيطالي، ويتجه نحو الجنوب الشرقي حتى يصل إلى مدينة تورين، وإلى الشرق منها يقترب من أطراف جبال الألب، ويجتاز سهل لمبارديا متجهاً إلى البحر الأدرياتيكي، حيث يصب فيه مشكلا دلتا تكثر فيها البحيرات والمستنقعات، ويمر نهر البو على عدد من المدن الإيطالية المهمة مثل ميلانو وفيرونا وغيرها. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.625.

(4) Paul the Deacon: Langobards,p.79; Hodgkin: Italy, vol.V.P.161; Dudden: Gregory The Great, VOL. I,p. 94;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص49؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص71.

لمبارديان هما فارولد Farwald وزوتو Zorto إخضاع ولاية سبوليتو[1] Spolete بينما استولى الآخر على ولاية بنفنتوم[2] Benevent في جنوب إيطاليا وجعلا منهما دوقيتين قويتين[3].

وحاصر ألبوين مدينة بافيا[4] Pavia لمدة ثلاث سنوات (572-569م) حتى استولى عليها، وبسقوط بافيا فقدت الإمبراطورية البيزنطية ذاك الإقليم الذي عرفت سهوله منذ ذلك الحين بسهل لمبارديا[5] Lombardi. ويعتبر سقوط هذه المدينة التاريخ الحقيقي لبداية حكم ألبوين في إيطاليا خاصة بعد أن اختارها

---

(1) سبوليتو: مدينة إيطالية عريقة في شرق إقليم اومبريا Umbria، كانت موطناً مهما للقبائل الامبرية، تأسست عام 50م تقع على بعد 120كم شمال روما فيها مركز أسقفي وكاتدرائية كبيرة ومعبد الكونكورد وقصر الملك ثيودريك العظيم. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.741.

(2) بنفنتوم: مدينة إيطالية تقع بنفنتوم على بعد 220كم جنوب شرق روما. وهي عاصمة مقاطعة بنفنتوم، تبعد 51كم عن نابولي، وهي أسقفية وبها كاتدرائية وأثار تعود إلى العصور القديمة والوسطى. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.94.

(3)Hodgkin: Italy, vol.V.PP.161- 4; Dudden: Gregory The Great, Vol. I, p. 95;

انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص50-51؛ أحمد محمد: اللمبارديون في إيطاليا، ص72-73.

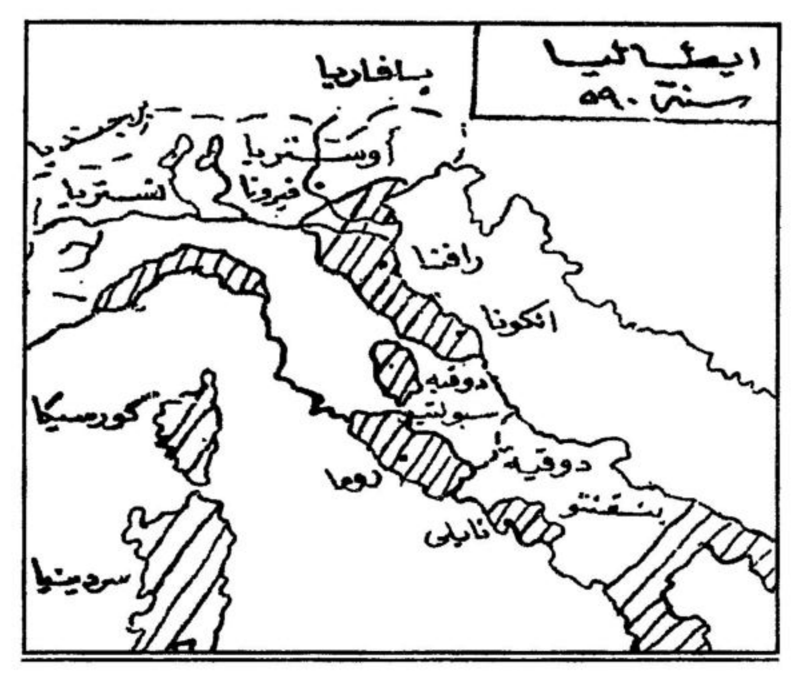
(4) بافيا: مدينة من أهم المدن الإيطالية، وكان يطلق عليها قديماً تسينوم Ticinum، عاصمة لمقاطعة تحمل نفس الاسم، وتقع المدينة على نهر التسينو Ticino، على مسافة 32ميلاً جنوب مدينة ميلان. انظر،

Moore, Encyclopedia of Places, p.567.

(5) لمبارديا: تقع لمبارديا في اقصى شمال إيطاليا، يحيط بها من جهة الشمال سويسرا، ومن الجنوب مقاطعة إيميليا روماجنا ومن الشرق مقاطعة فينتو، ومن الغرب مقاطعة بيدمونت وعاصمتها بافيا، واهم ما يميزها مناظرها الطبيعية الخلابة التي تتمثل في جبالها وسهولها تلالها. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, pp.464-5.

عاصمة مملكته الجديدة، واتخذ لنفسه لقب (سيد إيطاليا) Lord of Italy[1].
وبذلك نجح الملك ألبوين في تأسيس مملكة للمبارديين في شبه الجزيرة الإيطالية.



<u>خريطة رقم (3) إيطاليا عام 590م بين اللمبارديين والبيزنطيين</u>

نقلاً عن سعيد عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، جـ1، ص113.

* * *

(1) Hodgkin: Italy, vol.V.PP. 162-3; Dudden: Gregory The Great, VOL. I,pp. 94-5;
انظر أيضاً، الحويري: اللمبارديون، ص50.
لإيطاليا عام 590م بين اللمبارديين والبيزنطيين، انظر خريطة رقم (3)

الفصل الثاني

"ظهور الزّواج السياسي في الممالك الجرمانية"

- كلوفس وكلوتيلدا.
- ثيودريك العظيم وأودفيلدا.
- آلاريك الثاني وثيودوجوثا.
- سيجسموند وأوسترجوثا.

* كلوفس وكلوتيلدا:

يعلق المؤرخ إيـان وود Ian wood علـى زواج كلـوفس وكلوتيلـــــــدا Clotilda قائلاً: "إنَّ نفوذ كلوتيلدا على العلاقات بين الفرنجة والبرجنـديين مـن الصعب تحديده"، إنَّ الاعتراف بهذا الزواج لا يمكن أن يكون فهمه أفـضل مـن المفهوم التقليدي لزواج التحالف، وذلك بسبب طبيعة مصادرنا المتاحة[1].

أكثر المصادر المفصلة عن زواج كلوفس وكلوتيلدا عبارة مـادة أسـطورية سواء في تـاريخ جريجـوري التـوري أو الإضـافات الأخـيرة لتـاريخ فريـديجار Fredegar أو المـؤرخ المجهـول وكتابـه تـاريخ الفرنجـة Liber Historiae Francorum[2]. وقد ناقش كلٌ من والتر جوفارت Walter Goffart، إيـان وود Ian Wood، الكسندر كالندار Alexander Callander Murray، وروجر كـولنز Roger Collins كل الاتجاهات الخرافية لهذه الأعمال على الرَّغم من فائدتها في الوقت نفسه[3]. وقد أظهر عملهم روايات مخفية وأن هناك واقعاً أساساً للخروج من الخرافة، وأن هذه القصص يمكن أن تضيف شيئاً إلى فهمنا حقيقة الـزواج،

---

(1) Wood: The Merovingian Kingdoms, p.43.

(2) Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomvs II, (Hannoverae. 1888), p.256.

(3) Goffart: Narrators, p.10; Alexander Callander Murray: From Roman to Merovingian Gaul: *a reader*. (Readings in medieval civilizations and cultures,5) (Broadview Press, 1999), p.589; Wood: the Merovingian kingdom, p. 35; Roger Collins: *Fredegar*. Vol. 13 in Authors of the Middle Ages. Historical and religious writers of the Latin West, ed. Patrick J. Geary. (Brookfield, VT: Variorum, 1996), p.18.

وخاصة ما قصده هؤلاء المؤلفون في وقت لاحق على الرَّغم من أن التفاصيل على الأرجح لا يمكن الوثوق بها دائماً.

إن المفتاح لفهم هذا الزواج يكمن أولا في ملاحظة كيف إن المصادر تميل لشرح ذلك الزواج وفقاً للتوقعات التقليدية للزواج السياسي، ثم كيف أن هذه المصادر أكدت أهمية المكانة والهيبة في الزواج؟، وأخيراً وضع هذا الزواج في سياق الصراع الداخلي الذي كان يشنه كلوفس ضد منافسيه الآخرين من الفرنجة، وليس في سياق شبكة مصاهرات ثيودريك الخارجية.

وقد وضعت سيرة ميخائيل روتشي Michel Rouche عن كلوفس تركيزاً كبيراً على الوضع الظالم بين كلوفس وكلوتيلدا، حيث أن كلوتيلدا أميرة برجندية، في حين كلوفس ليس أكثر من مجرد ملك سالي صغير[1]، هذا ما دعا ميخائيل روتشي إلى دعوة زواج كلوفس وكلوتيلدا بأنه زواج من طبقة أعلى[2].

كما أن المصادر التي لدينا تؤكد عدم رغبة جندوباد عم كلوتيلدا وولي أمرها في زواج كلوتيلدا إلى كلوفس، وقد وقع الزواج نحو عام 492 أو 494م وكان كلوفس لا يستطيع منافسة نفوذ جندوباد الذي كان حينَئِذ قائداً للقوات الرومانية في برجنديا. وبقرب عام 508م كان كلوفس على الأقل يعادله، إنْ لم يكن قد تجاوز ذلك النفوذ عندما تولى القنصلية[3] Counsilship

(1) Michel Rouche, Clovis (paris: fayard, 1996), p.229.

(2) Rouche: Clovis,p.241.

(3) منصب القنصلية: ظهر منصب القنصلية في العصر الجمهوري، وهي وظيفة عسكرية بالدرجة الأولى لأن حاملها كان يتمتع بالإميريوم العسكري Imperium Militare المتمثل في تجنيد الجيش وقيادته خارج البلاد، كما كان يتمتع بالإمبريوم المدني Imperium Domi وهي سلطة مختصة بالقضاء والتشريع، والقنصلية من الوظائف الشرفية، لأن صاحبها لم يكن يتقاضى عنها راتباً أو أجراً خلال عمله، بل يكتفي بما يحصل عليه من امتيازات شرفية. للمزيد انظر: سيد أحمد على الناصري: الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة 1976، ص 105.

الــشرفية مــن قبــل الإمبراطــور أنــستاسيوس الأول[1] Anastasius I (491-518م).

في حين لا يذكر جريجوري التوري خبرة جندوباد في بلاط الرومان، كما أن عرضهِ لأسرة كلوتيلدا لا يؤكد سلالتها الملكية، ولكن أيضاً يعرض كلـوفس خاطفاً للفرصة للوصول إلى بعض هذه المكانة حيث قال:

"الآن جنديوك Gundioc، ملك البرجنـديين مـن سـلالة الملـك أثناريـك Athanaric المضطهد الذي سبق الحديث عنه. كان له أربعة أبناء هم جنـدوباد Gundobad وجــوديجزل Godegisel وشــلبريك Chilperic وجودمــار Godmar. وقد قتل جندوباد شقيقه شلبريك بالسيف، وأغرق زوجته في الميـاه بوضع حجراً في رقبتها، وأبعد ابنتيه، الكبرى وتدعى كرونا Crona التي سلكت الرهبنة، والصغرى وتدعى كلوتيلدا. وإلى برجنديا كان كلوفس يرسـل مبعوثيـه من وقت إلى لآخر، وقد شاهد هؤلاء المبعوثون كلوتيلـدا ولاحظـوا أنَّهـا فتـاة صغيرة السن وذكية ولطيفة وأن الدماء الملكية تجرى في عروقها، وقـد أخـبروا كلوفس بكل ما عرفوه، وعلى الفور أرسل كلوفس بعـض الرسـل إلى جنـدوباد يطلب الزواج منها، ولم يستطع جندوباد الـرفض فوافـق علـى الـزواج، وسـلم كلوتيلدا إلى مندوبي كلوفس فعادوا بها وقدموها لملكهـم. ورغـم أن كلـوفس

---

(1) الإمبراطـور أنـستاسيوس:: ولـد أنـستاسيوس عـام 430م أو 431م، وتـولى عـرش الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة الإمبراطور زينون بمساعدة أريادن Ariadne أرملـة زينـون التي تزوجها فيما بعد، وقد تمكن أنـستاسيوس مـن القـضاء علـى النفـوذ الايـسوري في الإمبراطورية وكسر شوكتهم بشكل نهائي، ولكـن اتـسم عهـده بـالكثير مـن الـصراعات الدينية والحروب التي أدت إلى إراقة الكثير من الـدماء. وبموتـه تبـدأ أسـرة جديـدة هـي أسرة جستنيان... للمزيد انظر: عمـران: معـالم تـاريخ الإمبراطوريـة البيزنطيـة، ص41؛ محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، "عصر جوسـتنيان"، الهيئـة المصرية للكتاب، القاهرة 1989، ص 30-32.

كانت له محظية أنجبت له ولداً يدعى ثيودريك، فإنَّه تزوج كلوتيلدا بعدما شاهدها وأعجب بها"[1].

وهكذا نجد أن الدوافع الكاملة لبحث كلوفس عن زوجة له لم تكن واضحة هنا تماماً، فقد كتب جريجوري التوري مؤلفه بعد عدة عقود، وربما كان لديه معلومات قدمتها له كلوتيلدا بنفسها، إذ قضت عدة سنوات في مدينة تور Tours. وهذا ربما يوضح لنا لماذا ركز جريجوري هنا في الغالب على توفير أسباب مطالبة كلوتيلدا في وقت لاحق بالانتقام من ابن جندوباد لمقتل والديها؟[2]. ومع ذلك فإنَّ كلوفس استشعر قوة جندوباد، وعمل على إيجاده طريقة لإقناعه بالزواج من إبنة شقيقه ذات الدم الملكي. وقد لاحظ إيان وود "أنَّ أسقف مدينة تور لمح إلى اختيار كلوفس عروس معتقداً السبب القلق"[3] هذا القلق من قوة جندوباد وزيادة نفوذه وتقربه من الإمبراطور البيزنطي في الواقع قد جعل كلوفس يضغط على جندوباد للموافقة على زواج كلوتيلدا منه. ربما للتحالف معه عن طريق الزواج، وربما ليجعل هذا الزواج ذريعة لتدخله فيما بعد في مملكة البرجنديين.

أما عن موعد الزواج والدوافع لهذه المصاهرة، فقد حدد يوجين ويج Eugen Ewig زواج كلوفس وكلوتيلدا في وقت مما بين عامي 492 و 494م[4]، واستند في استنتاجه إلى حد كبير على الرجوع إلى تواريخ ولادة أطفال وأحفاد كلوتيلدا. واستند جوهريا على مشاركة حفيد كلوفس جونترGunther الابن الأكبر لابن كلوفس الأصغر كلوثر الأول Chlother I في حملة أبيه ضد القوط الغربيين عام 532م. ومن ذلك يوجين ويج يحسب أن جونتر ولد نحو عام

(1) Gregory of Tours: Franks, P.38.

(2) Moorhead: Theoderic in Italy,p. 214.

(3) Wood:the Merovingian Kingdoms, p.42.

(4) Ewig, Eugen: "Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen und im merowingischen Königshaus." In *Francia* 18, no. 1 (1991):, pp.50,54.

518/517 ومِن ثَمَّ كلوثر ربما ولد في موعد لا يتجاوز عام 502/501، ومِن ثَمَّ فإن زواج كلوفس وكلوتيلدا يمكن أن يكـون قـد حـدث قبـل 8 أو 10 أعـوام، وذلك بإعطائهم وقت لإنجاب أبنائهم الأكبر سناً[1].

ولكن حاول فان فيفـر Van de Vyver إرجـاع الـزواج إلى مـا بعـد الحـرب الأهلية بين جندوباد وجوديجزل Godegisel (473-500م) عام 501/500م[2] الـتي أعطته الدور لتسوية أي عدواه بين كلوفس وجندوباد من ذلك الصراع. ولكـن هـذا يبدو بعيد الاحتمال، ومع النظر إلى حسابات يوجين ويج لا يمكن أن يكون كلـوثر قد ولد نحو عام 510م كما يبرهن المؤرخ فيفر حججه، وذلك لما نعرفه عنـه وعـن أولاده، وحجج فيفر تبرهن إجازة كثير من التوقعات التي تتعلق بـالزواج في وقـت مبكر من فترة العصور الوسطى ولا يمكن التغلب على براهين يوجين ويج[3].

وبذلك فإن زواج كلوفس وكلوتيلدا قد حدث في النصف الأول مـن عـام 490م، وذلك بعد بضع سنوات من هزيمة سياجريوس في معركة سواسون عـام 486م، وقبـل سـنوات قليلـة مـن إنتـصاره علـى الألمـاني 496م، البرجنـديين 501/500م والقوط الغربيين 507م على التوالي، ويبدو أنَّه ينتمي إلى فترة توليـه الحكم في شمال الغـال وبدايـة تحركاتـه التوسـعية ضـد التهديـدات الخارجيـة الكبيرة. تلك الفترة التي يجب أن تشملها محاولة لتوسيع نفوذه من خلال جذب المزيد من المحاربين إلى جانبه، ومن خلال تقوية نفوذه من أجـل كـسب مزيـدٍ من الحلفاء في حملاته سواء الداخلية أو الخارجية. الزواج من كلوتيلدا يناسـب تماماً هذه البيئة.

---

(1) Crisp, Ryan Patrick, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481-639,A Dissertation sumitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003), PP.61-62.

(2) A. Van de Vyver, "La Victoire contre les Alamans et la Conversion de Clovis (suite).", In *Revue Belge de Philologie et d'Histoire* tome 16, (1937), p.85.

(3) Crisp: Marriage and Alliance, P. 62.

كما أشار جريجوري التوري أيضاً إلى أن كلوفس عندما تزوج كلوتيلدا، كان لديه بالفعل ولد، ثيودريك الأول، الذي كان من نسل امرأة سابقة لم يكشف عن اسمها، التي يدعوها جريجوري "محظية"، وقد صنف يوجين ويج هذا الزواج الأول بأنَّه زواج حقيقي بدلاً من أن يطلق عليه زواج من محظية، إذ إن ثيودريك لم يفكر مطلقاً في أنَّه ابن غير شرعي لكلوفس بل إنَّه وريث كلوفس أيضاً[1].

إذاً ما مغزى هذه النقطة التي تعتبر مؤشراً جيداً لتزايد طموحات كلوفس، سواء كان ذلك أم لا فإن الملك كلوفس بالفعل تنازل عن زواجه السابق، كما اقترح يوجين ويج وتوقع أنَّ الملوك الفرنجة سوف يدخلون في مصاهرات أجنبية، لذلك نهض كلوفس وقام بالمنافسة على القيادة الفرنجية[2]. إذاً بهذا الزواج لا بُد وأنه فاق الملوك الفرنجة الآخرين الذين على الأرجح عقدوا مصاهرات مماثلة في وقت سابق من زواجه. لكننا لا نعرف شيئاً عن هذه المصاهرات لهؤلاء الملوك كما أن هذا ظل مضارباً في معظم الأحوال، ولكن يبدو منطقياً أن نتوقع أن هؤلاء الملوك الفرنجة القاصرين تزوجوا من عشائر جرمانية ضعيفة[3].

وللمضي قدماً وراء سرد جريجوري الموجز يجب أنْ ننتقل إلى مواد المصادر الأسطورية التي سبق ذكرها سابقاً، إذ أضافَ فريديجار مؤرخ القرن السابع في تلخيصه لتاريخ جريجوري التوري قصة طويلة عن زواج كلوتيلدا، وربما تمكن فريديجار من الوصول إلى بعض المعلومات المحلية حول هذا الحدث الذي وجده ذا أهمية إلى حد كاف لقطع ملخص جريجوري عن هذه القصة[4].

---

(1)Eugen Ewig, "Studien zur merowingischen Dynastie." *Frühmittelalterliche studien 8* (1974), p.42.

(2)Eugen Ewig, "Studien zur merowingischen Dynastie.",p.41.

(3)Crisp: Marriage and Alliance, P. 63.

(4) Roger Collins: Fredegar, pp.17-23; and Wood, "Fredegar's Fables" in *Historiographie im frühen Mittelalter*, ed. Anton Scharer and Georg Scheibelreiter, pp. 359-66 (Vienna, 1994), pp.359-360.

وتضيف القصة التي أخبرها فريديجار بعض التفاصيل المثيرة للاهتمام، وقريبة من كتاب المؤرخ المجهول Liber Historiae Francorum المستقل، التي تقترح أنّ كلا منهما وجد القصة جديرة بما يكفي لتأخذ مساحة كبيرة من كتابهما[1]، وفي هذه التقارير لعبت كلوتيلدا دوراً كبيراً في مفاوضات الزواج. وعلق فريديجار على كيف أن مبعوثي كلوفس ارتدوا مثل المتسولين وأتوا إلى جنيف Geneva ووجدوا كلوتيلدا وشقيقتها التي تدعى سيديليوبا[2] Sideleuba في هذه القصة. ولكن فريديجار قال إنّ جندوباد كان يأمل بهذا الزواج "الدخول في صداقة (amiciciam) مع كلوفس"[3] على عكس جريجوري الذي ذكر إن جندوباد كان خائفاً من رفض طلب كلوفس.

إن القيمة الحقيقية لهذا الزواج تفترض الصداقة وتناقش أدناه عندما هاجم كلوفس جندوباد أثناء الحرب الأهلية البرجندية، ولكن في تقرير فريديجار عن مقتل عائلة كلوتيلدا نجد أنّه أضافَ شقيقين إلى عائلتها ورغبة كلوتيلدا في الانتقام[4]، ومع ذلك ببساطة ربما يكون ذلك مبرراً للإجراءات اللاحقة التي

---

(1) See also the introductions to J.M. Wallace-Hadrill, The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar, Press, 1960.

(2) يدعوها جريجوري التوري كرونا Chrona، ولكن فريديجار يدعوها سيديليوبا Sideleuba، ويعتقد والاس هاردلي Wallace-Hadrill في ترجمته للفصل الرابع من حوليه فريديجار يعلق قائلاً إن سيديليوبا امرأة أخرى غير شقيقة كلوتيلدا. انظر:

Gregory of Tours: Franks, P.38; Fredegar: Fredegarii et aliorum chronica, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), edidit Bruno Krusch, Tomvs II, (Hannoverae. 1888), p.99; Fredegar: The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar, English & Latin with its continuations. Translated by J.M. Wallace-Hadrill. Westport, CT: Greenwood Press, 1981.p.14.

(3)Fredegar: III, MGH SRM II,p.99; Woodruff: The Third book of the Chronicle of Fredegar, p.32.

(4)Fredegar: III, MGH SRM II,p.99; Woodruff: The Third book of the Chronicle of Fredegar, p.33.

اتخـذها كلـودومير Chlodomer (511-524م) بـن كلـوفس وكلوتيلـدا ضـد سيجسموند بن جندوباد الذي في النهاية فقد مملكته أمام الفرنجة بداعي الانتقام لمقتل والدي كلوتيلدا. ولكن في كتاب المؤرخ المجهول يبدو أن جندوباد كـان معارضاً لفكرة الزواج، ولكنه وافق بسبب خوفه من كلوفس ونصائح مستـشاريه الذين يخافون الفرنجة، فيقول إنَّه "بغضب" قدمها للفرنجة[1].

وفقاً لكلٍ من فريديجار والمؤرخ المجهول، فـإن كلـوفس رغـب الـزواج بكلوتيلدا وأرسل مبعوثيه إلى جنـدوباد لاِتخـاذ الترتيبـات اللازمـة، وقـد قابـل مبعوثيه كلوتيلدا وسلموها اقتراح كلوفس في الـسر، وقبلـت كلوتيلـدا العـرض وحصلت على خاتم الخطوبة، ولكنها تلاعبت بالأمور لجعل الزواج ينجح. الآن الزواج تم ترتيبه بين كلوفس وكلوتيلدا، ولكن موافقة جندوباد ليست مـضمونة. عند هذه النقطة تختلف الآراء، ففريديجار يقول إنَّ جندوباد كان أكثر اسـتعداداً لزواج كلوتيلدا من كلوفس أمـلاً في تكـوين صـداقة مـع كلـوفس. في حـين أن المؤرخ المجهول يركز على خدعة كلوتيلـدا في إخفـاء خـاتم الخطوبـة في كـنز جندوباد، وأن الذي أجبر جندوباد على قبول الزواج أنه كان منشغلاً في منـاوره حربية ضد منافسه. ويدعي المؤرخ المجهول أن كلوفس كان مستعداً للقتال مـن أجل خطيبته، وإن جندوباد كان مرتاباً من أن كلوفس يبحث عن ذريعة لمهاجمة البرجنـديين[2]. في النهايـة حـصل كلـوفس علـى عـروس وثـروة كـبيرة، إذ إنَّ كلوتيلدا في ليلة زواجهما طلبت من كلوفس مطالبة عمها جندوباد بميراثهـا مـن والديها[3].

وبذلك تتفق جميع الآراء على أن كلوفس كان يريد الزواج مـن ابنـة أخـي جندوباد الذي كان لا يرغب في زواجها من كلوفس. كما اقترح كـارل فردينانـد

---

(1)Liber Historiae Francorum, p.256.

(2) Liber Historiae Francorum,p.256.

(3) Liber Historiae Francorum,p.258.

Karl Ferdinand أنَّ كلوفس قد استخدم تحالفه مع ثيودريك العظيم للضغط على جندوباد للحصول على الزواج من كلوتيلدا، على الرَّغم من أن النتيجة النهائية للزواج هي حياد جندوباد في حروب كلوفس القادمة مع آلاريك الثاني بل إنَّه انضم إلى كلوفس بدلاً من الحرب ضده[1].

هذه الاحتمالات ليس ذات أهمية كبيرة، ولكن في هذه الحالة لا يكاد يترتب عليها خاصةً بعد إجبار جندوباد على زواج كلوتيلدا، أن يتوقع كلوفس مساعدة جندوباد له أو حتى الحياد مرتكزا على حقيقة أنه خطف ابنة شقيقه منه عن طريق خداع مندوبي كلوفس لجندوباد، إلى جانب ذلك لم يكن جندوباد محايداً تماماً في الحرب ضد آلاريك، ولكن تحالف مع كلوفس وتحمل العبء الأكبر في نهاية المطاف من هجوم ثيودريك المضاد. بين الزواج والحرب ضد آلاريك نجد كلوفس يقف ضد جندوباد أثناء الحرب الأهلية البرجندية، مع ذلك يذكر فريديجار أن جندوباد اعترف بحتمية الزواج، وأعرب عن أمله في صداقة كلوفس عن طريق هذه المصاهرة بينهما، التي ينبغي أن تحدث نتيجة قرابة الزواج الفعلية طبقاً للتوقعات التقليدية للزواج، ولكن بعد بضع سنوات كان كلوفس يهاجم جندوباد مهدداً حياته وملكه.

إن التفسيرات التقليدية للزواج باعتباره (زواج تحالف) لا تتناسب بشكل جيد مع رغبة كلوفس بالزواج من كلوتيلدا، إلى جانب رأى فريديجار بأن جندوباد كان يرغب في صداقة كلوفس، ولكن ليس هناك أي إشارة في الزواج على أنَّه تحالف سياسي. الحقيقة أن التعاون المتوقع مستقبلياً يرتكز على القرابة الزوجية المعلنة، والرغبة علامة جيدة على أن هذا ما يعنيه الزواج. والتوقعات ليس حقيقية وأقرباء اليوم يمكن أن يكونوا منافسين مثلما كانوا حلفاء، جريجوري التوري تحديداً رأى أنَّ الزواج بمثابة بداية غزو الفرنجة لمملكة

(1) Werner, Karl Ferdinand: Histoire de France: Les origines (avant l'an mil) (Paris: Fayard, 1984), p.304.

البرجنديين، وليس من أجل التحالف السياسي أو العسكري بين كلوفس والبرجنديين[1].

ومع ذلك ما الذي اتفقت عليه جميع المصادر هو أن كلوتيلدا كانت عروسة ذات هيبة، منذ وفاة والديها، وأصبحت شقيقتها راهبة فكانت كلوتيلدا الوريثة الشرعية لثروة أبيها التي سيطر عليها عمها جندوباد. إذ إن المصادر تخبرنا أن جندوباد أحكم السيطرة على ثروتها بمثابة الحامي لها، ولكن أظهرت كلوتيلدا رغبتها في الحصول على هذا الميراث ورسمت مخططاً لإجبار جندوباد على ذلك، وذلك بدعم من الفرنجة[2]. كلوتيلدا زوجة طاهرة غنية، كما أكد جريجوري أيضاً شهامة كلوتيلدا. وعندما قدمَ جندوباد وصفه "بأنه شخص من نسل الملك أثناريك Athanaric" (نحو 3605-376/381)، الذي كان في وقت مبكر حاكم القوط، وربط كلوتيلدا بالقوط والسباق الأول للجرمان في القرنين الخامس والسادس[3]، ومِن ثَمَّ فقد نالت فضيلة الزواج من مكانتها وميلادها الرفيع. وذكر جريجوري أنَّ مندوبي كلوفس "رأوا أنَّها امرأة أنيقة وحكيمة وذات سلالة ملكية وحسنة الخلق كذلك"[4].

- **كلوفس والحرب الأهلية البرجندية :**

بعد زواج كلوفس وكلوتيلدا اِقتصرت علاقة كلوفس بالملوك البرجنديين في المصادر التاريخية على حادثتين فقط، هما: تورط كلوفس في الحرب الأهلية البرجندية، ومشاركة البرجنديين في الحملة الفرنجية ضد القوط الغربيين عام 507/ 508م. ويقتصر تاريخ الحرب الأهلية البرجندية على السنوات 500-501م طبقاً لحولية ماريوس أسقف أفينش Marius of Avenches الذي كان معاصراً

(1)Crisp: Marriage and Alliance, P. 68.

(2)Crisp: Marriage and Alliance, P. 68.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.38.

(4) Gregory of Tours: Franks, P.38.

لجريجوري التوري، وكان يعيش بالقرب من موقع الأحداث، الذي أضافَ وصفاً عن الحرب الأهلية البرجندية في حوليته عاماً بعد آخر[1]. وتورط كلوفس في هذه الحرب مثالاً جيداً على عقد تحالفات سياسية مع الملوك الأجانب، كما أنه في الوقت نفسه دليل على أن زواج كلوفس من كلوتيلدا لم يخلق أي نوع من السلام الطويل بين كلوفس وجندوباد.

إن الحرب الأهلية البرجندية في الأساس كانت قتالا بين جندوباد (نحو 473-516) وشقيقه جوديجزل على حكم مملكة البرجنديين، ففي عام 500م كان الصراع بينهما على أشده ما هدد بزوال المملكة. يضاف إلى ذلك أن جندوباد قد قتل شلبريك الثاني Chilperic II (473-486م) والد كلوتيلدا، الأمر الذي جعل كلوتيلدا تَكِنُ حقداً شديداً لعمها جندوباد. وقد تهيأت الفرصة للملك كلوفس لقتال جندوباد عندما لجأ جوديجزل إليه - بعدما سمع عن انتصاراته- يطلب منه المساعدة للقضاء على شقيقه جندوباد سواء بالقتل أو بالطرد من المملكة، وذلك نظير الجزية التي يحددها كلوفس.

وبالفعل أرسل جوديجزل سراً مبعوثين إلى كلوفس يطلب مساعدته في الحرب ضد شقيقه، واعداً إياه "بالمبلغ الذي يحدده جزية سنوية"[2]. وقد وافق كلوفس بسرعة ووعده أن يأتي لمساعدته "متى ادعت الضرورة ذلك". ثم طبقاً لما ذكره جريجوري استعد جوديجزل حتى يأتي كلوفس، أما كلوفس فقد اختار الوقت المناسب وتحرك بجيشه ضد جندوباد الذي لم يكن يعلم شيئاً عن خيانة شقيقه. وقد اعتمد جندوباد على دماء القرابة بينه وبين شقيقه وطلب مساعدته لصد هجوم كلوفس، كما طالبه بتكوين جبهة واحدة ضد الغزو الأجنبي، ولكن خدعه جوديجزل ووعده بالقدوم لمساعدته، ولكنه أعدَ جيشاً وانضم إلى

---

(1) Marius of Avenches: MGH AA XI, p.231.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.41.

كلوفس، والتقى الجميع عند مدينة ديجون Dijon[1] وفي هذه المعركة هُزم جندوباد الذي لاذ بالفرار عندما علم بخيانة شقيقه، واتخذ من مدينة أفينون Avignon ملجأ له.

يبدو من سرد جريجوري أن جوديجزل درس شروط اتفاقه مع كلوفس، وعرض جزءاً من مملكته لكلوفس، ثم ذهب إلى فيينا Vienne بعد النصر للاحتفال بمملكته الموسوعة حديثاً. وقد حاصر كلوفس جندوباد في أفينون حتى وافق على دفع جزية سنوية له، بعد ذلك رجع كلوفس إلى مملكته. ومع أن كلوفس وجد الفرصة المناسبة للقضاء على جندوباد، لكنه اقتنع بقبول الغنائم التي استولى عليها، بالإضافة إلى دفع الجزية السنوية في المستقبل، ثم رجع إلى مملكته[2]، الملك البرجندي التابع ربما كان يستحق أكثر من ذلك في فرض النفوذ، وربما مالياً كذلك، إذ إن جندوباد دفع الجزية في السنة الأولى، ولكن رفض دفعها بعدما سار ضد شقيقه وقتله[3].

سرد جريجوري العام مؤكداً في حولية ماريوس أسقف أفينش[4]، سواء كانت تفاصيل جريجوري دقيقة تماماً أو ليس لها علاقة بالموضوع، ولكن مع ذلك يكفي أن نعرف أن أنصاره سوف يصدقوه. كما أن هذه الحادثة لا تعتمد فقط على توقع السلوك بين الأخوين جندوباد الذي طلب مساعدة شقيقه عندما اعتدى كلوفس عليه، وجوديجزل الذي طلب مساعدة كلوفس ضد شقيقه،

---

(1) ديجون: مدينة فرنسية تقع على الطريق الرئيسي الذي يربط سواحل البحر المتوسط بشمال أوروبا بين منطقة باريس وحوض نهر الرون، وعلى بعد 310 كم جنوب شرق باريس 190كم شمال مدينة ليون. كانت مقراً لدوقات برجنديا في القرن الرابع والخامس عشر الميلاديين. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.226.

(2)Gregory of Tours: Franks, P.43.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.43.

(4) Marius of Avenches: MGH AA XI: P.234.

ولكن في الحقيقة نجد أن رابطة القرابة ليست ضرورية لكلوفس لكي يتحالف مع جوديجزل. على الرَّغم من أن جوديجزل أيضاً عم كلوتيلدا، ولكن القرابة بين جوديجزل وكلوفس لم تظهر في المصادر كتعبير عن تحالفهم، وهذا ليس مستغرباً، كما أنَّ المصادر عندما تناقش زواج كلوفس كلوتيلدا فإنَّها تشير دائماً إلى مشاركة جندوباد في الزواج بدون مساعدة جوديجزل، ولكن هذا لا يعني رؤية الكثير من التحالف بين كلوفس وجوديجزل في فترات مختلفة.

في الواقع الحرب الأهلية تورط فيها الأقرباء في القتال بعضهما ضد بعض. فبالنسبة لجوديجزل فإنه تحالف مع كلوفس ليتغلب على شقيقه. هذا يذكرنا بنهج كلوفس الخاص عندما هاجم أقربائه، ذلك النهج مفيداً في كثير من الأحوال، ولكنه خاضع للضرورة السياسية، مثل محاولة كلوفس إغراء أقربائه الخائفين. وسر تحالف جوديجزل مع كلوفس حدث بشكل جيد لأنه لا يستطيع الاعتماد على جندوباد وإستدعائه لمساعدته عند هجوم كلوفس، وهكذا جندوباد لم يقلق عندما ظهر جوديجزل واندهش عندما لم يشترك معه ضد كلوفس طبقاً للسلوك المتوقع المرتبط بحكم قرابته.

أما بالنسبة لتحالف كلوفس وجوديجزل، يمكننا أن نستنتج أن كلوفس وجوديجزل اتفقوا على الوقت المحدد للمعركة، وحددوا قيمة مساعدة كلوفس، إنَّها مع ذلك اتفاقية محددة النهاية والمدة، كلوفس لم يعد لمساعدة جوديجزل ضد أخيه مرة أخرى، حتى أنَّه قبل خسارة وعد جندوباد بالجزية بعد فترة قصيرة، لكنه أخذ غنائم لوطنه وملئ خزانته. ومع ذلك لا جريجوري ولا ماريوس ذكروا زواج كلوفس وكلوتيلدا في مناقشتهم للحرب الأهلية التي أشاروا إليها على الأقل، ولم يروا أي علاقة يبن الزواج والمساعدة المقدمة من كلوفس لجوديجزل، يمكن أن يكون كلوفس وجوديجزل عقدوا اتفاقية دون الاعتماد على روابط القرابة بينهما، ويبدو أن المنافسة على مملكة البرجنديين بين الأشقاء كانت شرسة مثلما كانت بين الفرنجة.

- إعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية :

يُعد إعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية من أطرف وأهم الموضوعات التي يمكن دراستها في فترة حكمه، والواقع أن جريجوري التوري أمدنا في كتابه بأدق التفاصيل عن إعتناق كلوفس المسيحية، وكان كلوفس وثنيا فلم يكن يقيده إيمان راسخ بالآريوسية مثل بقية القبائل الجرمانية، وفي الوقت نفسه أقام علاقات ودية مع الأساقفة الكاثوليك في شمال غالة[1].

طبقاً لما ذكره جريجوري التوري فإن زوجته كلوتيلدا حاولت كثيراً إقناع زوجها باعتناق المسيحية، ولكن دون جدوى، والعلاقة بين كلوفس وكلوتيلدا حول تحويل الملك إلى الكاثوليكية جعلت كلوتيلدا ذات هيبة في عيون جريجوري التوري على الأقل، وقد شاركت كلوتيلدا بشكل كبير في تحويل كلوفس للمسيحية، على الرَّغم من القصة التي يرويها جريجوري التوري وهو على الأرجح ارتكز على نص حقيقي للقصة.

إن عملية تحويل كلوفس للمسيحية كانت طويلة، التي قد تكون بتوجيهات من قبل ريميجيوس Remigius أسقف مدينة ريميس، وتشجيعه من قبل كلوتيلدا أيضاً حتى النصر في المعركة على قبائل الألماني عام 496م[2]، كل ذلك قد يكون في النهاية السبب في إقناع كلوفس بالمسيحية الكاثوليكية وتعميده هكذا. لذلك فمن غير المحتمل ألَّا يكون لكلوتيلدا دوراً كبيراً في تحويل الملك للمسيحية، كلوتيلدا ربما كانت ذات هيبة ومكانة في عيون كلوفس كذلك.

والحقيقة أن كلوتيلدا الشديدة الإخلاص لعقيدتها حققت نصف انتصارها بإقناع زوجها بتعميد أطفالهما[3]. ولم تيأس كلوتيلدا مطلقا ولم تتوان في حث

---

(1) Previté-Orton: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol I,, p. 151;
انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 92.

(2) William W. Daly, "Clovis: How Barbaric, How Pagan?," *Speculum* Vol. 69, No. 3. (Jul., 1994), PP.619-64.

(3) Pfister: " Gaul under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II, P. 111.
انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 94.

زوجها على اعتناق المسيحية حتى بعد وفاة طفلهما الأول الذي قامت بتعميده، وصممت على تعميد طلفهما الثاني، وعندما بدأ يتوعك قال لها كلوفس: "إنه سيفارق الحياة بمجرد تعميده مثلما حدث لأخيه"، وهنا صلت لله حتى شفي الطفل[1]. وفي عام 496م شن كلوفس الحرب على الألماني، وفي تلك الحرب وافق كلوفس "بإرادته الحرة على ما كان يرفضه" على حد تعبير جريجوري التوري، إذ حدث عندما تقابل الجيشان وكاد أن ينهزم كلوفس، عندئذ رفع عينيه إلى السماء، متوسلاً باسم المسيح أنه إذا وهبه النصر على أعدائه سوف يؤمن به، وبمجرد أن قال ذلك فر الألماني هاربين[2].

ما أن عاد كلوفس من حربه على الألماني حتى قص ما حدث لزوجته كلوتيلدا ورغبته في اعتناق المسيحية، ففرحت كلوتيلدا كثيراً وأرسلت سراً إلى الأسقف ريميجيوس، "وتوسلت إليه أن يمنح الملك كلمه الخلاص من الخطيئة" وتم تعميد كلوفس ومعه أكثر من ثلاثة آلاف من جيشه[3]. عندئذ كتب أفتيوس Avitus أسقف فيينا إلى كلوفس قائلاً: "إيمانك هو انتصارنا" ثم حثه بلغة معبرة رائعة أن ينشر الكاثوليكية بين البرابرة في أكبر مساحة من الأرض "التي لم تكن قد فسدت بعد بالمذاهب الهرطقية..."[4].

---

(1)Gregory of Tours: Franks, P.39;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 95-94.

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 95-94

(2)Gregory of Tours: Franks, P.40;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 96-95.

(3)Gregory of Tours: Franks, P.40-41;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 96-95.

(4)Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose,PP.369,373; Pfister: " Gaul under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II, P. 112; Previté-Orton: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol I,, pp. 151-52;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 99.

- نتائج تحول كلوفس إلى المسيحية الكاثوليكية :

ومهما كان سبب اعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية، فإنَّه كان ذا تـأثير بعيد المدى في تاريخ أوروبا. فخلافاً للملوك الجرمـان الآخـرين، أصبح كلوفس كاثوليكياً وليس آريوسياً، وبذلك أصبح زعيماً وليس عدواً لسكان بلاد الغال الكاثوليك وأساقفتهم. ومنذ هذا الوقت فصاعداً، أصبح مصطلح "لم يتلوثوا بالهرطقـة" Free of Heresy يستخدم على نحو علنـي لوصف الفرنجـة وحكامهم. وهكذا تحول الفرنجـة من حلفـاء Foederate مجهـولين للرومـان، ومـن مجـرد حمـاة حـدود إلى سـادة لمملكـة كبيرة[1]، وحلفاء للكنيسة الكاثوليكية. وقدر لهذا التطور أن يكون ذا تأثير بعيد المدى لتاريخ أوروبا عموماً، وللفرنجة الميروفنجيين والكارولنجيين بصفة خاصة.

إلى جانب ذلك، يبرز كلوفس بوصفه أول ملك جرماني يعتنق المسيحية الكاثوليكية، لأن القبائل الجرمانية الأخرى في أوروبا الغربية كانـت اعتنقـت المسيحية الآريوسية، وقد اتخذ كلوفس وخلفاؤه مـن الـدين سـبيلاً لتوسـيع مملكتهم ودعم حكمهم، فأصبحوا بذلك حمـاة الكاثوليكيـة في بـلاد الغـال وخارجها، وقد دعمت البابوية، على نحو فعال، انتصار الفرنجة على القوط الغربيين في معركة فويـيـه[2]. كما مهد ذلك إلى التحالف والتقارب الذي قام بين الفرنجة والبابوية في الفترة التالية من حكم الفرنجة، هذا التحالف الذي كان من أهـم مظـاهره تتـويج البابـا لـشارلمان الفرنجـي وجعلـه إمبراطـوراً للغـرب الأوروبي عام 800م.

---

(1) Heinrich Fichtenau: The Carolingian Empire, Trans. by peter Munz, University of Toronto Press, 1978, pp. 2-3.

(2) R.H. C. Davis, A History of Medieval Europe From Constantine to saint Louis, London, Longman, 1988, p. 103.

وهناك احتمالات بأن منافسي كلوفس من الفرنجة لم يكن لديهم زوجات كاثوليكيات، والكاثوليكية كانت مذهب الإمبراطور الروماني كذلك الرومان الغاليين وأساقفتهم. ولكن من الصعب إظهار إن كلوفس تزوج كلوتيلدا مع فكرة التحول إلى الكاثوليكية، ولكن مع العروسة الكاثوليكية كان يأمل تكوين علاقات جيدة مع الإمبراطور الروماني ويضمن ولاء الرومان الغاليين. كل هذه الفضائل معاً-ثروتها، جمالها، حكمتها، الدم الملكي، وأنها كاثوليكية كل ذلك جعل كلوتيلدا عروسة ذات أولوية للملك الفرنجي مع طموحاته الكبيرة، وساهم ذلك في محاولات كلوفس في التغلب على منافسيه في شمال الغال وجنوب الغال ضد القوط الغربيين. أما عن نهاية كلوتيلدا فإنها قد ترهبنت بعد وفاة كلوفس عام 511م، وتقاعدت في دير القديس مارتن St. Martin في مدينة تور[1].

(1)Gregory of Tours: Franks, P.50.

* ثيودريك العظيم وأودفيلدا:

أقام ثيودريك Theodoric (489-526م) ملك القوط الشرقيين العديد من المصاهرات السياسية مع العديد من الحكام البرابرة في الغرب من الفرنجة، القوط الغربيين، البرجنديين، الوندال، والثورنجيين، وذلك قرب نهاية القرن الخامس الميلادي، فقد تزوج ثيودريك شقيقة كلوفس Clovis (481-511م) ملك الفرنجة التي تدعى أودفيلدا Audefleda[1]، كما زوج ابنته ثيودوجوثا Theodichusa إلى آلاريك الثاني Alaric II (485-507م) ملك القوط الغربيين[2]، وزوج ابنته الأخرى أوسترجوثا Ostrogotho أو أريجيني Areagni إلى سيجسموند Sigismund (516 - 523م) بن جندوباد ملك البرجنديين[3]، وزوج شقيقته آمالافريدا Amalafrida إلى تراسموند Thrasmund (493-523م) ملك الوندال، كما زوج آمالابرجا Amalabirga ابنة شقيقته آمالافريدا إلى هرمنفريد[4] Herminifred (نحو 507-532م) ملك الثورنجيين[5].

---

(1)Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 18.; Jordanes: The Gothic, p. 137; Gregory of Tours: Franks, P.68.

(2) Jordanes: The Gothic, p. 137 ;

انظر أيضاً، بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج1، ص90.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.54; ;See Also, Burns. (TH.): A History of the Ostrogoths, (Indiana. 1992), P. 95.

(4) هرمنفريد: تولى الملك هرمنفريد حكم مملكة الثورنجيين بعد قتلهِ أخيه برثيشار Berthechar عام 507م، وظل هرمنفيد يحكم المملكة حتى سقوط مملكة الثورنجيين في يد الفرنجة عام 532م. انظر:

Ryan Patrick Crisp, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481-639, A Dissertation sumitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003), p. 123.

(5) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana,p. 18; Burns: the Ostrogoths, P. 95.

انظر أيضاً، بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج1، ص90. =

وبناءً على التفسيرات التقليدية للتحالفات السياسية التي تُعد نتيجة لهذه الزيجات الكثيرة كان يجب أن يصبح هؤلاء قوة واحدة وتنسق التعاون بينها، وبالفعل حدثت تلك التوقعات في العقد الأول من القرن السادس، وأصبح من الواضح أنَّ ذلك أفضل تفسير يجب أن يحدث، ولكن فيما بعد احتدم التنافس والنزاع بين هؤلاء الملوك في تلك الفترة، ولم تكن قرابة الزواج لتحل محل قرابة الدم. فمن وجهة نظر كلوفس أصبح الزواج من المنافسات الداخلية بين ملوك الفرنجة في بلاد الغال أكثر من الاعتبارات السياسية الخارجية. وعززت المصاهرة مع القوط الشرقيين مركز كلوفس بشكل كبير وجعلت نشاطه على شكل أوسع في العقدين الأخيرين من حكمه، أما بالنسبة لثيودريك فقد حاول أن يعقد عدداً من المصاهرات السياسية ليسيطر على المنافسات الخارجية ولتوطيد نفوذه الخارجي، وأيضاً ليسيطر على طموح كلوفس على حد قول البعض.

وقد استخدم ثيودريك الزواج السياسي على وجه الخصوص ليس لتأكيد نفوذه فقط، ولكن أيضاً لتعزيز سلطته وهيبته ضد منافسيه، وذلك عندما تزوج "أودفيلدا"، كذلك كان يعمل كلوفس على توطيد نفوذه ضد منافسيه، خاصةً أنه لم يحقق بعد أعظم انتصاراته ضد الألماني، البرجنديين والقوط الغربيين. ومع ذلك كان قد حقق إنجازات في شمال الغال، وهو ما كان كافياً لثيودريك أن يطلب عروسا من حاكم الفرنجة الشاب؛ ما ترتب عليه زيادة قوة ثيودريك في إيطاليا حتى لم يعد أحد من ملوك الجرمان الآخرين يتباهى بذلك.

إن زواج أودفيلدا من ثيودريك العظيم أبعدها مئات الأميال عن بلاط كلوفس وعن وطنها، ولم تترك الكثير من التأثير في المصادر الموجودة، ولم نعرف أي شيء عن أودفيلدا وعلاقتها بكلوفس باستثناء ما يذكر عن زواجها من

= أخطأ المؤرخ المجهول عندما ذكر أن ثيودوجوثا تزوجت من الأمير سيجسموند بن جندوباد ملك البرجنديين، وكرر المؤرخ المجهول نفس خطأه عندما ذكر أن الأميرة أوستروجوثا تزوجت آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين، انظر:

Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, p. 18.

ثيودريك في عدد قليل من المصادر، وقصة عنها وعن ابنتها آمالاسونثا في الفصل الثالث من كتاب جريجوري التوري. وأفضل معلومات موجودة عن أودفيلدا موجودة في حولية المؤرخ المجهول "Excerpta Valesiana" عن عهد الملك ثيودريك، وكتاب جوردان "Jordanes" عن القوط.

حيث ذكر المؤرخ المجهول أن **"ثيودريك بالفعل اتخذ زوجة من الفرنجة تدعى أوجوفيلدا Augoflada"**[1]. وكتب جوردان القليل عن هذا الموضوع حيث ذكر "**في السنة الثالثة من غزوه لإيطاليا... أن أرسل سفارة إلى لودن Lodoin (يقصد كلوفس) ملك الفرنجة يطلب يد ابنته أودفيلدا Audefleda للزواج؛ فوافق كلوفس وأبناؤه شلدبرت Celdebert وهلدبرت Heldebert وثيودبرت Thiudebert عن طيب خاطر وبحرية معتبرين أنَّ هذا الاتفاق بمثابة تحالف مع الشعب القوطي، وأنَّهم دخلوا في تحالف معهم، ولكن هذا التحالف لم يكن مفيداً للوئام والسلام...**"[2].

لتفسير هذا الزواج نجد أن جوردان استشهد بنموذج مبادئ الزواج لمثل هذه العلاقة التي يجب أن تجلب السلام والتحالف بينهما، ويجب علينا ألا نأخذ مثل هذه التفسيرات التقليدية للزواج على محمل الجد؛ إذاً ماذا يبدو ليقول جوردان أن كلوفس كان له شرف مصاهرة القوط الشرقيين؟ هذا النص يوحي بافتراء على الفرنجة البرابرة مقارنة بالقوط رفيعي الثقافة، وأن الفرنجة محظوظون بما فيه الكفاية لأن يتزوج شخص من تلقاء نفسه مثل ثيودريك منهم، واعتقدوا أن هذا الزواج بمثابة تحالف رسمي بينهم. ومع ذلك يقول جوردان بوضوح ويتوقع أن هذه القرابة التي أُنشئت بفعل الزواج سوف تنشئ التحالف بين الطرفين، على الرغم من أنَّه يشكو في واقع الأمر أن ذلك الزواج لم يحقق النتيجة المرجوة عندما قال "ولكن هذا التحالف لم يكن مفيداً للوئام والسلام".

(1) Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana,p. 18.

(2) Jordanes: The Gothic, p. 137.

من المحتمل أن جوردان كتب مؤلفه في وقت لاحق، وأساء فهم معنى هذا الزواج ودوافعه، كما أنّه أساء فهم بعض الحقائق المحيط بهذا الزواج. ففي عهده كان الفرنجة قوة لا يستهان بها في السياسة الإيطالية، كما أن ثيودبرت الأول حفيد كلوفس أرسل عدة حملات إلى إيطاليا وسيطر على بعض أجزاء من شمال إيطاليا، وهكذا كما خططت القوة الفرنجية للنفوذ أيام كلوفس فإنَّ ثيودريك تحكم بكلوفس عن طريق الزواج، إذ لم يعارض كلوفس ثيودريك في حكمه لإيطاليا، ولم تقم بينهما أي عداوة طوال فترة حكم ثيودريك غير احتكاك كلوفس بآلاريك ملك القوط الغربيين وتدخل ثودريك حفاظاً على القوى الجرمانية في الغرب، وعلى الرغم من ذلك كان كلوفس بعيداً عن القوة المحتملة في إيطاليا في ذلك الوقت مثلما فعل حفيده ثيودبرت الأول فيما بعد[1].

إن المشاكل الفعلية في تفاصيل جوردان تظهر بوضوح على الفور، ويلقى الشك في مصداقية كلامه، مثل شلدبرت وهلدبرت هما في الأصل شخص واحد، ولكنه ذكرهم على أنّهما شخصان[2]، كما أنّه ساوى شلدبرت الأول (511-558م) بثيودبرت الأول (534- 548م) حفيد كلوفس من ابنهِ ثيودريك الأول (511-534م). على ما يبدو ببساطة أن جوردان أخطأ في أسماء الفرنجة التي سمعها من قبل، ثيودبرت الأول على سبيل المثال اشترك في حملة على إيطاليا قبل بضع سنوات من كتابة مؤلفه. أيضاً عندما غزا ثيودريك العظيم إيطاليا في عام 489م لم يكن كلوفس لديه ثلاثة أبناء بعد. علاوة على ذلك أشار جوردان إلى أودفيلدا على أنّها ابنة كلوفس وليست شقيقته. يبدو أنَّ هناك مشاكل كثيرة واضحة في تاريخ جوردان لا يمكن الاعتماد عليها بشكل ملاحظ حول الأحداث في الغرب[3].

---

(1) Crisp: Marriage and Alliance, p. 51.

(2) أنجب الملك كلوفس (مات عام 511م) خمسة أولاد وبنت واحدة وهم انجومير الذي توفي وهو طفل وكلوتيلدا التي تزوجت أماليك ملك القوط الغربيين، وثيودريك الأول، وكلودومير، وشلدبرت الأول وكلوثر الأول. انظر: Gregory of Tours: Franks, P.58.

(3) Walter Goffart: The Narrators of Barbarian History (A.D. 550-800): Jordanes, Gregory of Tours, Bede, and Paul the Deacon. Princeton, N.J.: (Princeton University Press, 1988), pp. 65-68.

أما جريجوري التوري فهو شاهد أقرب للحدث كتب عن ذلك، وإن لم يمدنا باسمٍ أودفيلدا، قائلاً: "**ثيودريك الإيطالي تزوج شقيقة الملك كلوفس، وعندما تُوفِّيَ ترك ابنة صغيرة من زوجته**"[1]. ومضى جريجوري لربط مختلف الشائعات والقصص التي سمعها حول هذه الابنة الصغيرة آمالاسونثا Amalasuntha، التي جاءت دون اسم في السرد[2].

أما خطابات كاسيدروس Cassiodorus - الذي شغل منصب وزير ثيودريك خلال بعض سنوات حكم كلوفس في بلاد الغال- فهي أقرب مصدر معاصر لدينا لهذا الزواج. وتؤكد خطابات كاسيدروس الزواج، وتمدنا بمعلومات كثيرة عن ظروف هذا الزواج في هذه الفترة، ولكن سوف نعرض القليل من التفاصيل المحددة[3]. إذا كنا على الأقل نقبل تحديد جوردان للزواج في السنة الثالثة بعد قدوم ثيودريك إلى إيطاليا، ثم كُتبت خطابات كاسيدروس بعد 10 إلى 12 سنة بعد عقد الزواج. إذا ليس هناك ما يشير أو يقترح أن أودفيلدا تزوجت من حاكم القوط الشرقيين في إيطاليا في بداية عام 490م، وربما تزوجت عام 493م بعد أن أُعلن ثيودريك ملكاً وقتل أدواكر.

يتضح مما سبق أن السبب الأساسي لزواج ثيودريك من ادوفيلدا ليس له علاقة بأحداث عامي 507/ 508م[4]، مع الأخذ بعين الاعتبار موقف كلوفس عام 493م، وليس مرجحاً أن ثيودريك يتطلع إلى الفرنجة كحلفاء مهيمنين عندما تزوج منهم. ثيودريك ربما وضع ثقته بزواجه للمساعدة في ضبط السياسة في الغرب والسيطرة على طموحات كلوفس، ولكنه كان لا يملك أي شيء، ولكنها مجرد فكرة غامضة للإفادة من إمكانياتهم في السنوات القادمة.

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P.68.

(2) Walter Goffart: The Narrators of Barbarian, p. 215.

(3)Cassiodorus: The lettess of Cassiodomis, P.194.

(4) أحداث عام 507، 508، يقصد بها الحرب بين الفرنجة والقوط الغربيين ومعركة فوييه Vouile.

أما حياة أودفيلدا في بلاط ثيودريك فإنها مجهولة تقريباً، ولكن جريجوري التوري افترض أنّها أصبحت آريوسية، وافترض أن تحويلها حدث في قصر زوجها[1]. ولكن ينبغي أن نضع في الاعتبار أن سرد جريجوري لحكم كلوفس محرف بسبب تركيزه على الصراع الكاثوليكي الآريوسي في تلك الفترة الذي ربما لم يكن موجوداً[2]. وهناك أيضاً بعض الاقتراحات في الآونة الأخيرة إن كلوفس نفسه أصبح مسيحيّاً آريوسيّاً أو اعتنق هذا المفهوم، وربما هذه الآريوسية جاءت من بلاط ثيودريك عبر شقيقته[3]. قد يكون من الأفضل أن نفهم أنّ أي عبث مع الآريوسية هو مثال آخر لبحث كلوفس عن طرق لزيادة نفوذه مقارنة بالمنافسين الآخرين للقيادة بين الفرنجة، وذلك بجعل نفسه على قدم المساواة الدينية مع الملوك البرابرة الآخرين في عهده مثل ثيودريك، جندوباد وآلاريك الثاني.

من ناحية أخرى ثمة دليل على أهمية هذا الزواج في المنافسة الداخلية التي يواجهها كلوفس بدلاً من أن يكون وسيلة للتعاون الخارجي ووجدت خلفية أدت لهذا الزواج. والدليل على الجزء الأول هو فشل كلوفس بالاتصال بمملكة أدواكر بإيطاليا لا سيما أن كلوفس كان منهمكاً بتعزيز سيطرته على مملكة سياجريوس، وفي السنوات السابقة لزواج شقيقة كلوفس عين ثيودريك نفسه نائباً للإمبراطور زينون في إيطاليا ضد أدواكر[4].

وهكذا فإن زواج ثيودريك وأودفيلدا قد حدث قبل أن يصبح الزعيمان البربريان للغرب جيراناً أو يصبحا متعارضين. إذاً الزواج مِن ثَمَّ لا يخدم أي وساطة للتوصل إلى سلام بين اثنين منافسين، أو خلق تحالف عسكري محدد بين ثيودريك القوطي وكلوفس الفرنجي. مع أن جوردان اقترح أنَّ هناك أملاً في السلام من خلال

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P.68; Wood: The Merovingian Kingdoms, pp.44-5.

(2) Wood: The Merovingian Kingdoms, pp.44-5.

(3)Wood, The Merovingian Kingdoms, pp.44-5; Roger Collins: Early Medieval Europe, 300-1000, (New York: St. Martin's Press, 1999), p.104.

(4) Crisp: Marriage and Alliance, p.54.

هذا الزواج يمكن أن يحدث، ولكنه كتب مؤلفه بعد أن أصبح الفرنجة مشاركين في الشئون القوطية، خاصة في عهد ثيودبرت الأول (534-548م).

هناك كاتب آخر من عهد جستنيان وهو بروكوبيوس، ولكنه أيضا ليس مصدراً أكثر موثوقية للشئون الغربية، إذ لم يشر إلى زواج ثيودريك وأودفيلدا بالتزامن مع حملة ثيودريك ضد أدواكر واستيطانه في إيطاليا ولكن بدلاً من ذلك قال:

"لكن بعد سقوط أدواكر بدأ الثورنجيون Thuringian والقوط الغربيون يخشون سيطرة الجرمان (الفرنجة) التي كانت تنمو الآن أكثر فأكثر، ذلك لأن بلدهم كانت قد أصبحت منطقة آهلة بالسكان وكانوا يجبرون الذين يقفون في طريقهم بين حين وآخر على الإذعان دون مواربة، وعليه كانوا متلهفين لاكتساب حلف القوط مع ثيودريك. وبما أن ثيودريك كان يريد أنْ يرتبط بهذه الشعوب لذلك لم يرفض التزاوج معهم، وبناءً عليه زوج ابنته الأصغر سناً ثيودوجوثا Theodichusa إلى آلاريك قائد القوط الغربيين، وآمالابرجا Amalaberga ابنة شقيقته آمالافريدا Amalafrida إلى هرمنفريد Hermenefridus حاكم الثورنجيين. ونتيجة لذلك أحجم الفرنجة عن العنف ضد هذه الشعوب خوفاً من ثيودريك، ولكنهم شرعوا في حرب ضد البرجنديين، ولكن فيما بعد دخل الفرنجة والقوط في تحالف ضد البرجنديين، ووافقوا على وجوب جيش ضدهم..."[1].

ولكن رداً على دقة توضيح بروكوبيوس لهذا التطور التاريخي نجد أن توضيحه ذلك مشكوكاً به منذ إشارته الغامضة لتاريخ الفرنجة، كما أنَّها لا تكشف عن توقعاته للدوافع والنتائج المترتبة على هذه المصاهرة، كما أنَّ بروكوبيوس يفسر المصاهرات التي تربط الشعوب بالملك ثيودريك على أنَّها أداة

(1) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ1، ص90.

دبلوماسية مفترضة للحفاظ على سلامتهم من بطش الفرنجة الجشعين. كما ذكر جريجوري التوري أنَّ كلوفس غزا مملكة الثورنجيين في السنة العاشرة من حكمة (نحو 491م)، وأن زواج هرمنفريد وآمالابرجا ربما يكون رد فعل نتيجة تلك الحملة على الثورنجيين، بعد ذلك أظهر كلوفس نفسه كقوة لا يستهان بها[1]. ومن المثير للاهتمام يبدو أنَّ أبناء كلوفس انتظروا حتى وفاة والدهم لاستكمال غزو الثورنجيين نحو عام 531م، ولم توقف القرابة بين ثيودريك وآلاريك، كلوفس من الصدام مع آلاريك في معركة عسكرية.

وبذلك فشل بروكوبيوس أيضاً في الإشارة إلى كلٍ من زواج ثيودريك من العروسة الفرنجية، وأيضاً إلى زواج كلوفس من الأميرة البرجندية، وكل منهما تعارض مع شَرحِهِ الكبير لتطور العلاقات الدولية في هذه الفترة. ومِن ثَمَّ يمكن أن يكون بروكوبيوس قد اختصر هذه الفترة في تاريخه، واعتمد بشكل كبير على توقعات القرابة التقليدية لمثل هذه المصاهرات عندما قال إن القوط الشرقيين والفرنجة قد تحالفوا ضد البرجنديين[2]، ولم يشر مطلقاً إلى أي زواج يربط بينهم، وقد أظهر كذلك الإشارة إلى القرابة على أنها ليست ضرورية لعقد التحالفات على الإطلاق، ومِن ثَمَّ فإنَّه من المنطقي أن نرى في زواج أودفيلدا وثيودريك على أنه محاولة من جانب كلوفس لتعزيز مكانته بين غيره من ملوك الفرنجة المنافسين، وليس أداة دبلوماسية لثيودريك لتعزيز نفوذه الخارجي.

وقد اقترح مورهيد المؤرخ Moorhead أن بعض المصاهرات التي عُقدت بين عائلة ثيودريك وبين الحكام الجرمان الآخرين بدأت بهؤلاء سعياً إلى "حلف مرجوة" خاصة بعد هزيمة أدواكر[3]. ويعتقد جوردان إن كلوفس كان محظوظاً

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P.56;

(2) ربما يشير إلى حملة أبناء كلوفس ضد البرجنديين عام 534 م.

(3) John Moorhead: Theoderic in Italy. Oxford: Clarendon Press, 1992, p.51.

لمصاهرة أسرة ثيودريك الحاكمة، لأن ذلك من شأنه وضعهِ فوق أي ملك آخر من ملوك الفرنجة المنافسين مثل سيجبرت الأعرج[1] Sigibert the Lame ملك كلوني، وشاراريك[2] Chararic وراجناشار Ragnachar ملك كامبري الذين كانوا لا يزالون ينافسون كلوفس على القيادة الفرنجية.

ويجب أن نلاحظ هذا على الرغم من وجود علاقة متفاوتة بين الفرنجة والقوط الشرقيين (لكنهم أحيانا حلفاء، وأحيانا أعداء)، ومع ذلك ثيودريك لم يطرد أودفيلدا مطلقاً على الرغم من إنها أنجبت له ابنة واحدة. وفي الحقيقة أنَّه رغم أن الفترة من 493م حتى 511م تتميز بتغير التحالفات العسكرية باستمرار بين الفرنجة، البرجنديين، القوط الغربيين والقوط الشرقيين، ووجود مطامع للقوط الشرقيين تهدف إلى التوسع الإقليمي، وأيضا مطامع الملوك الشخصية، فإنَّه لا أحد من هؤلاء الملوك الذين تزوجوا من الأميرات الأجنبيات طلق زوجته مطلقاً، حتى عندما وقفت شعوبهم بعضها ضد بعض في المعركة.

---

(1) سيجبرت الأعرج: هو ملك الفرنجة البريون Ripuarian، وقد أوقع كلوفس بين شلودريك بن سيجبرت الأعرج وأبيه، وتحالف معه حتى أعلن الحرب ضد أبيه وقتله، ثم قتله كلوفس وسيطر على مملكته... انظر:

Gregory of Tours: Franks, PP.47-8;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 107؛ محمود سعيد عمران: المؤرخ جريجوري التوري وتأريخه للملك كلوفس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة، (بيروت 1980)، ص 41.

(2) شاراريك: هو ملك الفرنجة البحريين Salian Franks، وقد وقف على الحياد أثناء حرب كلوفس مع سياجريوس، ولكن كلوفس قضى عليه فيما بعد وقتله وأخذ ممتلكاته وثروته وأخضع شعبه... للمزيد انظر:

Gregory of Tours: Franks, P. 49;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 109؛ عمران: جريجوري التوري، ص 42.

ولم تكن التحالفات العسكرية في هذه الفترة دائماً تجد الكثير من التعاون بالزواج منذ اِرتباط ثيودريك بالملوك البرابرة عن طريق الزواج، على الرَّغم من قتال هؤلاء الملوك البرابرة أنفسهم في عدة معارك. ورغم استخدام جوردان كلمة العصبة والمساعدة في الارتباط بالزواج فإنَّ هناك القليل من الأدلة على التعاون السياسي أو العسكري بين كلوفس وثيودريك إلى جانب الهزيمة اللاحقة التي كسرت الألماني، وإرسال العازف قيثارا Cithara (Citharoedus)[1] إلى بلاط كلوفس، فإنَّ المغزى والدوافع لهذه المصاهرة الكاذبة في حالة تقريرها ساعدت كل طرف على الوضع السياسي داخلياً سواء ضد ملوك الفرنجة المنافسين بالنسبة لكلوفس أو خارجياً بالنسبة لثيودريك وكلوفس أيضاً ضد الملوك الجرمان الآخرين.

(1) أثناء الحرب بين كلوفس وقبائل الألماني عام 506م، فر العديد من الألماني إلى مملكة ثيودريك، وعندها أرسل ثيودريك عدة رسالة لكلوفس بعدم مطارتهم، كما أرسل إليه العازف قيثارا بناءً على رغبه كلوفس... للمزيد انظر:
Cassiodorus: The lettess, PP.194-5.

* آلاريـــك وثيودوجــوثا:

تولى الملك آلاريك الثاني Alaric II (485-507م) عـرش مملكـة القـوط الغربيين بعد وفاة أبيه إيورك، وحكم في مدينة تولوز، وظل في الحكم لمدة 23 عاما[1]، ولكـن لم يكـن لـه مـا كـان لوالـده مـن مهـارة في الـشئون الـسياسية والعسكرية بل كان ضعيفا قصير النظر، ليس على شيء من الحصافة والمرونـة، وواجـه في بدايـة عهـده غـزو الفرنجـة لغالـة بقيـادة كلـوفس وإنـزال الهزيمـة بسياجريوس Siagrius في معركة سواسون Bataille De Soisson سـنة 486م[2]. وعلى الرغم ما ترتب على ذلك من خطـر في قلـب غالـة، وفـرار سـياجريوس والتجائه إلى آلاريك الثاني وهدم الولاية الرومانية التي كانت حاجزاً بين الفرنجة والقوط الغـربيين، فـإنَّ آلاريـك أظهـر جهـلاً وقـصر نظـر حـين بـادر بتـسليم سياجريوس إلى غريمه كلـوفس فلـم يتـوان في قتلـه، فـدل ذلـك علـى رعونـة وسذاجة آلاريك بعد أن أصبحت مملكة الفرنجة وجهاً لوجه أمام مملكة القـوط الغربيين[3].

يتضح مما سبق، أن سياسـة ثيودريـك العظـيم الخارجيـة ارتكـزت علـى حماية شبه الجزيرة الإيطالية من أي خطر يتهددها، وتقويه نفوذه الخارجي، فقام بعقد سلسلة من المصاهرات السياسية مع ملـوك الجرمـان مـن أجـل أن يفـوت

---

(1) Isidore of Seville: History of the Goths, p. 18.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ; Oman: Dark Ages p. 59;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 60.؛ علية الجنزوري: جريجوري التـوري، ص 88؛ عمران: جريجـوري التـوري، ص 26؛ فاطمـة الـشناوي: معركـة سواسـون، ص887، 882.

(3) إبراهيم طرخان: القوط الغربيين، ص97؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص59-60.

الفرصة على الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول (491-518م) في اللجوء إلى سياسة "فرق تسد"، التي بواسطتها يستطيع تأليب ملوك الجرمان بعضهم ضد البعض، كما استخدم زينون - من قبل- ثيودريك ضد أدواكر، فإن إنستاسيوس يستطيع أيضاً أن يقوم بالدور نفسه[1]، فكان من سياسة ثيودريك هذه أن زوج ابنته غير الشرعية التي تدعى ثيودوجوثا Theodoegotha إلى آلاريك الثاني ملك القوط الغربيين عام 500م[2].

ولم يدرك ملوك الجرمان أهداف ثيودريك من وراء تلك المصاهرات السياسية، وبدلا من الأخذ بالمبدأ القائل "الاتحاد قوة والتفرق ضعف" إنفرط عقد ملوك الجرمان، حيث غلب عليهم مصلحتهم الشخصية على حساب المصلحة العامة، ومِن ثَمَّ لم يكن من المنتظر أن يستمر ذلك التحالف طويلا، إذ سرعان ما إنهار تحت أقدام كلوفس ملك الفرنجة[3].

- **<u>معركة فويـــيـــه VOUILLÉ :</u>**

ظل الملك كلوفس مقيداً بعد اعتلائه العرش لمدة خمس سنوات بواسطة إيورك ملك القوط الغربيين، لكن ما أن توفي الملك إيورك عام 485م[4] وتولى ابنه آلاريك الثاني[5] Alaric II (485-507م) عرش مملكة القوط الغربيين، حتى تنفس كلوفس الصعداء، وذلك لأن الملك آلاريك لم يكن له ما كان لوالده من

---

(1) Villari: Barbarina, pp.70-71; Bury: Roman Empire, vol.1. p.462;

انظر أيضاً، ايهاب صديق العربي: مملكة القوط الشرقيين، ص218.

(2) Jordanes: The Gothic,p.137; Isidore of Seville: Goths, p.18; see also, Roger Collins: Visigothic Spain, p.33.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 45;Wood: Merovingian,p.41.

(4)علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 87.

(5) تولى الملك آلاريك الثاني (485-507م) عرش القوط الغربيين بعد وفاة والده الملك إيورك، وحكم في مدينة تولوز Toulouse، وظل في الحكم لمدة 23 عاما. انظر:
Isidore of Seville: Goths, p. 18.

مهارة في الشئون السياسية والعسكرية بل كان ضعيفا قصير النظر، ليس على شيء من الحصافة والمرونة، فقد واجه في بداية عهده غزو الفرنجة لغالة بقيادة كلوفس وإنزال الهزيمة بسياجريوس في معركة سواسون سنة 486م(1)، الذي هرب إلى آلاريك الثاني ينشد المأوى والملاذ(2).

ويبدو أنَّ كلوفس كان واثقا من نفسه ومن قوة جيوشه فأرسل إلى آلاريك رسالة تهديد مطالبا إياه بأن يسلمه سياجريوس وإلا تعرض للهجوم. ويبدو أنَّ آلاريك لم تكن لديه القدرة أو الجرأة لتحدى كلوفس أو ربما لم يكن مستعدا لمثل هذه الحرب التي لم يكن له فيها أي مصالح، ومن ثم فقد بادر بالاستجابة لمطالب كلوفس وتسليم سياجريوس تم الاحتفاظ بسياجريوس سجينا إلى أن تمكن كلوفس من الاستيلاء على كل مملكته فأمر بقتله(3).

ومن ثم فقد زالت الدولة الحاجزة وصار الفرنجة والقوط الغربيون جيرانا مباشرين، ولكن اللافت للنظر، أن دولتي القوط صارتا تخطبان وده، فقد بادر آلاريك الثاني بتسليمه سياجريوس ـي يحافظ على علاقاته الجيدة بملك الفرنجة، بينما سعى ثيودريك ملك القوط الشرقيين إلى إقامة تحالف متين وعلاقات ود وصداقة فتزوج في سنة 493م من أودفيلدا شقيقة كلوفس. وعلى الرَّغم من هذا الحرص القوطي على عدم إثارة غضب ملك الفرنجة، فإن ذلك

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 36 ; Oman: Dark Ages p. 59;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 60.؛ علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 88؛ عمران: جريجوري التوري، ص 26؛ فاطمة الشناوي: معركة سواسون، ص887، 882؛ كريم عبد الغني عبد العاطي: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة وإسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، جامعة المنصورة 2009م، ص195.

(2) كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص196.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 139 ;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص196.

لم يمنع قيام بعض فصائل الفرنجة سواء بأوامر من كلوفس أو من تلقاء أنفسهم، بعبور نهر اللوار للاستيطان داخل أراضي القوط، وإذا كانت جيوش القوط قد تمكنت من طردهم فإنَّهم عادوا بعد ذلك واحتلوا مدينة بوردو[1].

وعلى الرَّغم مما ترتب على ذلك من خطر في قلب غالة، وفرار سياجريوس والتجائه إلى آلاريك الثاني وهدم الولاية الرومانية التي كانت حاجزاً بين الفرنجة والقوط الغربيين، فإنَّ آلاريك أظهر جهلاً وقصر نظر حين بادر بتسليم سياجريوس إلى غريمه كلوفس فلم يتوان في قتله، فدل ذلك على رعونة وسذاجة آلاريك بعد أن أصبحت مملكة الفرنجة وجهاً لوجه أمام مملكة القوط الغربيين[2].

ولكن لم يكن الملك كلوفس بيدقاً أو حتى فارساً في لعبة شطرنج ثيودريك السياسية والدبلوماسية التي قام بها، بل كان ملكاً طموحاً يريد أن يوطد حكمه ويوسع مملكته، ولم يكن أمام كلوفس سوى مملكة البرجدنيين في جنوب شرق غالة، ومملكة القوط الغربيين في جنوب غالة الذين يسيطرون على جانب كبير من بلاد الغال، ولذلك عندما لاحظ كلوفس ضعف آلاريك ملك القوط الغربيين نجد أن أنظاره اتجهت نحو الجنوب لتوسيع مملكته، وقد أيد ذلك الأحداث التي وقعت في عام (507م) التي أدت إلى القول أعظم انتصاراً له على القوط الغربيين في معركة فوييه Vouillé[3].

على الرغم من قيمة شبكة المصاهرات التي أظهرها ثيودريك العظيم وجهوده فإنَّه لا يمكن تفادي حدوث معركة فوييه التي تحالف فيها الفرنجة والبرجنديون ضد القوط الغربيين، ما أسفر عن قتل ملكهم آلاريك الثاني صهر

---

(1) كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص196.

(2) إبراهيم طرخان: القوط الغربيين، ص97؛ الشيخ: الممالك الجرمانية، ص59-60؛ كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص196.

(3) Crisp: Marriage and Alliance, p77..

ثيودريك. وقد أرسل ثيودريك قوة لدعم القوط الغربيين ووصلت في الوقت المناسب لوقف توسع الفرنجة والبرجنديين. وفي الوقت نفسه هيبة ثيودريك في الغرب هاجمها كلوفس، وموقفه في إيطاليا تعرض لضغوط كبيرة من القسطنطينية، وكان على وشك أن يبدأ حرب مع البيزنطيين[1].

ولكي نتتبع نصر كلوفس في معركة فوييه، فإن الإمبراطور أنستاسيوس الأول قد كافأه بالقنصلية الشرقية التي تمثل اعتراف رسمي للإمبراطور بحكم كلوفس في الغرب وإبعاد ثيودريك ملك القوط الشرقيين (هكذا فضل الإمبراطور أكثر حاكم بربرى في الغرب)[2]. كما أنَّه في أعقاب النصر في فوييه سيطر كلوفس على أجزاء كبيرة من الجزء الشمالي في أكوتين Aquitaine، وعمل على إبعاد ثيودريك عن أن يصبح ملكاً على القوط الغربيين، في حين أن ثيودريك وطد القوط الشرقيين في بروفانس Provence وحتى خارجها على حساب البرجنديين[3]. ولكن من الواضح أن الطموح السياسي والمصالح الشخصية تغلبت على روابط القرابة بين كلوفس وثيودريك.

وهكذا يتضح مما سبق، أن اعتناق كلوفس للمسيحية الكاثوليكية جاء على غير هوى الملوك الجرمان، ونذيراً بفشل التحالف السياسي الذي عقده الملك ثيودريك معهم، حيث صمم كلوفس على أن يقضي على الآريوسيين عامة وفي إقليم الغال خاصة، وقد وجد تأييداً كبيراً من رجال الدين الكاثوليك لتحقيق رغبته، وذلك عندما كتب أفيتوس Avitus أسقف فيينا إلى كلوفس قائلاً:

---

(1) Moorhead, Theoderic in Italy, pp.184- 8 ; Heather, The Goths, p.229.

(2) Samuel Dill, Roman Society in Gaul in the Merovingian Age, London, George Allen &- unwin LTD, 1926, p. 104 ; Wolfram, History of the Goths, trans. Thomas J. Dunap (Berkeley: University of California Press, 1997), pp. 309-315; and Wood, The Merovingian Kingdoms, pp. 47, 48-9. ; Moorhead, Theoderic in Italy, pp.185-6.

(3)Wolfram: Goths,pp. 309-315; and Wood, Merovingian Kingdoms, pp. 47, 48-9.

"إيمانك هو انتصارنا"، ثم حثه على نشر الكاثوليكية بين الجرمان في أكبر مساحة من الأرض التي لم تكن قد فسدت بعد بمذاهب الهراطقة[1]، أما كلوفس فقد نصب نفسه حامياً للكاثوليكية ونصيراً لها عندما صرح قائلاً: **"يؤسفني أن يسيطر هؤلاء القوم الآريوسيون على هذا الجزء الواسع من بلاد الغال لنذهب ونهزمهم بعون الله ونخضع أراضيهم لسلطتنا"**[2].

ونتيجة لذلك لم يتردد الملك كلوفس في تنفيذ سياسته بالقضاء على الآريوسيين، فعندما لاحظ ضعف آلاريك ملك القوط الغربيين الشخصي بين قومه، وعدم شعبيته بين رعاياه من الرومان انتهز الفرصة في محاربته وطرده من غالة، وبرر قيامه بذلك العمل بكرهه للآريوسيين بسبب استمرار آلاريك الثاني في اتباع سياسة والده في التعصب ضد رجال الدين الكاثوليك[3]، إذ قام بطرد فولزيانوس Voulsianus أسقف مدينة تور، كما قام بنفي روريكيوس Ruricius أسقف مدينة ليموج Limoges وسيزاريوس Caesarius أسقف مدينة آرل إلى بوردو[4].

---

(1)Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose, PP.369,373; Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 112; Previté- Orton: The Shorter Cambridge Medieval History, Vol I, pp. 151-2;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 99.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.45.

(3) Christian Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113.

أظهر القوط الغربيون تسامحا كبيرا نحو رجال الدين الكاثوليك، إلا أن تلك المعاملة لم تلبث أن انقلبت رأسا على عقب، عندما تولى إيورك أمور الحكم، حيث كان دائم الشك والارتياب في ولاء رجال الدين الكاثوليك للحكم القوطي... للمزيد انظر:

Ludwic Schmidt: "The Visigoths in Gaul", 412 - 507, Cambridge Medieval History, Vol.1 (Cambridge. 1911), P. 291.

(4) Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113.

انظر أيضاً، إسحق عبيد: من آلارك إلى جستنيان، ص 107.

ولما أحس الملك القوطي بخطر الفرنجة الوشيك، اتخذ العديد من الإجراءات لكي يحبب رجال الدين الكاثوليك في حكم القوط الآريوسيين، فأعاد بعض الأساقفة من منفاهم إلى أبروشياتهم، وأصدر مرسوماً جاء فيه أن حرية العبادة صارت مكفولة للرعايا الكاثوليك في غالة وإسبانيا يتعبدون حسب رغبتهم وأن تباشر المحاكم الكنسية القضايا الدينية، وصار حقا لرجال الدين الكاثوليك أن يرفعوا الدعاوى أمام المحاكم المدنية، ومن الكهنة الذين ثبت كذب شهادتهم أمام المحاكم المدنية، ينالهم العقاب على الكذب ولا يتعرضون للتعذيب، وإن كان آلاريك منع الزواج بين القوط والرومان فقد كان ذلك استجابة للتعاليم الكاثوليكية، كما سمح لهم بعقد مجمع ديني في مدينة أجديا[1] Agde، وقد ورد في ديباجة قرارات ذلك المجمع الدعاء لآلاريك الثاني بطول العمر ودوام الحكم[2].

على الجانب الآخر، لم يستطيع كلوفس التراجع عن تحدى آلاريك، كما أن موقفه كذلك كان الأقوى، حتى كما لو كان أصبح قريباً الأقوى، وسوى مشاكله مع الملوك البرابرة الأخرين فضلا عن مكانته بين شعوب الفرنجة. ويخبرنا جريجوري التوري أنّ كلوفس وآلاريك قبل معركة فوييه كونوا صداقة، إذ يقول جريجوري أن آلاريك ملك القوط الغربيين عندما لاحظ أنّ كلوفس يقوم بهزيمة الشعوب واحداً تلو الآخر أرسل إليه المبعوثين قائلاً: "**يبدو لي أيها الأخ العزيز أنّه سيكون شيئا جميلا لو التقينا بمشيئة الله**" وافق كلوفس على ذلك، وسافر للقاء آلاريك، التقى الاثنان بالقرب من أمبيز Amboise

---

(1) أجديا: تقع أجديا في جنوب فرنسا على مسافة 51كم جنوب غرب مونبلييه، وتعد ميناء مهم على البحر المتوسط، وقد عقد فيها مجمع ديني في 10 سبتمبر عام 506م برئاسة قيصريوس Caesarius أسقف آرل. وحضره خمسة وثلاثون من الأساقفة... للمزيد انظر:
Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, p.23.

(2) Pfister: "Gaul under Merovingian Franks" in CMH, vol II. P. 113;
انظر أيضاً، إسحق عبيد: آلارك، ص 107.

على جزيرة نهر اللوار التابعة لمدينة تور، وتباحثا معا، وجلسا جنبا إلى جنب على المائدة، وأقسما على الصداقة الأبدية فيما بينها، وعاد كل منهما إلى وطنه في سلام واطمئنان[1].

ولكن دام هذا السلام لسنوات قليلة، وعندما استفحل خطر الفرنجة تدخل ثيودريك ملك القوط الشرقيين في الأمر من أجل صالح الشعوب الجرمانية في المنطقة ومنهم القوط الغربيين، وأرسل رسالة إلى كلوفس مذكراً إياه بضرورة الحفاظ على السلام، وحاول أن يثنيه عن الحرب التي سيخوضها بدون سبب مقنع، كما أشار إلى المآسي التي تجلبها الحروب للشعوب، واستعداد كل ملك للحرب تحسبا للرفض منذ إرسال السفراء، واختتم ثيودريك رسالته قائلا: "**ألق بالسيف بعيداً يا من تريد رفعه لتسبب لي الخزي والعار، إنَّه من حقي كأب وصديق أن أوجه إليك التهديد في هذا المقام، يا من تسعى إلى احتقار ما بيننا من مودة، سوف تلقى شيئا لم تكن تتوقعه من قواتنا وقوات أصدقائنا**"[2]، وفي الوقت نفسه بعث برسالة إلى آلاريك الثاني يحذره من مغبة الدخول في الحرب قائلا: "**رغم قوتك وشجاعتك وخاصة عندما تتذكر عظمة أجدادك الذين أخضعوا أتيلا الجبار، فإنَّ عزم شعبك قد وهن من طول السلام وفترت حماستهم للحرب. . . لا تجعل استياءك من تصرف كلوفس يعمي بصيرتك عن مصالح شعبك، انتظر حتى أرسل السفراء إلى ملك الفرنجة وأحقق السلام بينكما، باعتباركما حليفين بالمصاهرة**"[3].

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 44.

(2) Cassiodorus: Letters, P. 199; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 356; Pfister: Gaul under Merovingian Franks, vol. II P. 113; Jonathan J. Arnold: Theoderic, the Goths, and the Restoration of the Roman Empire, (Michigan. 2008) P. 241-242.

(3) Cassiodorus: Letters, PP. 196 -7; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 344; Pfister: Gaul under Merovingian, P. 113; Moorhead: Theoderic, P. 177; Arnold: Theoderic, P. 242.

وفي الوقت نفسه بعث ثيورديك برسالة إلى الملك جندوباد يحثه فيها على التعاون معه لإحلال السلام بين ملوك الجرمان بعضهم بعضاً[1]، كذلك بعث ثيودريك برسالة إلى ملوك قبائل الهيرولى Heruli والوارنى[2] Warni والثورنجيون حذرهم فيها من طموح كلوفس، واقترح إرسال بعثة مشتركة نيابة عن ملوكهم وملوك القوط الغربيين والشرقيين والبرجنديين إلى ملك الفرنجة، من أجل إحلال السلام بين كلوفس وآلاريك الثاني، وذكر ملوك تلك القبائل بالمنافع والحماية التي توفرت لهم على أيدي إيورك والد آلاريك الثاني الذي يتعرض للتهديد من قبل كلوفس[3].

حتى الآن يبدو أن خطابات ثيودريك تشير إلى الخلاف الذي نشأ بينهما وقادهم إلى فوييه، وقد حاولت هذه الخطابات حل الخلاف بين كلوفس وآلاريك بطريقة ودية، ولكنها نوعاً ما كانت قاصرة وحجه للاثنين للذهاب إلى الحرب. في مثل هذه الحالة فإنه ليس من المستغرب أن ثيودريك كان قادراً على وضع حدٍ لهذه الأزمة دون اللجوء إلى الحرب. ويجب علينا رؤية هذه المعركة على أنّها واحدة تخص النفوذ والهيمنة، ومن هو الحاكم البربري الأكثر تفوقاً في

---

(1) Cassiodorus: Letters, P. 197; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 344; Pfister: Gaul under The Merovingian, P. 113; Moorhead: Theoderic, P. 177; Arnold: Theoderic, P. 242.

(2) الوارني: تنتمي قبائل الوارني Warni أو الفارنى Varni إلى فرع الجرمان الغربيين، وقد سكنوا في المنطقة الممتدة بين نهر الدانوب وبحر البلطيق، ودخلوا في تحالف مع الفرنجة، بعد وفاة ثيودريك ملك القوط الشرقيين حيث تزوج ملكهم رادجيس Radigis من شقيقة الملك ثيودبرت الأول Theudebert I بن ثيودريك الأول بن كلوفس ملك الفرنجة، وقد أثنى بروكوبيوس القيصري على شجاعتهم إذ كانوا يقابلون أعداءهم سيرا على الأقدام لأنهم كانوا لا يجيدون الفروسية. انظر:

Procopius of Caesarea: History of the Wars Books V and VI, eng. Trans Dewing, (H.b.) vol.3. (London, 2007) PP. 471- 2.

(3) Cassiodorus: Letters, P. 198; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 355; Schmdit: The Visigoths in Gaul, vol.1. P.284; P. 121; Wolfram: Goths, P. 318; Arnold: Theoderic, P. 244.

بلاد الغال؟ وقد فضل جندوباد اتخاذ جانب كلوفس ضد آلاريك الثاني وثيودريك العظيم. كلوفس الذي تزوجت شقيقته ثيودريك القوطي، وجندوباد الذي تـزوج ابنه ابنةَ ثيودريك، وآلاريك الذي كان متزوجاً من ابنة ثيودريك الأخرى.

وكانت حقيقة الوضع أن كلوفس وثيودريك يستطيعون استخدام علاقـاتهم ببعض لتعزيز وضعهم ضمن حدود سياسة ممالكهم الخاصة، ولكن عندما جـاء هذا الصراع إلى ممالكهم، فإن كلٍ واحد منـهم اقتـرب مـن الموقـف بمملكتـه الخاصة إلى الأمام. وهكذا نجد أنَّ الملك ثيودريك حـاول تأكيـد مركـزه كـأكثر ملك جرماني شهره عن طريق فرض سيطرته على تلك المناطق التي يعتقـد أنَّهـا تخضع لسيطرته. وقد أظهر ولفرام Wolfram كيف أن هذه الحرب ليست معركة واحدة ولكن الصراع ممتد منـذ بدايـة عـام 490م الـذي بلـغ ذروتـه في معركـة فويــيـه[1]. كما يرى بيتر هيذر أنَّ ثيودريك كان أكثر اهتماماً بشخصه من السلام العالمي. ثيودريك ربما حـاول اسـتخدام روابـط الـزواج مـع الملـوك الجرمـان الآخرين للتأثير عليهم والحصول على ما يريد، ولكن لو فشلت هذه الطريقة فإنه كان مستعداً لطرق أخرى لتحقيق أهدافه[2].

كما ناقش ولفرام أيـضاً أن آلاريـك دعمـا جنـدوباد في الحـرب الأهليـة البرجندية 500-501م في مقابل السيطرة على مدينة أفينـون Avignon[3]. ووفقـاً للمفهوم التقليدي لزواج التحالف كان من المفروض أن ينضم جندوباد لمعسكر ثيودريك وآلاريك. ولكن على الرغم من هذه العلاقات بمجرد أن بـدأ كلـوفس الحرب ضد القوط الغربيين فإن جندوباد رأى أنها فرصة مناسبة للتوسع (أو على الأقل الحصول على أفينون مرة أخرى) وانضم إلى كلـوفس وأدار ظهـره لـزواج التحالف مع ثيودريك وحليفه السابق آلاريك، وانضم إلى الرجل الذي حاصـره قبل سبع سنوات وفرض الجزية عليه.

---

(1) Wolfram, History of the Goths,p. 191.

(2) Heather: The Goths,pp.231- 2.

(3) wolfram, History of the Goths,p. 192.

وعلى الرغم من محاولات ثيودريك الدبلوماسية لوأد فتيل الحرب بين الفرنجة والقوط الغربيين، فإن تلك الجهود باءت بالفشل بسبب عناد كلوفس وإصراره على توسيع حدود مملكته على حساب القوط الغربيين[1]، كما أن كلوفس وجد الفرصة المناسبة لكي يخوض الحرب بصفته البطل المدافع عن العقيدة الكاثوليكية ضد آلاريك وعقيدته الآريوسية، وقد قام كلوفس بتقدير قوة القوط حق قدرها، وضم إلى جانبه سيجبرت الأعرج Sigibert ملك الفرنجة البريين كما ضم إلى جانبه -أيضاً- عدوه القديم جندوباد ملك البرجنديين[2]، واعتمد كلوفس أيضاً على البيزنطيين الذين وضعوا أسطولهم في وضع الاستعداد على الشواطئ الشرقية[3].

أما بالنسبة للملك آلاريك فأنه لم يقف خاملا في مواجهة الأحداث، ولكن الحالة المالية السيئة في مملكته وقفت عائقاً أمام استعداداته، ومِن أجل الحصول على التمويل المناسب اضطر إلى سك عملة قليلة القيمة فقدت مصداقيتها في كل مكان. وكان من الواضح أنَّ قوات الفرنجة تتفوق على قوات القوط الغربيين، ولكن إذ قدر لقوات القوات الشرقيين التي عقد عليها آلاريك الآمال أن تصل في الوقت المناسب، فقد يتمكن من التصدي لقوات خصومه[4].

---

(1) Bradley: Goths. P. 179.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 46; Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Collins: Early Medieval, P. 107.

(3) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol.1 p.286;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني : القوط الغربيين، ص198.

(4) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol.1 p.286;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني عبد العاطي: القوط الغربيين، ص198.

وهكذا كان على كلوفس أن يقوم بعمل حاسم قبل وصول قوات القوط الشرقيين[1]. وتقدم كلوفس بالفعل وتقابل مع القوط الغربيين في سهل كامبوس فولجادنيسس Campus Volgadensis أو فوييه Vouille قرب مدينة تور Tour[2]، وعندئذ تقهقر آلاريك الثاني ربما انتظاراً لمساعدة ثيودريك، غير أنَّ قادة جيشه أجبروه في نهاية الأمر على خوض المعركة[3]، وفيها أحرز الفرنجة نصراً كاملا على القوط الغربيين، وقُتل آلاريك الثاني بيد كلوفس نفسه في ميدان القتال عام 507م[4]، أمَّا ابنه أماليك Amalaric الذي كان عمره لا يتعدى خمس سنوات فقد كان أحسن حظاً من والده، إذ نجح فريق من القوط في حمايته والفرار به إلى إسبانيا[5].

تقدم الحلفاء غداة معركة فوييه نحو مدينة تولوز عاصمة القوط الغربيين واستولوا عليها[6]، ووضعوا أيديهم على كثير من كنوز القوط، التي كان آلاريك الأول قد حملها من إيطاليا قبل ذلك بنحو مائة عام[7]، ولم يكتف الحلفاء بالاستيلاء على مدينة تولوز بل أحدثوا فيها كثيراً من الخراب والدمار وأشعلوا فيها النيران[8]، ثم قسم المنتصرون أنفسهم إلى ثلاثة أقسام، الأول بقيادة كلوفس

---

(1) Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol.1 p.286;

انظر أيضاً، كريم عبد الغني عبد العاطي: القوط الغربيين، ص199-198.

(2) Gregory of Tours: Franks., P. 46.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 92.

(4) Gregory of Tours: Franks., P. 46; Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Schmidt: The Visigoths in Gaul, in CMH, Vol.1. P.287; Wood: Merovingian, P. 42.

(5) Gregory of Tours, Franks P. 46.

(6) Gregory of Tours: Franks., P. 47.

(7) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ1، ص 92؛ انظر أيضاً إسحق عبيد: آلارك، ص 81.

(8) Gregory of Tours: Franks., P. 47.

ووجهته المنطقة الغربية من مملكة القوط الغربيين واستولى على مدن فوذ Fauze وبازاس Pazas وبوردو وأنجوليم[1] Angouleme[2]، والثاني برئاسة ثيودريك الأول Theuderic I (511-534م) بن كلوفس ووجهته المنطقة الوسطى واستولى على مدن ألبى Albi وروذز Rodez وأوفيرني[3] Auvergne [4] والثالث برئاسة جندوباد ووجهته المنطقة الشرقية، إذ قام باجتياح إقليم بروفانس واستولى على كل مدنه بما فيها ناربون Narbonne باستثناء مدينة آرل التي صمدت بفضل مقاومة القوط الغربيين[5].

من الأمور التي أدت إلى ضعف القوط الغربيين واضطراب أحوالهم - في تلك الفترة - ما حدث من انقسام داخلي على إثر مناوأة ابن آخر لآلاريك الثاني -غير شرعي- يدعى جيزالك Gesalic الذي أعلن نفسه ملكاً (507-511م) في ناربون وانحاز إليه فريق من القوط[6]، غير أنّه اضطر إلى الفرار إلى برشلونة،

---

(1) أنجوليم: مدينة فرنسية تقع أنجوليم على بعد 443كم جنوب غرب باريس، وهي مدينة وأسقفية وبها مدرسة إمبراطورية وقصور قديمة للكونتات، وكاتدرائية خربت على إيدي النورمان في القرن التاسع الميلادي. انظر:

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, PP.81-2.

(2) Gregory of Tours: 47; See Also, Pfister: "Gaul under The Merovingian, P. 114.

(3) أوفرني: مقاطعة فرنجية قديمة تقع بين فوريز forez وفيلاى velay وليموزن limousine وكيورسي Quercy ولا مارش La marche. انظر:

Moore: Encyclopedia of Places, p.65.

(4) Gregory of Tours: 47; See Also, Pfister: "Gaul under The Merovingian, P.114; Wood: Merovingian: P. 46;

انظر أيضاً، إسحق عبيد: آلارك، ص 81.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 96; See Also, Pfister: "Gaul under The Merovingian, P.114.

(6) Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Thompson, (E.A): Goths in Spain, (Oxford. 1969) P. 8

انظر أيضاً، بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 92 -93.

بعد أن لقي هزيمة مروعة على أيدي البرجنديين[1]، وهكذا وجد أكثر من ملك على عرش القوط الغربيين، الأمر الذي كان ينذر معه بقرب زوال مملكتهم من إقليم الغال[2].

تأخر ثيودريك عن مساعدة القوط الغربيين وذلك بسبب انشغاله بأحداث الحملة البحرية البيزنطية عام 507م على الساحل الجنوبي الشرقي لإيطاليا، التي جاء وصف أحداثها في حولية المؤرخ مارسللينوس كومس Marcellinus Comes إذ قال: "زحف قائد روماني برتبة كونت Count وآخر يحمل نفس رتبته في أسطول مكون من مائة سفينة حربية مسلحة، تحمل ثمانية آلاف رجل مسلح، لتدمير ونهب المدينة القديمة تارنتيوم[3] Tarentum، وعادوا بالنصر المشين على يد القراصنة[4]".

ولا شك أن تلك الحملة البحرية كانت متعمدة ومقصودة من جانب الإمبراطور البيزنطي، ويقال إنَّها كانت بتحريض من كلوفس[5]، وقد حققت الهدف من ورائها، وهي صرف انتباه ثيودريك عن مساعدة صهره القوطي، فضلاً عن إلحاق الأضرار المادية بكل من المزارعين والتجار الإيطاليين على حد

---

(1) Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Thompson: Goths, P. 8

(2) Thompson: Goths, P. 8; Arnold: Theoderic, 246

(3) تارنتيوم: تقع مدينة تارنتيوم في الجزء الشرقي من جنوب إيطاليا على خليج تارانتو في البحر الأيوني ضمن إقليم بوليا، وهي عاصمة مقاطعة تارانتو، ثالث أكبر مدينة في منطقة جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، أسسها الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد كمستعمرة، أطلق عليها المستعمرون القادمون من إسبرطة مدينة Taras نسبة إلى بطل خرافي، بينما الرومان دعوها Tarentum. انظر: سيد أحمد عبد الناصري: الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة 1976، ص 122 - 124.

(4) The Chronicle of Marcellinus Comes: Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995), p.35; See Also, Villari: Barbarian. P.170; Bradley: Goths, P. 180; Hodgkin: Italy, Vol. 3.P. 399; Moorhead: Theoderic, P. 182.

(5) Pfister: " Pfister: " Gaul under the Merovingian Franks ", in CMH, vol II, P.114

سواء[1]. ولكن يقترح بيتر هيذر أن ثيودريك قد تأخر عمداً عن مساعدة آلاريك من أجل السيطرة على جزء كبير من مملكة القوط الغربيين لنفسه بعد وفاة آلاريك[2]، وعندما اندلعت الحرب عمل كل المشاركين لصالح موقفهم الخاص.

لم تقتصر مؤامرات ودسائس أنستاسيوس على الجانب العسكري، وإنَّما أخذت - أيضاً - شكل التحالفات السياسية مع أعداء ثيودريك، حيث أرسل أنستاسيوس سفارة تحمل رسائل المودة إلى كلوفس وتخلع عليه الروب القنصلي والعباءة الأرجوانية، وقد فصل جريجوري التوري ذلك بقوله "خرج كلوفس مرتديا الأرجوان ممتطيا جواده، وأخذ ينثر العملات الذهبية على رعاياه وعلى طول الطريق من مدخل كنيسة القديس مارتن Martin حتى كاتدرائية تور، وأنَّه عرف منذ ذلك اليوم فصاعدا باسم قنصل أو أوغسطس"[3]، ولم يغب ذلك الاعتراف - أيضاً - عن ذهن بروكوبيوس القيصري حيث قال: "**لم يعتبر الفرنجة أنفسهم حكاما على الغال إلا بعد موافقة الإمبراطور على حكم ملكهم**"[4]، وإذا كان اعتراف الإمبراطور بكلوفس - كما يبدو من ظاهر تلك الروايات - جاء بمثابة المكافأة نتيجة الانتصارات التي أحرزها كلوفس على القوط الغربيين، فإن ذلك يعني - وفي الوقت نفسه - تحالف الإمبراطور مع الفرنجة والبرجنديين ضد ثيودريك، الأمر الذي كان بمثابة إزعاج وتهديد لحكم الأخير في إيطاليا[5].

---

(1) Cassiodorus: Letters, P. 153; See Also, Wolfram: Goths P. 322; Heather: Goths, P. 232.

(2) Heather: The Goths, 232.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 47; See Also, Wood: Merovingian, P. 48

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 106.

(4) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ت عفاف سيد صبره، القاهرة، 1986، جـ2، ص 208 - 209.

(5) Moorhead: Theoderic, P. 186.

ولكن لم يستطع ثيودريك أن يغض الطرف عما حدث في إقليم الغال، فمن أجل تأمين حكمه في إيطاليا من جهة، وحماية أملاك حفيده من جهة أخرى، أرسل ثيودريك جيشا بقيادة إبَّا Eppa، الذي ألحق بالفرنجة والبرجنديين المحاصرين لمدينة آرل هزيمة فادحة، حيث قتل العديد منهم[1]، واستعاد العديد من المدن مثل ناربون وكاركاسون Carcassonne وكل الأراضي الواقعة جنوب نهر الديورانس Durance بالإضافة إلى إقليم سبتمانيا Septimania[2]، وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً أمام ثيودريك للتوغل داخل إسبانيا لمعاونة حفيده أماريك ضد شقيقه المناوئ له جيزالك، وعلى الرَّغم من تلك المكاسب التي حققها ثيودريك، فإنَّه عجز عن استرداد كل أملاك حفيده في الغال، حيث احتفظ كلوفس بمنطقة أكوتين، أما جندوباد فلم يحصل على ميزة أو فائدة من وراء اشتراكه في الحرب بعد أن خسر ناربون[3].

---

(1) Jordanes: The Gothic, P. 96; See Also, Villari: Barbarbian, P. 172; Bradlery: Goths P. 180; Hodgkin: Italy, vol.3. P.365; Wood: Merovingian, P. 49; Moorhead Theoderic, P. 183.

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 116.

اتهم القوط واليهود من سكان مدينة آرل - أثناء الحصار - قيصريوس Ceasarius أسقف المدينة بالخيانة وبأنه على اتصال بالفرنجة والبرجنديين المحاصرين للمدينة، لذا قاموا بإلقاء القبض عليه، وأثناء ذلك قام أحد اليهود بالمدينة بإرسال رسالة إلى الفرنجة والبرجنديين، وعرض عليهم تسليم المدينة بشرط البقاء على حرية وأملاك اليهود، ووقعت تلك الرسالة - بالصدفة - في أيدي القوط، فقاموا بإلقاء القبض على اليهود في المدينة، وإطلاق سراح الأسقف. انظر:

Hodgkin: Italy, Vol.3. P. 360

(2) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 93؛

Isidore of Seville: Goths, P. 97; See Also, Hodgkin: Italy, Vol.3. P.365; Burns: Ostrogoths, P. 95; Moorhead: Theoderic, P. 183 Arnold: Theoderic P. 24

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 116.

(3) Pfister: "Gaul under The Merovingian Franks" in CMH, Vol. II.. P. 114

هذا المشهد الذي نراه من الصعب أن نفهمه من حيث الآراء التقليدية حول زواج التحالف، ومن الأفضل رؤية هذه التحالفات المتغيرة على أنَّها غير مرتبطة بالمصاهرات السياسية، حيث كان لكل ملك مصالحه الخاصة ومخاوفه ومستقبله في المشهد السياسي في أوائل القرن السادس، وكل ملك يعمل سوياً مع القوى الخارجية عندما يعتقد أنها مفيدة لسياسته. حيث إن الخلافات والفرص المتاحة لتوسيع نفوذه يمكن تأتي وتذهب في مشاهد سياسية مختلفة، ولا يمكن تحديدها ببساطة على يد شخص تزوج بأخرى. كلوفس، جندوباد، ثيودريك وآلاريك يعرفون كيف تُصنع السياسة والحروب والتحالفات السياسية، وهم أيضاً يعرفون كيفية استخدام الأوضاع ونفوذ الدم الملكي، الثروة والنجاح في المعارك، لتعزيز نفوذهم ضمن محيطهم السياسي الخاص.

ولنضيف شيئاً لفهمنا، إن منافسة كلوفس ليس فقط مع منافسيه على قيادة الفرنجة، ولكن أيضاً لتعزيز مكانته بين الحكام البرابرة الآخرين، يجب علينا النظر إلى سرد جريجوري التوري، وذلك قبل معركة فوييه 507م، أراد العديد من الناس في جنوب الغال أن يأتي كلوفس ويحررهم من القوط الآريوسيين[1]، يجب أن نشهد نفس النهج، ولاحظنا حملات كلوفس ضد خصومه الفرنجة - رغبة جزء من صفوة هذه المنطقة لنقل ولائهم من حاكم بربري إلى حاكم آخر ناجح وذي هيبة ونفوذ - لا أن يكونوا في الجانب الخاسر وأصبح واضحاً أن كلوفس هو المنتصر، وربما رحب آلاريك بالفرصة لمحاولة إعادة تأسيس مكانته ضد الوافد القادم كلوفس.

عندما هزمَ كلوفس آلاريك الثاني في فوييه فإنه استولى على أكبر جزء من مملكته تحت حكمه المباشر قدر ما يستطيع ووسع أراضيه وموارده. ومن أجل النصر في تلك المعركة فأن كلوفس جذب إلى جانبه قوات مساعدة، بما في ذلك وحده من الفرنجة تحت حكم سيجبرت الأعرج، ويبدو أيضاً الرومان

(1) Gregory of Tours: Franks, P.44.

الغال تحت قياده رجال مجلس الشيوخ[1]. فبالنسبة لكلوفس النصر في هذه الحرب أحضرت له شهر كبيرة كفاتح، وفي الوقت نفسه عززت مكانته كملك للفرنجة بعرضه لحلفائه فرصة عظيمة للنهب.

وقد استخدم كلوفس نجاحه في المعركة لتوطيد هيبته الشخصية كملك جرماني، وكذلك أضافَ إلى أراضيه وجيشه كنوزاً من خلال الغزو، وهو أيضاً عزز نفوذه عن طريق عقد مصاهرتين ذات أهمية التي لا أحد من حكام الفرنجة الآخرين يمكن أن ينافسه فيها. وعلى الرَّغم من بعض التقديرات التقليدية المرتبطة بهذه المصاهرات التي لم تجلب لكلوفس الكثير من التحالف العسكري أو الدعم السياسي من مصاهريه، ولكنها جلبت له المكانة الملكية الرائعة لأكثر حاكمين جرمانيين شهرة في عصره ثيودريك وجندوباد. وهذا النفوذ ساعد كلوفس في الفوز بالزعامة على قيادة الفرنجة.

بعد ذلك نجد أن الملك ثيودريك يأخذ زمام المبادرة في إزالة أسباب التوتر واستعادة علاقات الصداقة والمودة المفقودة مع الإمبراطور البيزنطي، ومن أجل تحقيق ذلك الغرض أرسل ثيودريك وفداً إلى القسطنطينية يحمل الرسالة الآتية "**أيها الإمبراطور الرحيم من الأولى لنا طلب السلام والسعي إليه، فلا يوجد أي سبب للعداء، فمن خلال السلام تتحقق السعادة والتقدم للشعوب. . . يا أتقى الأباطرة إنه ليشرفنا طلب التحالف والسلام معك، وفقا لقوتك وقدرتك وطلبا لمحبتك**"[2]، وقد اهتم الإمبراطور البيزنطي بأمر ذلك الوفد من أجل تأمين حدوده الشمالية الغربية، وعقدت معاهدة بين الطرفين عام 510م وتقرر بموجبها احتفاظ الإمبراطور بمدينة باسيانا Passiana التي تقع شرق مدينة سيرميوم[3] في مقابل احتفاظ ثيودريك بكل إقليم بانونيا العليا بما فيها

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P.45.

(2) Cassiodorus: Letters, P. 141; See Also, Hodgkin: Italy Vol.3. P. 400; Moorhead: Theoderic, P. 186.

(3) سيرميوم: مدينة تقع على نهر سافا Sava والدانوب، وتقع حالياً بالقرب من مدينة

مدينة سيرميوم عاصمة الإقليم، ولا شك أنّ تلك المعاهدة كانت في صالح ثيودريك أكثر منها في صالح أنستاسيوس، فبالإضافة إلى تأمين حدوده الشمالية الشرقية، أصبح ثيودريك في أمان من أي هجمة بحرية تستطيع أن تعصف بسواحله الشرقية من قبل القسطنطينية مثلما حدث عام 507م[1].

بعد أن نجح ثيودريك في الحفاظ على البقية الباقية من أملاك حفيده في بلاد الغال، عمل -في الوقت نفسه- على حماية مملكة حفيده في إسبانيا[2]، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف أرسل جيشا قوطيا آخر بقيادة إبًّا من أجل القضاء على جيزالك، وقد تمكن القائد القوطي من حصار جيزالك لمدة عام في برشلونة[3]، غير أن الأخير تمكن من الفرار إلى بلاط تراسموند[4](496-523م) ملك الوندال، طالبا إمداده بالمال والسلاح، حتى يتمكن من استعادة عرشه، إلا أن تراسموند فضل مساعدته بالمال فقط[5]، ما أثار استياء ثيودريك، حيث بعث برسالة إلى ملك الوندال يلومه فيها على مساعدة جيزالك، وعدم الأخذ برأي ومشورة زوجته النبيلة الحكيمة آمالافريدا شقيقة ثيودريك[6]، وقد اعترف

بلجراد. انظر:

Bunson: Dictionary of the Roman Empire p,390.

(1) إيهاب صديق العربي: مملكة القوط الشرقيين، ص235-236.

(2) Thompson: Goths, P. 8.

(3) Isidore of Seville: Goths, PP. 97- 8; See Also, Thompson: Goths, P. 8; Heather, Goths, P. 232; Arnold: Theoderic, P. 248 -9

(4) تراسموند: تولى تراسموند عرش مملكة الوندال بعد أخيه الملك جونداموند Gundamundus (484-496م)، وقد تزوج تراسموند آمالافريدا شقيقة الملك ثيودريك العظيم عام 500م... انظر:

Procopius of Caesarea: History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), vol.2. pp.77-9; Merrills: the Vandals, Blackwell 2010, p.196;

انظر أيضاً: محمود سعيد عمران مملكة الوندال في شمال إفريقيا، ص61-62.

(5) Cassiodorus: Letters, P 292; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 365; Wolfram: Goths, P. 308; Moorhead: Theoderic, P. 190.

(6) Cassiodorus: Letters, P 292; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 365;

تراسموند بخطئه، وأرسل السفراء بالعديد من الهدايا، وقبل ثيودريك اعتذاره ربما مراعاة لشقيقته، وحتى لا تحدث قطيعة مع ملك الوندال[1].

أما جيزالك فقد استقر في منطقة أكوتين وتحالف مع كلوفس، وأخذ في تهديد ممتلكات القوط الغربيين لمدة عام[2]، ولما فشل في استعادة عرشه، عاد مرة أخرى إلى إسبانيا، إذ لقي هزيمة فادحة على يد القائد إبَّا بالقرب من برشلونة عام 511 م[3]، وبعدها لاذ جيزالك بالفرار -مرة أخرى- إلى إقليم الغال، وأثناء عبوره نهر الديورانس قبض عليه القوط وقاموا بإعدامه في نفس العام[4].

نصب ثيودريك حفيده أماليك ملكاً على القوط الغربيين بمساعده الكونت ثيوديس Theudis وهو من أتباع ثيودريك[5]، وبذلك أقر ثيودريك الأمور في مملكة القوط الغربيين في إسبانيا وأضفى حمايته على حفيده، واستعاد له أجزاء من أراضيه المفقودة في الغال، ولمدة خمسة عشرة سنة (511-526م) وحتى وفاته كان ثيودريك يحكم مملكة القوط الغربيين في إسبانيا والغال من ناربون حتى برشلونة باعتباره وصياً على حفيده[6] وغدت سلطة ثيودريك تمتد من سرميوم شرقاً حتى قادس Cadis غرباً، ومن الدانوب الأعلى إلى صقلية جنوباً، أي إنه حكم النصف الأكبر من الشطر الغربي للإمبراطورية الرومانية[7]، وأطيعت أوامره وسرت قراراته في إسبانيا مثلما سرت في

Moorhead: Theoderic, P. 190.

(1) Cassiodorus: Letters, P 293; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 365; Wolfram: Goths, P. 308.

(2) Isidore of Seville: Goths, P. 98; See Also, Hodgkin: Italy, vol. 3.P. 366; Thompson: Goths, P. 8; Moorhead: Theoderic, P. 190.

(3) Isidore of Seville: Goths, P. 98; See Also, Hodgkin: Italy, Vol. 3 P. 366; Thompson: Goths, P. 8.

(4) Isidore of Seville: Goths, P. 98; See Also, Thompson: Goths, P. 8.

(5) Jordanes: The Gothic, P. 96; See Also, Thompson: Goths, P. 9.

(6) Bury: Barbarian, Lec xii; Thompson: Goths, P. 9; Arnold: Theoderic, P. 249.

(7) Oman: Dark Ages, P. 27.

إيطاليا[1]، وهكذا اتحد شطرا القوط مرة أخرى بعد فترة انفصال دامت نحو مائتي عام[2].

وهكذا نجد أن الحرب دمرت الكثير، فقد ذكر جريجوري التوري إن كلوفس وحلفائه لم يكتفوا بالاستلاء على مدينة تولوز، بل أحدثوا فيها الكثير من الخراب والدمار وأشعلوا فيها النيران. ولم يقف الأمر عند هذا الحد فعندما تحرك ثيودريك العظيم نحو مدينة آرل لرفع الحصار عنها فإنه هزم المحاصرين لها هزيمة فادحة، ليس ذلك فقط بل ذكر جوردان أنَّه قتل منهم ثلاثين ألف جندي، وكيف لا، بل إن الملك آلاريك نفسه قُتل أيضاً في معركة فوييه، كما أن كلوفس كاد أن يفقد حياته أيضا، فقد حدث بعد مقتل آلاريك وفرار جنود القوط من المعركة أن هاجم اثنان منهم كلوفس واحد عن يمينه وآخر عن شماله وقذفاه بحرابهما، ولكن درعه وسرعة حصانه أنقذاه من الموت كما ذكر جريجوري. بل حدثت حرب أهلية في مملكة القوط الغربيين كما يتضح مما سبق وانقسمت المملكة إلى قسمين، قسم بقيادة جيزالك وآخر بقيادة ثيودريك وحفيده أماليريك، فالحرب أحدثت الكثير من الخراب والدمار في مملكة القوط الغربيين، ولم ينجح ثيودريك في استرداد كل أملاك حفيده في بلاد الغال، حيث احتفظ كلوفس بمنطقة أكوتين، وخرج جندوباد صفر اليدين بعد أن خسر ناربون.

---

(1) Cassiodorus: Letters P. 288; See Also, Oman: Dark Ages, P. 27; Heather: Goths, PP. 232 -33

(2) Oman: Dark Ages, P. 27.

* سيجسموند واوسترجوثا:

ذكرنا سابقاً أن ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين زوج ابنته أوسترجوثا Ostrogotho إلى سيجسموند Sigismund بن جندوباد ملك البرجنديين[1]، وبعد وفاة جندوباد عام 516م[2]، تولى ابنه سيجسموند (516 - 523م) عرش المملكة البرجندية، وكان سيجسموند من أصحاب المزاج المتقلب، فلم يترك خطأ دون أن يرتكبه، الأمر الذي عجل بزوال عرشه[3]، فبدلاً من أن يتقرب إلى صهره ثيودريك ويعمل على توطيد العلاقة معه، أخذ يتقرب من الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس الأول، ويكيل له عبارات المديح والثناء طمعاً في الحصول على ألقاب التشريف -مثل رتبة البطريق[4] وقائد القوات الرومانية في برجنديا- ويظهر ذلك من خلال رسالته إلى الإمبراطور التي يقول له فيها: "**لقد حافظ أسلافي على ولائهم للإمبراطورية، ولم يكن عندهم أشرف من الألقاب التي**

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P.54.

(2) Gregory of Tours: Franks, P. 54.

(3) Hodgkin: Italy, Vol. 3.P. 368.

(4) البطريق: منصب مدني ظهر في أواخر عصر الجمهورية الرومانية، وقد تلاشى تدريجيا في عصر الإمبراطورية، إذ وقع أصحابه ضحايا للوشاة والمخبرين، وقد أعاد الإمبراطور قسطنطين الكبير ذلك المنصب مرة أخرى، وجعله منصباً شرفياً أكثر منه منصبا فعليا أو حقيقا، وكان ذلك اللقب أعلى رتبة بعد الإمبراطور والقنصل، وقد منح الأباطرة هذا اللقب لحكام الولايات الإمبراطورية من الدرجة الأولى في حين منحوه للبرابرة بهدف إشباع غرورهم واسترضائهم. وأصبح صاحبه بمثابة الحاكم الفعلي والمسيطر على شئون الإمبراطورية وهو لقب كان منحة من الإمبراطور البيزنطي فقط وليس من حق البابا أن يخلعه على آخرين.

Hodgkin: Italy, Vol. 2.PP. 401-2;

انظر أيضاً: الحويري: اللمبارديون، ص125.

خلعتوها عليهم، ولقد التمس أفراد عائلتي دائما ألقاب التشريف من الأباطرة، لأنها أضفت عليهم مجداً أعظم مما ورثوه من آبائهم وأجدادهم، . . . . وبعد وفاة والدي - يقصد جندوباد - الذي كان كثير الولاء للإمبراطور، أرسلت لكم أحد مستشاري ليعرض عليكم وتحت رعايتكم عروضي في الولاء والخدمة. . . فشعبي في حوزتكم، وإني لأقوم بحكمه تحت طاعتكم، وإني لأجد في تلك الطاعة من السعادة، أكثر مما أجد في القيام بحكم هذا الشعب، ربما أظهر بمظهر الملك على هذا الشعب، ولكني لست إلا جنديا من جنودكم، وإني لأنتظر منكم الأوامر التي تتفضلون بإصدارها لي"[1].

ولا شك أن تلك السياسة أثارت قلق ملكا القوط الشرقيين والفرنجة على حدٍّ سواء، فقد رأى ثيودريك في تلك السياسة خطراً عليه إذ كان من السهل على الإمبراطور أن يقوم بتحريض البرجنديين ضده في إيطاليا[2]، أما ملوك الفرنجة فقد شعروا بالضيق -أيضاً- إذ أصبح سيجسموند نداً لهم، ومن أصحاب الحظوة عند الإمبراطور، الأمر الذي اعتبروه تقليلاً من شأنهم ومكانتهم ومساواتهم بغيرهم من ملوك الجرمان[3].

كان سيجسموند قد أنجب طفلا يدعى سيجريك Sigeric من زوجته أوستروجوثا Ostrogotho ابنة ثيودريك[4]، وبعد وفاتها تزوج مرة أخرى، وكانت زوجته الثانية من أصل وضيع، وبدلا من أن تعطف على سيجريك، وتكون له نعم الأم، تقمصت شخصية زوجة الأب الشريرة، وأخذت تؤلب الملك على ولي العهد وتشعل نار العداء بينهما[5]، بزعم أن ولي العهد يريد

(1) Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose, PP.149-150; Lot, (F.): The End of Ancient world and the Beginning of the Middle Ages, (London, 1931), P. 247;
انظر أيضاً: الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 144

(2) Wolfram: Goths, P. 312; Wood: Merovingian, P. 51; Heather: Goths, P. 248.

(3) Wood: Merovingian, P. 51.

(4) Gregory of Tours: Franks, P. 54.

(5) Gregory of Tours: Franks, P. 54.

التخلص من الملك ويتولى العرش بدلا منه، ولا يريد الانتظار حتى يئول العرش إليه بالوراثة[1].

وقد لاقى ذلك الاتهام آذانا صاغية من سيجسموند، وبدلا من أن يتأكد بنفسه من حقيقة الاتهام، أو يعطي الفرصة لابنه لكي يدافع عن نفسه، أقدم على التخلص منه، وذلك بخنقه وهو على فراش نومه[2]، ولكن سيجسموند ندم على قتل ابنه وألقى بنفسه على جثته، بعد أن اكتشف خطأه، وأخذ يندب حظه، ويلعن الحماقة العمياء التي حرمته منه، وانزوى الملك في ديره المفضل في أفينون، وهو في حالة بكاء وصيام، وأمر بتكوين فرقة من الإنشاد الديني ترتل وتبتهل - ليلا ونهارا - بالدعاء والثناء على العلي المجيد[3].

ولم يكن من الطبيعي أن يغض ثيودريك الطرف عما حاق بحفيده، فقد استبد به الغضب، وشرع في معاقبة البرجنديين[4]، ولكن يبدو أن ثيودريك استغل هذه الفرصة للاستيلاء على جزء من مملكة البرجنديين فتحالف مع الفرنجة من أجل تحقيق ذلك، ويعلق بيتر هيذر على هذه الحادثة قائلا: إن البرجنديين ربما رأوا أن زواج سيجسموند من ابنة ثيودريك بمثابة هيمنة للقوط الشرقيين على البرجنديين، وربما سيجسموند قتل ابنه للخلاص من هذه الهيمنة[5].

وإذا كانت العلاقة بين البرجنديين والقوط الشرقيين على ذلك النحو من العداء، فإن العلاقة بين البرجنديين والفرنجة لم تكن -هي الأخرى- بأفضل حالاً منها. فقد كان ثيودريك الأول (534-511م) ملك الفرنجة متزوجاً من

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 54; See Also, Bradley: Goths. P. 181; Wood: Merovingian, P. 52.

(2) Marius of Avenches: MGH AA XI: p.234; See Also, Gregory of Tours Franks, P. 55; Oman: Dark Ages, p. 27; Wolfram: Goth, P. 312.

(3) Gregory of Tours: Franks, P. 55.

(4) Wolfram: Goth, P. 312.

(5) Heather, The Goths, pp. 233, 248.

سوافيجوثا[1] Suavegotha ابنة سيجسموند من زوجته الأولى اوستروجوثا، التي تعتبر حفيدة ثيودريك العظيم[2]. وطبقاً لما ذكره جريجوري التوري فإنَّ الانتقام الإلهي لمقتل سجريك أتى في شكل زواج ثيودريك الأول من ابنه سيجسموند، لأنَّ ذلك حفز كلوتيلدا لدعوة أبنائها ولا سيما الأكبر كلودومير Chlodomer لمهاجمة البرجنديين انتقاماً لمقتل والديها[3]. فلم تنس كلوتيلدا حجم المآسي والمصائب التي لحقت بأسرتها على يد عمها جندوباد، إذ قتل والدها شلبريك، وأغرق والدتها الملكة كارتين Caretene، بعد أن ربط حجراً حول رقبتها وألقاها في بئر[4]، ومن هنا حثت أولادها -بعد وفاة كلوفس - على الثأر والانتقام من ابنهِ سيجسموند[5].

ولكن يرفض أغلب المؤرخين الأخذ بتلك القصة نظريا وعمليا، فمن الناحية النظرية إذا كانت كلوتيلدا قد سعت للانتقام من جندوباد، فلماذا انتظرت أكثر من ثلاثين عاماً وانتقمت من أولاده، ولم تنتقم منه شخصياً؟ ومن الناحية

(1) سوافيجوثا: هي ابنة الملك سيجسموند من زوجته الأولى أوستروجوثا التي تعد حفيدة ثيودريك العظيم، وقد تزوج منها الملك ثيودريك الأول وقد تم ذكر ذلك الزواج أثناء الحملات التي أسفرت عن غزو برجنديا، ولكن لم يشر جريجوري إلى اسمها، وتم ذكر اسمها في كتاب فلودوارد، تاريخ كنيسة ريمس (Flodoard, Histoire de l'Eglise de Reims) في الكتاب الثاني فقرة رقم 1... للمزيد انظر:

Flodoard, Histoire de l'Eglise de Reims, Trans, M Guizot, (Paris.1824), p 130.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.55.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.54; Stephen D. White, "Clotild's Revenge: Politics, Kinship, and Ideology in the Merovingian Blood Feud." In Portraits of Medieval and Renaissance Living: essays inmemory of David Herlihy, ed. Samuel Kline Cohn and Steven Epstein (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1996), p.116.

(4) Gregory of Tours: Franks, P.38;

انظر أيضاً، علية الجنزوري: جريجوري التوري، ص 91.

(5) Gregory of Tours: Franks, P 55.

العملية كُتب على قبر الملكة كارتين العبارة الآتية "عاشت أم كلوتيلدا على قيد الحياة في كنيسة ليون Leon، وتوفيت عام 506م" وهكذا تبدو الراوية أسطورية، وليست حقيقة تاريخية قائمة بذاتها، ولا سيما أنَّها وردت في تاريخ جريجوري التوري، الذي عاش في القرن التالي لموت شلبريك والد كلوتيلدا، لذا يرجح أنه نقلها عن شخص غير ذي ثقة أو دخل فيها جزء أسطوري، وهو ما غلب على كثير من روايات العصور الوسطى[1].

ويشير جريجوري التوري إلى زواج ثيودريك الأول من ابنة سيجسموند ملك برجنديا أثناء الحملات التي أسفرت عن غزو برجنديا(523-534، 524م)، على الرغم من أن معظم المؤرخين المحدثين لم يصنفوا كثيراً زواج ثيودريك الأول من ابنة سيجسموند على أنه خدم مصالح ثيودريك الأول في المنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة، على الرغم من أن ثيودريك نفسه لم يُفد كثيراً من هذا الزواج[2].

ولكن مسار الأحداث يوحى بأن هذه الحرب لم يكن لها علاقة بالثأر، بل إنَّها متعلقة كثيراً بسياسة القوة، كما لاحَظَ إيان وود "أن جريجوري ربط الهجوم مع ثأر كلوتيلدا، ولكن من المرجح أنه كان خطوة انتهازية لدفع الأزمة بعد مقتل سيجريك"[3]، وزواج ثيودريك من ابنة سيجسموند أيضاً[4]. حيث يُعد ثيودريك الأول أكبر ملوك الفرنجة عمراً بسنوات عديدة "لديه ابن عمره تقريباً من عمر أشقائه"، وأي تقوية لنفوذه سوف تهدد أخواته غير الأشقاء[5]. وبهذا الزواج من حفيدة ثيودريك العظيم وجندوباد ملك البرجنديين فأن ثيودريك من ثم أضافَ إلى نفسهِ هيبة ومكانة كبيرة، يجب أن تكون مصدر قلق لكلوتيلدا وأبنائها

---

(1) Hodgkin: Italy, Vol. 3 P.328.

(2) Ryan Patrick: Marriage and Alliance, p. 91.

(3) Wood. The Merovingian Kingdom, p. 52.

(4) White:"Clotild's Revenge",p.116.

(5) White:"Clotild's Revenge",p.117.

الصغار قليلي الخبرة. كم أن رد فعل كلوتيلدا (دعوة أبنائها) كما وصف جريجوري التوري يبدو أنه يقترح شيئاً مهماً، ذلك أن زواج ثيودريك من ابنة سيجسموند يوضح نوعاً من التهديد لنفوذهم، حيث تعتبر كلوتيلدا نفسها بمثابة حامٍ لأبنائها منذ وفاة كلوفس.

ويرى ولفرام Wolfram أن مقتل سيجريك بن سيجسموند من زوجته القوطية بمثابة علامة ظاهرة لخرق تحالفه مع القوط الشرقيين[1]. وبشكل أكثر تحديداً كما أشار إيان وود يحتمل أن سيجريك وريث محتمل لجده ثيودريك في إيطاليا، وربما كان القوط يثيرون التمرد ضد سيجسموند الذي كان يحمي مملكته من ابنه، الذي ربما كان متجاوباً مع القوط الشرقيين وساعد تمردهم[2]. ومع وفاة ابنه فإن سيجسموند كان بحاجة إلى تقوية موقفة ضد القوط الشرقيين من خلال الألقاب الخاصة والاعتراف من جستين الأول[3] Justin I (518-527م) إمبراطور القسطنطينية[4]. وقد يكون هناك أيضاً تحدٍ محتمل على السلطة من

(1) Herwig Wolfram, The Roman Empire and its Germanic peoples. Translated by Thomas Dunlap. Berkeley: University of California Press, 1997, p.256.

(2) Wood: the Merovingian Kingdoms, p. 53.

(3) جستين الأول: ولد الإمبراطور جستين الأول عام 450م في منطقة بدريانا Bederiana بمقاطعة إليريكوم Illyricum بالبلقان، وكان رجلاً أمياً لايدري من القراءة أو الكتابة شيئاً، والتحق بالجيش البيزنطي عام 470م وترقى في الوظائف حتى أصبح قائد فصيلة، ووصل إلى قائد حرس القصر في عهد الإمبراطور أنستاسيوس، ثم تولى العرش بعد وفاة أنستاسيوس، وقد اكتسب عهده أهميته من تأسيس سلالة جستنيان التي من أبرز حكامها ابن شقيقة جستنيان الأول، وتميز عهده بسن القوانين التي حدثت من تأثير طبقة النبلاء البيزنطية القديمة... للمزيد انظر: بروكوبيوس القصيرى: التاريخ السري، ترجمة صبري أبو الخير سليم، ط 1، القاهرة 2001، ص 82-81؛ الشيخ: الإمبراطورية البيزنطية، ص40-41؛ محمود سعيد عمران: الإمبراطورية البيزنطية، ص 45-46.

(4) Wolfram, The Roman Empire, pp.255-56; Heather, The Goths, p.248.

شقيقه جودمار الثاني[1] Godomar II (523-534م) الذي سيصبح ملكاً كذلك بعد وفاة سيجريك.

وقد تحالف الفرنجة مع القوط الشرقيين من أجل القضاء على عدوهما المشترك[2]، واتفقا فيما بينهما على أنه إذا تأخر أحد الفريقين عن القيام بالغزو لسبب ما، فعلى الفريق الآخر أن يقوم بالغزو، وأن يلتزم الفريق الذي تأخر بدفع الذهب إلى الفريق الآخر، على أن يقتسما أراضي الخصم فيما بينهما[3]، وبعد أن قام كلودومير Cholodmer وأخواه شلدبرت الأول Childbert I (511-558م) وكلوثر الأول Clothar I (511-561م) بتحريك جيوش الفرنجة، أمر ثيودريك قائد الجيش القوطي بتأخير الزحف، وعدم دخوله أراضي العدو حتى يتأكد من انتصار الفرنجة، وإذا حدث العكس فعليهم ألا يغادروا المكان الذي وصلوا إليه[4].

وعلى أثر ذلك شرع القائد القوطي في تنفيذ أوامر سيده، أمّا الفرنجة فقد خاضوا المعركة ضد البرجنديين دون سواهم، ووقعت مذبحة كبيرة، راح ضحيتها الآلاف من الفريقين[5]، إلى أن تمكن الفرنجة من هزيمة البرجنديين عام 523م، وأخذوا سيجسموند أسيراً وقذفوا به وبزوجته وابنه في البئر[6]، وبناء على هزيمة البرجنديين أسرع الجيش القوطي إلى ميدان القتال حسب تعليمات ملكهم، وألقوا تبعة تأخيرهم على صعوبة عبور جبال الألب[7]، وبعد أن قاموا

---

(1) جودمار الثاني: تولى الملك جودمار الثاني (523 -534م) حكم البرجنديين بعد مقتل أخيه سيجسموند، وقد نجح جودمار في هزيمة الفرنجة في موقعة فيزرون Vézeronce عام 524م، وقتل فيها كلودومير ملك أورليان، ثم تنازع ملوك الفرنجة تقسيم تركة الملك القتيل، وهذا ما ساعد جودمار على التقاط أنفاسه. انظر:

Gregory of Tours: Franks, P. 56.

(2) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 91.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ص 1، ص 91.

(4) Gregory of Tours: Franks, P 55.

(5) Gregory of Tours: Franks, P 55.

(6) Marius of Avenches: MGH AA XI: p.235; Gregory of Tours: Franks, P 55.

(7) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 91.

بدفع المبلغ المتفق عليه اقتسموا أراضي البرجنديين مناصفة مع الفرنجة[1]، وبموجب ذلك الاتفاق استولى الجيش القوطي على الأراضي فيما بين نهري الديورانس والدروم Drome بما فيها من مدن أفينون وأورانج Orange وفيفيرز Viviers وفاسون Vasion وكافالون Cafallon وكاربنتراس Carpentras، وبذلك بلغ التوسع القوطي أقصى مداه في الناحية الشمالية الغربية لمملكة القوط الشرقيين في شبه الجزيرة الإيطالية[2].

وقد استحسن بروكوبيوس القيصري سلوك ثيودريك، وهو ما نستشفه من قوله "وهكذا ظهر بعد نظر ثيودريك، لأنَّه بقليل من الذهب، نجح في ضم نصف أراضي عدوه دون أن يفقد أي فرد من قواته"[3]، ولم يختلف رأي كاسيدروس عن بروكوبيوس إذ علق عليه بقوله "كان انتصاراً بدون حرب"[4].

ومن الأمور التي تؤكد أن هذه الحملة قد استوفت مطالب الانتقام، وأنَّ الثأر أقل أهمية من الغزو والنهب، إن كلودومير يعود إلى برجنديا بعد وفاة سيجسموند العام المقبل إلى مدينة فيزرون Vézeronce 524م لمهاجمة جودمار الثاني Godomar II (523-534م) شقيق سيجسموند وملك البرجنديين الجديد[5]. ولكن نجح جودمار في هزيمة الفرنجة في معركة فيزرون عام 524م، وقتل كلودومير ملك أورليان. وهكذا نجد أن كلودومير كان عازماً بشكل واضح على غزو مملكة البرجنديين، ووجد في مطالب الثأر مبرراً نافعاً لمعاركة[6].

---

(1) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 91.

(2) Pfister: Gaul under Merovingian Franks, in CMH, Vol. II. P. 117; Oman: Dark Ages P. 27; Wolfram: Goths, P. 312.

(3) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، جـ 1، ص 91.

(4) Cassiodorus: Letters, P. 355.

(5) Marius of Avenches: MGH AA XI: P.235;Gregory of Tours: Franks, P.56.

(6) Gregory of Tours: Franks, P.56; Wolfram, The Roman Empire, p.256.

وقد استخدم جريجوري التوري هذه الحادثة لدعم شيء عن السلوك المتوقع لثيودريك الأول الذي فشل في مساعدة حماه سيجسموند في عام 523م عندما هاجمه كلودومير أخي ثيودريك، لقد كان موقفاً حرجاً بالنسبة لثيودريك، إذ كان قد تلقى مطالب من قريبة بمساعدته، وقد تعرض جريجوري لحدث قرابة المصاهرة أعلاه؛ إذ إن كلودومير أخ غير شقيق لثيودريك، ولكن عندما هاجم كلودومير فأنه هاجم حماه ثيودريك ولكن تجنب ثيودريك التورط مع الجانب الآخر.

وفي مناقشة جوانب عداء الحرب بين الفرنجة والبرجنديين فإن ستفين وايت Stephen White يصور مأزق ثيودريك الأول لدعم أحدهما فإنَّه محفوف بالمخاطر، أما منح أو منع الدعم للجانب الآخر سوف يثير غضب الجانب الثاني، ولكن أي جهود للتوسط بين الاثنين يمكن أن تلاحظ كازدواجية[1]، ومع ذلك جريجوري لا يقدم أي ذكر لأي استغاثة من الجانبين في بداية الحملة ربما الاثنين كلودومير وسيجسموند لم يفهموا موقف ثيودريك وفضلوا عدم توريطه في مشاركة جانب ضد آخر.

بعد وفاة سيجسموند فقط فإنَّ ثيودريك الأول وفقاً لما ذكره جريجوري وافق على الانضمام لكلودومير ضد البرجنديين، وربح سرد جريجوري التوري في عدم الانتقام لوفاة حماه، واقترح هذا في النهاية من وجهة نظر جريجوري في التوقعات التي سيفعلها ثيودريك. كما أن كلودومير خطط لحملة جديدة ضد جودمار خليفة سيجسموند، ويشير جريجوري على وجه التحديد إلى فشل ثيودريك في الانتقام لوفاة سيجسموند قائلا "هذا الرجل مع ذلك لا يرغب في الانتقام لخسارة صهره، ووعد أن يأتي لمساعدة كلودومير"[2]. إنَّه لتصريح لا يتناسب تماماً مع التنافس المستمر بين ملوك الفرنجة الأشقاء في تاريخ جريجوري التوري، لكنه يكشف عن رأيه تجاه التزامات قرابة الزواج. وربما

(1) White, "Clotild's Revenge", pp.117-18.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.55.

ثيودريك اعتبر القتال المباشرة ضد الملك الفرنجي الزميل على أنّه تصرف خطأ ضد معتقداته حول كيفية القرابة التي يجب أن يعاملوا بها بعضهم بعضاً أو على الأقل لن يؤيده أتباعه.

علاوة على ذلك لو أن الحملات البرجندية قصدت تعزيز نفوذ كلودومير على حساب ثيودريك، إذاً إننا لا نفهم لماذا قصد كلودومير ثيودريك كحليف؟ كما ناقش إيان وود أن ثيودريك الأول لم يكن موجوداً في فيزرون وأنّ الأمر قد اختلط على المؤرخ جريجوري التوري بين ثيودريك الأول وثيودريك العظيم الذي ظهرت قواته في المعركة[1].

ولم يذكر بروكوبيوس أي تحالف بين الفرنجة والقوط الشرقيين لتقاسم غنائم حملة البرجنديين، ولولا ارتباكه في الترتيب الزمني للأحداث فربما كان سيشير إلى هذه التحالف[2]. فإذا كان هذا هو الحال فإنّه لا يناسب بالضبط مع موضوع المنافسة بين ثيودريك وأبناء كلوتيلدا. إذ وجد كلودومير حليفاً مستعداً في ملك القوط الشرقيين عندما كان يحاول غزو مملكة البرجنديين، ومِن ثَمَّ توسيع مملكته وسلطته ونفوذه.

بالنسبة للمنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة نجد أن تحدي كلودومير لموقف ثيودريك قد انتهى في معركة فيزرون عام 524م، وذلك عندما توفي كلودومير أثناء المعركة[3]. ولكن بالنسبة للمنافسة الخارجية نجد أن الفرنجة

---

(1) Wood, " Clermont and Burgundy", 122-3; wood. The Merovingian Kingdom, p. 53; wolfram, the Roman Empire, p.256.

(2) بروكوبيوس القيصري: الحروب القوطية، ج1، ص91.

(3) Gregory of Tours: Franks, P.55.

حدث في معركة فيزرون بعد أن هزم كلودومير جودمار ملك البرجنديين أن تتبعه كلودومير لمسافة كبيرة بعيداً عن جنوده، وأصبح في وسط جنود جودمار الذين ادعوا أنهم جنود كلودومير حتى أنساق وأصبح وسطهم ثم قتلوه. انظر:

Gregory of Tours: Franks, P.56.

ما زالوا يقررون استكمال غزو مملكة البرجنديين على الرغم من أن جودمار استعاد المملكة بعد فترة قصيرة، إذ استأنف كلا من شلدبرت الأول وكلوثر الأول تصفية أملاك البرجنديين، إذ ضربا الحصار على مدينة أوتون Autun، وحينما تصدى لهم جودمار محاولاً تخليص المدينة، تعرض لهزيمة ساحقة فر على أثرها إلى إيطاليا متخلياً عن مملكته، وأخذ الفرنجة يستولون على البقية الباقية من مدن برجنديا الواحدة تلو الأخرى، حتى وصلوا بفتوحاتهم إلى حدود المملكة البرجندية مع مملكة القوط الشرقيين بحدود جبال الألب ونهر الدروم[1].

وهكذا نرى دور الزواج في عقد التحالفات السياسية بين الممالك الجرمانية، بل دوره في القضاء على بعض الممالك كما في هذه الحالة.

* * *

(1) Gregory of Tours: Franks, P. 56.

الفصل الثالث

"الزواج السياسي بين القوط الغربيين والفرنجة"

- أماليك وكلوتيلدا الصغري .
- سيجبرت وبرونهيلد .
- شلبريك وجالسيونثا .
- هرمنجلد وانجوند .
- ريكاردو وريجونثا .
- خطوبة ريكاردو وكلودوسندا .
- ثيودريك وارمنبرجا .

* أماليك وكلوتيلدا الصغري:

تولي الملك أماليك Amalaric(509-531م) عرش مملكة القوط الغربيين بعد وفاة والده آلاريك الثاني عام 507م، وينقسم حكمه إلى فترتين: الأولى من سنة 509م إلى سنة 522م، وكان فيها تحت وصاية جده ثيودريك ملك القوط الشرقيين، والثانية من سنة 522 حتى سنة 531م وحكم فيها بنفسه. وفي الفترة الأولى نَصب ثيودريك الكونت ثيوديس Theudis حاكماً لمساعدة أماليك، وعندما أصبح عمر أماليك في السادسة عشر توفي جده ثيودريك فتولى الحكم بنفسه[1].

على الجانب الآخر في مملكة الفرنجة نجد أن الملك كلوفس توفي عام 511م، وأنقسمت مملكته بين أبنائه إلى أربعة أقسام، فأخذ ثيودريك الأول(511-534) ميتز، وكلودومير(511-524) أورليان، وشلدبرت الأول(511-558) باريس، وأخذ كلوثر الأول(511-561) Clothar I سواسون Soissons[2]، وأشتد التنافس الداخلي بين هؤلاء الملوك. وكانت هذه الفترة فترة العصر العظيم للمصاهرات السياسية الأجنبية للميروفنجيين[3]. وأرتبط هؤلاء الملوك بالزواج الأجنبي السياسي مثل جدهم كلوفس، وذلك للمنافسه فيما بينهم من أجل الذهب والأراضي والأتباع المخلصين. وتاريخ مملكة الفرنجة من عام 511م حتى وفاة كلوثر الأول 561م آخر ابن متبقى - من أبناء كلوفس-عبارة عن صراع بين ورثة كلوفس من أجل السلطة المستمرة، ولكن لم يدعي أحداً من خارج الأسرة الميروفنجية المُلك كما واجهه كلوفس، ولكن سعى إلى ذلك أخواتهم، أعمامهم وأبناء أعمامهم.

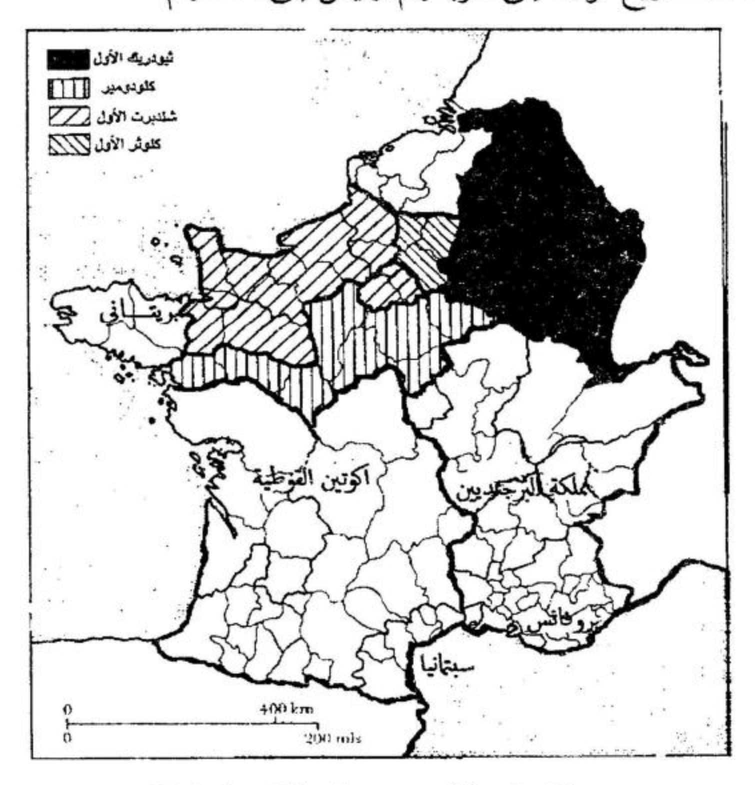
---

(1) Jordanes : Goths ,P. 137 ; See Also, Thompson: Goths in Spain , P. 9;
أنظر أيضاً، محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص 224.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.54.
ولمزيد من التفاصيل عن تقسيم مملكة الفرنجة عام 511م انظر خريطة رقم (4).

(3) Eugen Ewig: "Studien zur merowingischen Dynastie" ,p.40.

وفي وسط هذه المنافسة الشرسة نجد كل ملك من الملوك الميروفنجيين الأربعة، يسعى إلى تأكيد وتعزيز وضعه بين أشقائه، وذلك عن طريق الزواج السياسي، ومحاولاً كسب مزيد من السلطة والأراضي والثروة والاتباع المخلصين، والتي من شأنها تحسين وضعه من أجل التنافس الداخلي، فضلاً عن الدعم العسكري في حملاته الخارجية. وهكذا نجد أن تقسيم مملكة الفرنجة أسفر عن صراع كبير بين الملوك المنافسين، ففي عام 510 وعام 520م اِحتدم الصراع بين ثيودريك الأول وأشقائه، فقد سعى هؤلاء الأشقاء إلى تحقيق التوازن، وأخذ كل واحد منهم يحاول الحصول على المساعدة في حملاته العسكرية والدعم في المشاريع السياسية الأخرى، ولكن في كثير من الأحوال كانت هذه المشاريع توجه إلى أقربائهم وليس إلى اعدائهم.



خريطة رقم (4) تقسيم المملكة عام 511م

نقلا عن Wood , Merovingian Kingdoms .p. 367.

أما عن العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة في تلك الفترة فقد أشار طمبسون Thompson إلى أن فترة وصاية ثيودريك على حفيده كانت فترة سلام نسبي بين القوط الغربيين والفرنجة، على الرغم من إن طمبسون يعترف بأن القوط الغربيين لم يستردوا أراضيهم المفقودة على أيدى الفرنجة عام 507م[1]. ولكن مؤخراً أكد بيتر هيذرPeter Heather وادوارد جيمس Edward James استمرار الحرب بين الشعبين[2]. بينما ذكر جريجوري التوري إن الفترة التي تلت وفاة كلوفس مباشرة قد شهدت إستعادة القوط الغربيين لبعض أراضيهم التي فقدوها أمام الفرنجة[3]. وهذا يوحي إن العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة في هذه الفترة واحدة من حالات العداء بدلاً من السلام، على الرغم من احتمال وجود فترات سلام قصيرة وسط هذه الحروب.

يتضح مما سبق، إن أماريك ملك القوط الغربيين، أراد أن يدعم موقفه في الداخل، ويتخلص من تهديدات ملوك الفرنجة في الخارج، في مقابل أن يتخلى عن أدعاءاته في إستعادة ممتلكات القوط الغربيين القديمة في بلاد الغال[4]، فقرر أن يتزوج الأميرة كلوتيلدا ابنة كلوفس ملك الفرنجة، وأرسل إلى أخواتها يطلب يدها للزواج، فقام الأخوة بتجهيزها وأرسلوها إلى إسبانيا، ومعها مهر ضخم من الجواهر الثمينه[5]. ويقال إن مهرها كان عبارة عن مدينة تولوز[1].

---

(1) Thompson: Goths in Spain p.9.

(2) Heather, The Goths, p.277; James, Edward. *The Franks* Peoples of Europe. Oxford, UK: Blackwell, 1991, p.92.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.58.

(4) Barbero and Loring: The Formation of The Sueve and Visigoths Kingdoms In Spain In The New Cambridge Medieval History, Volume 1, Cambridge University Press, 2005, p.178.

(5) Gregorii Episcopi Turonensis :Libri Historiarum Francorum X, editionemalteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I, pp.97-8.

وقد ذكر جريجوري هذا الزواج في تقريره عن عهد خلفاء كلوفس بعد تقسيم المملكة قائلاً: "**ولأنهم كانوا أقوياء جداً ولديهم جيش قوي، طلب أماليك بن آلاريك ملك إسبانيا، شقيقتهم للزواج، فوافقوا على طلبه، وأرسلوها إلى إسبانيا، ومعها مهر ضخم من الجواهر الثمينه**[2]".

وقد اقترح جريجوري التوري إن كل أبناء كلوفس وافقوا على الزواج، وأرسلوها إلى إسبانيا مع كمية كبيرة من الثروة. ونحن نفترض إن شلدبرت الأول هو الذي رتب أستعدادات الزواج النهائية، لأنه هو وحده الذي تولى مسئولية إنقاذ كلوتيلدا فيما بعد عام 531 م. كما أن تركيز جريجوري على حجم الثروة - تل من الزينة العظيمة - فإن ذلك إشارة هامه بأن هذا الزواج لعب دوراً هاماً في المنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة. وقد أظهر شلدبرت دوره كملك سخى الذي نسق زيجة مرموقة لشقيقته. وقد ناقش برنهارد جيسن Bernhard Jussen شعائر الزواج التي أدها شلدبرت لتوطيد نفوذه[3]، كما أشار أيضاً إلى تعليق جريجوري على الثروة التي أُرسلت مع كلوتيلدا، حيث أشار إلى عرض مفتوح لهذه الثروة تم عمله أثناء الأحتفال بالزواج، حتى لو كان حفل الزواج لم يحدث حتى وصلت إلى إسبانيا[4].

بعد أن ذكر جريجوري التوري زواج أماليك وكلوتيلدا في بداية الفصل الثالث من كتابه، فإننا لم نسمع شيئاً جديداً عن أماليك وكلوتيلدا حتى الفصل العاشر، وهناك ذكر جريجوري إن كلوتيلدا تعرضت للضرب لدرجة النزيف

---

(1) Anita George:Annals of The Queens of Spain, Vol.1,New York 1850, p.6.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, pp.97-8.

(3) Bernhard Jussen: Spiritual kinship as social practice: godparenthood and adoption in the early Middle Ages. Translated by Pamela Selwyn. Rev. and expanded English ed. The University of Delaware Press series, The family in interdisciplinary perspective. Newark, DE: University of Delaware Press, 2000, pp.228-9.

(4)Jussen: Spiritual kinship as social practice, pp.228-9.

وسوء المعاملة من زوجها لإنها كاثوليكية وزوجها آريوسياً[1]، وقد أرسلت منديلاً ملطخاً بالدماء إلى شقيقها الأكبر شلدبرت[2] الذي تحرك على الفور وهاجم أماليك[3]، وطبقاً لما ذكره جريجوري فإن أماليك بدأ استعداداته للهرب بمجرد أن سمع بقدوم الملك شلدبرت ضده. ومع ذلك قاده جشعه إلى العودة لبعض الكنوز التي تركها خلفه[4] إلى قرب جنود شلدبرت الذين قتلوه على الفور، وأخذوا كلوتيلدا وكمية كبيرة من الغنائم معهم. ومع ذلك فقد ماتت كلوتيلدا أثناء طريق العودة إلى وطنها[5].

وهكذا يبدو أن النقاش عن العلاقات الفرنجية القوطية أثناء عهد أماليك سوف يبقى دائماً متضارباً لقلة المصادر المتاحة لدى الطالب، كما أن المعلومات الواردة في سرد جريجوري التوري محدودة، سواء عن فقدان بعض الأراضي الفرنجية للقوط الغربيين في هذه الفترة أو رد شلدبرت العسكرى على شقاء أُخته في مملكة القوط الغربيين مما أتاح له دعمها بكميه كبيرة من الثروة[6]. كما أن التركيز الشديد كان على كمية الثروة والغنيمة في توضيح العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة -"حيث أُرسلت كلوتيلدا إلى إسبانيا برفقة ثروة عظيمة"، "وأماليك عاد لكنزه"، "وشلدبرت تحرك للكنز العظيم"، وفي حملة شلدبرت وكلوثر الأخيرة، فإن جريجوري يشير إلى أنهم "أخذوا إلى ممالكهم غنائم عظيمة[7]"- دليلاً على أهمية الكنوز في زيادة الثروة والنفوذ، فضلاً عن توفير المحاربين، وفرص الغنيمة أيضاً في التنافس على السلطة في مملكة الفرنجة.

---

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, p.106.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, pp.106-107.

(3) Isidore of Seville : History of the kings of the Goths, p.19.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 107.

(5) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 107.

(6) Gregory of Tours : Franks,pp. 54,58.

(7) Gregory of Tours : Franks,p. 67.

ولكن ليس من المستغرب في سرد جريجوري التوري، أن الصراع الكاثوليكي الآريوسي المتضمن في هذا الزواج جاء في المقدمة، حيث يواصل جريجوري موضوعه من الفصل الثاني بأن الآريوسيين دائماً يحصلون على جزاءهم العادل في النهاية، مثل آلاريك الثاني في فويسيه الذي اقترف خطأ القتال ضد كلوفس الكاثوليكي. في واقع الأمر على الرغم من تصرف أماليك كما ذكر جريجورى، فإنه من الصعب أن نفهم أن سلوك أماليك الذي بحث ووافق على العروس الفرنجية، ولابد أنه كان يعرف إنها كاثوليكية متوقعاً تحويلها، ثم قهر هذه العروس. وفي النهاية هرب سريعاً عندما جاء واحداً من أشقائها للانتقام. إنه أحد الأمرين، إما إن جريجوري يستخدم هذه الحادثة ليدعم موقفه "إن الله يعاقب دائماً الآريوسيين" وهكذا يشوه القصة أو هناك بعضاً من التوضيح لتصرف أماليك لم تشير إليه المصادر.

وقد طرح طمبسون Thompson أسئلة مماثلة: "دوافعه في طلب الزواج ليست واضحة"، ولو إنها أصبحت آريوسية فإنها لن تقوم بأي دور وساطة بين زوجها وبين أخواتها الملوك الفرنجة، ولو ظلت كاثوليكية فإن موقفها في بلاط أماليك لا يمكن الدفاع عنه، كما أصبح في واقع الأمر[1]. ولكن وافق روجر كولنز Roger Collins على إن سرد جريجوري صحيحاً قائلاً: "**حيث عدم فهم أماليك، ومحاولاته العنيفة لإجبار زوجته التخلي عن معتقداتها الكاثوليكية وتأييد الآريوسية أعطى أشقائها ذريعة للتدخل**"[2]. كما يشير أيضاً إلى تاريخ ايزدور الاشبيلى Isidore of Seville الذي ذكر أن أماليك قد قُتل على يد رجاله بينما كان يحاول الفرار على عكس ما ذكر جريجوري[3].

---

(1) Thompson: Goths in spain,p.12.

(2) Collins: Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400-1000. 2nd ed. New York: St. Martin's Press, 1995.,p. 34.

(3) Isidore of Seville: History of the kings of the Goths, p.19.

من الواضح إن هناك ما هو أكثر من حملة عسكرية لمجرد تسويه النزاع العائلي، وتحدي موقف أماليريك كملك دون منازع، علاوة على ذلك هناك دليل للتأمل في تاريخ بروكوبيوس، الذي ربما لا يكون جديراً بالثقة كلياً منذ أن ذكر أن أماليريك تزوج شقيقة ثيودبرت الأول[1] Theudibert I ملك الفرنجة، وذلك لأن معظم تفاصيله الأخرى مدعمه من مصادر أخرى، ولكن قد يكون لديه شئ يستحق النظر، فقد ذكر بروكوبيوس:

"**فيما بعد أساء أماليريك إلى شعور زوجته . . . . ، ولم يسمح لها بأداء طقوس دينها، فضلاً عن ذلك كانت تأبى أن تستجيب إلى عاداته، وكان ينظر إليها بعين الازدراء، ولم تستطع المرأة تحمل ذلك فقامت بافشاء الأمر بأكمله إلى شقيقها**"[2].

على ما يبدو إن كلوتيلدا لم تكن قادره على ترسيخ نفسها في البلاط القوطي دون أن تصبح آريوسية، وهو الشيء الذي تكره أن تفعله. وبالتالي فتكون عديمة الفائدة كزوجة للملك الآريوسي، ولم تستطيع المشاركة في المهام الملكية المحاطة بالطقوس والأساقفة الآريوسيين. ومن ثم فإن أماليريك لجأ على نحو أوسع بطريقة عنيفة محاولاً اقناعها بالتخلي عن الكاثوليكية، وذلك لجعلها أكثر فائدة في البلاط الملكي.

وقد تحدث بروكوبيوس عن خوف أماليريك من الفرنجة كعامل تحفيز في البحث عن زوجة منهم[3]، كما أشار جوردان إلى "مؤامرات الفرنجة" عندما ناقش زواج أماليريك، عندما قال: "**ولكن أماليريك وقع في مؤامرات الفرنجة**

---

(1) أخطأ المؤرخ بروكوبيوس القيصري عندما ذكر إن أماليريك تزوج من شقيقة ثيودبرت الأول (حوالى 533-548م) ملك الفرنجة. انظر، بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ1، ص94.

(2) بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ1، ص95.

(3) بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ1، ص95.

وفقد حياته ومملكته في وقت واحد"[1]. كما ناقش طمبسون رغبة الفرنجة منذ عهد بعيد استكمال غزوهم لبلاد الغال بالاستيلاء على مقاطعة سبتمانيا حتى لو كان هدف الزواج إحلال السلام بينهما بدلاً من الحرب التي كانت مستمرة سواء كان بينهما سلام أم لا[2].

كما يرى بيتر هيذر إن هذا الزواج حدث للحد من هجمات الفرنجة على الأراضي القوطية[3]. وبطبيعة الحال، يجب أن نعود إلى سلوك أماليرك الغريب تجاه كلوتيلدا. فإذا كان وصف جريجوري التوري مدعم من بروكوبيوس عن سلوك أماليرك تجاه زوجته فإنه مسلم به، كما يرى كولنز وطمبسون، إذاً فهو قد حاول الحفاظ على السلام مع الملوك الفرنجة[4]. ولكن لماذا يسأل عن عروس فرنجية، ثم يعتدى عليها وفقاً لما ذكرته بعض التقارير وعاملها بأسوء الأمور والأشياء؟ لماذا وقع في مؤامرات الفرنجة التي أشار إليها جوردان، وإن الفرنجة وضعوه فيها؟

للاجابة على هذه التساؤلات، لابد من الإشارة إلى الاحداث السياسية في مملكة القوط الغربيين، حيث تقدم تفسيراً لذلك. ففي عام 526م خرج أماليرك من تحت وصاية جده ثيودريك الذي حكم القوط الغربيين على مدى الخمسة عشر الماضية على الاقل بحكم الواقع[5]، وكان لا يزال إلى حد ما تحت ظل ثيوديس قائد ثيودريك العسكري في إسبانيا، ورفض أماليرك سلطة ثيودريك ونجح في نهاية المطاف في الوصول إلى الملكية[6]. ولإدراك ذلك إن وصاية

---

(1)Jordanes: The Gothic History, p.138.

(2) Thompson: Goths in Spain, pp.11, 15.

(3) Heather: The Goths, p.277.

(4) Thompson: Goths in Spain, 9-12; See Also, Collins: Early Medieval Spain,p. 34.

(5) Marius of Avenches : MGH AA XI, p.235.

(6) Jordanes: The Gothic History, p.138; See Also, Heather: The Goths, p. 278.

ثيودريك في إسبانيا كانت ضرورية، ولكن ثيودريك نوعاً ما لا يحظى بشعبية كبيرة بين القوط العربيين[1]، وقد سعي أمالريك في سنواته الأولي إبعاد نفسه عن حزب القوط الشرقيين في مملكته، وتجاوز نفوذ ثيوديس الذي ربما يمثل خطراً على مكانته[2].

وقد ناقش بيتر هيذر ذلك قائلا: "إن خلافة أمالريك كانت نتيجة بناء السلطة الجديدة(سلطة القوط الغربيين) لا القديمة(سلطة القوط الشرقيين)"[3]. كما أن هناك اتجاه يشير إلى وجود تغيير واضح في سياسة أمالريك تجاة القوط الشرقيين، وذلك عندما تزوج من أميرة فرنجية، على الرغم من إن الفرنجة أقل شعبية من القوط الشرقيين بين الارستقراطية القوطية الغربية، كما إن الزواج من أميرة أجنبية ليست من القوط الغربيين كان مؤشراً على رغبة أمالريك في أن تكون مملكته مستقلة عن القوط الشرقيين. وبالفعل أشار أمالريك إلى نيته عندما تفاوض مع ابن عمه اتالاريك Athalaric خليفة ثيودريك في إيطاليا (حوالي 526-534م)، حيث عقد معاهدة مواتية للغاية قطعت علاقات المملكتين بعد أعوام من هيمنه ثيودريك على المملكتين[4].

---

(1) Thompson: Goths in Spain, p.10 ; See Also, Heather: The Goths, p.255.

(2) Wolfram: History of the Goths, p.310.

(3) Heather: The Goths, pp.277,234.

(4) بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ1، ص94-95؛
See Also, Thompson: Goths in Spain, pp.10-11.
وقد اعترف أمالريك في هذه المعاهدة بسيادة القوط الشرقيين علي بروفانس، وذلك في مقابل تنازل القوط الشرقيين عن التموينات التي كانت تأتي من إسبانيا، والتي كان ينظر إليها علي إنها شكل من أشكال الجزية، كما تم الاتفاق أيضاً علي عودة قوات القوط الشرقيين المتمركزة في إسبانيا وناربون، وحرية القوط الشرقيين الذين يقيمون في إسبانيا وتزوجوا من القوط الغربيين في الاقامة في إسبانيا أو العودة الي ايطاليا..... للمزيد أنظر،
Barbero and Loring: The Formation of The Sueve and Visigoths Kingdoms In Spain, p.177; See Also, Thompson: Goths in Spain, pp.10-11.

إذاً السلطة والثروة المرافقة، التي جاءت من الزواج بالأميرة الفرنجية، ربما ساعدت أماليك على توطيد منصبه كملك دون منازع. ولكن كان من المتوقع أن تتحول كلوتيلدا إلى الآريوسية من أجل تبديد أي مخاوف لنفوذ الفرنجة داخل مملكة القوط الغربيين، أو نقطة محورية للتمرد الكاثوليكى لرومان إسبانيا. وكانت كلوتيدا تأمل أن تمارس نفوذاً كبيراً في البلاط القوطي الآريوسي في حين تظل على كاثوليكيتها. ولكن أخطأ الملك أماليك عندما توقع إنها سوف تصبح آريوسيه، وعندما لم يحدث ذلك فإنه استعمل الأساليب العنيفة لتحويلها إلى الكاثوليكية. وكان يمكن أن تتحول كلوتيلدا إلى الآريوسية لكي تنجح مهمة الزواج على كافة المستويات ولكنها رفضت، وبهذه الطريقة جلبت السقوط والموت لأماليك كما حدث.

* سيجبرت الأول وبرونهيلد:

انفرد الملك كلوثر الأول Clothar I (511-561م) بعرش مملكة الفرنجة عام 558م بعد وفاة أشقائه، ولكن بعد وفاته عام 561م قُسمت المملكة بين أبنائه الأربعة كما حدث من قبل بعد وفاة الملك كلوفس عام 511م، وكانت كالتالى شاريبرت Charibert (561-567م) ورث مملكة شلدبرت الأول ومقرها باريس، أما جونترام Gunthram(561-592م) ورث مملكة كلودومير ومقرها أورليان، وقد ورث سيجبرت الأول Sigibert I (561-575م) مملكة ثيودريك الشرقية ومقرها ميتز، أما الابن الرابع: فهو شلبريك الأول Chilperic I (561-584م) قد ورث مملكة أبيه كلوثر ومقرها سواسون [1].

ولكن كان هؤلاء الأبناء أفضل من أبناء كلوفس، ولم يسعى الأشقاء الكبار شاريبرت وجونترام للمصاهرات الأجنبية المرموقة، وإنما حاولوا إنجاب الأبناء

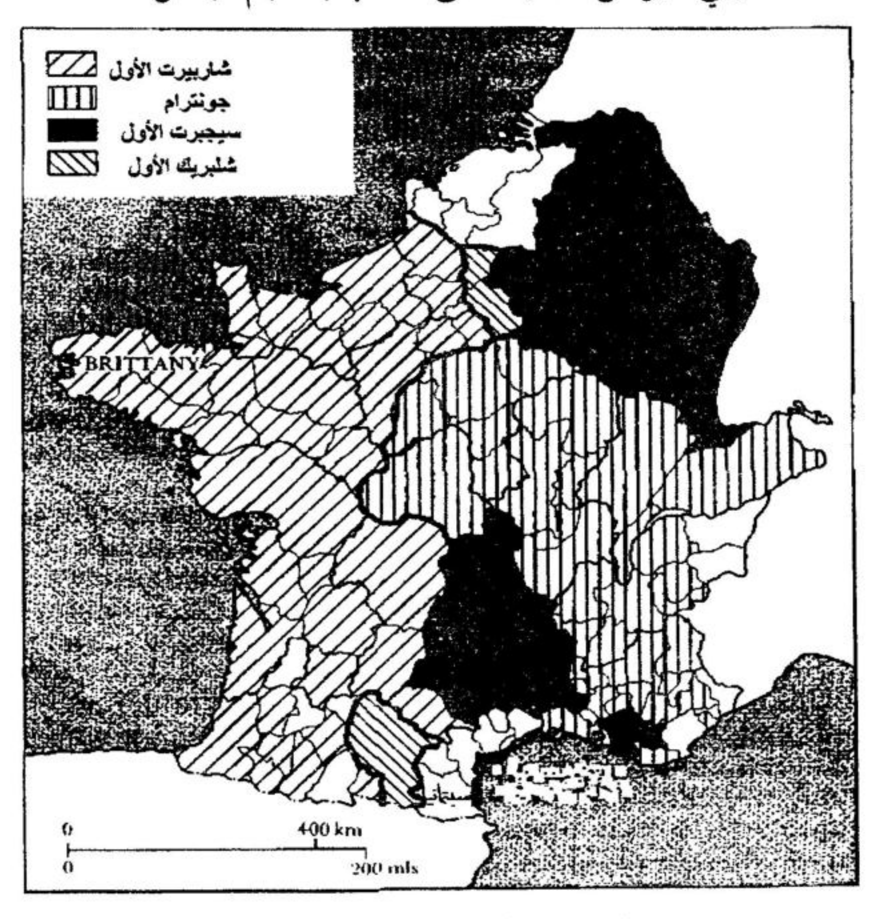
---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.87; see also, Walter C. perry: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London ,1957), p.128.

وبعد وفاة شاريبرت تم تقسيم مملكته بين اخوته الباقين وظهر في تلك الفترة أن المملكة انقسمت إلي اقسام ثلاثة على اسس شخصية وليست قومية، وهي: اوستراسيا : (المنطقة الشرقية) : تمتد من ريميس وعلى طول نهر الراين وتشمل معظم القسم الجرماني من فرانكيا مع قسم غالي روماني استقر فيه الفرنجة على نحو واسع. ونوستريا : (المنطقة الغربية) وتقع بين القنال الانجليزي ونهر اللوار. وبرجنديا : إلى الجنوب الشرقي، وتمتد من لانجرز إلى البحر المتوسط. بينما تمتعت مقاطعة بريتاني Brittany باستقلال فعلي تحت حكم كونتات محليين. أما اكوتين Aquitaine، حيث يسكن الباسك (البشكنس) Basques، فكانت تمتد من جيرونده Gironde وحتى غاسكوني (غسقونيه) Gascony وتسمى (ارض الباسك). لمزيد من التفاصيل أنظر، محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، ص28-29.

ولمزيد من التفاصيل عن أملاك الأخوة الأربعة، أنظر خريطة رقم (5)

من خلال الزواج من العديد من النساء، أما الأشقاء الأصغر سناً سيجبرت وشلبريك أصبحوا منافسين ألداء في محاولتهم جمع مزيد من الأراضي، الثروة والأتباع المخلصين لأنفسهم، وجعل أنفسهم متساويين، أو على الأقل الأفضل منزله من أخواتهم الكبار. وقد لعب الزواج الأجنبى المرموق دوراً هاماً في التنافس الداخلي على السلطة في مملكة الفرنجة في ذلك العصر، حيث حاول كل واحداً منهم التفوق على الآخر مثل جيل والدهم، وإستخدم كل الأشقاء الأربعة الاتفاقيات العسكرية والتحالفات الدبلوماسية بإستمرار لتوطيد موقفهم في المنافسة، وفي كثير من الأحيان على حساب بعضهم البعض.



خريطة رقم (5) تقسيم المملكة عام 561م

نقلاً عن .Wood , Merovingian Kingdoms .p. 368

على الجانب الآخر في مملكة القوط الغربيين نجد إن فرع أسرة الشجعان انقرض بعد وفاة أماليريك عام 531م، حيث استولى الكونت ثيوديس(548-531م) على السلطة، وظل يحكم المملكة لمدة سبعة عشر عاماً نجح خلالها في التصدي لمحاولات الفرنجة لغزو شبة الجزيرة الايبيرية[1]. وبعد وفاة ثيوديس تولى ثيوديجزل Theudigisel (548-550م) الحكم، ولكنه لم يستمر طويلاً في الحكم، فقد تم اغتياله فجأة بعد أقل من ثمانية عشر شهراً في الحكم[2]. بعد ذلك اختار القوط اجيلا Agila(550-554م)، ليكون ملكاً عليهم وجرى الاعتراف به ملكاً في طليطلة وبرشلونة، في حين رفض كونتات الجنوب الاعتراف به، ربما بسبب ما كان معروفا عنه من تعصب للآريوسية واضطهاد الكاثوليك، وحاول اجيلا غزو الجنوب ولكنه فشل، وقام قائد الثورة في الجنوب الكونت اثاناجيلد Athanagild بالاستعانة بجيوش الإمبراطورية البيزنطية لمواجهة اجيلا، ونجح اثاناجيلد والقوات البيزنطية في الاستيلاء على العديد من المدن على الساحل الجنوبي والشرقي، وواجهه اجيلا جيوش اثاناجيلد وتعرضت البلاد لحرب أهلية ودمر القوط أنفسهم، وهُزم اجيلا مرتين وانتهى الأمر بقتله على يد قواته وأقاموا اثاناجيلد قائد الثوار ملكاً عليهم[3].

أصبح اثاناجيلد (554-568م) بذلك ملكاً على القوط الغربيين، وحكم المملكة لمدة أربعة عشر عاما، وكان أول عمل قام به هو حمل السلاح في وجه حلفائه البيزنطيين الذين كانوا يسيطرون على عدد كبير من المدن الاسبانية[4]،

---

(1) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp.19-20;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص64، 71.

(2) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p.21;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص71.

(3) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp.21-2;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 72-73.

(4) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 22;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 72-73.

ولكن لم يتمكن من إستعادة هذه المدن، وفقد ولاية باتيكا Baettca وجزء من ولاية قرطاجنة[1]، وكانت النتيجة أن نقل اثاناجيلد عاصمة ملكة من ماردة Merida[2] في الجنوب إلى طليطلة Toledo[3] شمالها، وهي في قلب إسبانيا في موقع متوسط يمكن القوط من سهولة الأشراف على املاكهم فضلاً عن سهولة التوسع[4].

أما عن زواج سيجبرت وبرونهيلد Brunhild عام 566م فيقول جريجوري التوري:

---

(1) قرطاجنه : تقع قرطاجنه في الجنوب الشرقي من إسبانيا علي ساحل البحر المتوسط واستولى عليها الرومان واصبحت مقاطعة رومانية حتى استولى عليها الوندال عام 424م، ثم استولت عليها قبائل السويفي وظلت تحت سيطرتهم حتى استولى عليها القوط الغربيين واصبحت تحت سيطرتهم. انظر، خريطة رقم(11). ص139؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص200-199، 215.

(2) ماردة : مدينة تقع بالجنوب الغربي من إسبانيا، وقد تأسست في عهد يوليوس قيصر باسم اميريتا اوغسطه Emerita Augusta، وقد قام اجيلا (550-554م) ملك القوط الغربيين بنقل عاصمة المملكة القوطية إلي ماردة بدلاً من اشبيلية. أنظر، خريطة رقم(11) ؛ طرخان: القوط، حاشية ص139؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص173-174.

(3) طليطلة : مقاطعة في وسط إسبانيا عرفها الرومان باسم (Toleteum) حين استولوا عليها عام 192ق.م، وقد اتخذ الملك اثاناجيلد (568-554م) من طليطلة عاصمة لمملكته وقد عقد فيها عدة مجمعات كنسية مثل مجمع طليطلة الأول لعام 400م، ومجمع طليطلة الثاني عام 527م، وعقد فيها أيضاً مجمع طليطلة الثالث عام 589م علي عهد الملك ريكاردو الأول(601-586م)، والمجمع الرابع عام 633م برئاسة ايزدور الاشبيلي أسقف اشبيلية، كما كانت مقراً لعدداً من ملوك القوط الغربيين وظلت طليطلة عاصمة للقوط الغربيين حتى نهاية مملكتهم. للمزيد أنظر، خريطة رقم(11)؛ طرخان: القوط، حاشية ص139، 103؛

Moore : Encyclopedia of Places, p.787; Encyclopaedia Britannica online

(4) ابراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، ص103؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص228 .

"عندما حان الوقت لسيجبرت لكي يتزوج، فإنه بحث حول أشقائه الذين تزوجوا من محظياتهم من العبيد، واعتبر مثل هؤلاء النساء غير جديرين، وأرسل سفارة إلى إسبانيا لطلب يد برونهيلد ابنة اثاناجيلد ملك القوط الغربيين، مع العديد من الهدايا، . . . . ولم يرفض أبيها وأرسلها إلى سيجبرت مع ثروة عظيمة[1]".

ويرى جريجوري في زواج سيجبرت من برونهيلد إنه زواج ملائم لملك، حيث أن الزواج من برونهيلد يمثل مصاهرة مرموقة لسيجبرت، الذي حصل على زوجة من أعلى الرتب برفقة ثروة عظيمة، والتي كانت ذات سمعة وجمال. وقد أمضى جريجوري عده فصول واصفاً الزوجات قليلى الشأن والمحظيات، الذين اعتقد أنهم اخزوا أخوة سيجبرت قبل توضيح فضائل الأميرة برونهيلد المهذبة، الجميله، العفيفة، الحكيمه والجذابه[2]. ويبدو إن جريجوري التوري قد عقد مقارنة ايجابية حول شلدبرت الثاني بن سيجبرت وبرونهيلد، حيث كان لسيجبرت ابناً جيداً لأنه من زوجة جيدة ولم يرفضها مطلقاً، والذي يتناقض مع وفاة أبناء جونترام المبكرة من محظياته(فكان مضطراً لتبني شلدبرت الثاني كابناً ووريثاً له). ولم يعجب جريجوري ببرونهيلد فقط، ولكن الملك شلبريك أيضاً بدأ يحسد شقيقه على زوجته الرائعة، وشرع على الفور تقريباً بعدئذ في البحث عن زوجه مماثله له - شقيقة برونهيلد، جالسيونثا Galsuintha-. وقد أشار جريجوري إلى إن شلبريك كان مستعداً للتخلي عن زوجاته ومحيظاته الآخريات من أجل إتمام هذا الزواج المهم[3].

كما يكشف لنا أيضاً فينانتيوس فورتيونـاتوس Venantius Fortunatus (حوالي 540-600م) عن اهتمام العائلة الملكية بالمولد والمكانة الاجتماعية في

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.89.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.89.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.89.

المظهر العام، وقد سعي فورتيوناتوس إلى إرضائهم عن طريق كتابة ما يريد جمهوره ورعاياه أن يسمعوه، لذا فأننا نأخذ قصائده وأشعاره المكتوبة على وجه التحديد للعائلة الملكية على إنها تعكس رغباتهم ودوافعهم. وقد كتب فورتيوناتوس قصائد مدح لسيجبرت وبرونهيلد. وقد لاحظت جوديث جورج Judith George كيف أن هذه القصائد تثبت الزواج الملكي وتوكده[1]. وتتبع هذه القصائد الانماط والرمزية التقليدية لهذا النوع من الشعر، ولكن يتوافق مع الظروف المحيطة بالزواج كما وضح جريجوري التوري. فالأمر لا يقتصر على قصيدة توضح بعض طرق الملوك مثل سيجبرت محاولاً توطيد هيبته ونفوذه، ولكن التكوين ذاته يوحي مدى أهمية المقارنة في صالح شخص ما مقابل شخص آخر منافس على السلطة داخل مملكة الفرنجة.

ففي القصيدة مملكة سيجبرت تقارن بالإمبراطورية الرومانية، وهيبة برونهيلد مقابل وضع زوجات أخواته المخزي، والقصيدة لا توضح فقط أصل، مرتبه ومنزلة سيجبرت، ولكن أيضاً برونهيلد. وقد أشاد فورتيوناتوس بسيجبرت على أنه أعظم الملوك وذات نسب ملكى[2]. وأكد أصول برونهيلد الاسبانية الشهيرة، وذكر أبيها الملك اثاناجيلد على وجه التحديد[3]. وأشاد بجمال برونهيلد حتى قيل إنها فينوس الجديدة جميلة المظهر إنها جوهرة[4]. مثل هذا الوصف قد يكون في الأساس راجع إلى الأمثلة البلاغية لهذا النوع من الشعر الذي يتبعه فورتيوناتوس. ومع ذلك أشار جريجوري التوري أيضاً إلى مظهرها الجميل[5].

---

(1) Judith George: Venantius Fortunatus*: A Latin Poet in Merovingian Gaul*. Oxford: Clarendon Press, 1991, p.154.

(2) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, Translated from Latin by Judith W. George. (Liverpool University Press, 1995),p.25.

(3) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.26.

(4) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, pp.25-27.

(5) Gregory of Tours : Franks , P.89.

وقد كتب فورتيوناتوس أيضاً عدة قصائد بعد الـزواج عنـدما رأى الملـك سيجبرت عروسته وعلم عن جمالها. ونحن نفترض لو أن ذلك مبالغ فيـه، فإنـه لم يزييف تماماً ما اراده الزوجان الملكيان أن يسمعاه عن جمال برونهيلـد، وإلا أصبح ذلك مثالاً للسخرية إذا كانـت قبيحـة في الواقـع. وقـد طـورت قـصيدة فورتيونـاتوس أيـضاً أهميـة شخـصية الفـرد للـزوجين الجديـدين سـيجبرت وبرونهيلد، فقد وصف سيجبرت على إنه قوى وناضج، رمز الأب لشعبة كـريم ومتسامح[1]. إنه رجل في أي شيئ يستحق أن تطلبه من ملك تجده[2]. أما بالنسبة لبرونهيلد فماذا الذي اكددته هذه القصيدة بالفعل:

"قريبا، عندما كان كيوبيد[3] Cupid مع سهم انتصاره رأى الملـك الكـريم يعـشق الفتـاة العـذراء، قـال في ابتـهاج لفينـوس Venus : "امـي لقـد خـضت معاركي؛ لقد هزمت اخيليس الثاني Achilles بقلبه الثـائر، سـيجبرت وقـع في الحب، لقد عشق برونهيلد، إنها تجعله سعيداً، إنها مستعده للزواج، برونهيلـد تتفتح في زهرة عذريتها، إنها سوف تسعد زوجها منذ أول تعانق لهمـا، إنهـا لا تعاني من عاراً مخجل، ولكن حبهما يزداد قوة، . . . . . . هذه هـى أيـضاً رغبـة الفتاة رغم تواضع جنسها الذي ابقته خلفها"[4].

إنها على وجه التحديد عذريتها وعفتها اللذان اشـاد بهمـا فورتيونـاتوس، هذان وصفهما على أنهم شيء مرغوب ومبجل ينبغي أن ينظر إلـيهم علـى وجـه التحديد مع تفاوتهم في مصاهرات أشقاء سيجبرت التي تعددت، حيث تزوجوا من عدة نساء قليلي الشأن، وربما عفتهم كانت مشكوكاً بها. كما تقول جوديـث جورج، "إلى كل شخص وصل مؤخراً إلى البلاط الملكي فإن فورتيونـاتوس رد

---

(1) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.28.

(2) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.30.

(3) كيوبيد: هو اله الحب عند الاغريق.

(4) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, pp.28-9.

بابداع على طموحات الملك وعلى الحقائق الواقعية السياسية في هذا الزواج وعلى اهتداء برونهيلد للكاثوليكية"[1]. هذه الحقائق السياسية تدور حول المنافسة بين الملوك الأشقاء وحاجة سيجبرت لجذب واحتفاظه بأفضل الاتباع المخلصين، وهذا من شأنه أن يجعله قادراً على الدفاع عن مملكته وتوسيعها، والذي من شأنه أيضاً توفير فرص الغنيمة لهولاء الاتباع المخلصين.

كما يبدو واضحاً من سرد جريجوري أيضاً، إن سيجبرت احضر جمهوراً كبيراً ليعرض هيبة عروسته الجديدة، فيذكر جريجوري إن سيجبرت حشد "رؤساء مملكته وأعد وليمه سريعة واستقبل زوجته ببهجّة وسرورٍ غير محدود"[2]. كما أصدر سيجبرت بيان عن نفسه وعن طموحاته من هذا الزواج واستخدام الطقوس العامة للزواج ليؤثر ويجذب رجال مملكته ذوى السلطة.

وهكذا يبدو أن هذا الزواج يعرض أهداف متنوعة يمكن أن ترتبط بالمصاهرات السياسية الأجنبية، حيث أن الملك سيجبرت بالتأكيد لديه مصالح في جنوب بلاد الغال بحكم أن أراضية التي يحدها أراضي القوط الغربيين (سبتمانيا). وفي الوقت نفسه حدثت مهاجمة آرل Arles مدينة جونترام التي أيضاً تقع على حدود أراضي مملكة القوط الغربيين[3]. وسواء كانت رغبة سيجبرت تأكيد السلام مع القوط الغربيين من أجل تأمين موارده في الجنوب في أراضي أخواته أم لا، أو أنه سعى لدعم القوط الغربيين له في حملاته الخارجية، أو استخدم السلام في المنطقة في مقابل عروسة مرموقة، فأننا غير قادرين تماماً على حسم الآثار والنتائج المترتبة على ذلك الزواج. أما بالنسبة لاثاناجيلد فيرى البعض أنه هو الذي رتب أمر هذا الزواج السياسي من أجل حماية حدود مملكته الشمالية[4].

---

(1) George, Venantius Fortunatus, p.43.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.89.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.92.

(4) محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص229.

ولكن بالنظر إلى المصادر الأساسية التي لدينا نجد إنها لا تناقش الزواج بهذه الطريقة - كما إن مصادر القوط الغربيين لم تذكر الزواج مطلقاً - أو تقترح دعم القوط الغربيين لحملات سيجبرت، ويبدو من الأفضل لفهم الزواج من حيث صورة سيجبرت الملكية، إنه في الحقيقة دليل ضئيل جداً على التعاون الفرنجي القوطي، كما إن عامي 570 و580 مثل عام 530 تميزوا بشكل عام بالصراع العسكري الفرنجي القوطي في جنوب بلاد الغال. كما أن المصادر صامته تماماً عن العلاقات الفرنجية القوطية بين عامي 540 و 566م، ولكن مع الجيل الجديد من ملوك الفرنجة الحريص على عرض شجاعتهم العسكرية في توسيع ممالكهم، فنجد تهديد الفرنجة لسبتمانيا قد تجدد في هذه اللحظة بالذات عندما بدأ حكام الشعبين في المصاهرات مع بعضهما البعض[1].

وخلال فترة حكم الملك ليوفا الأول Liuva I (568- 573م) ركز بشكل خاص على منطقة سبتمانيا التي تقع على الحدود الفرنجية، وربما بسبب التهديد المتكرر، ثم في عام 573م اعطى ريكاردو Reccared (586-601م) اوامره في هذه المنطقة لمواصلة صد هذه المحاولات. وهكذا من الغالب نحن نرى في زواج سيجبرت وبرونهيلد على إنه علامة على العلاقات السلمية بين المملكتين، ولكن ربما هذا كان موجوداً حتى قبل الزواج. وقد اقترح إيان وود إن اثاناجيلد في زواجه لابنتيه لملوك الفرنجة ربما كان يأمل في حفيد يخلفه[2]. ولكن يبدو هذا بعيد الاحتمال بسبب تاريخ العداوة العامة بين الشعبين في القرن السادس، ولكن هذا مثال جيد إذاً اخذنا بعين الاعتبار الدوافع البديلة للمصاهرات الأجنبية بجانب القضايا السياسية أو الدبلوماسية الدقيقة.

وسواء ساعد زواج سيجبرت من برونهيلد في عام 566م في فهم الاوضاع الدبلوماسية والعسكرية المعاصرة في جنوب الغال أم لا، فأنه لا يمكن القول بأنه كان ذات تأثير طويل الامد على هذا الوضع. وعندما توفي اثاناجيلد بعد عامين

---

(1) Collins, Early Medieval Spain, p.40.

(2)Wood , Merovingian Kingdoms .p. 170.

من الزواج، وجاءت سلاله جديده للعرش ليس لها أي علاقة ببرونهيلد، على الاقل حتى تزوجت والدتها الملك الجديد ليوفيجيلد Leovigild فإن علاقاتها ونفوذها في بلاط القوط الغربيين كان محدوداً، ومن الافضل رؤية برونهيلد بعد زواجها من سيجبرت كملكة الميروفنجيين بدلاً من أميرة القوط الغربيين. كما أنه بعد وفاة سيجبرت لم ترجع برونهيلد إلى إسبانيا، ولكنها بقت وأصبحت أهم شخصية في السياسة الميروفنجية.

- زواج برونهيلد الثاني :

بعد وفاة الملك سيجبرت[1] عام 575م انكشفت طبيعة المنافسة بين الملوك الميروفنجيين بشكل بارز، ويبدو أن وفاة سيجبرت نتج عنها حرب أهلية وصراع في مملكة الفرنجة، حيث أتى الملك شلبريك إلى باريس واستولى عليها[2]، كما أسر برونهيلد زوجة الملك سيجبرت المتوفي، ولكن ابنها الصغير شلدبرت الثاني(حوالى575-596م) استطاع الفرار من المدنية[3]، وأصبح ملكاً على مملكة والده (أوستراسيا)، وكان يبلغ من العمر أنذاك خمس سنوات[4].

---

(1) توفي الملك سيجبرت عام 575م حيث قتل علي أيدى أتباع الملكة فريدجوند زوجة الملكة شلبريك، وذلك أثناء حربه مع الملك شلبريك، وبعد أن استولى شلبريك علي باريس. للمزيد أنظر،

Gregory of Tours : Franks , PP. 99-100.

(2) بعد وفاة الملك شاريبرت تم تقسيم مملكته بين اخوته، ولكن نتيجة لأهمية باريس فقد تم تقسيمها بين الأخوة الثلاثة بشرط عدم زيارة أي من الملوك الآخرين لها بدون موافقة الاخرين. أنظر

Gregory of Tours : Franks , P.173; see also, Walter: The Franks , p.129.

(3)استطاع أحد قادة الملك سيجبرت ويدعى جندوبالد Gundobald دوق كامبانيا Campania بانقاذ شلدبرت ابن برونهيلد قبل أن يقع في ايدي عمه شلبريك، وذهب به إلي اوستراسيا حيث تم تتويجه ملكاً علي اوستراسيا في نهاية عام 575م. للمزيد أنظر،

Walter: The Franks , p.139; see also, Wood , Merovingian Kingdoms .p.127.

(4) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

أما شلبريك فاستولى على الكثير من الكنوز التي احضرتها برونهيلد إلى باريس، كما أرسل ابنه ليستولى على أجزاء من مملكة شلدبرت، في حين هاجمت قوات شلدبرت سواسون التي كانت مقراً لاقامة فريدجوند Fredegund زوجه الملك شلبريك. إلى جانب استمرار الصراع بين شبلريك وخليفة سيجبرت في ساحة المعركة، فإن جريجوري التوري يكشف لنا إن الآخرين رأوا هذه الازمة فرصة للطموحات الشخصية، ويخبرنا جريجوري إن الحرب أصبحت سمه أساسية بينهم[1]. وفي الحقيقة يقول جريجوري إن الكثير من الناس غيروا ولاءهم على الجانبين في ذلك الوقت. إنها لمحة مشوقة في التنافس على الاتباع المخلصين وتشير إلى مثل هذه القضايا التي لا يستهان بها.

وقد واجهت شلبريك مشكلة أخرى في هذه الفترة هي تصرفات ابنهِ ميروفتش Merovech. ففي عام 576م واثناء زيارة ميروفتش لوالدته اودفيرا[2] Audovera التي كانت تعيش حينذاك في المنفى في مدينة روان[3] Rouen، فإن ميروفتش تزوج الأرملة برونهيلد التي كانت تعيش هناك أيضاً. ولاحظ جريجوري إن هذا الزواج يتنافي مع القانون الكنسي حيث أن ميروفتش تزوج

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

(2) اودفيرا: تعد اودفيرا الزوجة الأولي للملك شلبريك الأول، وقد انجبت له خمس أولاد، ثلاثة أبناء وبنتان، ثيودبرت Theodobert وميروفتش Merovech وكلوفس Clovis وكلودوسندا وباسينا Basina. وقد اقنعت فريدجوند الملكة اودفيرا بتعميد ابنتها كلودوسندا عندما كان زوجها شلبريك غائباً عن المملكة، وكان القانون الكنسي يحرم تعميد الامهات للابناء، ولم تكن اودفيرا تعلم بذلك، وعندما عاد شلبريك اخبرته فريدجوند بما فعلته اودفيرا فقام بنفيها إلي أحد الاديرة، وقد قتلت اودفيرا عام 580م علي أيدى فريدجوند. أنظر،

Gregory of Tours : Franks , P. 90; Liber Historiae Francorum, p.297.

(3) روان: مدينة فرنسية تقع علي الضفة اليمنى لنهر السين، وهي عاصمة لمقاطعة نهر السين الأسفل La Seine Inferieure، تبعد 113كم شمال غرب باريس. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.667.

أرمله عمه[1]، وكانت النتيجة أن غضب الملك شلبريك وارتاب في أمر ذلك الزواج[2].

ويكشف لنا هذا الزواج عن دهاء الملكة برونهيلد، حيث لم تقف مكتوفة الأيدي أمام انتصارات شلبريك المتتالية، وبالرغم من وضعها الصعب في الأسر تحت قبضة جنود شلبريك، إلا إنها استطاعت الاتصال بميروفتش بن الملك شلبريك، وقامت بتحريضه ضد أبيه، بعد أن استغلت خوفه من تصرفات فريدجوند زوجة أبيه التي كانت تسعى إلى ابعاد كل أبناء شلبريك مثل ميروفتش وثيودبرت لكى يبقى العرش بعد ذلك في أيدى أبنائها فقط[3]. بل أن برونهيلد لجأت إلى ترغيب ميروفتش في الزواج بها؛ ليصبح ملكاً شرعياً في مدينة تور بسبب زواجة من ارملة الملك الراحل سيجبرت، ولقد اقتنع ميروفتش بما دعته إليه الملكة، وعندما علم شلبريك بما ألت إليه هذه الأمور أرسل جيشاً لمواجهة ابنه ميروفتش المتمرد في مدينة تور، فأسرع الأخير بالهرب إلى كنيسة القدين مارتن St. Martin في روان، أما برونهيلد فبعد فشل خطتها سارعت بالهرب إلى ابنها شلدبرت في مملكة أوستراسيا Austrasia[4].

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

(2) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

(3) Gregory of Tours : Franks , P. 106; see also, Walter: The Franks , p.140.

(4) Gregory of Tours : Franks , P. 106; see also, Walter: The Franks , p.140.

- أوستراسيا: (المنطقة الشرقية) : تقع أوستراسيا في الشمال الشرقي من الغال، وتمتد من ريميس وعلى طول نهر الراين وكانت عاصمتها ميتز، وتشمل معظم القسم الجرماني من غالة مع القسم الغالو روماني، استقر فيها الفرنجة على نحو واسع، وكان اكثر سكانها من الفلاحين الاحرار من صغار الملاك ومتوسطيهم. أنظر،

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie,p.145;

انظر أيضاً، محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، ص28-29.

وبذلك لعبت الملكة برونهيلد دوراً رئيسياً وحدها، ففي البداية نجحت في اخفاء ابنها شلدبرت حتى استطاع الهرب وتوج ملكاً على مملكة ابيه، مما يعني الحفاظ على إرث الملك سيجبرت. ثم سعت إلى جذب أنظار الملك شلبريك بعيداً عن ابنها في أوستراسيا، بعدما اتفقت مع ميروفتش بن شلبريك على أن يعلن نفسه ملكاً، وبذلك كسبت انشغال شلبريك بعيداً عن ابنها. ولم تترك برونهيلد وقتاً كبيراً لشلبريك حتى قامت بالهجوم على مدينة سواسون مقر إقامة زوجة الملك شلبريك، ولقد كشفت تلك الخطوة من جانب برونهيلد عما تمتع به تلك الأرملة من الذكاء السياسي؛ لأن شلبريك اضطر إلى تأمين المناطق المحيطة بسواسون، تلك المناطق التي تخضع لسيطرة الملك جونترام، مما أدي إلى نقل الصراع إلى مملكة جونترام، مما فتح مجالاً لانشاء تحالف سياسي بين شلدبرت الثاني وجونترام ضد الملك شلبريك.

ولكن لم ينجح ميروفتش في التصدي لابيه فهرب إلى كنيسة القديس مارتن، كما أن شعب أوستراسيا لم يقف بجانبه ووقف ضده، وهكذا نجد أن ميروفتش اضطر للبقاء في الخفاء لأنه لا يستطيع الوثوق في الفرنجة الشرقيين (شعب أوستراسيا)[1]، وقد اقترحت جانيت نيلسون Nelson إن رفض شعب أوستراسيا لميروفتش كان لصالح ابن برونهيلد - شلدبرت - الذي في الواقع وريث سيجبرت وبرونهيلد الحقيقي[2]، وهذا تذكير جيد بأن زواج ميروفتش وبرونهليد ما كان إلا جزءاً من خدمة مصالح ميروفتش في أن يصبح ملكاً على مملكة سيجبرت، ولكن في هذه الحاله لم يكن الزواج كافياً لميروفتش للوصول إلى العرش الملكي، وفي نفس الوقت كان الزواج جزءاً من مخطط برونهيلد لكي تشغل الملك شلبريك بعيداً عن ابنها حتى يوطد موقفه كملك،

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.119.

(2) Nelson, Janet L. "Queens as Jezebels: The Careers of Brunhild and Balthild in Merovingian History." *In Medieval Women*, ed. Derek Baker, Oxford: Basil Blackwell, 1978. p. 41.

كما أنه لا توجد إشارة واحدة إلى أن زواج ميروفتش من أرملة سيجبرت سوف يجلب له أي دعم سياسي من شعب أوستراسيا. ومع ذلك الحقيقة أنه تزوجها في هذه اللحظة، وحاول كسب تأييد شعب مملكة سيجبرت ليوضح الاضطرابات الناجمة عن موت سيجبرت والاشتراك في المنافسة الفرنجية. ومن المحتمل أن ميروفتش رأى إنها فرصة مناسبة للحصول على مملكة سيجبرت عن طريق الزواج من أرملته، وتقديم نفسه كملك راشد مرتقب، على النقيض من شلدبرت الثاني الشاب الصغير. وربما رأت برونهيلد في ميروفتش مناصراً ومدافع محتمل عن ابنها ضد شلبريك رثيما يظهر شخص أفضل في هيئة الملك جونترام[1].

أما عن نهاية ميروفتش، فإنه لم يخرج من ملجأه في كنيسة القديس مارتن في روان، إلا بعد أن تعهد له أبيه شلبريك بالحفاظ على حياته، ولكن بعد خروجه تم حرمانه من الامتيازات الملكية، وأُجبر على أن يصبح راهباً، وأمام هذا الوضع طلب ميروفتش من خادمه أن يقتله[2].

وقد عاشت الملكة برونهيلد سنوات طويلة في مملكة اوستراسيا وظلت وصيه على ابنها شلدبرت الثاني حتى تولي الحكم بنفسه، وبعد وفاته تولت الوصايه على احفادها أبناء شلدبرت (ثيودبرت الثاني وثيودريك الثاني) أيضاً، ثم على أبناء حفيدها ثيودريك الثاني كذلك، واتبعت سياسة نشطة وراقية كما ذكر جريجوري التوري، لكنها سقطت في النهاية وعمرها (70سنه) ضحية لعمل وحشي من قبل

---

(1) كان الملك جونترام يريد بقاء شلدبرت الثاني علي عرش المملكة، وقد أظهر جونترام عدة مهارات سياسة ودبلوماسية، بدلاً من التحدى ضد شلبريك منفرداً، فقد ساعد في الحفاظ على مملكة شلدبرت الذي قد تبناه في عام 577م كخليفةً له. أنظر،

Crisp: Marriage and alliance, p. 177.

(2) Gregory of Tours : Franks , PP.114-115 ; see also, Walter: The Franks , p.140.

اعدائها وجرى تعذيبها في معسكر الملك كلوثر الثاني[1] بن فريدجوند، حيث جرى تعذيبها بأساليب قمعية لمدة ثلاثة أيام وعلقت أخيراً بجمل وأخذ يجرها في معسكر كلوثر. ثم ربطت بحصان لم يروض بعد فمزق جسدها اشلاءً، ثم تم احراقها عام 613م، واتهمت بإنها كانت سبباً في موت عشرة ملوك، وزاد اخرتها بلاءً إن متهمها وقاضيها وجلادها كان كلوثر الثاني بن فريدجوند[2].

---

(1) كلوثر الثاني: تولي كلوثر الثاني عرش مملكة الفرنجة عام 584م بعد وفاة والده شلبريك، وبعد وفاة الملك ثيودريك الثاني عام 613م تم تقسيم مملكته بين اولاده الاربعة سيجبرت الثاني وشلدبرت الثالث وكوربس Corbus وميروفتش تحت وصاية جدتهم برونهيلد، ولكن تم دعوة كلوثر الثاني من قبل النبلاء للسيطرة علي كل من أوستراسيا وبرجنديا، وبالفعل قبل كلوثر الدعوة ونجح في السيطرة علي أوستراسيا وبرجنديا، بل تخلص من ابناء ثيودريك الثاني، ليعلن نفسه ملكاً وحيداً علي عرش مملكة الفرنجة عام 614م. للمزيد أنظر،

Fredegar: The Fourth Book, PP.32-6; Aimoini Monachi Floriaacensis:Gestis Regum Francorum, dans Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome.3, Paris,pp.115-6.

(2) Fredegar: The Fourth Book, pp.34-5;

انظر أيضاً، نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط فى اوربه، دار الفكر 1982، ص84؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص 229.

بعد وفاة الملك ثيودبرت الثاني استولى شقيقه ثيودريك الثاني علي مملكته، وبعد وفاة ثيودريك تولت الملكه برونهيلد الوصاية علي اولاد ثيودريك حيث قسمت المملكة بين ابنائه تحت وصاية جدتهما برونهيلد، وعندئذ ادرك النبلاء صعوبة موقفهم بعدما اصبحت برونهيلد هي المسيطرة علي السلطة في كلا من أوستراسيا وبرجنديا، مما يهدد مصالحهم فقاموا بالاتصال بكلوثر الثاني ملك نوستريا لمساعدتهم في التخلص من برونهيلد في مقابل مساعدتهم في السيطرة علي كل من أوستراسيا وبرجنديا، وبالفعل وافق كلوثر علي هذه الفرصة وسارع بالتحرك بجيشه علي مملكة أوستراسيا، وتظاهر النبلاء بانهم موالون للملكة برونهيلد. وفي ميدان القتال تم القبض عليها. انظر،

Fredegar: The Fourth Book, pp.30-31; Wood , Merovingian Kingdoms .p.58;

انظر أيضاً، سعيد محمد طه محمد: مملكة الفرنجة في عهدي كلا من كلوتير الثاني وابنه داجوبير الأول(614-638م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة بنها 2015، ص 52.

* شلبريك وجالسيونثا:

وفقاً لما ذكره لجريجوري التوري فإن الملك شلبريك الأول Chilperic I (561-584م) قد تزوج جالسيونثا Galsuintha شقيقة برونهيلد كرد مباشر على زواج سيجبرت من برونهليد، حيث ذكر:

"فهم الملك شلبريك ذلك، وعلى الرغم من إنه لديه عده زوجات بالفعل إلا إنه طلب يد شقيقتها جالسيونثا، واعداً المندوب أنه قرر أن يطلق زوجاته الآخريات لو العروس تستحق التقدير والحصول على فتاة قيمة لنفسه، وأرسل الأب ابنته لذلك الرجل تماماً كما حصل من قبل مع ثروة كبيرة. وكانت جالسيونثا أكبر عمراً من برونهيلد، وعندما أتت للملك شلبريك استقبلها بشرف واحترام كبير، وتزوجها واحبها حباً كثيراً. وقد احضرت جالسيونثا معها ثروة عظيمة. ولكنه كان يحب فريدجوند أحدى محظياته، والتي نشأ بينها وبين جالسيونثا خلافاً كبيراً على الرغم من جالسيونثا اهتدت وقررت الايمان الكاثوليكي. ولكن عندما اشتكت للملك من إنها تعاني من الاهانات المتكررة، وقالت إنها ليس لديها احترام عنده، حيث كانت تعتقد ذلك، وإنه يجب أن يسمح لها بالعودة إلى وطنها بحرية وتاركة ثروتها التي احضرتها معها ورائها. ولكن هذا الرجل تظاهر من خلال المكائد البارعة وارضاها بكلمات رقيقة. وفي النهاية، امر الخدم بضربها، ووجدوها ميتة في سريرها، . . . . ، ومع ذلك نعى الملك وفاتها، وبعد بضعه أيام تزوج فريدجوند"[1].

يقدم هذا التقرير بعض الرؤى الجيدة لدوافع هذا الزواج. وقد اخبرنا جريجوري إن شلبريك كان متزوجاً بالفعل، ولديه العديد من الزوجات

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.90.

والمحظيات، وعلى ما يبدو أكثر من واحدة، وهذه الملاحظة مثيرة للاهتمام، حيث أشار جريجوري إلى هؤلاء النساء كزوجات "wives" وليس محظيات "concubines". كما وعد شلبريك في مفاوضات الزواج أنه سوف يطلق زوجاته الآخريات، ولكن استمرت فريدجوند أحدى محظياته المفضلة بالقدوم إلى القصر، حيث كانت لها مكانة عالية، بل كان لها تأثير كبير على الملك شلبريك حتى إنه قام بعد أشهر قليلة من زواجه من جالسيونثا بإعادة فريدجوند إلى القصر مرة أخرى، بل أهان الملكة جالسيونثا أمامها، وعندما أعلنت جالسيونثا رغبتها في العودة إلى بلادها، توفت بعدها بأيام قصيرة، وأشارت أصابع الاتهام إلى شلبريك وفريدجوند، خاصة وأن شلبريك أعلن زواجه من فريدجوند بعدة وفاة جالسيونثا بأيام قليلة[1].

على الجانب الآخر يبدو أنالملك اثاناجيلد كان يبحث لابنته عن السعادة في المستقبل والنجاح، فضلاً عن ضمان الاحترام المناسب المستحق لمثل هكذا عروس. ومن جهة شلبريك اعتبر أن الجائزة تستحق التضحية على الأقل في المدي القريب. وكان شلبريك متزوجاً بالفعل من نساء آخريات قليلي الشأن، وكان على استعداد تام لتركهم. على الرغم من انجذابه الواضح إليهم خاصة فريدجوند، من اجل الحصول على عروسة ذات هيبة ومكانة. ويلاحظ أن جالسيونثا على وجه الخصوص شريفة ومن أصل ملكى وأكبر من برونهيلد، كل هذه النقاط تماثل اهتمام شلبريك بهيبة زوجة سيجبرت حتى يتفوق عليه. حتى هذه اللحظة شاريبرت وجونترام لم يعقدوا مصاهرات مرموقة، ولكن عندما تنافس سيجبرت وشلبريك ظهرت أهمية الزواج المرموق.

ما هو المؤكد أكثر من هيبة جالسيونثا، إنها الثروة والكنوز التي جلبتها معها، حيث ذكر جريجوري إنها أتت مع ثروة عظيمة[2]، التي كانت أيضاً مهمة

(1) Gregory of Tours : Franks , P.90. see also,Walter: The Franks , p.133.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.90.

لشلبريك عندما قال جريجوري إنه أحبها على الفور عندما لاحظ إنها جلبت معها ثروة عظيمة[1]. ومن الواضح إن جريجوري يقترح إن حب شلبريك لها يعتمد إلى حد كبير على ثروتها الكبيرة التي جلبتها معها. علاوة على ذلك ذكر جريجوري إنها عندما وصلت فإن شلبريك استقبلها بشرفٍ كبير، والذي اقترح استقبال رسمي كبير لها حيث يمكن عرض ثروتها لشعب شلبريك جنباً إلى جنب هيبة شخصية عروسته الجديدة. وعندما اعربت جالسيونثا في وقت لاحق عن العودة إلى ديارها فإنها عرضت المغادرة بدون ثروتها وإنها سوف تتركها بحرية، إنها أيضاً فهمت لماذا أحبها شلبريك؟.

ونحن فهمنا في وقت لاحق إن شلبريك أعطى جالسيونثا خمسة مدن في جنوب بلاد الغال كجزء من عقد الزواج[2]. وهذا دليل آخر على مدي أهميتها لشلبريك، ولكن يجوز أن نقترح موعد الزواج، وأن هذه المدن الخمسة تقع في المنطقة التي كانت جزءاً من مملكة شاريبرت Charibert (561-567م) مما يعني إن شلبريك كان قادراً على اعطاء هذه المدن لزوجته بعد وفاة شقيقه شاريبرت فقط. وقد توفي الملك اثاناجيلد عام 568م، إذاً أرسل ابنته إلى شلبريك قبل وفاته، كما أن شلبريك حصل على هذه المدن بعد وفاة شقيقه شاريبرت عام 567م، إذاً الزواج حدث في الفترة بين وفاة شاريبرت عام 567م ووفاة اثاناجيلد 568م.

أما عن وفاة جالسيونثا فإن إيان وود يحددها بعد وفاة اثاناجيلد بوقت قصير في عام 568م[3]. وإذا كانت قُتلت بالفعل بعد وفاة والدها فإن ذلك بالتأكيد يشير إلى عدم قلق الملك شلبريك من رد فعل القوط الغربيين نتيجة

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.90.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.214; ; Crisp: Marriage and Alliance, p16.3.

انظر، Bordeaux.بوردو Limoges, ليموج Cahors, Lescar, and Cieutat, ذكرهم جريجوري التوري

Gregory of Tours : Franks , P.214.

(3) Wood, The Merovingian Kingdoms,p. 170.

مقتل الأميرة جالسيونثا، إشارة إلى حال كلوتيلدا الصغرى السابقة وانتقام شقيقها شلدبرت الأول من القوط الغربيين. كما أنه بعد وفاة الملك اثاناجيلد انتهت اسرته الحاكمه، وصعدت أسرة جديدة لحكم القوط الغربيين مكان اسرته، وربما ذلك يقلل من مكانة جالسيونثا، وازالة التهديد الخارجي لمقتلها.

وبذلك أصبح الزواج بلا فائدة دبلوماسية بعد وفاة اثاناجيلد، كما أنه يبدو عدم وجود أي أسباب للاعتقاد بأن ذلك الزواج قد عقد في المقام الأول مع اهداف دبلوماسية خارجية، حيث أن جريجوري التوري لم يحاول مطلقاً شرح هذا الزواج كأداة دبلوماسية للتعاون الخارجي بين المملكتين، ولكنه وضعه بوضوح في سياق التنافس الداخلي في مملكة الفرنجة بين سيجبرت وشلبريك[1]. كما إن تعدد زوجات الملك شلبريك قبل زواجه من جالسيونثا يوحى إنه واحداً ممن يضعون اولوية الزواج على الجمال، أو على الأقل على جاذبية الشخص. ومن ثم فأنه تزوج فريدجوند بعد وفاة جالسيونثا، وهكذا نرى أن انجذابه الحقيقي لجالسيونثا يعتمد على هيبتها وثروتها. وهذا ما يفسر أيضاً عدم موافقته بعودتها إلى وطنها عندما طلبت ذلك. وكان من الافضل لمثل هكذا زوجة أن تموت بعد أن يموت شلبريك أو يهجرها بعروس رائعة، لا أن تُقتل غدراً. علاوة على ذلك إن وفاتها قد تعنى إنه شرعياً سوف يحتفظ بثروتها التي احضرتها معها، في حين إنها إذا عادت إلى وطنها بدون ثروتها رغم عرضها ذلك، سوف يطالب والدها بأرجاع هذه الثروة، وقيام الحرب بين المملكتين.

وقد قدم فينانتيوس فورتيوناتوس Venantius Fortunatus قصيدة رثاء طويلة في وفاة جالسيونثا قدمت مزيداً من الادلة عن تاريخ وفاتها[2]. وركزت القصيدة بشكل خاص على حزن والدتها جوسنثا Goiswinth وشقيقتها برونهليد، عليها وأشار فورتيوناتوس في نهاية القصيدة إلى اقرباء جوسنثا الذين

(1) Crisp: Marriage and Alliance, p16.4.

(2) Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems,p.40.

يعيشون، ابنتها برونهيلد زوجة سيجبرت، وحفيدتها (انجوند)، وحفيدها (شلدبرت الثاني) وزوجها[1]. ولكن هذه الإشارة إلى زوجها، هل تشير إلى اثاناجليد زوجها الأول ووالد جالسيونثا أم إلى زوجها الثاني ليوفجيلد Leovigild(568-586م) ؟ وتشير الإشارة أيضاً إلى شلدبرت الثاني، إذاً جالسيونثا لم تمت قبل عام 570م[2].

أما حنا البقلاري John of Biclaro فقد حدد وفاة اثاناجيلد عام 568م[3] .كما حدد أيضاً زواج جوسنثا ارملة اثاناجيلد من ليوفجيلد في العام التالي 569م، نفس العام الذي وصل فيه ليوفجيلد إلى الملكية[4]. وإذا كان محقاً في تاريخه، فإنه يبدو اقتراح إن الزوج في قصيدة فورتيوناتوس هو ليوفجيلد وليس اثاناجيلد، إذاً توفيت جالسيونثا عندما اصبح ليوفجيلد ملكاً، ولم تمت في حياة والدها اثاناجيلد، ولكن على الارجح ليس قبل عام 570م، مما يجعل الزواج يستمر فترة اطول مما حدد جريجوري وفورتيوناتوس. وبذلك لم تكن وفاتها مرتبطه مباشرة بوفاة اثاناجيلد، بل إن وفاتها بعد وفاة اثاناجيلد ببساطة تبدو اقل خطورة لعقد الزواج عندما قرر شلبريك التعديل فيه.

وهكذا نجد إن كل شيء عن هذا الزواج يشير إلى رغبة شلبريك في توطيد موقفه الداخلي من خلال الارتباط بالأميرة القوطية. وقد عمل شلبريك باجتهاد لاقناع اثاناجيلد أن يزوجه إياها- وإنه يستحقها- بوعده بقطع علاقاته بزوجاته الآخريات، على سبيل المثال، وقدم لها هدية كبيرة.

إن رثاء فورتيوناتوس على موت جالسيونثا تأخر بعد وفاتها، كما تأخر أيضاً وداع شلبريك لها، وربما فورتيوناتوس يعرف القليل عن تفاصيل ذلك

---

(1)Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems,p.50.

(2) Ewig: Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen. p.58.

(3) John of Biclaro: Chronicl , p.59; Collins: Early Medieval Spain,p. 42.

(4) John of Biclaro: Chronicle ,p.60.

الوداع، ولكن يجب أن يعرف كيف احبها والديها، وكيف عمل شلبريك باجهتاد على اقناعهم بزواجها له. وربما هذا سوف يساعد على تفسير لماذا تزوجت شقيقتها الصغرى برونهليد قبلها؟ وذلك بسبب حبهم الكثير لها وعدم رغبتهم على فراقها أو أن تتزوج بعيداً عنهم. كما إن فورتيوناتوس يقول إن الجيش اقسم يمين الولاء لجالسيونثا علامة على مكانتها التي احضرتها إلى مملكة شلبريك[1]. وقد ناقش ادوارد جيمس Edward James كيف إن يمين الولاء للملوك الميروفنجيين كان شائعاً في القرن السادس، ولكن جوديث جورج Judith George أيضاً أشارت إلى إنه نادراً ما تم حلف اليمين للملكات[2]. ويصفها فورتيوناتوس أيضاً مثلما كسبت احترام الشعب، فإنها كانت تعطي الهدايا، وتعطف على الفقراء أيضاً[3]. يبدو إنها كانت تناسب معايير الزوجة الصالحة: إنها ذات دماء ملكية، احضرت معها ثروة عظيمة، وذات شخصية جيدة. إن الدوافع الرئيسية وراء زواج شلبريك منها يجب أن تكمن في هذه المعايير.

وقد كانت وفاة جالسيونثا سبباً في زيادة العداء بين الملك سيجبرت والملك شلبريك، حيث اتهم سيجبرت صراحة شقيقه شلبريك وزوجته فريدجوند بإنهما السبب في وفاتها، ومن ثم طالب سيجبرت بممتلكاتها، وهكذا كادت أن تتجدد الحرب بين سيجبرت وشلبريك، إلا أن تدخل شقيقهما الأكبر الملك جونترام أعاد الهدوء بين الأخوين بعد أن اتفق جونترام مع شلبريك على إعطاء برونهيلد كافة الأملاك التي كانت تخص جالسيونثا، وقد وافق شلبريك في النهاية، خوفاً من أن يتحد أخواته ضده[4].

---

(1)Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems,p.47.

(2) George, Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems, p.47; James, The Origins of France, pp.142-3.

(3)Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems,p.47.

(4) Gregory of Tours : Franks , P.89; Walter C. perry: The Franks, p.130.

وقد اغتُيل الملك شلبريك بعد عدة سنوات عام 584م[1]، وتذهب كل الاحتمالات أن الملكة برونهيلد هي السبب في مقتل شلبريك؛ لأنه فضلاً عن المخاطر التي تعرض لها ابنها شلدبرت الثاني جراء هجمات شلبريك المتتالية على مملكة ابنها الشاب فإن الملكة برونهيلد لم تنسَ أن شلبريك سبق وأن قتل شقيقتها جالسيونثا وزوجها سيجبرت من قبل؛ لذلك سعت إلى استغلال أي فرصة من شأنها القضاء على شلبريك وزوجته فريدجوند، والانتقام لمقتل شقيقتها وزوجها. وهكذا نجد إن الزواج السياسي الأجنبي كان في بعض الحالات سبباً في الحروب الأهليه وسبباً في مقتل أحد الملوك مثلما حدث في حالة سيجبرت وشلبريك.

---

(1) قُتل الملك شلبريك علي أيدى قاتل يدعى فالكا Falca أثناء رحلة صيد في إحدى الغابات حول باريس، لمزيد من التفاصيل انظر،

Hugonis Virdunensi: Chronico Virdunensi Hugonis Abbatis Flaviniacensis , dans Recueil des historiens des Gaules et de la France,Tome III, PARIS, p 359; Walter: The Franks , p.147.

* هرمنجلـــد وانجـــوند:

بعد وفاة الملك اثاناجيلد عام 568م[1] ظل عرش مملكـة القـوط الغـربيين شاغراً لمدة خمسة شهور[2]، فشل خلالها نبلاء القوط في اختيـار ملكـاً جديـداً عليهم، ثم وافق حكام سـبتمانيا علـى اختيـار ليوفـا Leova (568-572م) دوق ناربون ملكاً عليهم[3]، غير أن كونتات جنوب البرانس رفضوا قبول هذا المرشح من الإقليم الغالي، واندلعت حرب أهلية جديدة، ثم وقفـت الحـرب علـى أثـر اقتــراح ليوفــا بأشــراك شــقيقه ليوفجيلــد Leovigild (568-586م) معــه في الحكم[4]، وكان ليوفجيلد معروفاً لدي الجنوبيين، ولهذا اقر هذا الاختيار معظم نبلاء إسبانيا، واحتفظ ليوفا بلقب الملك وحكم سبتمانيا، بينما حكم ليوفجيلـد شبة الجزيرة كملك لإسبانيا، وظل الاخوان في السلطة لمده اربع سـنوات حـتى مات ليوفا عام 572م، فانفرد ليوفجيلد بالحكم وظل يحكم حتى عام 586م[5].

غدا ليوفجيلد أول ملك يحكم مملكة القوط الغربيين كلها منذ مائة عـام، وربما اعتبر المؤسس الثاني لهذه المملكة، لانتشاله إياها مـن ظلمـات الفوضـى والاضطراب، ولأنه ارسى دعائم نظام جديد فيها، وضـرب بـشده اعـدائها في

---

(1) John of Biclaro: Chronicle , p.59; Collins: Early Medieval Spain,p. 42.

(2) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 22;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 75 ؛ محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 231.

(3) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 23.

(4) John of Biclaro: Chronicle ,p.60.

(5) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 23;

أنظـر أيـضاً، الـشيخ: الممالـك الجرمانيـة، ص 75 ؛ ابـراهيم طرخـان : دولـة القـوط الغربيين، ص 104.

الشرق وفي الغرب واعطاها وحده جنبتها الوقوع فريسه في أيدى الفرنجة والبيزنطيين[1]. واستطاع توحيد إسبانيا وحارب البيزنطيين وانتزع منهم مدن مالقة وشذونة وقرطبة Cordoba [2]، وشن حملات ضد البشكنس وضد السويفي، ونجح في تحقيق الوحدة الاسبانية[3]، واشرك ليوفجيلد ولديه معه في الحكم[4].

على الجانب الآخر في مملكة الفرنجة نجد إن الملك سيجبرت الأول توفي عام 575م، وورث ابنه شلدبرت الثاني(حوالى575-596م) مملكته، في حين بقي جونترام (561-592م) في مملكته ومقرها أورليان، وأيضاً شلبريك (561-584م) في مملكته ومقرها سواسون[5]، وقد عمل شلدبرت على توطيد ثقته في مملكته، وتأكيد موقف سلطته في علاقته مع اعمامه، ولكن استمر الصراع بين شلدبرت وعمه شلبريك كما كان من قبل بين ابيه وعمه، وانكشفت طبيعة المنافسة بين الملوك الفرنجة بشكل بارز، وأصبحت الحرب سمه أساسية بينهم في ذلك الوقت[6]. وفي الحقيقة يقول جريجوري التوري إن الكثير من الناس غيروا ولاءهم على الجانبين في ذلك الوقت. إنها لمحة مشوقة في التنافس على الاتباع المخلصين وتشير إلى مثل هذه القضايا التي لا يستهان بها.

وكان ذلك هو الوضع في مملكة الفرنجة، ونعود مرة أخري إلى مملكة القوط الغربيين حيث أن الملك ليوفجيلد كان قد تزوج قبل اعتلائه العرش من

---

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 75-76.

(2) قرطبة : مدينة ايبيرية تقع بجنوب إسبانيا، استولى عليها الفينيقون ثم الرومان ثم خضعت للقوط الغربيين أنظر، خريطة رقم (11)؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص128.

(3) Isidore of Seville : Kings of the Goths, p. 23;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 76 ؛ ابراهيم طرخان : دولة القوط الغربيين، ص 105؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص232.

(4) John of Biclaro: Chronicle ,p.62.

(5) Gregory of Tours : Franks , P.87.

(6) Gregory of Tours : Franks , P. 106.

سيدة رومانية نبيلة هي ثيودوسيا Theodosia ابنة صفريانوس Severianus، الذي كان حاكماً لبعض الوقت على قرطاجنة[1]، وانجب منها ولدين هرمنجلد Hermengild وريكاردو Recared، وقد تزوج جوسنثا Goiswinth ارملة سلفه اثاناجيلد[2]. ويقال إن الملك ليوفجيلد أراد أن يقيم تحالفاً مع الفرنجة فخطب انجوند Ingund ابنة الملك سيجبرت الأول[3] وشقيقة الملك شلدبرت الثاني لابنهِ الأكبر الأمير هرمنجلد عام579م [4]، وتُعد انجوند حفيدة جوسنثا واثاناجيلد أيضاً. ويقال إن برونهيلد هي التي رتبت أمر هذا الزواج الملكي كجزء من جهودها لتوطيد سلطه ابنها الملك الشاب شلدبرت[5].

ويضع بعض العلماء المحدثين في كثير من الاحيان المصاهرات الفرنجية القوطية في النصف الأخير من القرن السادس في اطار العلاقات الدبلوماسية بين الفرنجة والقوط[6]. ويبدو إن الموضوع معقد، لكننا نستطيع تكمله تاريخ جريجوري التوري الذي غالباً ما يعرض ضعف سياسة القوط الغربيين المفهومة وحكمه على الآريوسيين بقسوه، من المصادر القوطية: مثل ايزدور الاشبيلي وحنا البقلاري.

---

(1)الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 78.

(2) John of Biclaro: Chronicle ,P.60;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 78؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص233.

(3) كان للملك سيجبرت الأول (561-575م) ابناً واحد وهو شلدبرت الثاني، وبنتان وهما كلودوسندا Clodosinda التي تمت خطبتها إلي ريكاردو ملك القوط الغربيين وانجوند Ingund التي تزوجت الأمير هرمنجلد القوطي. أنظر

Wood: the Merovingian Kingdoms,p. 347.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, PP. 169-170,243-5; Paul the Deacon: Langobards, pp.124-5.

(5) Crisp: Marriage and Alliance, PP180.-81.

(6) Wood: the Merovingian Kingdoms, PP. 170-4.

نحن الآن اولاً على علم بهذا الزواج من سرد جريجوري التوري عندما أعلن خطبه بنات سيجبرت وشلبريك إلى أبناء ليوفجيلد[1] وذلك عندما أكمل جريجوري زواج انجوند وهرمنجلد. ولكن الإشارة إلى كلا الخطبتين كانتا في نفس الجملة معاً، وهى مفيدة لاظهار هذا الزواج.

ولكن سرد جريجوري لهذا الزواج يركز على جوسنثا أكثر من الاطراف الفعلية في الزواج، وقد بدأ بأستطراد عن آريوسية جوسنثا، وعند هذه النقطة إنه ثانيّة يربط زواج انجوند مع خطبة اثنتين من الأميرات الميروفنجيات إلى أبناء ليوفجيلد. وإن انجوند أُرسلت إلى إسبانيا مع "فخامة عظيمة"، أو اننا قد نقرأ أيضاً مع "ثروة عظيمة"[2]. الغاية هي عندما أُرسلت انجوند إلى إسبانيا فإنه ذلك تم مع احتفال كبير، واظهرها الملك السخي على الملأ. ثم يروى جريجوري بعد ذلك الصراع على ايمان انجوند الكاثوليكي مع حماتها جوسنثا، التي هى أيضاً جدتها في نفس الوقت. وقد رحبت جوسنثا بحفيدتها انجوند في البداية، ولكن فيما بعد حاولت تحويلها من ايمانها بالكاثوليكية إلى الآريوسية اولاً بالحسنى، وفي نهاية المطاف بالضغط العنيف. ومفردات جريجوري لوصف وصول انجوند إلى إسبانيا ربما تكون بليغة وذو مغزى حيث يقول إن جوسنثا استقبلت انجوند بفرح عظيم[3]. وقد ناقش جيسن Jussenكيف إن كلمة "suscipio" التي استخدمها جريجوري غالباً ما تستخدم عند تعميد شخص ما، أو لقبول شخص دخيل في مجتمع جديد[4]، كما نرى هنا في هذه الحالة التي نشهدها.

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.169-70,243-4.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 243-5.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 243-5.

(4) Jussen: Spiritual kinship as social practice, p.187.

- <u>تمـــرد الأمير هرمنجلد :</u>

بالنسبة لجريجوري التوري فإن قضية تمرد هرمنجلـد أكثـر أهميـة بـسبب ميوله الدينية أكثر من السياسية، كما أن جريجوري لايذكر فقط مهاجمة جوسـنتا لانجوند بسبب كاثوليكيتها، ولكـن يـذكر أيـضاً إن انجونـد حثـت في مـساعدة زوجها هرمنجلد لكي يتحول إلى الكاثوليكية ونجحت في التأثير عليه[1]. وعلـى الرغم من إن جريجوري التوري عادةً ما يضطهد الآريوسين للتأثير في سرده، إلا أنه كان قادراً على عرض قـضية تمـرد هرمنجلـد وموقـف انجونـد منـها بحيـاد وموضوعية دون النظر إلى النتائج الدبلوماسية المترتبه على تمرد هرمنجلد، لكننا دائما نجده يتحامل على الآريوسيين طوال سرده.

وقد لاحـظ حنـا الـبقلارى John of Biclaro زواج هرمنجلـد وانجونـد، حيث ذكر في احداث عام 579م "**إن الملك ليوفجيلد أختار ابنة سـيجبرت ملـك الفرنجة زوجة لابنِهِ هرمنجلد، كما اعطاه جزءاً من المملكـة لكـى يحكمـه**"[2]، كما ذكر إن جوسنتا هذه كانت دائماً معادية تجاه الكاثوليكية، والذي مـن شـأنه تأكيد وصف جريجوري لجهودها في تحويل انجونـد[3]. وقـد اشـاد جريجـوري بانجوند لصمودها على ايمانها الكاثوليكي ضد هذا التعـارض الحـازم، ثم روى تمرد هرمنجلد ضد ابيه، والذي أيضاً لاحظ اهتدائه للايمان الكاثوليكي، واهمل أي قضايا سياسية أخري ببساطه.

وقد أشار كلاً مـن روجـر كـولنز وإيـان وود إلى إن سـرد جريجـوري لا يتناسب مع المزيد من الادلة التي في متناول اليد، وإن هذه الناحية الدينية

---

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 243-5;

أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 80؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص235.

(2) John of Biclaro: Chronicle ,p.67.

(3) Crisp: Marriage and alliance, p. 183.

لتمرد هرمنجلد يمكن ضبطها بدون خطورة[1]. وإن اعتناق هرمنجلد للكاثوليكية يحتمل أنه اتى بعد سنوات قليلة من تمرده بمساعدة خاله ليندر Leander أسقف مدينة اشبيلية[2] والذي ساعده البابا جريجوري العظيم في هذا الاهتداء[3]. ويشير كولنز أيضاً إلى أن هذا التحويل ربما وضع علامة تحالف دبلوماسي أو تقارب على الاقل مع البيزنطيين. كما يقول أن ذلك التحالف هو ما اثار الملك ليوفجيلد لاتخاذ اجراءات صارمة ضد تمرد ابنه بعد ثلاث سنوات منذ أن بدأ[4].

وهكذا تحول الأمير هرمنجلد إلى الكاثوليكية بعد تأثير زوجته عليه وأيضاً تأثير خاله ليندر أسقف اشبيلية، وجرى تعميده من جديد وفق المذهب الكاثوليكي[5]، وغير اسمه إلى جان Juan، واعلن العصيان ضد والده بمساعدة اهالى مدينة اشبيلية وقلاع كثيرة أخرى[6].

وقد حاول الملك ليوفجيلد في البداية معالجة ثورة ابنه بطريقة سلمية، فقام بعقد مجمع ديني من القساوسة الآريوسيين في مدينة طليطلة عام580م، وطلب منهم البحث عن وسيلة تيسر للكاثوليك التحول إلى الآريوسية، وفعلاً اعلن المجمع إن الكاثوليك ليسوا بحاجة إلى إعادة التعميد، ويكفى أن يتلفظوا

---

(1) Collins, Early Medieval Spain,p. 47; Wood, Ian N. "Gregory of Tours and Clovis." *Revue Belge de Philologie et d'Histoire* 63, no. 2 (1985),pp. 259-60

(2) اشبيلية: تقع في جنوب إسبانيا، وقد قام الملك ثيوديجزل Theudigisel (548-550م) بنقل عاصمة مملكته إلي اشبيلية بدلاً من برشلونة وبعيداً عن الاضطرابات التي كانت تمر بها المملكة انذاك. انظر، خريطة رقم(11) ؛ طرخان: القوط، حاشية ص139.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p. 125; Crisp: Marriage and alliance, p. 183.

(4) Collins , Early Medieval spain ,p.48.

(5) Gregorii: Francorum, pp. 243-5; Paul the Deacon: Langobards, p. 125;
أنظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 80؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص235.

(6) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص 80؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص235.

بالعبارة التالية حتى يتحولوا إلى الآريوسية وهي " المجد للآب عبر الابن في الروح القدس" ولكن الابن رفض حضور المجمع خشية أن تكون مكيدة وتذرع بمختلف الذرائع[1].

وهكذا نجد إن الأمير هرمنجلد لم ينصاع إلى مطالب والده، ويعلن الثورة في باتيكا Betica، ويطلب المساعدة من ميرو[2] Miro ملك السويفي، كما سافر ليندر أسقف اشبيلية إلى القسطنطينية وقضى فيها ثلاث سنوات 580-583م لطلب المساعدة من الإمبراطور البيزنطي تيبريوس[3] Tiberius (578-582م)، لكنة لم يحصل على شيء. بل إن الملك ليوفجيلد دفع رشوة للوالي الإمبراطوري البيزنطي في إسبانيا[4]، كما أرسل يخطب ريجونثا Rigunth ابنة

---

(1) John of Biclaro: Chronicle , p.68;

أنظر أيضاً، محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص236.

(2) الملك ميرو : تولي الملك ميرو عرش مملكة السويفي بعد ثيودومير Theudemir، وحكم لمدة ثلاثينا عاما، وقد مات ميرو أثناء عودته من حملته لمساعدة الأمير هرمنجلد، وخلفه ابنه Eboric الذي اعترف بسيادة القوط علي جيليقية، ولكن استولى اوديكا Audeca علي السلطة في المملكة فوجد ليوفجيلد ذلك مبرراً لتدخله، وبالفعل أعلن الحرب علي مملكة السويفي وأنتصر علي اوديكا، وبذلك زالت مملكة السويفي وأصبحت مقاطعة قوطية..... للمزيد أنظر،

Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 41-42; John of Biclaro: Chronicle ,p.71;

أنظر أيضاً، محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 237-238.

(3) الإمبراطور تيبريوس: كان قائداً للحرس الإمبراطوري وابناً بالتبني للإمبراطور جستين الثاني، وقد منحه جستين لقب قيصر، وكان يصرف أمور الدولة في أواخر عهد جستين حتى توفي جستين فتولي عرش الإمبراطورية..... للمزيد أنظر، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 63.

(4) Thompson: The Goths in Spain,p.74;

أنظر أيضاً، كريم عبد الغنى : القوط الغربيين، ص 226.

شلبريك ملك الفرنجة لابنهِ الاصغر ريكاردو[1]، ليضمن حياد الفرنجة وعدم تقديم المساعدة لهرمنجلد[2].

وكانت النتيجة النهائية لذلك التمرد أن جمع ليوفجيلد جيشاً وسار لتأديب ابنه، بينما انحاز الرومان الكاثوليك والسويفي إلى جانب الأمير المتمرد، والتزم الفرنجة جانب الحياد. وحاصر ليوفجيلد اشبيلية التي ابدت دفاعاً قوياً لكنها اضطرت إلى الاستسلام في النهاية بسبب الجوع. وتبع ذلك استسلام مدن أخرى. أما هرمنجلد فقد هرب إلى مدينة قرطبة، وهناك تخلي عنه حلفاؤه، وقبض عليه وجرد من جميع امتيازاته والقابه الملكية ونفي إلى مدينة بلنسية سنة584م، وفي العام التالي نقل إلى طليطلة ثم اودع في سجن مدينة طركونة[3].

وقد بذل الملك ليوفجيلد محاولة اخيرة لاقناع ابنهِ بالتخلي عن الكاثوليكية، فأرسل له أسقفاً لاقناعه، لكن الأمير رفض، كما رفض تناول القربان في عيد الفصح، فنفذ فيه حكم الاعدام على يد سسبرتو Sisberto سجانه القلعة، إذ لم تفلح القيود والاغلال في حمله على التحول عن عقيدته، واعتبرته الكنيسة الكاثوليكية شهيداً على لسان البابا جريجوري العظيم فيما بعد[4]، بينما رأى آخرون مثل حنا البقلارى إنه لم يكن هناك مبرراً لثورته، وإنه وزجته استولوا على السلطة بطريقة غير شرعية[5]، بينما وصفه ايزيدور الاشبيلي بالمتمرد[6]، وادخله آخرون مثل المكرم بيده Bede

---

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 169-70,243-5.

(2) Thompson: The Goths in Spain, p.74;

أنظر أيضاً، كريم عبد الغنى : القوط الغربيين، ص 226.

(3) محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص236.

(4) محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص237.

(5) John of Biclaro: Chronicle , p.68.

(6) Isidore of Seville : History of the kings of the Goths, p.23.

في قائمة الشهداء والقديسين، وسكت آخرون عن ذكره مثل ديلو Daulo شماس مدينة مريده Merida[1].

أما عن زوجته انجوند فقد حاولت الهرب إلى مملكة الفرنجة، لكن البيزنطيين قبضوا عليها وحملوها إلى القسطنطينية، فمرضت أثناء الرحلة، فتركوها في افريقية حيث ماتت، بينما واصل ابنها اثاناجيلد رحلته إلى القسطنطينية[2]، ووصل إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي موريس[3] Maurice (583-602م) ومات مغموراً هناك[4].

---

(1) محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص237.

(2) Oman : Dark Ages pp. 139-140;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانيه، ص 82؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص237.

(3) الإمبرطور موريس: ولد الإمبراطور موريس عام 539م، وينتمي إلي اسرة متواضعة الاصلحكم موريس (582 - 602) الامبرطورية منذ الرابع عشر من أغسطس عام 582 حتى نوفمبر 602. وقد عُين كوريث إمبراطوري من قبل الامبرطور تيبريوس الثاني، وتزوج قسطنطينا ابنة تيبروس، وأصبح إمبراطوراً بعد أسبوع من رحيل تيبريوس. وكان عهد موريس مليئاً بالحروب غير المنتهية على كل الحدود، وعلى الرغم من تميزه في الحكم إلا أنه تمكن فقط بأن يمنع تفكك الإمبراطورية العظيمة لجستنيان الأول بشكل مؤقت. وبعد فترة قصيرة من تعيينه فانه دخل في حروب ضد الفرس في عام 590، وساعد خسرو الثاني ليستعيد منصبه. وفي المقابل استردت الإمبراطورية البيزنطية أرمينيا، ومنطقة ما بين النهرين الشرقية. وقد تزوج خسرو امرأة تدعى ماريا، يعتقد بإنها ابنة الإمبراطور موريس. كما هاجم موريس الآفار الغزاة بشجاعة ومهارة، وابعدهم خلف الدانوب عام 599م. انظر: عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 63؛ وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس(620-582م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الاداب، جامعه عين شمس 1988، ص44، 41.

(4) Oman : Dark Ages pp. 139-40;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانيه، ص 82.

ربما استفاد هرمنجلد من الزواج بأميرة فرنجية، والتي أيضاً حفيدة اثاناجيلد، وإن ليوفجيلد قد رتب ذلك للمساعدة في ضمان خلافته الجديدة الغير آمنه، وهو نفس السبب الذي جعل أبنائه ملوكاً في حياته. ويبدو إن الزواج من انجوند ربما عزز وقوى ادعاء ليوفجيلد وهرمنجلد للعرش من خلال جلب دماء السلالة القديمة إلى السلالة الجديدة. وقد جعلها هرمنجلد غاية عندما سمى ابنهِ اثاناحليد[1].

الآن تزوج هرمنجلد امرأة فرنجية وخلط بها دماء قوطية، وعُين ملك فرعى في الجزء الجنوبي من المملكة، على الرغم من أن شقيقه ريكاردو الذي لم يكن لديه عروس فرنجيه في ذلك الوقت عُين في الجزء الشمالي لإدارة سبتمانيا[2]، إن ذلك لاختياراً مثيراً للاهتمام مع فهم الآثار المهمة لقيمة زواج هرمنجلد الدبلوماسية المحتملة. حيث إن وجدت القضايا الدبلوماسية أو العسكرية أو حتى السلام في سبتمانيا فإنها تقع على عاتق زواج هرمنجلد وانجوند وذلك لا يعنى ارسال هرمنجلد إلى الجنوب وريكاردو إلى الشمال. ومعاملة جوسنثا لانجوند تذكرنا بمعاملة أماليك لكلوتيلدا الصغرى منذ نصف قرن مضى، وأيضاً تجعل هدفنا النظر إلى المشهد السياسي الداخلي، وليس من المشهد السياسي الخارجي. في الواقع ليوفجيلد طبقاً جريجوري التوري كان قلقاً بشأن رد فعل شلدبرت من سوء معاملة انجوند. ولكن قبل النظر في ذلك فإننا نحتاج إلى النظر إلى رد فعل شلبريك على زواج انجوند، والذي كانت ابنته الصغرى مخطوبة إلى ريكاردو ابن ليوفجيلد الأصغر.

---

(1) Collins , Early Medieval spain, p.46.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.131.

* ريكـــاردو وريجـــونثا:

ذكرنا سابقاً إن الملك ليوفجيلـد (586-568م) أرسـل إلى شـلبريك ملـك الفرنجة يخطب ابنته ريجونثا Rigunth لابنهِ الأصغر ريكاردو Reccared (586-601م)[1]، وذلك ليضمن حياد الفرنجة تجاه ثورة ابنهِ هرمنجلـد[2]. وقـد وافـق شلبريك على الخطوبة رداً على ترتيب شلدبرت وبرونهيلـد زواج اعتبـارى مـع القوط الغربيين (زواج هرمنجلد وانجوند)، وبـذلك رتـب شـلبريك هـو الآخـر لزواج مماثل مع ابن ليوفجيلد الآخر من ابنته ريجونثا. ويقدم جريجوري الكـثير من التفاصيل حول زواج ريكاردو وريجونثا الذي لم يكتمل مطلقاً.

عندما ذكر جريجوري التوري في البداية خطوبة ريكـاردو وريحونثـا فإنـه ربطها بخطوبه هرمنجلد وانجوند [3]. وقد ذكرها أيضاً عند وفاة الملك ليوفا عام 573م، ولكن ربما هذه الارتباطات لم تكن في نفس الموعد- حيث جريجـوري ببساطة يوفر المعلومات التي يعلمها في غضون ذلك لتكمله سرده. وكانت طريقة التفاوض والخطوبة طويلة جداً في سرده لعام 582م، حيث ذكـر جريجـوري إن مبعوثي شلبريك أرُسلوا على نحو محتمل في العام السابق وعادوا مـن إسـبانيا، وأُرسلت الوفود على وجه التحديد حول الزواج المرتقب، وركزوا علـى مـسألة الثروة التي لا ينبغى تجاهلها، وقد أرسلوا بغرض فحص المهر[4]، ونحن نعرف مع ذلك أنه قبل عامان من هذه السفارة، تحديداً في عام 580م أرسل ليوفجيلـد

---

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, PP. 169-70,243-5.

(2) Thompson: The Goths in Spain, p.74;

انظر أيضاً، كريم عبد الغنى: القوط الغربيين، ص 226.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 169-70,243-45.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 287-8.

مبعوثه اجيلان Agilan (Agilanem) إلى شلبريك، ولكـن جريجـوري لا يمـدنا بالسبب[1]، وبذلك يقترح إنهما بالفعل كانا على علاقة جيدة.

وقد شهد عام 580م آثار النشاط الدبلوماسي بين ملـوك الفرنجـة وملـوك القوط الغربيين، حيث أَرسلت برونهيلد مندوباً إلى إسبانيا، ربما للاطمئنان على زواج انجوند وهرمنجلد الحديث مؤخراً[2]. وقد حاول ميرو Miro ملك السويفي في جليقية Galicia ارسال مبعوثين إلى جونترام، ولكن اعتقلهم شـلبريك أثنـاء عبورهم من مملكته[3]. وأرسلهم لاحقاً إلى وطنهم دون أن يروا جـونترام. هـذا يشير إلى حال الصداقة والتعاون بين شلبريك وليوفجيلد.

وبذلك لم يكن جونترام منافساً لشلبريك فقط، ولكن عدواً لليوفجيلـد في كثير من الاحيان على أراضي سبتمانيا. وقد هزم ليوفجيلد ميرو ملك السويفي في نهاية المطاف، واستولى على مملكته في عام 580م[4]. وهناك دليـل آخـر علـى علاقة شلبريك الجيدة بالقوط الغربيين، حيث ذكر جريجوري في احـداث عـام 581م إن مندوبي شلبريك عندما عادوا من القسطنطينية بعد سفارة استمرت ثلاثة سنوات كانت أُرسلت إلى الإمبراطور البيزنطي تيبريـوس، فـإنهم اختـاروا عـدم الابحار إلى مارسيليا[5] Marseilles المدينة التي يسيطر عليهـا جـونترام، ولكـن

---

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.249-50.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.247-8

(3) Gregory of Tours : Franks , P.131.

(4) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 41-42; John of Biclaro: Chronicle, p.71; أنظر أيضاً، محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 237-238.

(5) مارسيليا : مدينة تقع في بلاد الغال، تم تأسيسها من قبل الاغريق سنة 600ق.م، حيث تزوج احد الاغريق وهو بروتس Protis من جيبتس Gyptis ابنة ملك تلـك الـبلاد، واصـبحت هـذه المدينة مركزاً تجارياً أكثر من كونها مستعمرة زراعية. ثم سيطر عليها الرومان واصبحت ضمن الولاية الرومانية سنة 120ق.م، ثم وقعت تحت سيطرة القوط الغربيين سنة 474م حتى سيطر عليها الفرنجة. أنظر، محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص147، 217.

إلى اجديا Agde مدينة القوط الغربيين[1]، حيث كان السلام والتعاون راسخاً بين شلبريك وليوفجيلد.

المغزى من ذلك كله، إن كلاهما كان لديه عداوه ثابته مع جونترام، وإن زواج ابنة شلبريك وابن ليوفجيلد ماهو إلا تأكيداً على هذه العلاقة القوية بالفعل بين الملكين. كما ذكر جريجوري زيارة أخرى لمبعوثي شلبريك إلى ليوفجيلد في عام 583م، ولكنه يقول أنهم عادوا بدون نتائج ملموس[2]. يبدو إن جريجوري كان يشير إلى خطط الزواج، ومن المرجح تماماً أنهم أُرسلوا لتسوية قضايا أخرى أو خطط للتعاون في المستقبل بين الملكين، وربما سعي شلبريك بدرجة أكبر لدعم عسكرى محدد من ليوفجيلد ضد جونترام، ولكن لم يستطع ليوفجيلد تنفيذه في ذلك الوقت منذ انشغاله بحرب أهلية ضد ابنهِ هرمنجلد. هذه كل المقترحات المحتملة ويجب أن تظل كذلك، ولكن الحقيقة هي إن شلبريك وليوفجيلد بقوا على اتصال مع بعضهما البعض حتى إن لم يتعلق الأمر بزواج أبنائهم.

وفي وقت لاحق من هذا العام عندما هُزم هرمنجلد وتم نفيه، أتي مندوبي الملك ريكاردو إلى الملك شلبريك ومعهم الكثير من الهدايا وسعوا لمقابلة معه، وكان المندوبون هناك لتأكيد الخطوبة وتسوية تفاصيل الزواج وفقاً إلى اتفاقية سابقة[3]. هذا قد يشير تحديداً إلى زيارة مبعوثي شلبريك لتفقد المهر أو الترتيبات العامة التي على وشك أن يقررها المندوبون بشأن الزواج. وفي هذه الزيارة قد حُدد وقت معين للزواج، فضلاً عن تفاصيل أخرى للزواج. (يفترض إنها إشارة إلى المهر وهدايا الزواج الأخرى).

---

(1) Gregory of Tours : Franks , p.145.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, P.295.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.304-5.

ويشير نص جريجوري التوري إلى أن الزواج كان على الأرجح قد حُدد أن يحدث قريباً وتم وضع الترتيبات العامة للزواج، إلا أن وفاة ثيودريك Theodoric بن شلبريك حالت دون ذلك[1]، ودعى شلبريك المندوبين للعودة وتأجيل الزواج، حيث لا يمكن الاحتفال بالزواج وهم في حال الحزن على ابنهِ المتوفي. ثم ذكر جريجوري إن شلبريك الآن يفكر أن يزوج إلى ريكاردو ابنه أخرى (باسينا Basina) من زوجته السابقة اودفيرا Audovera بدلاً من ريجونثا ابنة فريدجوند، ولكن هذا الاقتراح لاقى معارضة من الكنيسة لأنه يخالف القانون الكنسي، حيث كانت هذه الفتاة راهبة بالفعل[2].

وينبغي لنا النظر إلى كيفية جهود شلبريك لتأجيل الزواج الذي رفضه مندوبي ليوفجيلد، والآن يبدو أن شلبريك بدأ يتراجع عنه، ولكن تحت الضغوط ربما حاول شلبريك الاحتفاظ بصفقته بعرض فتاة أخرى كعروس لريكاردو، ولكن تم رفض هذا الاقتراح، واضطر شلبريك في النهاية قبول الاتفاق الاصلي. من الصعب القول عما إذا كان سمح بتأجيل الزواج في الواقع، ولكن في وقت لاحق من نفس هذا العام أُرسلت ريحونثا إلى إسبانيا.

وقد وافق الموعد المحدد للزواج تماماً مع حالة السياسة الفرنجية الداخلية، حيث أن شلدبرت وجونترام قد استقر نزاعهم تماماً على مارسيليا (معاهدة اندلوت 587م)، وأصبح التقارب بينهما يشكل تهديداً على ممتلكات

---

(1) Gregory of Tours : Franks , p.162; Crisp: Marriage and alliance, p. 188.

تزوج الملك شلبريك ثلاث زوجات وهما اودفيرا وجالسيونثا وفريدجوند، وكان له من زوجته اودفيرا، ثلاثة أبناء وهما ثيودبرت Theodobert وميروفتش Merovech وكلوفس Clovis، وابنتان هما كلودوسندا وباسينا Basina. وله من زوجته فريدجوند خمسة اولاد وابنه واحدة وهما سامسون Samson و كلودوبرت وداجوبرت وثيودريك وكلوثر الثاني وريجونثا. أنظر

Wood: the Merovingian Kingdoms,p. 348.

(2) Crisp: Marriage and alliance, p. 188.

شلبريك في الجنوب، كما إن أتباع كانوا الفرنجة على استعداد تام لتغيير ولائهم من ملك إلى آخر في محاولة لتعزيز مواقعهم، ويكونوا في الجانب الفائز من هذه المنافسة، إذاً الزواج السياسي مع القوط الغربيين، وعلاقات شلبريك الخارجية القوية من شأنها مساعدة شلبريك في الحفاظ على ولاء العديد من اتباعه وعلى ممتلكاته في جنوب الغال.

وبعد فترة وجيزة من وفاة ثيودريك بن شلبريك أرسل ليوفجيلد مبعوث آخر إلى شلبريك، ولكن لم يتوصل إلى موعد الزواج، وذلك ربما بسبب الخوف من امكانية انتقام شلدبرت بسبب مصير شقيقته انجوند في إسبانيا[1]. وربما هذا المبعوث أتى لإعادة اصلاح شروط الزواج المؤجل، ولكن يبدو من المرجح أنه كان قادماً لترتيب نوع من التعاون بين شلبريك وليوفجيلد في وجه التهديد المحتمل من قبل شلدبرت. حيث وطد شلدبرت نفسه في مملكته في هذه المرحلة لدرجة إن جريجوري استطاع رواية تقرير يقول فيه إن شلدبرت كان يشعر بالثقة الكافية في منصبه ليتجاهل الإمبراطور البيزنطي ويعقد تحالفا مع اللمبارديين[2]. إنه بالفعل يمثل تهديداً واضحاً إلى كلا الملكين، وفي الفصل نفسه ذكر جريجوري إن شلدبرت خطط لغزو إسبانيا على الرغم من هذا لم يحدث مطلقاً.

أخيراً وبعد سنوات من المفاوضات جاء الوقت لارسال ريجونثا إلى إسبانيا للزواج بريكاردو. فيقول جريجوري إن وفداً كبيراً من القوط جاء لمرافقة الأميرة ريجونثا، كما أرسل شلبريك مع ابنته عدداً كبيراً من العائلات من مقاطعاته، والذين وصفهم جريجوري بأنهم ليس لهم أهل. ولاحقاً اخبرنا إن الذهب، الفضة والحلى وغيرها تملأ 50 عربة[3]. ويقول أيضاً إن امتعة ريجونثا

(1) Gregory of Tours : Franks ,p163.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, P.314.

(3) Gregory of Tours : Franks ,pp.163-4.

كانت مثيرة للأعجاب لدرجة إنها أصبحت هدفاً للصوص طوال رحلتها جنوباً وسُرق منها عدة أشياء، على الرغم من الحراسة المرافقة التي قدمها شلبريك لحمايتها من عمها وابن عمها[1]. كما يقول جريجوري إن أى شخص بمجرد أن يري عبور هذه القافلة يتذكر بوضوح علاقات شلبريك الدولية مع القوط الغربيين، ثروته العظيمة، كرمهن وحتى سلطته في شكل الحراسة المسلحة التي ترافق العروس. وقد ذكر جريجوري المحادثة العلنية بين وشلبريك وفريدجوند، والتي يجب أن تكون قد خُطط لها في وقت مبكر، فيقول:

"إن الملك شلبريك بعد أن دعى معاً نبلاء الفرنجة وغيرهم من الاتباع المخلصين احتفل بعرس ابنته. وسلمها لمندوبي القوط واعطها ثروة عظيمة. ولكن والدتها أيضاً احضرت كميات كبيرة من الذهب والفضة والملابس لدرجة أنه عندما شاهد الملك ذلك ظن إنها لم تترك شيئاً. فتراه الملكة قلقاً للغاية فتنعطف إلى الفرنجة وتقول لهم: "لا تعتقدوا أيها الرجال إن أي شئ هنا تم أخذه من كنوز الملوك السابقين؛ إن كل ما تروه مأخوذ من ثروتي الخاصة، لان أكثر الملوك الرائعين انعم علي، كما انني جمعت معاً بعض هذه الاشياء من مجهودى الخاص، ومن الممتلكات التي منحت لي، وحققت مكاسب كثيرة سواء من العائدات أو من الضرائب. وعلاوة على ذلك كان لدي الكثير من الهدايا، وكل ما تروه يأتى من هذه المصادر، ولا شيء من ذلك أتي من الثروة العامة"[2].

إنها خطة بارعة يجب أن تكون قامت على وجه التحديد كوسيلة لعرض ثروة شلبريك وكرمه، وبهذه الطريقة تقوم باغراء قادته واتباعه، كما إنها ذكرتهم بإن هذه الثروة لم تأتي من الخزينة الملكية ولكنها ثروة شخصية. وهذا يعنى ضمنياً أنه لا يزال هناك ثروة عظيمة تحت تصرف الملك، ولذلك يجب أن يكون شلبريك ملكا عظيم وقوى!

---

(1) Gregory of Tours : Franks ,pp. 164-5.

(2) Gregory of Tours : Franks ,p.164.

وتتضح طبيعة عملية الزواج مرة أخرى في مراقبة حاشية ريجونثا التي تشق طريقها جنوباً. على ما يبدو إنها لم تريد الذهاب إلى إسبانيا. فبعد أن وصلت تولوز، يقترح جريجوري إنها بدأت تختلق اعذاراً لتأجيل السفر(1). وبينما هي هناك تضع الاستعدادات النهائية لمقابلة زوجها المستقبلي وصلها خبر وفاة والدها شلبريك عام 584م. وقد انتهز الدوق ديسدريوس Desiderius قائد شلبريك هذا الوضع للاستيلاء على معظم ثروة ريجونثا(2). وقد استعاد جونترام السيطرة على أراضيه المفقودة وحاول مد نفوذه على كامل مملكة شلبريك(3). وفي نهاية المطاف اَرسلت فريدجوند شخصاً ليعيد ريجونثا الآن ذليله من تولوز(4).

إن اقتراح زواج ريجونثا من ريكاردو ربما يبدو على المظهر الخارجي ليكون دبلوماسياً، بل بدافع عسكري، ولكن عندما نبحث عن كثب يظهر اهميته كدليل على قوة شلبريك وأهمية الثروة اكثر، وذلك في وقت كانت فيه العلاقات بين شلبريك وجونترام وشلدبرت متوترة بالفعل، ونادراً ما يطلب الزواج لتأمين مصالح شلبريك ضد زملائه من الملوك الفرنجة، أو يضمن للملك ليوفجيلد حياد الفرنجة تجاة ثورة ابنه. وإننا بالفعل لدنيا العديد من الأمثلة على تعاون شلبريك مع القوط الغربيين عندما كان هناك خطوبه تقريباً، خطوبة وليس زواج، ومع ذلك يمكن أن تخرق. كما أنه ليس هناك سبب كامن يوضح لماذا ينبغى لنا افتراض إن كل التعاون بين الملكين، وحتى تكرار ارسال المبعوثين يجب أن يكون مرتبط بالزواج المقترح بين أبنائهم؟ وللاجابه على هذا السؤال ينبغي لنا أن نعرف أن الملك ليوفجيلد كان يرأس السلالة الحاكمة الجديدة التي حلت مكان اثاناجيلد، ويريد أن يوطد أسرته الحاكمه، كما أنه في نفس الوقت يواجه ثورة ابنِ المتمرد. أما شلبريك فإنه مشارك في خضم تنافس قوي مع جونترام وشلدبرت. إذاً كلاً منهما يريد هيبة الزواج المرموق بشدة لتوطيد علاقاتهم ببعضهم البعض ضد اعدائهم.

---

(1) Gregory of Tours : Franks ,p.175.

(2) Gregory of Tours : Franks ,p.175.

(3) Jussen: Spiritual kinship as social practice, pp.102-105.

(4) Gregory of Tours : Franks ,p.185.

ولكن لم يكتمل الزواج قط بعد وفاة الملك شلبريك عام 584م، وبـالطبع أي اتفاقيات دبلوماسية بين شلبريك وليوفجيلد تعتبر بدون فائدة، وكان من الممكن أن تجدد مع خليفته، وإن الـزواج مـن شـقيقة الملـك الجديـد يجـب أن يكـون زواج دبلوماسي ومفيد مثل زواج ابنة الملك. ولكن ذلك لم يحدث، وكان على ليوفجيلد أن يواجه غضب الفرنجة، فقد حشدوا جيوشهم للثأر ممـا اصـاب الأمـيرة انجونـد شقيقة الملك شلدبرت، وهاجموا ولاية غالة الناربونيةGallia Narbonensis، فقـد انقسم جيش الفرنجة إلى فريقين وساروا ينشرون الخراب اينما تحركوا، ثم تقدموا في اتجاه نيمس Nimes وكاركسون Carcassonne، ولكن عنـدما قتـل قائـدهم عمـت الفوضى بين صفوفهم وهربوا عائدين إلى غالة، كما نجح القوط في الايقاع بهم عدة مرات وهم في طرق العودة. أما الفريق الثانى فقد قام بتخريب الأراضي حول نيمس، يحرقون المحاصيل ويقطعون اشجار الزيتون والاعنـاب، ولكنـهم لم يتمكنـوا مـن دخول مدينة نيمس أو أي مدينة أخرى، كما تكبدوا خسائر فادحة، ويقال أنهم فقدوا خمسة الاف من رجالهم، وأرسل الملك ليوفجيلد ابنـه ريكـاردو للتـصدي لهـم، فتمكن من طرد الجيش الفرنجي خارج حدود الولاية، كما تمكن من الاستيلاء على اثنين من القلاع الفرنجية وعاد منتصراً إلى والده[1]. وعلـى الـرغم مـن ذلـك عـاود ليوفجيلد مساعية للسلام وأرسل سفارة إلى كلا من شلدبرت وجـونترام، ولكنـه لم يحصل على اجابة واضحة لمطالبـه، ومـن ثم قـام ريكـاردو بحملـة علـى أراضـي الفرنجة، ووصلت اعماله إلى مدينة ناربون واستولى على كميات كبيرة مـن الغنـائم داخل الأراضي الفرنجية، وكانت هذه الغزوة الوحيدة التي أرسلها القوط إلى أرض الفرنجة، ولم يكن الهدف منها الفتح أو الغزو وبدت كما لو كانت حملة تأديبية[2].

---

(1) John of Biclaro: Chronicle ,p.71; Gregorii Turonensis: Francorum, PP.393-4; Thompson, Goths in Spain,p.74.

أنظر أيضاً، كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 226-227.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, P.405; Thompson, Goths in Spain,p.75.

أنظر أيضاً، كريم عبد الغني: القوط الغربيين، ص 227.

* خطوبة ريكاردو وكلودوسندا:

توفي ليوفجيلد ملك القوط الغربيين عام 586م وخلفه ابنه ريكاردو (586-601م) على العرش، وكان ريكاردو ابناً لام رومانية، ولكنه كان على عكس شقيقه هرمنجلد حيث لم يظهر تمرده على الآريوسية في حياة والده، فلما توفي والده خطا خطوات جعلت الآريوسيين يتوجسون خيفة منه، فقد استدعى إليه الاساقفة الكاثوليك والآريوسيين وجعلهم يدخلون عدة مرات في جدال امامه حول اسرار الثالوث المقدس، ويتناظرون في الامور التي تمس صلب العقيدة ويبدو إنه اتخذ هذه الخطوة لتهيئة العقول والاذهان للتحول المنتظر في حياة القوط[1].

ويبدو أن ريكاردو ادرك إن مملكة القوط الغربيين لن تقوم على دعائم قوية ما دامت الفجوة قائمة والانفصال حادثاً بين الطائفة الحاكمة وبين جموع الرعايا بسبب الحاجز الدينى والنزاع المذهبى في الوقت الذي كان فيه القوط الغربيون اقل عدداً بالنسبة لمجموع السكان لدرجة لا تكفى للامتزاج بالاهالي أو الاندماج معهم، فضلاً عن إن القوط لم يظهروا أي رغبة لذلك، وادرك أيضاً إنه إذا لم يحدث الاندماج والتزواج فإن مملكة القوط محكموم عليها بالزوال، وبالفعل قضى ريكاردو الفترة بين سنتي 586و588م يمهد للتحول الكبير في حياة المملكة القوطية، ثم ما لبث أن اعلن اعتناقه للكاثوليكية، وجرى تعميده على يد خاله ليندر اسقف اشبيلية، وتبعه الجانب الاعظم من شعبه وكثيراً من كونتات القوط وعدد كبير من الاساقفة الآريوسيين[2].

---

(1) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص84.

(2) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص84-85.

وقد ورث ريكاردو موقفاً خطيراً على حدود سبتمانيا لأن جونترام ملك الفرنجة مازال يهدد بالهجوم على المملكة بسبب خسارته في نيمس وكاركسون، ومع ذلك فقد سارع ريكاردو بارسال سفراءه الذين يقول عنهم جريجوري أنهم ذهبوا إلى الملك جونترام عدة مرات[1]، ولكنهم لم يحصلوا منه على أي وعد بالسلام، بل على العكس ازدادت شقة الخلاف إتساعاً، وقام جونترام بمهاجمة أراضي القوط، وعندما بدأت المعركة لاذ القوط بالفرار[2].

بعد تحول ريكاردو إلى الكاثوليكية اعتقد إن ذلك سيكون سبباً مشجعاً وكافياً لاقرار السلام بين الشعبين، وأيضاً بعد أن فشل زواجه من ريجونثا ابنة شلبريك على أثر وفاة والدها حيث لم يكتمل الزواج قط، فبعث ريكاردو يطلب يد الأميرة كلودوسندا Clodosinda ابنة الملك سيجبرت الأول وشقيقة شلدبرت الثاني ملك اوستراسيا، ولكن رفض الملك جونترام مقابلة سفراء ريكاردو قائلاً لهم: "**كيف لهم أن يعتقدوا أنني اثق فيهم؟ وكيف لهم أن يأملوا أن نصدقهم وهم من أرسلوا انجوند ابنة اخى إلى المنفى؟، وإنه نتيجة لخيانتهم قُتل زوجها، كما ماتت هى اثناء سفرها الطويل، أنني لن استقبل مبعوثى ريكاردو حتى يمنحنى الله الثأر من اعدائى**"[3]. وعندما لم يجد السفراء قبولاً لدى جونترام قصدوا الملك شلدبرت الذي استقبلهم استقبالاً طيباً، وبدأ السفراء يعرضون قضيتهم التي تتلخص في تبرئة ريكاردو من التهم الموجهة إليه، وإنه مستعد أن يقسم على ذلك أو بأي طريقة أخرى، كما قدموا عشرة آلاف صولدى، واستمع شلدبرت ووالدته برونهيلد إلى السفراء، وفي النهاية اعلنا بأنهما سيحافظان على السلام والصداقة مع ريكاردو. وقبل أن ينصرف السفراء طلبوا يد الأميرة كلودوسندا، فأعلنا عن ارتياحهما لذلك ولكنهما لا يستطيعان إبداء الموافقة النهائية قبل استشارة جونترام، وعندما عرض الأمر علية مرة أخرى تمسك برأيه[4].

---

(1) Gregory of Tours : Franks ,pp.199,205,211.

(2) Gregory of Tours : Franks ,p.185

(3) Gregory of Tours : Franks ,p.216.

(4) Gregory of Tours : Franks ,p. 216-17.

كانت الأميرة كلودوسندا مخطوبة بالفعل لأوثاري ملك اللمبارديين، ولكن عندما أرسل ريكاردو يطلب خطبتها قام شلدبرت بفسخ الخطوبة مع ملك اللمبارديين، أما عن دوافع شلدبرت للتخلي عن خطوبة اللمبارديين والبحث عن أخرى مع القوط الغربيين تكمن في سياق علاقاته مع الملك جونترام بعد وفاة شلبريك عام 584م. كما إن زواج شقيقته إلى ملك القوط الغربيين وسيلة لتأكيد هيبته ووضعه، إنها حرب باردة مع جونترام الذي تبني كلوثر الثاني بن شلبريك وأصبح وصياً عليه. وعلى الرغم من توقيع اتفاقية اندلوت بين جونترام وشلدبرت عام 587م، إلا أنهم لا يزالون يشعرون بالقلق تجاه بعضها البعض. حيث إن جونترام يحاول السيطرة على شلدبرت وعلى مملكته، في حين يعمل شلدبرت على ضمان مملكة جونترام له بدلاً من كلوثر الصغير خليفة جونترام.

وهكذا بالنسبة لشلدبرت المصاهرة مع القوط الغربيين لا تمثل فقط ارتباط ذو هيبة، ولكن ارتباط بعدو خارجي رئيسي للملك جونترام، إنه ارتباط يمكن القول أكثر هيبة من الارتباط مع اللمبارديين، حيث أن القوط الغربيين تحولوا إلى الكاثوليكية في الآونة الاخيرة، في حين بقى اللمبارديين على آريوسيتهم[1]. كما إنه قلما قاد شلدبرت حملات ضد القوط الغربيين، ولكن كثيراً ما ترسل الجيوش إلى إيطاليا، والتغيير في خطط الزواج أيضاً ابقي منطقته الرئيسية لمثل هذه الحملات مفتوحة. وإذا امعنا النظر في خطبة ريكاردو وكلودوسندا فإنها تكشف عن دوافع شلدبرت واعتبارات اكثر وضوحاً.

أما بالنسبة لريكاردو نجد إنه يريد السلام مع الملوك الميروفنجيين. كما أرسل مبعوثيه إلى كلاً من شلدبرت وجونترام الذي كان لا يرغب في السلام مع ريكاردو بحجة الانتقام لمقتل الأميرة انجوند، وهذا ربما يكون جزءاً من استراتيجية جونترام لاظهار نفسهِ ملكاً عظيماً وحريص على اثبات نفسه زعيم

---

(1) Gregory of Tours : Franks , p.211; Paul the Deacon: The Langobards, p.136;
انظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون فى التاريخ والحضارة، ص 68.

العائلة الميروفنجية، وذلك بالانتقام لوفاة الأميرة انجوند ابنة شقيقه، ولكن شلدبرت الثاني كان اكثر استعداداً لعقد السلام مع ريكاردو وهذا يكشف عن تخطيطه الخاص. ولكننا نجد أن شلدبرت سمح لجونترام بتولى قضية انجوند في حين سعى لتقوية نفوذه الخاص بصنع السلام مع القوط الغربيين[1]. وهكذا رغم الخلافات بين المملكتين نجد الملك ريكاردو لا يزال راغباً في العروس الفرنجية بعد كارثة انجوند.

وقد قدم مبعوثى ريكاردو اثباتاً لبراءته في قضيه انجوند من خلال حلف اليمين، ثم عرضوا المال لانشاء تحالف سياسي بينهم[2]، عندئذ تم الموافقة على موضوع الزواج. وذكر جريجوري إن مبعوثى ريكاردوا ناقشوا إن مثل ذلك الزواج يجب أن يحافظ على السلام الذي يتفاوضون من اجله بين المملكتين[3]. هذا مثال آخر على التوقعات التقليدية لقرابة الزواج في سرد جريجوري، ولكن تجدر الإشارة إلى إن السلام ثم التحالف كان مؤكداً بالفعل قبل تقدم الموضوع. لقد صُنع التحالف بدون القرابة. ربما بعض الناس ارتبطوا بالمفاوضات املاً في أن يعزز الزواج السلام الذي انشئ حديثاً، ولكن كما نرى كانت هناك اعتبارات أخرى على الاقل هامة على حداً سواء. شلدبرت وبرونهيلد كانوا على استعداد لخطبة كلودوسندا، ولكن قالوا لا يمكن القيام بذلك دون موافقة كبار العائلة الميروفنجية -جونترام-. هذا ربما يكون محاولة لعدم الاساءة لجونترام الذي اختار تبنى كلوثر الثاني الشاب كورثياً له وحرم شلدبرت.

كما حدث في العام التالي أن جريجوري التوري وآخرين أُرسلوا في سفارة من قبل برونهيلد وشلدبرت إلى الملك جونترام، لتسوية بعض المظالم بين شلدبرت وجونترام، واتهم الملك جونترام شلدبرت بأنه انتهك المعاهدة التي

---

(1) Gregory of Tours : Franks , p.211.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, PP.430-1

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, PP. 430-1

وقعها معه في العام السابق (587م). ولكن بعد تسوية قضاياهم طلب مبعوثي الملك شلدبرت من الملك جونترام الموافقة على زواج كلودوسندا إلى ريكاردو. وقد أعلن الملك جونترام أنه مستعد على الموافقة على الزواج، إذا ما اثبت ريكاردو براءته في وفاة انجوند، وإذا ما ابقى شلدبرت اتفاقه النهائي مع الملك جونترام[1].

ورغم موافقة الملك شلدبرت إلا أن الشكوك ظلت بينهما، والدليل على ذلك أن جريجوري التوري ذكر إنه تم ارسال شخصاً يحمل عدة هدايا واحجار كريمة إلى ريكاردو ملك القوط الغربيين من برونهيلد وشلدبرت[2]، ولكن قبض عليه جونترام عندما كان يمر من باريس متهماً إياه بحمل هذه الهدايا إلى جوندفالد Gundovald المدعى للعرش[3]. ولكن اطلق سراحه بعد أن علم إن الهدايا كانت من أجل الملك ريكاردو[4]. ومع ذلك استمر الملك جونترام في حربة ضد ريكاردو، وقرر أن ينتقم لموت ابنة شقيقه وتحرك بقواته إلى سبتمانيا ولكنها كانت حملة فاشلة تماماً، حيث تمكنت قوات القوط بقيادة كلوديوس Claudius دوق لوزيتانيا Lusitania أن يفاجىء قوات الفرنجة بالقرب من

---

(1) Gregory of Tours : Franks , pp.212-3.

(2) Gregory of Tours : Franks , p.220.

(3) ادعى جوندفالد من قبل أنه ابن الملك كلوثر الأول، إلا أن الملك كلوثر رفض ذلك الإدعاء، وأجبر جوندفالد علي الخروج من المملكة، فاتجه جوندفالد إلي ايطاليا، ومنها انتقل إلي القسطنطينية، واستمر هناك حتى جاءته دعوة من احد افراد الاسرة الارستقراطية الفرنجية، فعاد إلي مارسيليا، ولكن لم يجد الامور مناسبة بعد لتحقيق مبتغاه، فعاد إلي احدى جزر البحر المتوسط، وبعد وفاة شلبريك عام 584م عاد ليطالب بحقة في المملكة، واعلن جوندفالد نفسه ملكاً في مدينة ليموجس عام 585م، وعندما علم جونترام بذلك أرسل جيشاً لأسر المدعى للعرش وانتهي أمره بحصاره في مدينة تور، وقبض عليه جونترام وقتله. للمزيد أنظر،

Gregory of Tours : Franks , pp. 157,175-6,183.

(4) Gregory of Tours : Franks , p.220.

كاركسون Carcassonne وقتلوا منـهم حـوالي خمـسة آلاف واسـروا أكثـر مـن ألفين، ولم يسبق للقوط أن حققوا نصراً أعظم من هذا النصر أو مساوياً له علـى الفرنجة[1]. والقى الملك جونترام باللوم على شلدبرت الذي عقد معاهدة سـلام مع الملك ريكاردو[2].

ولكن تجـدر الإشـارة إن معاهـدة الـسلام ليـست نتيجـة حتميـة لخطوبـة ريكاردو وكلودوسندا، كما أنه ليس شرطاً أن يتبع الخطوبة معاهدة سـلام. كمـا إنه في نفس الوقت الذي هُزم فيه الملك جونترام نجد أن الملك شـلدبرت هُـزم أيضاً في إيطاليا على أيدي اللمبارديين عام 588م[3]. كلا الجـانبين ربمـا حـاولوا بصعوبة بالغة اثبات أنفسهم متفوقين على الآخر، ولكن كلاهما دفع الجزاء.

الزواج المقترح بين ريكاردو وكلودوسندا توقف ذكره في المصادر. وتزوج ريكاردو في نهاية المطاف بامرأة أخرى. كما أن المصادر الاسبانية لم تـشير قـط إلى خطوبـة ريكـاردو وكلودوسـندا. إنهـا خطوبـة لخدمـة اغـراض مؤقتـه بـين شلدبرت وريكاردو، واعطت فرصة لشلدبرت لاظهار نفسه ملكاً عظيماً خاصـّة مقارنة بجونترام ضد الذين ناورهم باستمرار في هذه الفترة.

---

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, P. 450; John of Biclaro: Chronicle ,p.74.

(2) Gregory of Tours : Franks , p. 221.

(3) Gregory of Tours : Franks , p.230.

* ثيـــودريك وارمنبرجـــا:

توفي الملك جونترام عام 592م، وورث ابن شقيقه شلدبرت الثاني مملكته طبقاً لمعاهدة أنـدلوت[1] Andelot الـتي تم عقـدها عـام 587م بـين جـونترام وشلدبرت الثاني، وقد عاش شلدبرت بعد وفـاة جـونترام لمـده أربـع سـنوات فقـط، وتـوفي فجـأة عـام 596م، تاركـاً ولـدين صـغاراً كخلفـاء لـه ثيودريـك الثاني(596-613م) الذي استلم ممكلة جونترام (برجنديا)، وثيـودبرت الثـاني[2] (596-612م) حـصل علـى مملكـه سـيجبرت وشـلدبرت الثـاني (اوستراسـيا) السابقة[3]، وكان يوجد معهم كلوثر الثاني(584-629م) الحاكم بمملكة شلبريك (نوستريا)[4]. واستمر التنافس بين هذه الممالك الثلاثة كما كان من قبـل، علـى

---

(1) معاهدة أندلوت : تم عقـد معاهـدة أنـدلوت Andelot عـام 587م بـين جـونترام وشـلدبرت الثاني، وكانت تهدف هـذه المعاهـدة إلي وضـع حـداً للخلافـات بـين جـونترام وشـلدبرت الثاني، ونصت علي الابقاء علي جميع أموال الكنائس كما هي، كما قررت ألا يقـف أي مـن الملكين شلدبرت الثاني وجونترام بجانب ضد الأخر، كما أكدت تلك المعاهدة علي الـسلام الذي كان سائداً بين شلدبرت الثاني وجونترام، كما إنها أكدت علي حـصول شـلدبرت علـي جميع أملاك الملك سيجبرت كما كانت قبل وفاته، وجعلـت تلـك المعاهـدة مـن شـلدبرت الثاني وريثاً لمملكة جونترام بالكامل بعد وفاته. لمزيد من التفاصيل أنظر،

Gregory of Tours : Franks , p. 213.

(2) ثيودبرت الثاني: تولى ثيودبرت الثاني (596-612م) عـرش مملكـة الفرنجـة بعـد وفـاة والده شلدبرت الثاني عام 596م، وقد حصل ثيودبرت علي مملكه سيجبرت وشـلدبرت الثاني السابقة (أوستراسيا). وقد انتهت حياته عندما هُزم في معركة تولبياك Tolbiac علـي يد قوات شقيقه ثيودريك الثاني عام 612م. للمزيد أنظر،

Fredegar: The Fourth Book, p.31.

(3) Fredegar: The Fourth Book, p.7.

(4) Fredegar: The Fourth Book, p.5.

الرغم من إن هؤلاء الملوك الثلاثة كانوا لا يزالـو قُـصر في عـام (596م)، وقـد اقتادتهم المنافسه الداخلية إلى صنع العديد من التحالفات السياسية ضد بعـضهم البعض، مع كل واحد من الملوك الفرنجة الآخرين ومع القوى الخارجية أيضاً، كما كان ابائهم واقربائهم الميروفنجيين من قبل. وكجزء من هذه المنافسة، كـلاً من ثيودريك وثيودبرت حاولوا استخدام المـصاهرات الأجنبيـة لتأكيـد وتعزيـز مواقفهم، وحشد دعم المزيد من الاتباع لهم.

وقد استغلت الملكة فريدجوند وابنها كلوثر الثاني وفاة الملـك شـلدبرت الثاني وتقسيم المملكة بين أبنائه، وقاموا بالهجوم على ممتلكات ابنـهِ ثيـودبرت الثاني في اوستراسيا، وسيطروا علـى بـاريس وعـدد مـن المـدن الأخـرى مثـل شمباني وريميس. ولكن توفيت الملكة فريدجونـد عـام 597م، وأصـبح كلـوثر الثاني وحيداً امام منافسية ثيودريك وثيودبرت، حيـث كانـت فريدجونـد بمثابـة العقل المدبر للملك كلوثر الثاني.

على الجانب الآخر في مملكة القوط الغربيين تولي عـرش المملكـة ليوفـا الثانى (601-603م) بعد وفاة والده ريكاردو[1]، ولكن تآمر ضده النـبلاء بقيـادة ويترك Witteric، ودبروا اغتيال ليوفا، واستولى ويترك (603-610م) على عرش المملكة وحكم لمدة سبع سنوات، وكان ويتـرك آريوسـياً متعـصباً للآريوسـية، حاول إعادة الآريوسية ولكنه فشل، وانتهت حياته بالقتل[2].

أما عن الزواج، ففـي عـام 607م أرسـل ثيودريـك الثـاني ملـك برجنـديا مبعوثية إلى ويترك يطلب يد ابنته ارمنبرجـا Ermenberga[3]. وحلـف المبعـوثين

---

(1) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 26-7;

أنظر أيضاً، محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 241.

(2) Isidore of Seville : Kings of the Goths, pp. 26-7;

أنظر أيضاً، ابـراهيم طرخـان: دولـة القـوط الغـربيين، ص107؛ محمـد عبـده حتاملـه: ايبيريا، ص 241.

(3) Fredegar: The Fourth Book, p20..

القسم بإن ثيودريك لن يتزوج امرأة أخرى انفاً، وعندها فقط سمح لهم بأخذ العروس إلى بلاد الغال. ويُعد هذا القسم ضروري جداً لأن ثيودريك كان لديه بالفعل أربع أبناء من نساء أخريات. أنه وضع يذكرنا بجهود الملك شلبريك للزواج من جالسيونثا. ويقال أن ثيودريك كان سعيداً بعروسته الجديدة، ولكن جدته برونهيلد التي لعبت دور الملكة الأم في بلاطه وكذلك شقيقته ثيوديلا Theudila عملوا على عدم استمرار هذا الزواج.

كان الملك ثيودريك يريد بالفعل هيبة هذا الزواج، ولكن وجود امرأتين في البلاط لا يرغبون برؤية قوتهم تتضاءل كان سبباً في فشل هذا الزواج. وبالفعل بعد عاماً واحد من الزواج نجد ثيودريك يرسل زوجته إلى وطنها، ولكن بدون مهرها. ومن ثم نظم ويترك والد ارمنبرجا تحالفاً ضد الملك ثيودريك لهذا التجاهل الصارخ لقسمه. وقد تعهد كلاً من كلوثر الثاني ملك نوستريا وثيودبرت الثاني ملك اوستراسيا واجيلولف Agilulf (590-616م) ملك اللمبارد بمساعدة الملك ويترك للحصول على انتقامه، ولكن لم يسفر ذلك عن شئ في النهاية. ويعلق فريديجار على فشل ذلك التحالف قائلاً: ربما لأن الملك ويترك مات في نفس العام[1]، حيث أُغتيل فجأة سنة 610م في احدى المناسبات، على يد بعض المتآمرين[2].

ويبدو أن هذا التقرير مفيد، حيث سعى الملك ثيودريك إلى زوجة من القوط الغربيين، واستمرت المفاوضات. ونقطة فاصلة في المفاوضات هي إن ثيودريك لن يستبدلها أبداً بزوجة أخرى. كما ذكر فريديجار إن ثيودريك أعلن استقبال عام لارمنبرجا حيث "استقبلها بسرور"، وتم تنصيبها كملكه. لقد كان احتفال يهدف إلى توطيد سلطته وهيبته الملكية نتيجة المصاهرة المرموقة مع القوط الغربيين.

---

(1) Fredegar: The Fourth Book, p20..

(2) Oman: Dark Ages, p.222;

انظر أيضاً، الشيخ: الممالك الجرمانية، ص91؛ محمد عبده حتامله: ايبيريا، ص 242.

ولكن هذا الزواج لم يكتمل قط مع رجل لديه بالفعل أربعة خلفاء محتملين. كما أن تصرفات برونهليد وثيوديلا كانت على النقيض من ذلك، حيث روأ بوضوح إن ارمنبرجا تشكل تهديداً لمكانتهم الرفيعة في البلاط الملكي. كما أن الملك ثيودريك عندما شعر أنه يستطيع الاستغناء عن زوجته، وسواء اقتنع بذلك من قبل جدته وشقيقته أم لا، فأنه قام بارسالها إلى وطنها، ولكنه احتفظ بالشئ الذي يجب أن يضيف لها قيمة إلى حد كبير، مهرها. ويبدو أن احتفاظ ثيودريك بمهرها هو ما أغضب الملك ويترك على الأغلب، ولكننا لا نستطيع الجزم.

وقد ناقش إيان وود إن قيمة العروس أيضاً كانت مرتبطه بدمها الملكى الذي كان سبباً في السباق الكبير حول شرعية أبناء ثيودريك من محظياته وبين ما سوف تنجبه ارمنبرجا[1]. كما قال القديس كولومبانوس[2] St.Columbanus (543م -615م)، إن الأولاد الذين ولدوا من زواج شرعي هم فقط الذين يمكن أن يعتبروا خلفاء، وإن هذه الأشياء الاخلاقية نعمة من الله[3]. إن الاشكالية في

---

(1) Wood, The Merovingian Kingdoms, P.132.

(2) القديس كولومبانوس: هو راهب ايرلندى ولد حوالي عام 543م وتوفي عام 615م، ساهم فى تأسيس عدد من الاديرة فى جميع انحاء مملكة الفرنجة ولمبارديا ابرزها دير لوكسويل Luxeuilفى فرنسا الآن، ودير بوبيو Babbio فى إيطاليا الآن ودر كوربي Corbie، وبسبب جهود كولومبانوس ازدهرت الحياة الرهبانية لدى الفرنجة خلال أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادي، ويستند معظم ما نعرفه عن كولومبانوس على أعمال كولومبانوس نفسه، وحياة كولومبانوس Vita Columbani التي كتبها جوناس بوبيو Jonas Of Babbio بين عامى 639و643م، قضى كولومبانوس بعض الوقت فى بلاط برجنديا ولكن تم نفيه من برجنديا علي يد الملكة برونهيلد. للمزيد أنظر،

Wood, The Merovingian Kingdoms, PP.132,140-41;

انظر أيضاً، سمر ربيع عبد الغفار: المرأة في المجتمع الجرماني، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة المنصورة 2016، ص35.

(3)Fredegar: The Fourth Book, pp. 23-4.

ذلك إن هذه الأفكار تم تقريرها بعد فسخ زواج ارمنبرجا، ولكن ربما تعكس الأفكار العامة والمخاوف من شأن هذه الفترة. وربما ثيودريك سعى إلى عروس ذات مكانه لا تشوبها شائبة، أميره قوطية بدلاً من الزواج من احدى محظياته كما حث القديس كولومبانوس. كما أشار إيان وود بأن برونهيلد لم تكن مسرورة من تأويل كولومبانوس، وبدلاً من السماح لحفيدها باكمال زواجه من فتاه ذات مكانة جيدة مثلها، نجدها تقنعه بإعادتها، ثم طردت كولومبانوس من برجنديا.

على الرغم من الهجوم الرباعي المقترح ضد ثيودريك الذي لم يحدث، لكن نجد انتهاء فترة المنافسة الداخلية في مملكة الفرنجة، على الاقل لفترة من الوقت. ففي عام 610م نجح ثيودبرت في انتزاع عدة مناطق من شقيقه ثيودريك[1]، ولكن بحلول عام 612م هزم ثيودريك شقيقه ثيودبرت. وربما يرجع ذلك إلى الاتفاق الذي عقده الملك ثيودريك مع الملك كلوثر الثاني، حيث حصل على حياده في مقابل تبادل بعض الأراضي[2] وبطبيعه الحال ثيودريك لا يحتاج أن يعطى بعض الأراضي التي وعد بها كلوثر الثاني حتى ينتصر على شقيقه، ولكن بعد أن انتصر ثيودريك على شقيقه، سار بجيشه ضد كلوثر ولكنه توفي فجأة عام 613م[3].

* * *

(1) Fredegar: The Fourth Book, pp. 29-30.
(2) Fredegar: The Fourth Book, p.29.
(3) Fredegar: The Fourth Book, p.32.

الفصل الرابع

"الزواج السياسي بين الفرنجة واللمبارديين"

- ثيودبرت الأول ووزجارد .
- ثيودوبلد الأول ووالديرادا .
- ألبوين وكلوسندا .
- مشروع زواج أوثاري وكلودوسندا .
- أدلوالد وابنة ثيودبرت الثاني .
- شارلمان ودسيدراتا .

* ثيودبرت الأول ووزجارد:

يتضح مما سبق، أن مملكة الفرنجة انقسمت بعد وفاة الملك كلوفس عام 511م بين أبنائه إلى أربعة أقسام، فأخذ ثيودريك الأول(534-511م) ميتز، وكلودومير(524-511م) أورليان، وشلدبرت الأول (511-558م) باريس، وكلوثر الأول (511-561م) سواسون[1]، واشتد التنافس بين هؤلاء الملوك الفرنجة. وكانت هذه الفترة فترة العصر العظيم للمصاهرات السياسية الأجنبية للميروفنجيين[2].

وكان الملك ثيودريك الأول شديد القلق لضمان توريث مملكته لابنهِ ثيودبرت الأول Theudibert I (حوالي 534-548م)، حيث أشارت تصرفاته إلى ذلك. وقد رأينا كيف إن شلدبرت الأول وكلوثر الأول قضوا بلا رحمه على أبناء شقيقهم كلودومير[3]، وبالفعل عندما مات ثيودريك عام 534م حاولوا الاستيلاء على مملكته من ابنهِ ثيودبرت، ولكن من سوء حظ ثيودبرت أنه علمَ بنبأ وفاة والده حينما كان في حملته في الجنوب ليسترد أراضيه من القوط الغربيين، تلك التي احتلها كلوفس منهم، وكانوا قد استردوها مره أخرى[4].

وهكذا نجد أن الملك ثيودريك الأول منح ابنهِ عدة سلطات تؤهله تولي العرش من بعده، وقد بدأت هذه السلطات المستقلة التي منحها لأبنهِ منذ أكثر من عشر سنوات، وذلك عندما أرسله ابنهِ لصد الغزاة الدانيين Danishالذين

(1) Gregory of Tours : Franks , P.54.

(2) Eugen Ewig: "Studien zur merowingischen Dynastie",p.40.

(3) انظر الفصل الثاني "زواج سيجسموند واوسترجوثا".

(4) Gregory of Tours : Franks , P.66.

أغارو على مملكته[1]. كما ساعده على توطيد مقدرته الخاصة كمحارب وملك مستقل. ولكن يكون ثيودبرت بعيداً عن مملكه ابيه عند لحظة وفاته، والأكثر من ذلك صعوبة العوده وأخذ ميراثه. وبالفعل عندما مات ثيودريك، علق جريجوري التوري على وفاته قائلاً : "**أن شلدبرت وكلوثر سوف يتحدون معاً ضد ثيودبرت رغبّة في الاستيلاء على مملكته، ولكن هو من خلال تقديم الهدايا فأنه دافع عن اتباعه وأسس مملكته**"[2].

وقد أصبح واضحاً في تلك الفترة أهمية الثروة وولاء الاتباع، ولحسن حظ ثيودبرت أن اباه اعطاه فرصه الحصول على كلاهما. فقبل أن يرسله في حملته ضد القوط الغربيين، فإنه رتب له زواجه من الأميرة "وزجارد" Wisigard ابنة "واكو"[3] Wacho (حوالى 510-540م) ملك اللمبارديين في بانونيا، الذي كان أيضاً يسعى لتثبيت وضعه الملكي[4].

ولكن تغيرت المنافسه الداخلية في مملكة الفرنجة بعد وفاة الملك ثيودريك حوالي عام 534م، حيث كان ثيودبرت في اوائل الثلاثين من عمره، مثل شلدبرت وكلوثر، وأصبحت المنافسه اقل قلقاً مع التحدي الواضح

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.54.

حيث ذكر جريجوري التوري أن الدنماركيين اغارو علي شواطي مملكة الفرنجة الشمالية (مملكة ثيودريك الأول)، وعندما علم ثيودريك الأول بذلك أرسل ابنه ثيودبرت الذي نجح في القضاء عليهم. أنظر،

Gregorii Turonensis: Francorum, p. 99.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.66.

(3) الملك واكو : يعد الملك واكو(540-510) ابن شقيق الملك تاتو Tato، وقد اغتصب العرش من عمه الملك تاتو مما أدى إلي فرار ابن الملك تاتو الذي يدعى هلدكيس Hildechic إلي بلاط ملك الجيبداى طالباً العون والمساعدة، الذي قدم له يد المساعدة، وقام هلدكيس بثورة ضد واكو ولكن فشلت.... أنظر:

Paul the Deacon: Langobards, pp.38-9

(4) Gregory of Tours : Franks , P.66.

للمشاركين في الحكم، وبالتالي أكثر مساواة بينهم. وقد حاول ثيودبرت توطيد نفوذه، فقام بالسيطرة على الجزء الشرقي من مملكة الفرنجة، مستغلاً فرصة قيادته لحملات الشرق والجنوب بما في ذلك بروفانس Provence وإيطاليا، وذلك لتوسيع أراضيه، اضافةً إلى تفاخره بمنصبه الملكي، وخلق منطقه نفوذ في الشرق مما أدى توطيد سلطته ضد منافسيه[1].

على الجانب الآخر، في مملكة اللمبارديين، فإننا ذكرنا سابقاً إن الملك واكو استولى على عرش المملكة بعد الاطاحة بعمهِ تاتو[2]، وقد اثبت واكو جدارته في الحكم، إذ استطاع أن ينشر الأمن والأستقرار في أرجاء المملكة، التي بلغت خلال عهده الطويل البالغ ثلاثين عاما أعلى درجات القوة والبأس، مما جعل زعماء القبائل الجرمانية في المناطق المجاورة يخطبون وده، ويسعون إلى التحالف معه. وعلى هذا الأساس تحالف واكو مع كثير من زعماء الجرمان[3]، وفي عهد الملك واكو أيضاً انتقل اللمبارديين إلى جزء من منطقة "بانونيا" وأصبحوا معاهدين للبيزنطيين[4]. وكانوا مهتمين آنذاك في الغالب

(1) Austrasain Letters, Letter 20 (also 18, 19) Working English translation by Brian Hancock , In Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, A Thesis in the Department of History at Concordia University1990 , PP,81-2; Roger Collins, Early Medieval Europe 300-1000 (Basingstoke: Macmillan Education, 1990), p.156; Ian Wood, The Merovingian Kingdoms, pp.66-7.

(2) Paul the Deacon : Langobards,pp.38-9; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 117;
أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص21.

(3) Procopius of Caesarea:History of the Wars,Persian wars, vol .1, (London. 1913),p.265; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 119120-; Dudden: Gregory The Great, V. I,p.886-5;
أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص29-30.

(4) Hodgkin: Italy, vol .V.P. 119120-; Dudden: Gregory The Great, VOL. I,p.886-5;
أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص29-30.

بشؤون وسط أوروبا لتعزيز موقفهم ضد منافسيهم القدامى الثورنجيين، الهيرولى والجيبداي[1].

وفي عام 530م توسع الفرنجة تحت حكم ثيودريك الأول ثم ثيودبرت الأول في وسط أوروبا اولاً ضد الثورنجيين في عام 531م، ثم ضد مقاطعات الرومان في "نوريكوم" Noricum[2] و"ريتيا" Raetia[3] في عام 535 أو536م، حيث أصبحوا أكثر مشاركه في الصراع بين القوط الشرقيين والبيزنطيين في إيطاليا. وقد خُطبت وزجارد بعد فتح ثيودريك الأول لمملكة الثورنجيين مباشرة عندما أصبح الفرنجة واللمبارديين جيراناً[4].

أما عن زواج ثيودبرت الأول من الأميرة اللمباردية وزجارد حوالي عام 540م، فيتضح لنا من خلال هذه الزيجة، أثر الضغوط الداخليه في مملكة الفرنجة على ثيودريك الأول التي أدت لهذا الزواج، فقد خطب ثيودريك الأول لابنهِ ثيودبرت الأميرة وزجارد حوالي عام 533م، قبل حملته ضد القوط الغربيين

---

(1) Crisp: Marriage and alliance, p. 121.

(2) ."نوريكوم" مدينة تقع فى شمال إيطاليا، وكانت مقاطعة للإمبراطورية الرومانية فى القرن الأول الميلادى، وتضم حاليا اجزاء من وسط النمسا وأجزاء من ولاية بافاريا الالمانية. انظر، Encyclopaedia Britannica online

(3) "ريتيا" تقع شمال إيطاليا على الجانب الغربى من نوريكوم وكانت مقاطعة رومانية، وهى حاليا شرق ووسط سويسرا وجنوب بافاريا وسوابيا العليا. انظر، Encyclopaedia Britannica online

(4) استطاع الثورنجيين تأسيس مملكة واسعة في عام500م، امتدت حتى نهر الدانوب. وأرتبط هرمنفريد ملك الثورنجيين بعلاقات طيبه مع ثيودريك الأول ملك الفرنجة الذي ساعده في القضاء علي شقيقه والاستيلاء علي مملكته، في مقابل حصول ثيودريك علي نصف مملكة شقيقه، ولكن بعد انتصار هرمنفريد علي شقيقه بفضل مساعدة الملك ثيودريك الأول له، نجد أن هرمنفريد يخلف وعده مما أدي إلي اعلان الحرب عليه من قبل ثيودريك الذي استطاع اخضاع مملكتهم للمملكة الميروفنجية في سنة 531م، واصبحت ثورنجيا يحكمها دوقات الفرنجة ..... للتفاصيل أنظر :
Gregory of Tours : Franks , PP.54,56-7.

في الجنوب، في حين تزوج ثيودبرت في حملته هـذه مـن إمـرأة غالورومانيـة، تدعى "دويتـرا" Deuteria، والـتي كانـت متزوجـة بالفعـل مـن قبـل. ووصـف جريجـوري لهـا يمنحهـا مكانـه هامـه في بلـده جيريـوس[1] Cabrieres، الـتي حاصرها ثيودبرت في ذلك الوقت، كذلك يمنحهـا الـصفات الطيبـة، الحكمـه والجمال[2]. وقـد انجـذب ثيـودبرت إلى هـذه المـرأة البليغـة الذكيـة والجميلـة (التي اجتمعت فيها كل الخصائص المهمة للعروس المحتملة). وعنـدما أصـبح ملكاً احضرها إلى بلاطه وتزوجها[3]. ولكن بعـد سـبع سـنوات طلـق ثيـودبرت دويترا، وكان لديه منها ابناً، يدعى ثيودوبلـد[4]. وطبقـاً لمـا ذكـره جريجـوري التوري فإنه تزوج وزجارد بناءاً على رغبه اتباعه الذين وجدوا موقفـه مخـزى في الواقع. حيث أن ثيودبرت كان يعيش مع المرأة الغالورومانية، وربما كانـت مـن سيدات طبقة النبلاء، ولكنها ليست ذات دم ملكي لتشارك ملك الفرنجة العرش. وعلى الرغم من إنه قد خطب أميرة لمباردية، لكن ليس اللمبارد هم الذين عاتبوا ثيودبرت على موقفه، بل اتباعه الفرنجة هم من فعلوا.

في وسط هذه المنافسة الداخلية بـين ملـوك الفرنجـة، تظهـر أهميـة هيبـة الملك حيـث طلـب اتبـاع ثيـودبرت مـن الفرنجـة مـن ملكهـم تطليـق زوجتـه الغالورومانية، وأن يتزوج من الأميرة الجرمانية. ولم يكن ثيـودبرت قـادراً علـى تجاهل اقتراحهم، فازداد قلقه في الحفاظ على نفوذه في مملكتـه ضـد اعمامـه. ويرجع رفض اتباع ثيودبرت لدويترا بسبب أصولها الغالورومانيـة، كمـا إنهـا لم تكن ذات اصول جرمانية مثل وزجارد. كما ذكر جريجوري عندما ماتت وزجارد فان ثيودبرت لم يرجع إلى دويترا، ولكـن تـزوج مـن أمـراة أخـرى، الـتي مـن المحتمل ليست ذات اصول ملكية أيضاً. وعندما وصف جريجوري وزجارد – لم

(1) جيريوس: هي بلدة في قسم هيرو في جنوب فرنسا حاليا. انظر،
Encyclopaedia Britannica online
(2) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 122.
(3) Gregory of Tours : Franks , P.66.
(4) Gregory of Tours : Franks , P.67.

يشير ابداً إلى إنها لمباردية فقط بل إنها ابنةَ ملك فعلي[1]. حيث وضعها الملكي كان اكثر أهمية لجريجوري وربما لثيودبرت أيضاً وأتباعه الفرنجة كذلك.

ولأستكمال معرفتنا عن هذا الزواج لابد من الرجوع إلى كتاب بولس الشماس مؤرخ اللمبارديين الذي كتب مؤلفه في القرن الثامن الميلادي في بلاط الإمبرطور شارلمان، وقد ارتبك بولس الشماس في نقاشه عن الفرنجة الميروفنجيين. فمن مؤلفه نعرف إن وزجارد ابنة الملك واكو Wacho [2]. ولكن بولس الشماس أشار إلى هذا الزواج وسط مناقشته لمصاهرات الملك واكو الكثيرة فقط، حيث قال:

"وكان لواكو ثلاث زوجات، الأولى تدعى رانكيندا Ranicunda ابنة ملك الثورنجيين، والثانية اوستريجيثا Austrigusa ابنة ملك الجيبداى، وقد انجبت له بنتان احدهما تدعى وزجارد التي تزوجت ثيودبرت ملك الفرنجة، والأخرى تدعي والديرادا Walderada التي تزوجت جازبلد Cusupald ملك آخر من الفرنجة. . . . . ، أما زوجته الثالثة تدعي سالينجا Salinga ابنة ملك الهيرولي، وقد انجب منها ابنه والتارى الذي خلفه على العرش. . . . . ."[3].

من الواضح عادات واكو في الزواج من نساء ذات مكانه مرتفعه من بين جيرانه، الذي اسس سلالة ملكية جديدة في المملكة اللمباردية، وهذا من شأنه ان يساعده على توطيد نفوذه بين منافسيه. ويقترح استفان بونا István Bóna : " إن حماية سياسة واكو Wacho زادت قوتها بواسطة المصاهرات الجيدة التي أوجدها لبناته"[4].

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.66.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.40.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p.40.

(4) István Bóna: The Dawn of the Dark Ages: The Gepids and the Lombards in the Carpathian Basin, Translated by László Boros (Budapest, 1976), p.25.

وهكذا نجد أن الملك واكو تزوج ثلاث مرات، كما رتب لبناته زيجات هامة أيضاً، حيث كانوا جزءاً من استراتيجيته الكبيره لإضفاء الشرعيه لحكمه وتأمين سلطته من خلال علاقاته الزوجيه المفيدة[1]. ويناقش استفان بونا ذلك قائلاً: "إن واكو كان قادراً على استخدام علاقاته العائلية لإخضاع خصومه القدامى وتوسيع مملكته". على الرغم من إنه ربما وافق على هذه المصاهرات ذاتها لتكون مفاتيح تحالفاته الهامة مع هذه النتائج السياسيه والعسكرية، فمن المرجح إن واكو استخدام تحالفات الزواج الهامه بنفس طريقة الفرنجة لتوطيد مكانته في مملكته، باعتبار المصاهرات السياسية مؤثرة، قويه وهامه للملك.

وقد وصف ولفرام Wolfram هذا الزواج أو على الاقل المشاركة كأنه ايجاد معاهدة بين اللمبارديين والفرنجة[2]. لأن اللمبارديين كانوا يعيشون حينذاك في بانونيا، وإن المغزى أن نرى هذه المشاركة في سياق حروب ثيودريك الأول ضد الثورنجيين.

أما عن حياة وزجارد في بلاط ثيودبرت الأول فإنها مجهولة تقريباً، ولكن جريجوري التوري لديه القليل ليقوله حول وزجارد بخلاف زواجها ووفاتها، ولكن عند نقطه واحده في سرده فإنه يخبر قراءه عن تدخل وزجارد في خلاف بين اثنين من مستشارى ثيودبرت وهما سكندنيوس Secundinus واسترولس Asteriolus الذين نافسوا بعض من اجل محاباه ثيودبرت، وعندما أصبح استرولس تحت سلطه سكندنيوس فإنه أهانه، ولكن يذكر جريجوري إن الملكه وزجارد ساعدت استرولس على استعادة مكانته، وعندما ماتت فقد قتل سكندنيوس استرولس[3]. وتشير هذه الحادثه إلى أن وزجارد قد اندمجت في

---

(1)István Bóna: The Dawn of the Dark Ages,p.25.

(2) Wolfram, The Roman Empire, pp.281-2.

(3) Gregory of Tours : Franks , P.69.

البلاط الفرنجي بما فيه الكفايه لكى تتدخل في هذا النزاع، وكانت محاباتها كافيه لتساعد استرولس في البلاط وحمايته من الضرر الجسدى، فكانت عضواً هاماً في بلاط ثيودبرت.

وهكذا نجد أن الخطوبة بين اللمبارديين والفرنجة ارتبطت بمعاهده سلام رسمية بين المملكتين، كما يمكن القول أن الملك ثيودبرت شعر بأنه لا يحتاج إلى هذا الزواج لمدة سبع سنوات بسبب وجود السلام بينهما، وهكذا يمكن القول أن الخطوبة ثم الزواج علامة على العلاقات السلمية بين المملكتين. كما أن الملك ثيودبرت اكمل الزواج لأنه اصبح تحت ضغط اتباعه فقط، وليس بسبب أنه يحتاج للتحالف أو السلام مع اللمبارديين. ثيودبرت تحت ضغط اتباعه تصرف مثل الملوك، وانهى اتفاقه بالزواج من وزجارد، ابنة ملك جرماني وليست غالورومانيه.

وربما نحن نستطيع التعاطف مع موقف ثيودبرت، فقد خطب له والده أميرة، ربما لم يرها قط حتى تزوجها. فقد وقع في حب دويترا التي تملك كل المزايا للزواج الجيد، باستثناء احتياجها للدم الملكى، كما إنه ليس لديه رغبه بتحقيق الالتزام الذي اجبره عليه والده ومستشاريه. كما تجدر الإشارة إلى أن الزواج قد حدث حوالي عام 540م نفس العام الذي توفي فيه الملك واكو. كما توفيت وزجارد نفسها بعد ذلك بوقت قصير، وبذلك اصبح الزواج بدون فائدة.

* ثيودوبلد الأول ووالديرادا:

بعد وفاة ثيودبرت الأول حوالي عام 548م، فقد خلفه على العرش ابنه ثيودوبلد الأول Theudebald I (حوالى 548-555م) الذي لم يبلغ سن الرشد بعد، فكان في الخامسة عشر من عمره، وبعد فترة وجيزه من توليه العرش عندما وصل للعمر المناسب فقد تزوج الأميرة اللمباردية والديرادا Wulderada ابنة الملك واكو. وقد اقتصرت إشارة جريجوري التوري في كتابه عن زواج ثيودوبلد من والديرادا في جمله واحدة حيث قال: **"عندما أصبح ثيودوبلد رجلاً فقد تزوج والديرادا. . . . ، وعندما توفي استولى كلوثر على مملكته وأرملته"**[(1)].

وقد وافق الملك كلوثر الأول(511-561م) تحت ضغط الاساقفة على عدم الزواج من أرملة ثيودوبلد، واضطر ليعطيها لجاريبلد الأول[(2)] (555-591م) Garibald I دوق بافاريا[(3)] Bavaria. ويجب أن نفهم من تصرفات كلوثر إلى إنها

---

(1) Gregory of Tours : Franks , PP.78-9.

(2) جاريبلد الأول: وقد وصل جاريبلد الأول لحكم دوقية بافاريا في الفترة من 555 حتى 591م. وهو يقف على رأس أسرة اجيلوفنجس Agilolfings احد العئلات ذات المكانة الكبيرة في أوستراسيا التي حكمت دوقية بافاريا، وخلفه على الدوقية بعد الاطاحة به تاسيلو الأول (591-609م). انظر:

Cawley Charles: BAVARIA, in Medieval Lands database, Foundation for Medieval Genealogy, retrieved August 2012,p.3.

(3) دوقية بافاريا: تأسست دوقية بافاريا في جنوب المانيا في وادي الدانوب، ما بين نهر إن Inn ونهر ليخ lech. وكان لها تنظيمها الكنسي المستقل وقوانينها الخاصة وكان ثيودو الأول Theodo I أول دوقاً لها، وتوفي عام 514م ثم خلفه ابنه ثيودو الثاني Theodo II. وقد وصل جاريبلد الأول لحكم دوقية بافاريا في الفترة من 555 حتى 591م. وهو يقف على رأس أسرة اجيلوفنجس Agilolfings احد العائلات ذات المكانة الكبيرة في أوستراسيا التي حكمت دوقية بافاريا، وخلفه على الدوقية بعد الاطاحة به تاسيلو الأول (591-609م). =

مثل شقيقتها، عروسه ذات مكانه وهيبة كان يرى إنها تستحق أن يرتبط بها، كما إنه استولى على مملكة ثيودوبلد[1].

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن والدها واكو Wacho قد توفي منذ ثماني سنوات عند زواجها من ثيودوبلد، وخلفه على العرش ابنه الصغير والتارى Walthari (540-546م) تحت وصاية المحارب أودوين، وكان والتارى آخر حاكم من سلالة والدها، ولكنه لم يعيش طويلاً، إذ توفي بعد حكم دام سبع سنوات، واختار اللمبارديين بعده أودوين Audoin (546-565م) ملكاً عليهم[2]، ويعتبر عهده من أبرز عهود مملكة اللمبارديين، حيث أن العلاقات

= وقد خضعت دوقية بافاريا لحكم الفرنجة منذ عهد بيبن القصير. واعترف دوقها تاسيلو (748-788م) ببيبن القصير سيداً وقام بواجباته العسكرية تجاه بيبن القصير في الحملات التي وجهها الاخير ضد أكوتين 756م، ولكن رغم ذلك كانت سلطة الفرنجة علي بافاريا اسمية. انظر: اينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 83؛

Cawley Charles: BAVARIA, in Medieval Lands database, Foundation for Medieval Genealogy, retrieved August 2012, p.3.

(1) Gregory of Tours : Franks , P.79.

بعد وفاة الملك كلوفس عام 511م انقسمت بين أبنائه إلي أربعة أقسام، فأخذ ثيودريك الأول(511-534م) ريميس، وكلودومير(511-524م) أورليان، وشلدبرت الأول (511-558م) باريس، وكلوثر الأول (511-561م) سواسون، واشتد التنافس بين هؤلاء الملوك الفرنجة، ولكن بعد وفاة كلودومير استولى كلوثر وشلدبرت علي مملكته من أولاده الصغار، ونجد أن كلوثر أيضاً بعد وفاة الملك ثيودوبلد أيضاً عام 555م يستولي علي مملكته ليصبح كلوثر الأول وشلدبرت الأول منفردين علي مملكة الفرنجة كاملةً، ولكن بعد وفاة شلدبرت عام 558م فإن كلوثر يستولي علي مملكتة ليصبح كلوثر الأول ملكاً وحيداً علي مملكة الفرنجة بأكملها .انظر،

Gregory of Tours : Franks , PP.54,63.

(2) Paul the Deacon : Langobards,p.40-41; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 119; Dudden: Gregory The Great, Vol. I,p. 86;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص30.

والروابط بين اللمبارديين وبين الإمبراطورية البيزنطية ازدادت متانه أكثر من ذي قبل، وفي عهده سمح لهم جستنيان بالاقامة في إقليم بانونيا[1]، ولكن لم يكن اودوين حتى قريبها. ويبدو أن والتارى هو الذي ساعد في ترتيب هذا الزواج، ولكن وفاته جعلت الزواج بدون قيمة، كزواج تحالف يربط ملكين عن طريق المصاهرة، ويبدو إنه مفيد جداً لملك شاب مثل ثيودوبلد في محاولته تأمين نفوذه ضد اعمامه الكبار ذوى الخبرة .

وقد ذكرنا أن بولس الشماس أشار إلى هذا الزواج أيضًا وسط مناقشته لمصاهرات الملك واكو الكثيرة، ولكن تقرير بولس الشماس عن هذه القضية لا يتوافق كثيراً مع تقرير جريجوري التوري، حيث ذكر بولس: **"أن والديرادا تزوجت جازبلد Gusupald (ثيودوبلد) ملك آخر من الفرنجة، الذي كرهها وأعطاها إلى جاريبلد Garibald أحد رجاله"**[2]. هذه الرواية تخلط بين ثيودوبلد الأول وكلوثر الأول، حيث ذكر جريجوري التوري أن **ثيودوبلد تزوج والديرادا**، وتُعد رواية جريجوري هى الأقرب إلى الصواب، لأن جريجوري كان معاصراً للأحداث، وكان تركيزه على الفرنجة. ولقد كان هدف بولس من مناقشاته عن المصاهرات الفرنجية لبنات الملك واكو هو الإشارة لسلسة التحالفات السياسية التي قام بها الملك واكو، إلى جانب زيجاته الشخصيه الثلاثة أيضاً. كما لم تهدف هذه الزيجات لأي الملكين لإيجاد تحالف سياسي بين مملكتين، إلا إنها كانت لتعزيز التحالفات القائمة وتأكيد سطلة حاكم معين من خلال مصاهراته لملك آخر، لقد كانت هذه المصاهرات بمثابة درع حماية لكلا الملكين من منافسيه في نفس المملكة

ويقول ولفرام Wolfram إنه اثناء عهده ثيودوبلد أصبح الفرنجة واللمبارديين " أعداء الداء"[3]. ففي عام 552م خدم اللمبارديين مع الجنرال

---

(1) Paul the Deacon : Langobards,p.41; Hodgkin: Italy, vol .V.P. 124;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص30-31.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.40.

(3) Wolfram, The Roman Empire, p.283.

البيزنطي نارسيس[1] وهزموا القوط الشرقيين في معركة تادينو[2] Tadino (أو تاجيناى)[3]. وعلى الرغم من مقاومة الفرنجة في البندقية، فإن أودوين استولى بأذن البيزنطيين على الأراضي الفرنجية في نوريكوم، ريتيا والبندقية شمال إيطاليا[4]، وفي نفس الوقت أيضاً كان يعمل ضد الجيبداى[5]. في نفس الفترة التي تزوج فيها ثيودوبلد من والديرادا.

---

(1) نارسيس : ولد نارسيس في أرمينيا، وكان رئيساً للطواشية في الحرس الإمبراطوري، ثم كبيراً لأمناء القصر أو كبير الحجاب، وقد تميز بضآلة جسمه، وبالرغم من ذلك، فإن مقدرته كقائد عسكري كانت افضل من بلزاريوس، واتسمت شخصيته بالحزم، وقد عهد إليه الإمبراطور جستنيان بقيادة جيوشه ومواجهه القوط الشرقيين في إيطاليا واظهر شجاعة عظيمة واستطاع هزيمتهم وجعله ستنيان نائباً إمبراطوريا عنه في إيطاليا.. انظر، موس: ميلاد العصور الوسطى، 182-183؛ محروس عبد القدوس سعيد : جوستنيان وسياسة الاسترداد، رسالة ماحستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة الزقازيق 1986، ص 31

(2) تقع تادينو بالقرب من جوبيو الحالية في مقاطعة بيروجيا Perugia بإيطاليا . أنظر، Encyclopaedia Britannica online

(3)Wolfram, The Roman Empire, pp.283-4;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص32.

(4)Wolfram, The Roman Empire, pp.283-4.

لم ييأس القوط الشرقيين بعد هزيمتهم في معركة تاجيناى، إذ سرعان ما انتخبوا تياس ملكاً علي إيطاليا عام 552م الذي تحالف مع الفرنجة من أجل مساعدته علي استرداد إيطاليا، حيث أرسل وفدا إلي الملك ثيودوبلد الفرنجي من أجل مساعدته ضد الجيش البيزنطي، وبالرغم من رفض ثيودوبلد إلا أن زعيمي من الالماني وهما من اتباع ثيودوبلد قد وافقا علي التحالف مع القوط ومقاومة البيزنطيين.. للمزيد أنظر،

Agathias: The Histories , eng . trans , Frendo ,(J.),(Newyork . 1975,pp.13-14.

(5) Wolfram, The Roman Empire, pp.283-4;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص32.

في تلك الاثناء، كانت العلاقة قد تدهورت بين اودوين ملك اللمبارد وبين ثوريسند Thorisind ملك الجيبداي، ووصلت العدواة بينها إلي طريق يتعذر منه العودة، ووقعت الحرب بينهما وكلاهما استنجد بالإمبراطور جستنيان الذي مد يد العون لاودوين الذي نجح في القضاء علي الجيبداي عام 554م ... للمزيد أنظر، بروكوبيوس: الحروب القوطية، جـ2، ص211؛ الحويرى: اللومبارديون، ص32-34.

وقد حدد يوجين Engen Ewig زواج ثيودوبلد حوالي عام 551م، ووفاته في نهاية عام 555م[1]. ولكن نظراً لطبيعة المصادر الغير الدقيقة كما اعترف يوجين نفسه، فإن الزواج يمكن أن يكون قد وقع فيما بين عامى 548 و 552م. وهذا يضع احتمالات بعيدة بأن هدف الزواج خدمة وظائف سياسية أو عسكرية خارجية. مثلما فعل ابيه من قبل، وربما خطب ثيودبرت لابنهِ الصغير أميرة لمباردية من اجل مساعدته في تأمين مملكته بعد وفاته. ويقال أن ثيودبرت مرض قبل وفاته وذلك اعطاه بعض الوقت لاتخاذ مثل هذه الترتيبات لابنهِ قبل أن يموت.

(1) Ewig, Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen, p. 52.

* ألبوين وكلوسندا:

بعد وفاة اودوين Audoin (546-565م) ملك اللمبارديين تولى ابنه ألبوين Alboin(565-572م) عرش المملكة، وفي عهده قرر اللمبارديين الرحيل عن بانونيا، وفي ابريل عام 568م، انطلقت الجموع اللمباردية إلى إيطاليا بقيادة ألبوين رجالاً ونساءً واطفالاً، ومعهم عبيدهم وماشيتهم وعرباتهم[1]. واستطاعوا دخول إيطاليا كما اتضح مما سبق، وأسس ألبوين مملكة اللمبارديين بإيطاليا، واتخذ لنفسه لقب(سيد إيطاليا) Lord of Italy[2].

وعلى الجانب الآخر، نجد أن التنافس الداخلي بين الملوك الميروفنجيين اشتد على اخره، خاصةً بعد وفاة الملك كلودومير عام524م، حيث استولى كلوثر وشلدبرت على مملكته من أولاده الصغار[3]، كما استولى الملك كلوثر أيضاً على مملكة ثيودوبلد وعلى ارملته اللمباردية بعد وفاته عام 555م [4]، وكان كلوثر يهدف من وراء ذلك أن تساعده في المطالبة بمملكة ثيودوبلد ضد أي ادعاءات من شقيقه شلدبرت الأول. وبذلك أصبح كلوثر الأول وشلدبرت الأول منفردين على مملكة الفرنجة كاملةً.

في وسط هذا الصراع على مملكه ثيودوبلد حدث زواج كلوسندا Clothsinda ابنة كلوثر من ألبوين أمير اللمبارديين. وهذا الزواج يمكن فقط أن

---

(1) Gregory of Tours : Franks , P.95;Paul the Deacon : Langobards,p.62;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص47.

(2) Hodgkin: Italy, vol .V.P. 162-163; Dudden: Gregory The Great, VOL. I,p. 94-95;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص50.

(3) Gregory of Tours : Franks , PP.63-4.

(4) Gregory of Tours : Franks , PP.78-9.

يعود إلى ما بين عامي 556 و 560م[1]. وهذا الزواج ليس زواجاً طويل الاجل، بما أن كلوسندا ربما توفيت بعد ذلك بوقت قصير، منذ أن ذكر جريجوري التوري وبولس الشماس وفاتها وحقيقة زواج ألبوين مره أخرى[2].

وقد أشار بولس الشماس بأن سبب الزواج في الحقيقة، أن ألبوين اراد أن يكتسب اسماً لامعاً ومتميز وتوطيد مكانته كملك مستقبلي[3]. وهذا يشير إلى أن كلوثر كان متلهف لمصاهرة أمير لومباري ذو هيبة، ويجب أن يكون رداً على تحدى شلدبرت الأول على مملكه ثيودوبلد. حتى إذا جاء الزواج بعد عام 558م أي بعد وفاة شلدبرت عام 558م، فإنه مع ذلك لا تزال هناك حاجه لكلوثر لكي يوطد نفوذه على مختلف الشعوب الخاضعة له شرق مملكة الفرنجة، ولشن حرب على الشعوب الثائرة، حيث أن السنوات الأخيرة من حكمه اتسمت بمشاكل مع ثورات الشعوب الشرقية، وأيضاً الارتباط بالبيوت الملكية المرموقة.

تزداد صعوبة فهم هذا الزواج بسبب عدم وجود مصادر كافيه لتلك الفترة، خاصّة أن بروكوبيوس أنهى مؤلفه في منتصف حوالي عام 553م. ويبدو أن جريجوري التوري يعرف القليل عن الشؤون الإيطالية. إن ذلك الزواج لابد أنه مرتبط باستيلاء كلوثر على مملكه ثيودوبلد. ويبدو أن كلوثر لا يبحث عن المساعدات العسكرية ضد شقيقه شلدبرت أو ضد السكسون[4]، أو على الاقل

(1) Ewig, Eugen: "Die Namengebung.....",p.55.

(2) Gregory of Tours : Franks , P.95; Paul the Deacon: Langobards,p.49.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.49.

(4) قام السكسون بعدة ثورات ضد الفرنجة، وأستطاع الملك كلوثر الأول اخضاعهم واجبرهم على دفع اتاوة سنوية مقدارها خمسمائة بقرة، ظلوا يدفعونها حتى سنة 631م، وبعد سيطرة كلوثر علي مملكة ثيودوبلد قام السكسون بثورة ضده ورفضوا دفع الجزية، ولكن استطاع كلوثر إخضاعهم مرة اخري... أنظر،
Gregory of Tours: Franks , PP.79,83.

لا شيء مما سبق، ولكن يسعى لتأكيد تفوقه على شقيقه شلدبرت، من خلال اظهار نفسه ملكاً مرموقاً، الذي ارتدى عباءة الملوك الشرقيين السابقين.

وتظهر أهمية هذا الزواج بعد وفاة الملك كلوثر الأول عام 561م، حيث قُسمت مملكة الفرنجة بعد وفاته بين ابنائه الاربعة كما ذكرنا سابقاً، وأصبحت العلاقات بين اللمبادريين والفرنجة عدائية، حيث قام الملك ألبوين بحملة لغزو بلاد الغال وذلك في مطلع 570م، وقام اللمبارديين خلال هذه الحملة بتدمير عدد من البلدان التابعة لمقاطعة بروفانس في جنوب بلاد الغال، وعلى الفور كلف الملك جونترام القائد الفرنجي أماتيوس Amatus بالتصدي لهم، واندلعت معركة ضارية بين الطرفين انتهت بهزيمة الفرنجة ومقتل أماتيوس، وبهذا الانتصار عاد اللمبارديين ثانية إلى مملكتهم محملين بغنائم طائلة، ولكن دون فرض سيطرتهم على أية أراضي فرنجية[1].

وقد قام اللمبارديين بحملة أخري في العام التالي 570م، ولكن انتهت بهزيمة فادحة لهم[2]، وهكذا نجد أن العلاقات بين اللمبارديين والفرنجة أصبحت عدائية إلى حد كبير خاصة بعد وفاة كلوثر الأول الذي كانت تربطه علاقات سلام مع اللمبارديين عن طريق الزواج السياسي، وهكذا نجد أن الزواج السياسي كان له دوراً كبيراً في إحلال السلام بين المملكتين حتى وأن توفيت كلوسندا بوقت قصير بعد الزواج.

---

(1) Gregory of Tours: Franks, PP.95-6 ; Paul the Deacon: Langobards, pp.96-7.
أنظر أيضاً، سونيا عبد الوهاب غازي: العلاقات السياسية اللومباردية – الفرنجية (570 – 604 م)، مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة بورسعيد، عدد 6 لسنة 2015، ص 527.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.95-97 ; Paul the Deacon: Langobards, pp.97-8.
أنظر أيضاً، سونيا غازي: العلاقات السياسية اللومباردية – الفرنجية، ص 528-527.

* مشروع زواج أوثاري وكلودوسندا:

بعد وفاة الملك ألبوين حوالي عام 572م، اجتمع المحاربين اللمبارديين لاختيار خليفة له، ووقع اختيارهم على كليفو Clepho (572-574م) دوق برجامو[1] Bergamo، وهو من أصل نبيل ومن أقوى دوقات المملكة[2]. ومن الملاحظ إنه أساء التصرف في شؤون الحكم، إذ عمد إلى سفك دماء العديد من نبلاء الرومان، وقام بنفي بعضهم إلى خارج إيطاليا[3]. فلم ينعم بالحكم كثيراً إذا لقى حتفه على أيدي أحد خدمه في حوالي منتصف 574م، حيث كان قد أساء إليه وألحق به ظلماً[4].

بعد مقتل الملك كليفو 574م ظهرت فترة شغور في المملكة اللمباردية استمرت عشر سنوات (584-574م). واستقل كل دوق في هذه الفترة بالدوقية الخاصة به وانفصل عن السلطة المركزية في العاصمة بافيا، وهو وضع شاذ لا نجده في الممالك الجرمانية الأخرى، وظل العرش اللمباردى شاغراً طيلة عشر سنوات. وفي وسط هذه الفوضى التي عاشها اللمباردين، انغمس دوقاتهم في

---

(1) برجامو: هى مقاطعة في إقليم لمبارديا بشمال إيطاليا، وتعد برجامو عاصمة مقاطعة برجامو، تبعد حوالي 45 كم شمال شرق ميلانو، ويحدها من الشمال مقاطعة سوندريو، ومن الغرب مقاطعة ليكو ومقاطعة ميلانو، وجنوبا مقاطعة كريمونا، وشرقا مقاطعة بريشا. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.96.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.86.

(3) Paul the Deacon: Langobards, p.86.

(4) Hodgkin, Italy,V, pp.181-2.

القيام بسلسلة من الحملات الفاشلة ضد جيرانهم الفرنجة[1]. وانتهت فترة الشغور هذه في عام 584م، حيث عقد الدوقات اجتماعاً اجمعوا فيه على عودة الملكية، ووقع اختيارهم جميعاً على أوثاري (590-584م) ملكاً عليهم[2].

في الحقيقة أن شخصية الملك الشاب أوثاري، بما تميزت به من قوة وحيوية ومقدرة، عادت عليه بشهرة واسعة ألهبت خيال قومه ومشاعرهم، وجعلت الاساطير تحوم حوله. وقد بدأ حكمه بإخماد الفتن والاضطرابات التي سادت قومه، وأوقف الحملات الفاشلة على جارته مملكة الفرنجة[3].

وقد انهت عودة الملكية اللمباردية على يد أوثاري سنوات الفوضى والتشتت التي مرت بها مملكة اللمبارديين واستمرت لمده عشر سنوات، وانعقدت الآمال عليه في تحقيق إيطاليا اللمباردية الموحدة، ولكن الفرص الحاسمة كانت قد ولت وضاعت. وبذل أوثاري جهدا متواصلا لتوحيد الأقاليم اللمباردية تحت نفوذه، وذلك باخضاع الادواق الخارجين عليه، خاصة دوقي بنفنتيو وسبوليتو، ويقال إنه بعد أن فرغ من تلك المهام، واصل زحفه منتصرا خلال المناطق التي تؤلفها هاتان الدوقيتان، ثم اندفع إلى ولاية بروتيوم، ومنها إلى مدينة ريجيو[4] Reggio الواقعة في أقصى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, pp.100-101.

حيث حدث فى عام 574م أن قام الدوقات اللمبارديين بتجميع أنفسهم فى جيش عظيم وغزوا الجنوب الشرقي من مملكة الفرنجة، وقاموا بعدة اعمال عدائية فى افينون وآرل بعد ان اخضعوها وحاصروا مدينة اكس Aix، وقاموا بعدة اعمال سلب ونهب فى مملكة الفرنجة، ولكن استطاع جونترام ملك الفرنجة فى النهاية هزيمتهم هزيمة ساحقة جعلتهم يعودون بفلولهم إلي إيطاليا. للمزيد انظر:

Paul the Deacon: Langobards, pp.100-101.

(2)Paul the Deacon: Langobards, p.113.

(3) الحويرى: اللومبارديون فى التاريخ والحضارة، ص 66

(4) ريجيو : هي مدينة إيطالية تقع في أقصى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الايطالية، وهي اكبر مدينة في مقاطعة كالابريا. انظر، Moore : Encyclopedia of Places, p.649.

الإيطالية، حيث امتطى صهوة جواده، وانطلق إلى غمار البحر، ولمس بحربته عمودا برز من بين الأمواج، وقال "**ليكن هذا حد مملكة اللمبارديين**"، ويروي بولس أن هذا العمود اطلق عليه عندئذ "عمود أوثاري"[(1)].

وإذا كان من الثابت أن بروتيوم لم يقدر لها في يوم من الأيام أن تسقط في أيدي اللمبارديين، فالواقع أن هذه الأسطورة ليست إلا رمزاً للأمل الذي كان يداعب اللمبارديين في إخضاع شبه الجزيرة الإيطالية كلها لنفوذهم[(2)]. ويرى البعض أن هذه الأسطورة لا أساس لها من الصحة، إذا كان من المستحيل على أوثاري أن يتغيب عن مقره في شمال إيطاليا ويتوغل بعيداً، في الوقت الذي كان الإمبراطور البيزنطي يحث الفرنجة على استئناف الحرب ضد اللمبارديين[(3)].

على الجانب الآخر، في مملكة الفرنجة يتضح مما سبق أن الملك كلوثر الأول(511-561م) انفرد بحكم مملكة الفرنجة عام 558م، ولكن قُسمت مملكته بعد وفاته أيضاً بين ابنائه الأربعة شاريبرت الأول(561-567)، جونترام(561-592)، سيجبرت الأول (561-575) وشلبريك الأول (561-584م)، ويهمنا هنا أنه بعد وفاة سيجبرت الأول عام 575م ورث ابنهِ شلدبرت الثاني (575-596م) مملكته، الذي أخذ يعمل على توطيد نفوذه في مملكته وتأكيد سلطته في علاقته مع أعمامه.

وقد اتبع شلدبرت الثاني نموذج ثيودبرت الأول وثيودوبلد الأول من خلال مصاهرة الملوك اللمبارديين، الشيء الذي بدأه ملوك الفرنجة

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, pp . 145-6 ; Hodgkin : Italy,V . pp . 236 -7 ;
Homes Dudden: Gregory the Great,Vol I ,London, 1905, pp . 166-7;
أنظر أيضاً، موس : ميلاد العصور الوسطى، هامش ص 335 .

(2) Oman : Dark ages, p . 193 ;
أنظر أيضاً، موس : ميلاد العصور الوسطى، ص 335 .

(3) Villari :The barbarian Invasions of Italy,Vol II , London, 1902, p. 291 .

الشرقيين، وبصرف النظر عن زملائهِ الملوك الآخرين وهو تأكيد هيمنته على الشعوب الجرمانية الشرقية ومشاركته في الحملات العسكرية الإيطالية. وذلك منذ ثيودريك الأول الذي قاد حملة ضد الثورنجيين، ورتب لزواج ابنهِ ثيودبرت الأول من اللمبارديين الذين كانوا لا يزالون في بانونيا. وثيودبرت الأول أيضاً رتب لزواج ابنهِ ثيودوبلد ليحذو حذوه، وأكد هيمنته على الشعوب الشرقية في رسالة إلى جستنيان إمبراطور بيزنطة[1]. كما أكد أيضاً سيطرته على بعض أجزاء من شمال إيطاليا خلال الحروب القوطية. وأرسل ابنهِ ثيودوبلد قائده بوكلين Buccelin في حملة كبيرة لغزو إيطاليا. وعندما سيطر كلوثر الأول على مملكة ثيودوبلد في أواخر عام 555م. فإن سنواته الأخيرة اتسمت بمشاكل مع ثورات الشعوب الشرقية، وتزوجت ابنته كلوسندا ألبوين ملك اللمبارديين. كما أن سيجبرت الأول لم يرسل حملات إلى إيطاليا ولكن صد غزوتين للآفار[2] Avars، وقد اعتاد أيضاً التخطيط ضد الشعوب الجرمانية الشرقية وذلك من أجل الجيوش التي استخدمها ضد منافسة شلبريك. ويتضح لنا من خلال هذه الامثله أن هناك بالفعل منذ فترة طويلة تقليد للمشاركة في الأراضي الشرقية والشؤون الأوروبية والشؤون الإيطالية، وقد استمر شلدبرت الثاني في هذا التقليد للمشاركة الشرقية واستخدمه لإظهار نفسه ملكاً عظيماً وقوي.

---

(1) Austrasain Letters, Letter 20.

(2) الآفار: يرجع الآفار إلي عنصر الترك، وقد أستقروا منذ أواسط القرن السادس الميلادي عند سفوح جبل القوقاز، وذلك علي عهد الإمبراطور جستنيان(527-565م)، وكان أول أتصال بينهم وبين بيزنطة عام 558م وذلك عندما أرسلوا سفارة إلي الإمبراطور جستنيان يعرضون عليه التحالف مقابل اعانة سنوية، وتم بالفعل عقد تحالف بينهم وبين الإمبراطورية في نفس العام. للمزيد أنظر، إسمت غنيم: الآفار، ص 18-20.

- التحالف البيزنطي الفرنجي ضد اللمبارديين :

حاول الإمبراطور البيزنطى تيبريوس الثاني[1] (582-579م) التحالف مع الفرنجة من أجل القضاء علي اللمبارديين، وأرسل الهدايا إلى ملوك الفرنجة من أجل إعلان الحرب عليهم، ولكن نظراً لانشغاله آنذاك بمحاربة الفرس فإنه لم يتمكن من الاستمرار في ذلك التحالف مع الفرنجة من أجل محاربتهم، لذا تحمل العبء الاكبر الإمبراطور موريس (582-602م) الذي تبني نفس السياسة وحاول استرجاع النفوذ البيزنطي في شبه الجزيرة الإيطالية[2]، ولجأ إلى وسيلة عملية أكثر نفعاً مما لجأ إليه سلفه الامبراطور تيبريوس، إذا أعاد تنظيم الإدارة الرومانية في شبه الجزيرة الإيطالية، باقامة نظام الاكسارخية، وبمقتضاه جمع الإكسارخ[3] Exarch في يده السلطتين العسكرية والمدنية، وتعزيزا لمركزه خلع عليه موريس لقب " باتريكيوس (بطريق واكسارخ إيطاليا) patricius et exarchius Italiae[4].

---

(1) الإمبراطور تيبريوس: هو إمبراطور الدولة البينزنطية فى الفترة من578حتى582م، وقد ارسل إليه رومان إيطاليا سفارة لمساعدتهم لحمايتها من غارات اللمبارديين ومعها ثلاثة الاف رطل من الذهب، و لجأ تيبريوس إلي اغراء اللمبارديين بالذهب لوقف هجماتهم على الممتلكات البيزنطية وإذا فشلت هذه المحاولة فيقوم باغراء الفرنجة بالذهب لحثهم على التدخل فى إيطاليا وكبح جماح اللمبارديين، حيث كان منهمكاً فى حروبه ضد الفرس. وهكذا ظهر عجز البيزنطيين واضحاً عن استرداد هيبتهم فى إيطاليا. انظر، الحويرى: اللومبارديون، ص 63.

(2) Oman : Dark ages, pp . 191-2 ; Reverdy,G: Les relations de Childebert II et de Byzance, in Revue Historique, 1913, pp.61-6,86.

(3) رغم أن القائد نارسيس كان يجمع في يده السلطتين العسكرية والمدنية، إلا أنه لم يحمل لقب اكسارخ، إذ أطلق هذا اللقب لأول مرة علي سماراجدوس، وبمقتضى السلطة العسكرية المخولة، صارت الفرق العسكرية في إيطاليا تحت نفوذه المطلق، بإمكانه إعلان الحرب وعقد اتفاقيات اسلام، وقد بلغت سلطاته المدنية مدى واسعاً، إذ صار مسئولا عن الشئون القانونية والإدارية والمالية، كذلك كان له حق التدخل في الأمور الدينية، فيما عدا التصديق علي انتخاب البابا، هذا وقد أقام الاكسارخات في رافنا، أنظر:
Dudden : Gregory the Great, I . pp . 180-81.

(4) Thompson , Middle ages , I , p 168 .

واستتبع ذلك بعزل النائب الأمبراطوري لونجينوس سنة 585، وعين مكانة سماراجدوس - أول اكسارخ بإيطاليا - لما اشتهر به من شجاعة ومهارة في التنظيم ولم يكد سماراجدوس يصل رافنا، واستكشف فساد الادارة البيزنطية وضعفها، وحاجته لوقت غير قصير لإعادة الأمور لنصابها، يتهيأ خلاله لمواجهة اللمبارديين، فأقترح على أوثاري عقد هدنة بينهما مدتها ثلاث سنوت (588-585) فلم يبخل عليه بذلك [1].

بيد أن اللمبارديين نقضوا الهدنة من جانبهم قبل انتهائها بعام واحد، ذلك أن إيوين Euin دوق ترنت Trent انقض فجأة على ولاية استريا البيزنطية، ولجأ إلى حرقها ونهبها، ثم أعقب ذلك بعقد هدنة قصيرة الأجل مع الاكسارخ مدتها سنة واحدة، ورجع مثقلا بالغنائم إلى مليكه أوثاري [2]. والواقع أن ما حدث لا يعنى أن الاكسارخ قد غض النظر عما قام به الدوق، حيث نجح في سنة 589 في استرجاع ميناء كلاسيس [3] الهام من فروالد دوق سبوليتو، بعد أن ظل في قبضته عشر سنوات [4].

وإلى جانب ذلك، أحسن موريس استغلال فرصة تدهور العلاقات بين اللمبارديين وجيرانهم الفرنجة لاغرائهم على محاربة اللمبارديين، والحيلولة دون توسعهم على حساب بيزنطة. وبمعنى آخر يمكن القول أن فكرة ضرب اللمبارديين بالفرنجة التي سيطرت على ذهن سلفه تيبريوس [5]، قد حدت به

---

(1) Dudden , Gregory the Great ,I . p . 161 ;

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص70.

(2) Paul the Deacon: Langobards, pp . 134 -5;

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص70.

(3) ميناء كلاسيس : يقع ميناء كلاسيس على البحر الادرياتى على مسافة ثلاثة اميال من روما وقد استولى عليه فروالد دوق سبوليتو من البيزنطيين عام 579م. انظر : الحويرى: اللومبارديون، ص 59.

(4) Hodgkin : Italy,V,pp . 246 -7.

(5) Thompson , Middle ages, I , p . 169 ; Oman , Dark ages , p . 192.

إلى التحالف مع الفرنجة، وعقد أواصر الصداقة معهم، بقصد تطويق اللمبارديين. وفي هذا الصدد لم يرفض الفرنجة يد الصداقة الممدودة إليهم، خاصة إذا كانت مليئة بالأموال والهدايا، وفي الحين نفسه لم ينس الفرنجة دينهم القديم مع اللمبارديين، وبعبارة أخرى لم ينسوا غاراتهم الناهبة المتكررة على حدود مملكتهم الجنوبية[1]. ومن ثم سعي الإمبراطور موريس للتقرب من الملك شلدبرت الثاني ملك اوستراسيا للحصول منه على الدعم في محاربة اللمبارديين[2]، ومن ثم تبادل الفريقان - بيزنطة والفرنجة - السفارات، ودارت المفاوضات بينهما حول القيام بعمليات حربية مشتركة ضد اللمبارديين[3].

وفيما يتعلق باختيار شلدبرت الثاني ملك اوستراسيا دون غيره من ملوك الفرنجة الآخرين للتحالف معه ضد اللمبارد، فيقدم المؤرخ والتر جوفيرت تفسيراً لطبيعة العلاقات التي قامت بين الممالك الميروفنجية وبين مملكة اللمبارديين خلال تلك الفترة، فذكر أنه عقب الهزيمة التي لحقت باللمبارديين على يد الملك جونترام عام 572م، فإن الملك جونترام لم يقم بأي تحركات عدائية ضد مملكة اللمبارديين؛ والسبب في ذلك يرجع إلى أنه بدأ يوجه طموحاته ضد مملكة القوط الغربيين أو بالاحرى إقليم سبتمانيا، ومنذ بدء هجماته على هذا الاقليم ظل الملك الفرنجي جونترام في سلام مع اللمبارديين[4].

---

(1)Dudden: Gregory the Great ,I . pp . 161-2;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص71.

(2)Reverdy: Les relations de Childebert II, p.73.

(3)Paul the Deacon: Langobards, p . 126 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص71.

(4) Goffart, W :Byzantine Policy in The West under Tiberius and Maurice (579-585), in Traditio, Vol. 13, 1957, p.85.

أما مملكة اوستراسيا فكان لها علاقات قوية مع إسبانيا في ذلك الوقت، وزادت قوتها في عام 579م عقب زواج هرمنجلد وانجوند، ومن ثم بدأ في توجيه طاقاته نحو مملكة اللمبارديين، خاصة أن مملكة اوستراسيا كان لها سابقة للتدخل في شمال إيطاليا، أما الملكة الفرنجية الثالثة (نوستريا)، فلم يكن لها أي مطامع في الوصول إلى مملكة اللمبارديين، حيث كانت بعيدة عن حدود مملكتهم[1].

ومما لا شك فيه، أن الإمبراطور البيزنطي كان على دراية بالأوضاع الداخلية في مملكة الفرنجة، ومن ثم وقع اختياره على شلدبرت ملك اوستراسيا للتحالف معه لطرد اللمبارديين من إيطاليا. وعلى أية حال، استطاع موريس أن يغرى الملك شلدبرت الثاني بشن هجوم على اللمبارديين في مقابل خمسين ألف قطعة من الذهب(صولدى)[2]. وكان أن عبر الملك الفرنجي جبال الألب في سنة 584م على رأس جيش ضخم، وباغت اللمبارديين بهجوم شل حركتهم، جعلهم يتراجعون إلى أسوار مدنهم الحصينة للاحتماء بها، ثم دارت مفاوضات بين الجانبين، انتهت إلى انسحاب ملك الفرنجة من إيطاليا بعد أن نفحه اللمبارديين مبالغ ضخمة وهدايا ثمينة[3]. وعندما وصلت تلك الأخبار لموريس بما حدث، طالب شلدبرت الثاني بإعادة الأموال التي أرسلها إليه، إلا أن شلدبرت تجاهل الأمر تماماً، ولم يرسل أي رد إليه[4].

---

(1) Goffart :Byzantine Policy in The West , p.85.

(2) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, p.117;
أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 71؛ وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس، ص 111.
ذكر المؤرخ توماس هودكن أن القطع الذهبية التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي إلى الملك شلدبرت الثاني تعادل ما يقرب من ثلاثين الف جنية استرليني . انظر،
Hodgkin:Italy, V ,p. 228.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, p.117; Villari , The Barbarian Invasion., II . p. 288. Thompson , Middle ages ,I. p. 169; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.67.

(4) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, pp. 117-8

وقد ذكر جريجوري التوري أن شلدبرت شعر بضمان قوته ولذلك لم يـرد مطلقاً على الإمبراطور موريس[1]. ويبدو أن شلدبرت انتهز هذه الفرصه لعـرض قوته ونفوذه لاتباعه، وقد اكتسب ثروة ضـخمة مـن الـذهب البيزنطـي لنفـسه، ومنح الغنيمة لمحاربيه، ثم تحدى الإمبراطور البيزنطي. وفي هـذه الحالـة عقـد شلدبرت التحالف مع حزب واحـد (البيـزنطيين)، وخرقـه مـن أجـل مـصلحه أفضل، وأنشأ معاهدة سلام مع عدوه مره واحدة (اللمبارديين).

مما تقدم، يتضح أن الملك الفرنجي شلدبرت الثاني كان الفائز الأكبر مـن تلك المحاولة البيزنطية لاستعادة الأراضي الإيطالية من أنياب اللمبـارديين، أمـا الفائز الثاني فكان اللمبارديون الذين احتفظوا بكيـان مملكتـهم رغـم تـضحيتهم بالهدايا الثمينة، ولكن هذه الخسارة اهون بكثير من محو مملكتهم من الوجـود. وأخيراً كان الخاسر الاكبر هو الإمبراطور البيزنطي، بل الخاسر الوحيد في تلـك اللعبة السياسية، إذ خسر اموالاً طائلة كانت خزانة الدولة بحاجة إليها، كمـا أنـه لم يحقق أي اهداف في الاراضـي الإيطاليـة، ولم يـضع في الاعتبـار أن الملـك الفرنجي إذ إخضع مملكة اللمبارديين فإنه كان سيـضعها تحـت سـيطرته، ولـن يقدمها للإمبراطورية البيزنطية كما كان متوقعاً.

أما عن الأسباب التي دفعت اللمبارديين إلى دفع الاموال الطائلة والهـدايا الثمينـة للفرنجـة، فتـتلخص في اضـطراب الاحـوال الداخليـة في مملكـة اللمبارديين، حيث أنه في الفترة التي تولي فيها أوثـاري عـرش المملكـة، كـان عدداً من الادواق اللمبارديين في فترة الشغور، تقربوا من الإمبراطـور البيزنطـي بـل ومـن ملـوك الفرنجـة كـذلك، وكـان مـن بـين هـؤلاء الـدوق دركتولـف Droctulphe، الـذي هـرب بعـد تـولي أوثـاري العـرش إلى مدينـة برسـكلو Brescello الواقعة على نهر البو، وتحالف مع البيزنطيين ضد أوثاري[2]. وكذلك الدوق مينولف Minuloph الذي ساعد الفرنجة خلال حملتهم العسكرية الرابعـة

(1) Gregorii Turonensis: Francorum, p. 314; Paul the Deacon: Langobards, pp. 117-8.

(2) Barni,G : La Conquete de l'Italie, Paris, 1975,p.50; Oman,The Dark ages,p.192.

على اللمبارديين في عبور بعض المناطق الجبلية[1]. بالاضافة إلى ذلك أنشغل أوثاري بمشاكل داخلية أخري وهي ادعاء ابنة ألبوين المسماه ألبوسيندا Albsuindd باحقيتها بالعرش اللمباردي بدلاً منه[2].

ومع ذلك لم تكن قوة شلدبرت بالدرجة التي تجعله يتجاهل مطالب الامبرطور البيزنطي المستمرة، الذي طالب بإعادة أمواله أو القيام بحملة أخرى ضد اللمبارديين، وقد ذكر جريجوري إن شلدبرت في العام التالي (585م) أرسل حملة فرنجية ثانية عبرت جبال الألب، بيد إنها سرعان ما انسحبت من إيطاليا مثل سابقتها، بعد أن لوح لها اللمبارديين بالمال والهدايا[3]. وهكذا فشلت هذه الحملة أيضاً.

وفي الواقع كان لدي الإمبراطور موريس سبب قوي يجعله واثقاً من إجبار الملك شلدبرت على تنفيذ وعده هذه المرة، وقد ارتبط ذلك بإشاعة وجود الأميرة انجوند شقيقة الملك شلدبرت وزوجة الأمير هرمنلجد القوطي ببلاط الإمبراطور البيزنطي وأن الإمبراطور يحتجزها عنده، ولكن حقيقة الأمر إن انجوند حاولت الهرب من إسبانيا إلى مملكة الفرنجة، لكن البيزنطيين قبضوا عليها وحملوها إلى القسطنطينية، فمرضت أثناء الرحلة، فتركوها في افريقية حيث ماتت، بينما واصل ابنها اثاناجيلد رحلته إلى القسطنطينية[4]، ووصل إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي موريس ومات مغموراً هناك[5]. وقد أشيع أنه تم نقل الأميرة انجوند إلى بلاط الإمبراطور موريس[6]، كما حاولت والدتها برونهيلد

---

(1) Barni : La Conquete de l'Italie,p.50.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p. 49.

(3) Gregorii Turonensis: Francorum, pp. 384-5; Dudden . Gregory the Great, I, p. 162.

(4) Oman : Dark Ages pp. 139-40;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانية، ص 82؛ محمد عبده حتاملة: ايبيريا، ص237.

(5) Oman : Dark Ages pp. 139-40;

أنظر أيضاً، الشيخ : الممالك الجرمانية، ص 82.

(6) Gregory of Tours: Franks, P.216; Paul the Deacon: Langobards, pp. 125-6

مراسلة الإمبراطور البيزنطي موريس من أجل اطلاق سراحها لكن دون جدوي[1]، وأعتقد أيضاً الملك شلدبرت إنها لا زالت على قيد الحياة وتعيش في العاصمة البيزنطية؛ لذا وافق مباشرة على طلب الإمبراطور موريس وقام بحملة أخري على مملكة اللمبارديين مقابل أن تعود شقيقته إليه، وأخبر بذلك سفراء الإمبراطور موريس[2]. وطالما أن الخدعة متاحة في السياسة، فإن الإمبراطور موريس يستحق الثناء عليها لنجاحه في الحصول على مكاسب حقيقية من استغلال قضية الأميرة انجوند شقيقة شلدبرت، الذي سارع بتقديم الدعم لبيزنطة وشن حملات جديدة ضد المملكة اللمباردية.

ويبدو أن موريس لم ييأس من الفرنجة ويصد وجهه عنهم، رغم أنهم تقاعسوا عن الوفاء بما التزموا به، بدليل أنه أرسل سفارة من قبله يطلب انفاذ جيش آخر إلى إيطاليا لغزو اللمبارديين، وما لبث شلدبرت الثاني أن جهز حملة ثالثة في حوالي سنة 587، بيد إنها لم تكد تجتاز جبال الألب، حتى دب النزاع داخل صفوفها، ويعود السبب في ذلك إلى أن قبائل الألماني التي انخرطت في سلك هذه الحملة هددت بالتوقف عن مواصلة الزحف، ما لم تحصل على حصة معينة من الغنائم المتوقع الحصول عليها، وما لم تستقل بالأقاليم التي ستنتزعها لصالحها، ولكن قادة الفرنجة رفضوا الانصياع لمطالبهم، فانسحبت الأخيرة من الحملة، الأمر الذي ترتب عليه فشل هذه الحملة فشلاً تاماً[3].

---

(1) Gregory of Tours: Franks, P.216; Reverdy: Les relations de Childebert II, pp.67-8.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.216; Paul the Deacon: Langobards, pp. 125-6

(3) Paul the Deacon: Langobards, p . 126: Hodgkin:Italy,V ,pp. 258-9 .

شاركت قبائل الألماني في العديد من الحملات الموجهه إلى شمال إيطاليا، فقد قامت بمساعدة القوط الشرقيين من قبل، وذلك عندما أرسل القوط الشرقيين وفدا إلى الملك ثيودوبلد الفرنجي من أجل مساعدته ضد الجيش البيزنطي، وبالرغم من رفض ثيودوبلد إلا أن دوقي الالماني لوثير وبوكلين وهما من اتباع ثيودوبلد قد وافقا علي التحالف مع القوط ومقاومة البيزنطين، فقد كان لقبائل الالماني العديد من المشاركات في الحروب علي الشمال الإيطالي.. أنظر،

Agathias: The Histories , pp.13-4.

وفي أوائل صيف سنة 588م أنفذ ملك الفرنجة حملته **الرابعة** إلى إيطاليا، ولكن أوثاري تمكن من هزيمتها هزيمة ساحقة، أسفرت عن وقوع العديد من الفرنجة قتلى واسرى، فيما عدا قلة ضئيلة استطاعت الفرار بصعوبة[1]، ويعلق بولس الشماس على هذه الهزيمة قائلا: "**ما يدهشني إن المؤرخ سيكندوس Secundus الذي كتب الكثير عن المعارك التي خاضها اللمبارديين، اهمل تماما ذكر أحداث هذا الانتصار الذي احزه اللمبارديين على الفرنجة**"[2].

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الحملة الفرنجية وانتصار اللمبارديين، انتشار الفوضى داخل صفوفها، وتفاقم النزاع بين قوادها، في الوقت الذي أحس فيه اللمبارديين أن وجودهم بإيطاليا بات مهددا بالفناء فاستعدوا بالتصدي لهذه الحملة، كما أنهم حاربوا ببسالة، ومن ناحية أخري، وقع الفرنجة في خطأ كبير، تمثل في احتقارهم لقوة اللمبارديين، الذين لم يتمكنوا من مقاومتهم قبل ذلك. هذا ويعتبر الانتصار الساحق الذي أحرزه أوثاري على الفرنجة أهم حدث في عهده[3]. ويطلق جريجوري على هذه الهزيمة إنها الأسوء للفرنجة ويمكن أن يتذكرها أي شخص[4]. والجدير بالذكر أن الإمبراطور موريس أخذ يصب جام غضبه على الاكسارخ سماراجدوس لتأخره عن تقديم المساعدة الحربية للفرنجة، فضلا عن السياسة الدينية التي نهجها هذا الاكسارخ بإيطاليا، وكادت أن تهدد الكنسية بانشقاق حقيقي، ونتيجة لذلك استدعاه إلى القسطنطينية، وعين بدله رومانوس في سنة 589م[5].

---

(1) Paul The Deacon: Langobards, p.137;Hodgkin: Italy, V, p . 260; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.78.

(2) Paul The Deacon, Langobards, p.137.

(3) Hodgkin: Italy, V, p . 260 ; Villari: The barbarian Invasions., II . p . 292

(4) Gregory of Tours: Franks, P.219.

(5) Villari , The barbarian Invasions II , p . 292 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص72.

ويرى المؤرخ ديدن Dudden أن سماراجدوس دهمه مرض سنة 589م، استلزم سفره إلى القسطنطينية. انظر، ; Dudden, Gregory the Great, I , p. 161

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، هامش ص72.

ومن الجدير بالذكر، أن المؤرخ البيزنطي ثيوفانس Theophanes - الذي يعد أهم المصادر البيزنطية في القرن السادس الميلادي - لم يسجل أحداث تلك الفترة المتعلقة بالحرب بين الفرنجة واللمبارديين، إلا قوله عندما ذكر في أحداث السادس من شهر سبتمبر عام 588م اندلعت حرب بين اللمبارديين والرومان، ولم يشير إلى مشاركة الفرنجة في هذه الحرب ضد اللمبارديين[1].

وقد حاول الملك أوثاري التحالف مع الفرنجة عن طريق الزواج، فأرسل إلى الملك شلدبرت الثاني يطلب يد شقيقته كلودوسندا للزواج، وقد وافق شلدبرت بالفعل على الخطوبه، ولكن للأسف الشديد ما لبث شلدبرت أن نكث بوعده بعد أن وصلته سفارة من مملكة القوط الغربيين تطلب يد شقيقته لملكهم ريكاردو الأول(586-601م)، فوافق شلدبرت. ودفعه إلى ذلك أن القوط الغربيين آنذاك صاروا مثل الفرنجة على المذهب الكاثوليكى، في حين ظل اللمبارديين على آريوسيتهم[2].

وقد أدى رفض الملك شلدبرت الثاني لأوثاري إلي اشعال نيران الحرب بين اللمبارديين والفرنجة، حيث سرعان ما أرسل أوثاري سفارة إلي جاريبلد الأول (555-591م) دوق بافاريا الذي يدين بالتبعية لملك الفرنجة يطلب يد ابنته الجميلة ثيودويلندا Theudelinda للزواج، فوافق[3]. وما أن وصلت أنباء الخطوبة لشلدبرت ملك الفرنجة، وأدرك ماستجره من تحالف بين اللمبارديين

---

(1) Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, trans. by Mango, C. & Scott , R., (Oxford. 1997), p.384.

(2) Gregory of Tours: Franks, P.211; Paul the Deacon: Langobards, p.136;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون فى التاريخ والحضارة، ص 68.

وأيضاً الفصل الثالث خطوبة ريكاردو وكلودوسندا.

(3) Paul the Deacon: Langobards, pp.137-8; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.75.

والبافاريين، يشكل خطراً على مملكته، ثارت ثائرته [1]. ومن الأسباب أيضاً التي أدت إلي تضايق شلدبرت إن ثيودويلندا كانت مخطوبة له من قبل[2].

ويرى البعض أن السبب الذي من اجله طلب أوثاري يد ثيودويلندا كان سياسياً بالدرجة الأولي، ومن شأنه أن يخدم مصالحه، إذا كانت العلاقات بينه وبين الفرنجة أخذت طابعاً عدائياً بعد أن رفض الفرنجة طلبه، الأمر الذي جعله يضع في اعتباره الاستفادة من دوقيه بافاريا المتاخمة لحدود مملكة الفرنجة[3]، خاصّة أن شقيقة ثيودويلندا كانت زوجة إيوين دوق ترنت[4]، مما سوف يهيأ لعقد تحالف مع البافاريين ضد الفرنجة. وهكذا نجد أن أوثاري قد حاول استخدام السلام مع الفرنجة عن طريق الزواج السياسي، ولكن هذه الطريقة فشلت، فتزوج من ابنة دوق بافاريا القريب من مملكة الفرنجة للاستفادة منهم.

وإن كان المؤرخ هودجين يرى أن الدافع القوى لزواج أوثاري من ثيودويلندا، يتمثل في ارتباطها ببيت ليثنجي اللمباردي العريق، فهي تنحدر من جهة ابيها إلي شعب الماركوماني المحارب، ومن جهة أمها الي ملوك اللمبارديين القدماء، فوالدتها (والديرادا[5]) ابنة الملك واكو، الذي حكم مدة طويلة في بانونيا[6].

---

(1) Villari: The barbarian Invasions of Italy, II , p . 293 .

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.138.

(3) Villari: The Barbarian Invasion of Italy,pp.292-3.

(4) Paul the Deacon: Langobards, pp.104-5.

(5) والديرادا : تعد والديرادا ابنة الملك واكو، وزوجة الملك ثيودوبلد الأول، الذي استولي كلوثر الأول (511-561م) علي مملكته وارملته والديرادا، ولكن كلوثر تحت ضغط الاساقفة وافق على عدم الزواج من أرملة ثيودوبلد، واضطر ليعطيها لجاريبلد الأول(555-591م) Garibald I دوق بافاريا Bavaria الذي تزوجها وانجب منها ثيودويلندا الجميلة. أنظر،

Gregory of Tours : Franks , P.79.

(6) Hodgkin : Italy, V,p. 285 .

وكان رداً على هذه الخطوبة بين اللمبارديين والبافاريين أن قام شلدبرت الثاني بانفاذ جيش ضد دوقية بافاريا، الذي نجح في الاطاحة بجاريبلد الأول، وعندئذ لاذت ثيودويلندا بالفرار مع شقيقها جندوالد Gundoald إلي إيطاليا. ولما بلغت سهل لوجو دى جاردا Lago di Garda الواقع بالقرب من مدينة فيرونا Verona، ارسلت إلي أوثاري تنبئه بوصولها، فأتى من فوره ترافقه حاشية ضخمة، حيث عقد قرانه عليها في 15 مايو سنة 589[1]. أما عن مصير جاريبلد فإنه غير واضح هل اطيح به فقط؟ أم قتله شلدبرت، ولسنا نعرف هل هناك علاقة بتاسيلو(609-591م) الذي تولى بعده دوقية بافاريا أن لم يكن ابنه، ولكن من المؤكد وجود علاقة وثيقة بينهما.

ونأتي إلي آخر الحملات التي وجهها شلدبرت الثاني إلي مملكة اللمبارديين وأخطرها على الاطلاق، ونعنى بها الحملة **الخامسة** سنة 590م. ويبدو أن الفشل الذي منيت به الحملات الأربعة السابقة، زاد من غضبه ورغبته في القيام بعمل حاسم ضد اللمبارديين، ولهذا جهز حملته هذه المرة بعناية فائقة، كما اتفق مع الاكسارخ الجديد رومانوس (596-589) على القيام معاً بهجوم على بافيا عاصمة اللمبارديين، والقاء القبض على أوثاري[2]، ويبدو أن رومانوس أراد أن يثبت وجوده في إيطاليا قبل أن تصل الجيوش الفرنجية، إذا بدأ بهجوم واسع على الأراضي اللمباردية، أسفر عن استيلائه على مدن مودينا Modena وألتينو ومانتوا[3].

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, p . 140 ; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.75.

(2) Dudden, Gregory the Great, I , p . 162 ; Oman : Dark ages ,p . 192 .

(3) Hodgkin . Italy,V p. 271 ; Dudden , I , p . 162; Thompson , Middle ages ,I. p.169;

أنظر أيضاً: الحويري: اللومبارديون، ص73.

وفي تلك الأثناء، أخذت الحملة الفرنجية طريقها إلي إيطاليا، وقد جرى تقسيم جيشها الضخم إلي ثلاث مجموعات كبيرة، الأولي بقيادة الدوق أودوفالد Audovald، والثانية تحت زعامة الدوق أولو Olo، والثالثة على رأسها الدوق شدين Chedin[1]، ورغم ضخامة هذا الجيش، إلا أنه منذ بداية تحركه يكشف لنا الظروف المختلفة التي تحكمت في توجيهه. إذ كان في الواقع يفتقر إلي التنظيم، ويعوز قواده قوة الشخصية والبراعة، في الوقت الذي كان ضباطه قليلي الخبرة والتدريب، وأبلغ دليل على ذلك، أنه ما كاد هذا الجيش ينطلق من شامبني، حتى يتورط في ارتكاب كثير من أعمال العنف والقتل والفوضى والنهب في ميتز Metz عاصمة مملكة اوستراسيا قبل أن يصل إلي جبال الألب، وكأنه قد جهز للقيام بأعمال عدائية ضد بلده[2]. ولم يلبث الجيش الفرنجي أن عبر جبال الألب إلي إيطاليا، وأخذ ينهب ويخرب المدن الآمنة الواقعة في طريقه إلي أن توزعت مجموعاته الثلاثة، فعسكر أودوفالد أمام أسوار ميلان، وزحف أولو الي بيلنزونا Bellinzona، وهبط شدين في وادي الأديج، حيث هدد فيرونا[3]، وبينما كان أولو محاصراً لبيلنزونا أصابه رمح أراده قتيلاً، فانسحب رجاله من الحصار، وانضموا إلي المجموعتين الأخرتين[4].

وكان أن اشتبك الفرنجة بقيادة أودوفالد مع اللمبارديين في معركة على الجانب الغربي من بحيرة لوجانو، انتصر فيها الفرنجة، ولكنهم عندما اقتحموا معسكر اللمبارديين فوجئوا به خالياً إلا من مخيمات منصوبة ونار موقدة[5].

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, pp . 141-2 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص73.

(2) Gregory of Tours: Franks, p.230;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص73.

(3) Gregory of Tours: Franks, p. 230 ; Hodgkin: Italy,V , pp. 267-8: Dudden: Gregory the Great I. p. 163 ; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.81.

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص74.

(4) Paul the Deacon: Langobards, p . 142 .

(5) Gregory of Tours: Franks, pp.230 -1 ; Hodgkin :Italy,V, p. 268 .

ذلك أن اللمبارديين وجدوا أنفسهم عاجزين عن حشود الفرنجة الضخمة التي تساندها القوات الإمبراطورية في إيطاليا، وعندئذ لم يجدوا وسيلة للخلاص سوى اخلاء معسكرهم والاحتماء بمدنهم المنيعة، بهدف انهاك عدوهم وتشتيت قواهم، فأغلق أوثاري على نفسه في بافيا، ولجأ الدوقات اللمبارديين إلي تزويد قلاعهم بالمؤن، والانتظار داخل أسوارها حتى ينجلى الموقف[1].

ولعل أهم سبب دفع اللمبارديين إلي اتخاذ هذا الاجراء، ما تردد من أنباء عن وصول قوات إمبراطورية لتعزيز موقف الدوق أودوفالد. وكان الاكسارخ رومانوس قد أبلغ أودوفالد أن قوات إمبراطورية في طريقها إليه خلال ثلاثة أيام، وحال وصولها ستعطيه إشارة بإشعال نار من أحد القصور القائمة فوق قمة تل مجاور[2]، وإذا كان أودوفالد يعلق آماله على هذه القوات، ومضت ستة أيام دون أن تظهر في الأفق الإشارة المتفق عليها، فقد دفعه اليأس من وصولها الي أن يحل معسكره، وينسحب خائباً بقواته إلي بلاده[3].

أما جيش شدين، فقد نجح في الاستيلاء على عشر مدن في وادى الأديج، واثنتين في فال سوجانا Val Sugana، وواحده بالقرب من فيرونا[4]. ولكن فيرونا استعصت عليه، إذ استطاعت أن تقاوم الحصار الذي فرضه شدين عليها طوال ثلاثة شهور، قاسى جنده خلالها مناخا لم يألفوه، كما أن المجاعات والأوبئة انتشرت بينهم، وفتكت الدوسنطاريا[5] بالآلاف منهم، وازاء تلك

---

(1) Dudden , Gregory the Greatm I, p. 163 .

(2) Paul the Deacon: Langobards, pp. 142-3 .

(3) Gregory of Tours: Franks, p . 231; Dudden , Gregory the Great, I , p. 163 .

(4) Paul the Deacon: Langobards, pp.143-4 ; Reverdy: relations de Childebert II, p.82.

(5) الدوسنطاريا: أو الزحار الاميبي هو أحد انواع الأميبا الطفيلية التي تصيب امعاء الانسان، وتتغذى علي الغشاء المخاطي للامعاء بإفراز انزيم يذيبه، كما تتغذى على السكرات الدموية التي تنزف منه مسببه مرض الدوسنطاريا، وقد تسير في الدم إلى الكبد وتكون خراجات فيه. وتحدث عن طريق الطعام الملوث، ومن اعراضها الاسهال المزمن المصحوب بنزول دم في البراز، كما تسبب التهاباً في البريتون وتسبب الوفاة. انظر، https://www.marefa.org/إنتاميبا_الدوسنطاريا

المصاعب اضطر شدين الي رفع الحصار، وشرع في الانسحاب من إيطاليا في أغسطس من نفس العام (590م). وفي أثناء العودة سقط العديد من الجند من شدة الاعياء والتعب، واضطر الكثير منهم إلى بيع ملابسه وأسلحته في سبيل الحصول على الخبز، في حين لم يجد البعض وسيلة تخلصه من آلامه إلا بالانتحار، واجمالا لم يعد باقيا من هذا الجيش إلا قلة قليلة، استطاعت الوصول بمشقة إلى الحدود الجبلية، حيث اختفت عن الأنظار وسط الثلوج[1].

وهكذا انتهت الحملة الفرنجية الخامسة بالفشل، ولم يحقق الفرنجة اهدافهم المنشوده، إذ لم يتمكنوا من الثأر من اللمبارديين الذين انسحبوا إلى القلاع الاكثر مناعة وتحصيناً، كذلك لم ينجح الفرنجة في القبض على الملك أوثاري المتحصن خلف أسوار مدينة بافيا.

وهكذا فشلت محاولات الفرنجة في القضاء على مملكة اللمبارديين، تلك المحاولات التي جرت الوبال على إيطاليا، فأقفرت سهولها، ونهبت مدنها وقراها، وتلفت محاصيلها، ووقع كثير من رجالها ونسائها أسرى في أيدى الفرنجة، وكانت هذه آخر حمله فرنجية على اللمبارديين في عهد الإمبراطور موريس. وهنا نتساءل لماذا فشلت هذه الحمله التي لو نُفذت كما خططت لها، لكان من الممكن أن يكون لها نتائج خطيرة؟ ولماذا لم تصل القوات البيزنطية كما كان متفقاً علية إلى جيش الفرنجة؟ وهل حقق التحالف البيزنطي الفرنجي الغرض منه أم لا؟

وحقيقة الأمر إن جيش الفرنجة بالرغم من القوة العددية الهائلة، إلا أنه كان يفتقر إلى القيادة الحازمة، الواعية والخبيرة، التي تجبر الجيش على اتباع النظام والتخلي عن عادة التخريب والسلب والنهب بالقرب من ميتز، عاصمة اوستراسيا، وفشلت هذه القيادة اجبار اللمبارديين على الاشتباك في الحرب والتخلى عن الاحتماء بمدنهم المنيعة، كما أن جيش أولو، بسبب عدم حذر

(1) Gregory of Tours : Franks , pp . 231-2 ; Hudgkin: Italy,V, pp. 268-9 ; Dudden. I, pp. 163-4; Reverdy: Les relations de Childebert II et de Byzance, p.83.

أولو، اصيب برمح من الاعداء ومات، مماترتب على ذلك من تشتت جيشه، وأن يقال إنه انضم إلى جيش أودوفالد، وجيش هذا الأخير عندما لم يصل الاكسارخ رومانوس انسحب إلى بلاده، وهذا إن دل على شئ، فأنه يدل على أن جيش رومانوس كان له أهمية كبيرة بالنسبة للفرنجة. أما جيش شدين فقد نجح في الحصول على بعض المكاسب، ولكن انتشار الاوبئة والمجاعات قضى على هذه المكاسب، وكثيرون يحملون الاكسارخ رومانوس العبء الأكبر لفشل هذه الحمله، لأنه لم يصل إلى جيش الفرنجة، كما كان متفقاً.

وهنا نلاحظ أن اللمبارديين لم يتأثروا كثير بسبب حملات الفرنجة، وبمعنى أخر لم تلحق بهم خسائر جسيمة، إذ احتفظ الملك أوثاري بكنوزه سليمه في بافيا، وتحصن الدوقات داخل أسوار مدنهم الحصينة، في حين وقع الغرم كله على السكان الرومان، إذ عاملهم الفرنجة معاملة الأعداء، مع أنهم أتو إلى إيطاليا بغية تخليصهم من اللمبارديين[1]. ونستخلص ذلك من خطابين أرسلهما الاكسارخ إلى شلدبرت يشكو فيهما من عجز الفرنجة في الحرب، ومن معاملتهم القاسية للولايات الرومانية، وشكى الاكسارخ من شدين الذي عقد هدنه مع اللمبارد لمده عشر شهور بدون مشورة الاكسارخ، وترك فرصة الحصول على الغنائم، وسار فجأة خارج إيطاليا[2]. ويبدو ان الاكسارخ بسبب تصرف شدين هذا شعر بعدم الثقة في الفرنجة، لذلك لم يصل اليهم.

ويتضح مما سبق أن التحالف البيزنطي الفرنجي لم يقم على دعائم راسخة منذ بدايته ولم يحقق الهدف الذي عقد من اجله، إذ كانت تزلزله في الواقع الشكوك المتبادلة بين الطرفين، وإتهام كل منهما للآخر بالعمل لمصلحته[3]، وينبغى ألا يفوتنا أن مملكة الفرنجة آنذاك كانت تمر بدور أنحلال بطئ، الأمر الذي سهل على أوثاري اسقاط عرى هذا التحالف، ومع ذلك، فقد لقى بعض الهزائم على أيدى

(1) Dudden , Gregory the Great, I, p. 164 .

(2) Hodgkin: Italy,V,pp.271-3.

(3) موس : ميلاد العصور الوسطى، ص 215 - 216 .

القوات الإمبراطورية بقيادة الاكسارخ رومانوس، فضلا عن سقوط مدن مودينا وألتينو ومانتوا في يده، واستطاع الاكسارخ أيضاً أن يعيد إلى الامبراطورية مدن بارما وريجيو وبياكنزا الهامة، وكان بوسعه أن يواصل انتصاراته على اللمبارديين، ولكن انسحاب الفرنجة من إيطاليا لم يضع حداً لها فحسب، بل لم ينقضي وقت طويل حتى عادت هذه المدن إلى حوزة اللمبارديين مرة أخرى[1].

واجمالاً كان التحالف البيزنطي الفرنجي مقضياً عليه بالفشل، بدليل أن أوثاري عمل على قطع جذوره تماما عندما أرسل سفارة من قبله إلى جونترام ملك الفرنجة وعم شلدبرت الثاني يطلب عقد اتفاقية صلح وسلام معه قبل نهاية صيف عام 590، في الوقت الذي وصلت الأخبار بوفاة أوثاري فجأة في عنفوان شبابه في بافيا في 5 سبتمبر من نفس العام[2]، ولقد رأى الفرنجة إنه من الافضل التحالف مع اللمبارد لأن مصلحتهم تأييد اللمبارد كحاجز قوى بين الفرنجة والامبراطورية. فقد كان الغرب بالنسبة للامبراطورية ورث قديم، وإن الرومان اعداء لكل الامم الجرماينة يسعون دائما لضرب احدهما بالآخر بالاضافة إلى أن الامبرطورية لها مطالب في بلاد الغال ليست خافية. لهذا كله ابرمت معاهدة صلح مع خليفة أوثاري - اجيلولف Agilulf- في سنه 591م والفرنجة[3].

وهكذا يتضح لنا أن فشل مشروع المصاهرة بين اللمبارديين والفرنجة، والتي كان من أسباب عقدها التحالف السياسي عن طريق الزواج، ولكن رفضها كاد أن يكون سبباً في القضاء على مملكة اللمبارديين واستكمال الحملات الفرنجة على مملكة اللمبارديين التي كادت أن تقضي عليها. ولكن لم يفوز شلدبرت بالكثير من وراء هذه الحملات فقد خسر الكثير من جنوده الذين ماتوا اثناء هذه الحملات. بل ان شقيقته كلودوسندا لم تتزوج ريكاردو ملك القوط الغربيين، فقد فشل مشروع الزواج بين القوط الغربيين والفرنجة أيضاً.

---

(1) Dudden, Gregory the Great, I p. 165 .

(2) Gregory of Tours : Franks , P. 232; Hodgkin :Italy,V,p. 275 .

(3) Paul the Deacon: Langobards, p . 151 ;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص77-78.

* أدلوالد وابنة ثيودبرت الثاني:

توفى أوثاري ملك اللمبارديين عام 590م دون أن يترك ولـداً يخلفـه علـى العرش، وكادت أن تظهر فتـرة شـغور أخـرى في المملكـة اللمبارديـة. ولكـن الدوقات اللمبارديين كانوا قد أفادوا تماماً من التجربة المريرة التي عاشـوها مـن قبل. وفي هذه المرة تنازلوا عن حقهم في اختيار ملك جديد، وتركوه لثيودويلندا أرملة أوثاري. ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا يجلون مكانتها ويكنون لها اسمي حب، لحصافتها وخصالها الحميدة، ومن ثم استقر رأيهم علـى أن تظـل ملكة عليهم بمنحها الحق في اختيار زوجاً لها -من بين الدوقات- جديراً بـشغل العرش، خلفاً لأوثاري. وكـان أن وقـع اختيارهـا علـى "أجيلولـف" الثـورنجي Agilulf (590-616م) دوق تورين[1]، لما تميز به من قوة وشجاعة[2].

والواقع أن أهـم مـا تميـزت بـه ثيودويلنـدا آنـذاك هـو حماسـها الزائـد للكاثوليكيـة وترسـيخها بـين قومهـا، ولـذلك يقتـرن اسمهـا بانتـشار المـذهب الكاثوليكي في تاريخ مملكة اللمبارديين[3]. ورغـم جهودهـا ومثابرتهـا في هـذا الشأن، إلا إنها لم تنجح في التأثير على زوجها السابق أوثاري باعتناقه، بل بلـغ الأمـر بـه أن أصـدر مرسـوما في ربيـع سـنة 590م، منـع بموجبـه تعميـد أبنـاء

---

(1) تورين: هي مدينة إيطالية تقع في شمال غرب إيطاليا علي الضفة الغربية لنهر البـو، وهـي عاصمة لمقاطعة تورين، وتعد رابع المدن الإيطالية من حيث المساحة، وتـشتهر بـالكثير من المباني الاثرية والكنائس، كما إنها مدينة تجارية وثقافية هامة. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.748.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p.149; Hodgkin:Italy,Vol. V, P. 281; Oman, The Dark Ages, P. 193;

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 77.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص 77.

اللمبارديين على المذهب الكاثوليكي. كذلك فشلت جهودها الرامية إلى اقناع زوجها الثاني أجيلولف بالعدول عن المذهب الآريوسي، مع إنها صاحبة الفضل الأول في وصوله إلى العرش[1].

وعلى أيه حال، لم يكد أجيلولف يتبوأ عرش المملكة اللمباردية، حتى وجه اهتمامه إلى تعزيز روابط السلام والصداقة بينه وبين جيرانه البيزنطيين والفرنجة. فقام في عام 591م بارسال سفارة إلى بلاط شلدبرت الثاني(596-575م) ملك أوستراسيا وإلى عمه الملك جونترام أيضاً، وضمت تلك السفارة كلا من إيوين دوق ترنت واجنيلوس Agnellus أسقفها، الذي عهد إليه بصفة خاصة مهمة التفاوض مع الفرنجة حول اطلاق سراح الاسرى اللمبارديين، الذين ساقهم شدين معه في اعقاب حملته على إيطاليا سنه 590م. وكان أن نجحت السفارة في مهمتها، فعقد إيوين اتفاقية صلح مع الملك الفرنجي[2]، ولقد وافق الملك جونترام على مطالب اللمبارديين بعدما فرض عليهم جزية سنوية تقدر بنحو 12 ألف قطعة ذهبية، ولقد أستمر اللمبارديين يؤدون تلك الجزية حتى عهد الملك كلوثر الثاني(584-629م)[3]. وقد قدر لهذه الاتفاقية أن تدوم قرنا ونصف قرن، لم يتعكر صفوها إلا عندما استنجدت البابوية بالفرنجة لإنقاذها من خطر اللمبارديين[4]. أما عن أسباب نجاح تلك السفارة، ترجع إلى أن الدولة البيزنطية انشغلت عن اللمبارديين بحروبهم مع الفرس، وبالتالي لم يكن هناك أسباب تدفع الفرنجة لإرسال أي حملات أخري، أو لرفض يد الصداقة الممدودة إليهم من اللمبارديين.

---

(1) Hodgkin, Italy ,V, pp. 286-7.

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص 77.

(2) Paul the Deacon: Langobards, p . 151 ; Hodgkin, Italy ,V, pp. 286-7;
Reverdy: Les relations de Childebert II, p.83.

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص77-78.

(3)Fredegar: The Fourth Book, PP.38-9.

(4) Hodgkin, Italy ,V, pp. 286-7;

أنظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص78.

ومما يجدر ذكره، أن الملكة برونهيلد قامت بدفع الفدية الخاصة بالأسري اللمبارديين من الذهب الخاص بها، والموجود في خزانتها الملكية[1]. ولا شك أن تدهور الاوضاع الداخلية وعدم الاستقرار داخل الممالك الميروفنجية، والناتج عن سوء العلاقات بين ملوك الفرنجة، والتي انتهت إلى نشوب حرب اهلية بينهم، كان من أهم الأسباب التي اجبرت الفرنجة على قبول عقد السلام مع اللمبارديين[2].

كما قام أجيلولف بعقد اتفاقية سلام مع البيزنطيين لمدة عام، وذلك في عام 599م، تعهد بمقتضاها نائب الإمبراطور بدفع خمسمائة قطعة ذهبية سنوياً إلى اللمبارديين[3]. وقد تم هذا السلام نتيجة جهود البابا جريجوري الأول[4] Gregory I (590-604م) لإرساء السلام بين الطرفين[5].

---

(1) Paul the Deacon: Langobards, p . 151 ; Reverdy: Les relations de Childebert II, p.84.

(2) Oman, The Dark Ages, p.194.

(3) Paul the Deacon: Langobards, pp . 154-5 .

(4) البابا جريجوري الأول: ولد جريجوري الأول عام 540م في أسرة رومانية نبيلة، واظهر نزعة دينية ولا نعرف عن فترة صباه إلا القليل منها أنه تلقى تعليمه علي الطريقة الكلاسيكية التي هي الفنون السبعة الحرة، وقد شغل منصب والي المدينة Praefectus Urbi وهي أعلى وظيفة في مدينة روما، وقد ترك جريجوري هذا المنصب وألتحق بالدير راهباً علي النظام البندكتي، وبعد وفاة البابا بلاجيوس الثاني عام (590م) اندفع سكان روما إلي بوابة الدير مطالبين جريجوري بتولي كرسي البابوية حتى اذعن جريجوري لرغبتهم الامر الذي ترتب عليه ترسيمه لمنصب البابوية في سبتمبر من عام 590م. انظر، وفاء الغزالي: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص140-141.

(5) Paul the Deacon: Langobards, p . 155; Hodgkin, Italy ,V, pp. 415-6.

لم يتدخل البابا جريجوري في إقرار الصلح من تلقاء نفسه وانما بعد الحاح شديد من قبل الإمبرطور موريس بعد أن ادرك صعوبة ما تعانيه الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت من جراء حروبها ضد الآفار والسلاف علي حدود الدانوب إلي جانب ثورات العبيد. أنظر،

Paul the Deacon: Langobards, pp . 154-5 ;

انظر أيضاً: اسامة زكى زيد:اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة فى ضوء كتابات بولس الشماس(568-774)،الاسكندرية، ط1987، هامش ص34.

يتضح مما سبق إن الملك جونترام توفي عام 592م، وورث شلدبرت الثاني بن شقيقه مملكته، وذلك طبقاً لمعاهدة أندلوت Andelot التي تم عقدها عام 587م بين جونترام وشلدبرت الثاني[1]، وقد عاش شلدبرت بعد وفاة جونترام لمده أربع سنوات فقط، وتوفي فجأة عام 596م، تاركاً ولدين صغيرين كخلفاء له؛ ثيودريك الثاني(596-613م) الذي استلم ممكلة برجنديا، وثيودبرت الثاني (596-612م) حصل على مملكه أوستراسيا[2]، وكان يوجد معهم كلوثر الثاني (584-629م) ملك نوستريا[3].

وقد استمر الصراع والتنافس بين هؤلاء الملوك، كما كان من قبل، على الرغم من إن هؤلاء الملوك الثلاثة كانوا لا يزالو قُصر في عام (596)، وقد اقتادتهم المنافسه إلى صنع التحالفات السياسية ضد بعضهم البعض، مع كل واحد من الملوك الفرنجة الآخرين ومع القوى الخارجية كذلك، كما كان أبائهم واقربائهم الميروفنجيين من قبل. وكجزء من هذه المنافسة، حاول كلاً من ثيودريك وثيودبرت استخدام المصاهرات الاجنبية لتأكيد وتعزيز موقفهم الملكي، وحشد المزيد من دعم الاتباع لهم.

وتُعد حولية فريديجار المصدر الرئيسي للمعلومات عن الفرنجة بعد تاريخ جريجوري التوري، الذي ينتهى حوالي عام 590م[4]، ويكشف فريديجار عن

---

(1) معاهدة أندلوت: تم عقد هذه المعاهدة عام 587م بين الملك جونترام والملك شلدبرت الثاني، وكانت تهدف هذه المعاهدة إلي وضع حداً للخلافات بين جونترام وشلدبرت الثاني، ونصت علي الابقاء علي جميع أموال الكنائس كما هي، كما قررت ألا يقف أي من الملكين شلدبرت الثاني وجونترام بجانب ضد الأخر، كما أكدت تلك المعاهدة علي السلام الذي كان سائداً بين شلدبرت الثاني وجونترام، كما إنها أكدت علي حصول شلدبرت علي جميع أملاك الملك سيجبرت كما كانت قبل وفاته، وجعلت تلك المعاهدة من شلدبرت الثاني وريثاً لمملكة جونترام بالكامل بعد وفاته. لمزيد من التفاصيل أنظر،

Gregory of Tours : Franks , p. 213.

(2) Fredegar: The Fourth Book, p.7.

(3) Fredegar: The Fourth Book, p.5.

(4) M. Wallace-Hadrill, ed. and trans., See the introduction of The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar.

نفس النوع من الدوافع لتصرفات اجيال ملوك الفرنجه الميروفجيين السابقين. كما أن وفاة أحد ملوك الفرنجة سابقاً شجعت الملوك المتبقين في محاوله للاستيلاء على أراضي الملك المتوفي، كما حدث عند وفاة شلدبرت الثاني، حيث استولى كلوثر الثاني على باريس وعدد من المدن الأخرى[1]. وبعد أربع سنوات (عام 600م)، اتحد كلاً من ثيودريك وثيودبرت لمهاجمه كلوثر الثاني، والدفاع عن أنفسهم وعن ممالكهم، واستعادوا أراضيهم واستولوا على بعض الأراضي من كلوثر[2]. وقد حُسم ذلك الصراع بواسطة الاتفاقيات وبالطرق التقليدية لتقسيم الأراضي بين ملوك الفرنجة، والتي اعتبرت كلوثر الشريك الاصغر على الرغم من أنه الأكبر سناً. وهكذا نجد أن تلك الفترة صراع وتنافس بين ملوك الفرنجة، تلك المنافسة التي اقتادتهم إلى صنع التحالفات السياسية مع القوي الخارجية ضد بعضهم البعض.

لقد كانت الرغبة في السيادة بين الملوك الميروفنجيين مثل التحالف الطبيعى لأبناء شلدبرت الاثنين ضد ابن شلبريك ولكنها لم تدم. وقد يكون التعاون بينهم بدأ يتفكك على حدا، عندما اجُبرت جدتهم برونهيلد لمغادره بلاط ثيودبرت إلى بلاط ثيودريك في عام 599م[3]،

(1) Fredegar: The Fourth Book, P.12.

(2) Fredegar: The Fourth Book ,p.13.

(3) كان السبب في مغادرة برونهيلد لبلاط ثيودوبرت هو رغبتها في السلطه وصراعها ضد النبلاء، الذين قاموا بتحريض الملك ثيودبرت ضد جدته برونهيلد، مما كان سبباً في العداء بين برونهيلد وثيودبرت الثاني، وانتهي الامر بترك برونهيلد لمملكة ثيودبرت وذهابها إلي حفيدها الآخر ثيودريك الثاني في برجنديا، كما كانت الملكة برونهيلد أيضاً سبباً في ضياع السيطرة علي مملكة نوستريا لكلا من ثيودريك الثاني وثيودبرت الثاني، حيث عملت علي استمرار العداء بين الاخوين وتحريضهم ضد بعضهم البعض، بل إنها ادعت أن ثيودبرت الثاني ليس شقيقاً لثيودريك الثاني بل أنه ابن محظية؛ لذلك ليس من المفروض أن يشاركه في أملاك أبيه... للمزيد أنظر، سعيد محمد طه محمد: مملكة الفرنجة في عهدي كلا من كلوتير الثاني وابنه داجوبير الأول، ص 50-51.

ولكن لا يزال يعمل كلا الملكين معاً ضد كلوثر، وفي حملتهم ضد الغاسقويين[1] Gascons[2].

ويُعد كتاب بولس الشماس مصدرنا الوحيد لخطبة ابنة ثيودبرت الثاني إلى الأمير ادلوالد Adaloald (616-626م)، بن اجيلولف ملك اللمبارد، وهي عبارة عن إشارة وجيزه في تاريخ بولس الشماس[3]، ولكن تناسب بشكل جيد في محيط اوائل عام 604م. فقد ذكر بولس الشماس الخطوبه قائلاً: **" في شهر يوليو تم تنصيب ادلوالد ملكاً على اللمبارديين خلال حياة والده، وذلك في المدرج الروماني في ميلان Milan، وحضر ذلك مبعوثي الملك ثيودبرت ومعهم "السلام الدائم"، الذي تم تأكيده ورتبوا لخطوبه ابنة ثيودبرت إلى الأمير ادالوالد، وتم تأكيد السلام مع الفرنجة"**[4]. وهكذا نجد أن بولس أشار إلى أن الخطوبه

---

(1) الغاسقويين: أو منطقة غاسقونيا تقع في جنوب غرب فرنسا في المنطقة بين منابع إيبرا le ebre وخليج بسكاي، أما الغاسقويين أو الباسك (البشكنس) Basques هم الشعوب التي قطنت جبال البرانس، ويطلق عليهم بالاسبانية Bascos، أو vascongados، ويطلقون هم على أنفسهم اسم Euskaldunk، يعيشون في إسبانيا وفرنسا في المناطق المحاذية لخليج باسكاي، ويتجمعون في التلال الغربية لجبال البرانس. التاريخ المبكر للباسك ما زال موضوعا للتكهن، إلا ان المصادر الرومانية تشير إلى وجود قبيلة فاسكوني Vascones في الاراضي المعروفة باقليم نافار. قاوم الباسك القوط الغربيين والفرنجة والنورمان، والمسلمين الذين احتلوا وادي الابرو. ودخلوا في منازعات مع الفرنجة والقوط الغربيين علي حد سواء. وفي عام 602م أن أقام الباسك بتمرد ضد الفرنجة، ولكن استطاع كلا من الملك ثيودريك الثاني وثيودبرت الثاني من القضاء علي تمردهم. أنظر،

Fredegar: The Fourth Book ,p.14; Wood: The Merovingian Kingdoms, p. 175; Orton: The shorter Cambridge Medieval History., p. 157

(2) Fredegar: The Fourth Book ,p.14.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.173.

(4) Paul the Deacon: Langobards,p.173.

ليست وسيله للسلام وإنما لتأكيده. هذا السلام تم احرازه بالفعل، وكانت الخطوبه حقاً وسيلة لكلا الطرفين لإظهار المصاهرة المرموقة .

يتضح مما سبق إن ثيودبرت الثاني اتبع تقليد ثيودبرت الأول (حوالى 534-548م) الذي كان له علاقات زوجيه أيضاً مع اللمبارديين، حيث أن ملوك الممالك الشرقية (اوستراسيا) كان لهم تقليداً طويلاً من التدخل في الشؤون الإيطالية، وقد استخدم ثيودبرت الثاني المصاهرة المرموقة مع اللمبارديين لتأكيد نفوذه في مملكة الفرنجة بين منافسيه، وكذلك اجيلولف أيضاً عندما صاهر الفرنجة لتوطيد نفوذه في مملكته لنفسه ولابنهِ من بعده. وكان رداً على هذه المصاهرة مع اللمبارديين أن قام ثيودريك الثاني ملك برجنديا بترتيب مصاهرة له مع القوط الغربيين في إسبانيا، وذلك لتأكيد نفسه اعظم ملوك الفرنجة، ولكى يوطد نفوذه ضد منافسيه أيضاً. وهكذا نجد الدور البارز للمصاهرات السياسية في مملكة الفرنجة وأهميتها في المنافسة بين الملوك الميروفنجيين.

* شارلمان ودسيدراتا:

للحديث عن زواج شارلمان ودسيدراتا لابد من تتبع العلاقة بين مملكة اللمبارديين ومملكة الفرنجة على مدار الفترة السابقة لهذا الزواج، وعرض هذه العلاقة، والحديث ايضاً عن تطور العلاقة بين مملكة الفرنجة والبابوية هذه العلاقة التي كانت سبباً في القضاء على مملكة اللمبارديين.

- العلاقات السياسية بين الفرنجة واللمبارديين:

ظلت العلاقات السياسية بين الفرنجة واللمبارديين سلمية بعد معاهدة السلام التي عقدها اجيلولف ملك اللمبارديين مع مملكة الفرنجة عام 591م، والتي قدر لها أن تدوم قرنا ونصف قرن من الزمان، ولم يتعكر صفوها إلا عندما استنجدت البابوية بالفرنجة لإنقاذها من خطر اللمبارديين كما سوف نذكر[1].

ففي عهد ادلوالد (616-626م) الذي تولى عرش مملكة اللمبارديين بعد وفاة ابيه الملك اجيلولف عام 616م، تحت وصاية امه الملكة ثيودويلندا، نجد أن العلاقة ظلت سلمية بين المملكتين، حيث أرسل الملك ادلوالد عام 617م سفارة إلى كلوثر الثاني ملك الفرنجة يطلب منه الإعفاء من الجزية التي فرضها عليهم الملك جونترام من قبل عام 591م، ولقد نجحت سفارة اللمبارديين في تحقيق اهدافها بعدما وعد الملك الفرنجي كلوثر الثاني بإعفاء اللمبارديين من الجزية شريطة أن يتم دفع قيمتها لثلاث سنوات مرة واحدة[2].

وهكذا يتضح أن اللمبارديين اختاروا الوقت المناسب من أجل طلب الإعفاء من الجزية، حيث كانت الدولة البيزنطية منشغلة عن إيطاليا؛

---

(1) Hodgkin, Italy ,V, pp. 286-7.
(2) Fredegar: The Fourth Book, PP.38-9.

لمواجهة مخططات الفرس الهادفة الهجوم على القسطنطينية، وبالتالي من الصعب أن تقدم بيزنطة أي مساعدات للفرنجة، كما كان يعمل كلوثر الثاني على استقرار الأحوال الداخلية لمملكته بعدما دانت له مملكة الفرنجة بالكامل في عام 614م.

وفي عهد الملك اريولد Ariaold (626-636م) حافظ اللمبارديين على علاقتهم الجيدة بمملكة الفرنجة، وتمثل ذلك في مساعدتهم للملك داجوبرت الأول (629-639م) في حربه ضد السلاف في عام 631م[1]، راغبين من وراء ذلك عدم تكرار الأخطاء التي وقع فيها ملوك اللمبارد الأوائل حينما اكتسبوا عداء الفرنجة. أما الملك داجوبرت من جانبه فقد حافظ على السلام السائد بينه وبين اللمبارديين، ورأى أن العداء معهم ليس من مصلحته في شئ، خاصة أن حلفاء الفرنجة " البيزنطيين" كانوا منشغلين بمشاكلهم في المشرق في ذلك الوقت.

---

(1) Fredegar: The Fourth Book, PP.56-7.

تعرضت منطقة البلقان في عصر الإمبراطور هرقل(641-610م) لهجرات عناصر السلاف والآفار الذين اخذوا يعيثون فسادا في الارض، وقد اغارو علي منطقة البلقان عام 614م، وقد ساعد كلوثر الثاني ملك الفرنجة الإمبراطور هرقل في صد غزو الآفار والسلاف للقسطنطينية عام 625م، وكان السلاف أو سلاف مورافيا تحت سيطرة الآفار، ولكنهم نجحوا بالاستقلال عنهم تحت حكم ملكهم سامو Samo، وذلك عندما قاموا بثورة ضد الآفار عام 623م بمساعدة كلا من البيزنطيين والفرنجة، وظلوا السلاف يدينون بالولاء للفرنجة نظير مساعدتهم حتى وفاة الملك كلوثر الثاني عام 628م، وبعدما اعتلي ابنه داجوبرت العرش عام 629م حاولوا استغلال وفاة كلوثر الثاني والانفصال عن مملكة الفرنجة، ولكن استطاع داجوبرت القضاء عليهم. للمزيد أنظر،

Fredegar: The Fourth Book, PP.56-7;

انظر أيضاً، وسام فرج: السلاف، ص 145؛ إسمت غنيم: الآفار، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطي، الاسكندرية 1994، ص51؛ سعيد محمد طه: مملكة الفرنجة، ص 114-117.

وبعد وفاة اريولد تولى العرش روثير Rothair(636-652م) دوق برسكيا[1] Brescia، والذي تزوج جندبرجا أرملة سلفه، وكان ذلك الملك آريوسياً متعصباً فكان حانقاً على زوجته جندبرجا الكاثوليكية فقام بحبسها في إحدي غرف القصر الملكي حتى تكون بمعزل عن الآخرين، وقد أرسل إليه كلوفس الثاني ملك الفرنجة يطلب منه اطلاق سراحها، وقد وافق على ذلك بسبب العلاقات الطيبة بينهما، وقد كرست جندبرجا بقية حياتها للعبادة واعمال الخير[2]. وظل روثير يحكم حتى وفاته، وبعد وفاته عمت الفوضى والاضطرابات انحاء المملكة وغرق اللمبارديين في الحروب الاهلية[3].

ومهما يكن من أمر، فبعد وفاة روثير تولى عرش مملكة اللمبارديين خلال فترة لا تزيد عن عشر سنوات أربعة ملوك هم رودوالد Rodoald بن روثير (652-653) الذي حكم خمس شهور وسبعة ايام[4]، ثم أريبرت الأول Aripert I (653-661) دوق استي Asti، وهو ابن جندوالد شقيق ثيودويلندا، ثم خلفه ابناه بركتاريت Perctarit وجودبرت Godebert اللذان حكما معاً، وهو أمر لم يحدث من قبل في مملكة اللمبارديين، صحيح أن عادة تقسيم الملكة بين أبناء الملك المتوفي من الحقائق الأساسية في تقاليد الشعوب الجرمانية، وعلى وجه الخصوص الفرنجة، ولكنها بالنسبة للمبارديين كانت أمراً جديداً لم يألفوه من قبل، ويبدو إن أريبرت الأول قد ورث هذه العادة عن الفرنجة، حيث جده كان جاريبلد الأول(555-591م) دوق بافاريا التابعة لمملكة الفرنجة، ويبدو أنه ورث عادة تقسيم المُلك بين الأبناء عن الفرنجة. وعلى أية حال قد استقر بركتاريت في

---

(1) برسكيا: مدينة ايطالية تقع في سفوح جبال الألب في شمال إيطاليا في الطرف الأدنى من وادى ترومبيا Trompia، وتبعد عن ميلان مسافة 82 كم شرقاً، وهي عاصمة مقاطعة برسكيا في لمبارديا، واصبحت دوقية لمباردية بعد غزو اللمبارديين لإيطاليا. انظر،
Moore : Encyclopedia of Places, p.123.

(2)Fredegar: The Fourth Book, PP.59-60; Hodgkin, Italy ,V, p. 166.

(3) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص250؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 103

(4) الشيخ: الممالك الجرمانية، ص250؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 105

ميلان، في حين استقر جودبرت في بافيا. ولكن لم يستطيعوا الاستمرار معاً في الحكم، فاندلعت الحرب الأهلية بينهما[1].

وقد أنتهز جريموالد[2] Grimwald(662-671م) دوق بنفنتيو هذه الفرصة وأخذ يخطط للاستيلاء على عرش المملكة لإعادة توحيدها من جديد. واستطاع قتل جودبرت واستولى على العرش، ولكن بركتاريت استطاع الهروب إلى قبائل الآفار في سكثيا بمنطقة الدانوب طالباً حمايتهم. وطلب جريموالد من الآفار تسليمه بركتاريت ولكنهم رفضوا، ولكن في النهاية تخلى الآفار عن حماية بركتاريت وطلبوا منه مغادرة مملكتهم، وقد رجع بركتاريت إلى مملكة اللمبارديين طالباً العفو من جريموالد، ولكن هرب للمرة الثانية إلى كلوثر الثالث(657-673م) ملك الفرنجة[3]. وهنا تجددت العلاقات العدائية بين المملكتين مرة أخري منذ معاهدة الصلح التي تمت عام 591م.

وكانت النتيجة أن أرسل كلوثر الثالث ملك الفرنجة جيشاً اقتحم إيطاليا من ناحية جبال الالب غير أن جريموالد استخدم الحيلة في صد الفرنجة، إذ تظاهر بالفرار امامهم، تاركاً معسكره في ريفولي غنيمة لهم. وفعلا انطلت الحيلة على الفرنجة، فدخلوا المعسكر الخالي واخلدوا إلى الراحة. ومن ثم باغتهم جريموالد، واحدث في صفوفهم مذبحة مروعة لم ينج منها إلا القليل[4].

---

(1) Paul the Deacon: Langobards,p. 205;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص 105-106.

(2) جريموالد : هو ابن جيزولف Gisulf دوق فورم جولي Forum Julii، وبعد وفاة ابيه تولي عمه جراسولف Grasulf امر الدوقية فرحل جريموالد واخيه رودوالد الي بنفنتيو Beneventum حيث دوقها اريكيس Arichis الذي توفى وترك ابنه آيو Aio تحت وصاية جريموالد واخيه رودوالد، وبعد وفاة آيو تولى رودوالد، وبعد وفاة رودوالد تولى امر الدوقية جريموالد. للمزيد انظر: Paul the Deacon: Langobards,pp.188-200.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص 107، 110.

(4) Paul the Deacon: Langobards,p.216.

انظر أيضاً: الحويرى: اللومبارديون، ص110-111؛ اسامة زكى زيد: اللومبارديون، ص34.

ورغم ذلك فإن العلاقات بين الفرنجة واللمبارديين تحسنت كثيراً في أواخر عهد الملك جريموالد، وعقدت اتفاقية سلام بين الطرفين عام 671م، كان من أهم بنودها أن يوافق كلوثر الثالث على طرد بركتاريت خارج مملكته. وعندئذ اضطر الأخير أن يغادر مملكة الفرنجة واتجه إلى مدينة كنت[1] Kent بالجزيرة البريطانية في حماية ملك السكسون[2].

ظل الملك جريموالد يحكم مملكة اللمبارديين لمدة سبع اعوام حتى وفاته عام 671م. وتولى عرش المملكة بعده بركتاريت(688-671م) الذي كان هارباً، وظل يحكم لمدة سبعة عشر عاماً بعد أن أشرك معه في الحكم ابنه كانينكبرت Canincepert (688-700م) منذ العام الثامن لحكمه. وظلت العلاقات بين الفرنجة واللمبارديين في هدوء تام طوال تلك الفترة. وظل كانينكبرت يحكم بعد وفاة والده حتى وفاته عام 700م.

وفي عهد الملك ليتوبراند Liutprand(712-744م) ظلت العلاقات بين اللمبارديين والفرنجة طبيعية للغاية، فقد كانت تربط الملك ليتوبراند صلات

---

(1) مدينة كنت : هي مقاطعة في جنوب شرق لندن، تقع بين نهر التميز والقناة الإنجليزي. وهي من أول المناطق التي احتلها الرومان. من أبرز مدنها ميدستون، كانتبري، روتشستر، ودوفر وهي أحد أهم موانئها. ويُعد فولكستون من موانئها الهامة الأخرى. ولمدينة كانتبري أهمية كبيرة بالنسبة للبلاد، فيعتبر رئيس أساقفة كانتبري هو رئيس كنيسة إنجلترا. تجاور المقاطعة كلاً من شرق سسكس، وسوري، ولندن العظمى، وإسكس. وتقع في وسط نهر تيمز. كما تجاورفرنسا بشكل ضئيل. أتى اسم المدينة من مملكة كنت القديمة الانجلوسكسونية. انظر،

Moore : Encyclopedia of Places, pp.412-13.

(2)Paul the Deacon: Langobards,p.216.

أنظر أيضاً: اسامة زكى زيد: اللومبارديون، ص35.

المودة والصداقة مع شارل مارتل[1] (714-741م) رئيس البلاط والحاكم الفعلي في مملكة الفرنجة. ومما يؤكد على متانة هذه الصلات إن شارل مارتل بعث بابنه بيبن Pepin عند بلوغه مرحلة الرجولة إلى الملك ليتوبراند، ليقلده سيف الفروسية ويقص شعره طبقاً للعادة الجرمانية، فشمله برعايته، وأعاده إلى وطنه محملاً بالهدايا[2].

وفي عام 737م أرسل شارل مارتل مبعوثيه إلى الملك ليتوبراند يطلب منه المساعدة ضد المسلمين بعد توغلهم في جنوب غالة ووصولهم إلى مقاطعة بروفانس، واغاروا على مدينة آكس[3] Aix وآرل، ولم يتردد ملك اللمبارد في

---

(1) شارل مارتل: هو ابن غير شرعى لبيبن هريستال ووالد بيبن القصير، والمؤسس الحقيقي للدولة الفرنجية الكارولنجية، وقد لقب شارل ب مارتل أي المطرقة لانه دحر اعداء الفرنجة، وقد منحه البابا جريجوري الثالث لقب قنصل، كما منحه لقب مطرقة الله Marteau de Dieu، وألتصق به هذا اللقب طوال القرون التالية حتى يومنا هذا. وكان لشارل مارتل اثناء رئاسته للبلاط السلطة المطلقة فى مملكة الفرنجة، بحيث لم ينقصه سوى اللقب الملكي. انظر: عاشور: أوروبا، جـ 1، ص148-149، نجاة: حاشية ص42.

(2) Paul the Deacon: Langobards,p.296;

أنظر أيضاً : الحويرى: اللومبارديون، ص124.

- من المعروف أن الذكور من أفراد البيت الميروفنجى حرصوا أشد الحرص على أن يجعلوا شعورهم تنسدل على أكتافهم للدلاله على انحدراهم من ميروفتش (اله البحر)، وبالتالى فقد كانوا كهنه لقومهم. وهذا هو السر فيما اشتهروا به من الشعور المتهدلة. وجرى العرف الفرنجى على الاهتمام بشعر الملك الطويل الذي كان لا ينبغى ان يقص إلا إذا فقد الملك سلطانه كرها..... للمزيد أنظر، ديفز : شارلمان، ترجمة السيد الباز العريني، القاهرة 1959، ص 26؛ السيد الباز العريني: تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، دار النهضة العربية، بيروت 1968، ص232.

(3) أكس: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الشرقي من فرنسا، علي مسافة 18 ميلاً شمال شرق مارسيليا، وهي مركز ثقافي وتجاري وصناعي هام، وتتميز بالعديد من المباني الاثرية التي ترجع إلي القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين. أنظر،

Moore : Encyclopedia of Places, p.22.

مد يد العون إلى الفرنجة، فجهز جيشه وقاده لمساعدة حليفه شارل مارتل. ولكن يبدو أن المسلمين في هذه المرة ادركوا خطورة استمرار القتال ضد جيوش الفرنجة واللمبارديين معاً فآثروا الانسحاب، فقفل الملك ليتوبراند عائداً إلى إيطاليا[1].

على أن السلام الذي عم إيطاليا لم يدم طويلاً، حيث ثار ترانسموند دوق سبوليتو على مليكة ليتوبراند في عام 738م. وقد حاول ليتوبراند اخماد ثورته ولكن فر هذا الدوق إلى روما للاحتماء بالبابا جريجوري الثالث[2] Gregorg III (731-741م)[3]. وعندئذ طالب ليتوبراند البابا بتسليمه الدوق، بيد أنه رفض، مما جعل ليتوبراند يغير سياسته الودية تجاة البابوية، ويقف منها موقفاً حازماً، ومن ثم زحف بجيوشه صوب روما، وفي طريقه إليها استولى على مدينتي

---

(1) Paul the Deacon: Langobards,pp.29 6-7;

أنظر أيضاً: اسامة زكى زيد:اللومبارديون، ص35.

(2) البابا جريجوري الثالث: ولد في جريجوري الثالث سوريا، ولا يُعرف تاريخ ولادته على وجه التحديد، وتوفي في سنة 741م . واجه عند توليه المنصب البابوي مشكلة الخلاف حول اللايقونية . وقد بدأت هذه المشكلة عندما بدأ سلفه البابا جريجوري الثاني (715-731م) بشجب تحطيم الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث(717-741م) للصور الدينية المقدسة في المجمع الروماني سنة 731م . وقد تلى ذلك مرحلة سلمية قام فيها بتنصير القبائل الجرمانية بتعيينه القديس بونيفاس في سنة 732م لتنظيم الكنيسة الفرنجية . وفي عام 739 م، وعندما نهب اللمبارد بطرياركيه رافنا في إيطاليا، طلب جريجوري مساعدة الفرنجة . هذا الحادث غير المسبوق ادى إلي تعميق العلاقة في ما بعد بين الفرنجة الكارولنجيين والبابوية . ولم يأتِ للكنيسة الكاثوليكية لإثنى عشر قرناً أي بابا غير أوروبي بعد جريجوري الثالث، حتى انتُخب عام 2013 بابا من أمريكا اللاتينية هو فرنسيس الأول. للمزيد أنظر :

The New Encyclopaedia Britannica , Vol . IV , p. 726.

(3) Paul the Deacon: Langobards,p.299;

أنظر أيضاً، الحويرى: اللومبارديون، ص124.

اورتى، بومازو ومدينتين صوب روما في جنوب توسكانيا، وأخيراً وصل روما وفرض الحصار عليها. فاستنجد البابا جريجوري الثالث بشارل مارتل، وأرسل إليه مفاتيح قبر القديس بطرس739م، وخلع عليه لقب بطريق الرومان. ولكن رفض شارل مارتل التدخل في إيطاليا، إذا لم يشا أن يدخل في نزاع مع حليفه القديم ليتوبراند الذي مد إليه يد العون في حروبه مع المسلمين، وعرض على البابا أن يتدخل لفض النزاع بالطرق السلمية ولكن البابا رفض، مما أدى إلى سوء العلاقات بين البابوية وبين الفرنجة[1]. وكانت النتيجة أن تم حل الخلاف ودياً بين البابوية وبين ليتوبراند، وعقدت معاهدة سلام بينهما مدتها عشرون عاماً.

يتضح مما سبق، أن العلاقة بين الفرنجة واللمبارديين قامت على عدد من التوازنات، الأول كان وفقاً لما تقتضيه مصلحة الفرنجة واللمبارديين أنفسهم، فالفرنجة امتلكوا طموحاً في فرض أنفسهم على ساحة الأحداث السياسية في غرب أوروبا في هذا التوقيت، واللمبارديين عملوا وفقاً لما تقتضيه مصلحتهم الشخصية وحماية مملكتهم من الفرنجة، وهكذا نري العلاقة بين الطرفين علاقة مصلحة لأحد الاطراف ضد الآخر.

- **التحالف بين البابوية والفرنجة :**

كان نتيجة الاعمال الحربية المتكررة من اللمبارديين ضد البابوية أن تركت غضباً ومشاعر كراهية في نفوس البابوات ضد اللمبارديون، واخذت تتربص بهم الدوائر وتترقب الوقت المناسب للايقاع بهم[2]. وقد واتت الفرصة البابوية عندما تولي عرش مملكة اللمبارديين الملك استولف (749-756م) عام749م، فلم يكد استولف يتبوأ عرش المملكة اللمباردية، حتى بدأ بتنفيذ مشاريعه التوسعية بغرض السيطرة على إيطاليا كلها، فاستولى على كوماكيو Comacchio وفيرارا Ferrara وسقطت رافنا عام 751م، وبذلك فقدت الدولة البيزنطية نهائياً املاكها في شمال إيطاليا.

---

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص 125-126؛ اسامة زيد:اللومبارديون، ص42-43.

(2) سعيد عاشور: أوروبا، جـ 1، ص 126.

وفي العام التالي 752م حشد استولف كل طاقته وموارده واندفع إلى روما بغية اخضاعها. وقد حاول البابا ستيفن الثاني Steven II (752-757)[1] أن يخيف استولف بإنزال قرار الحرمان عليه، والاستنجاد بإمبراطور بيزنطة، ولكن ذلك التهديد لم يفلح في تحويل استولف العنيد عن قصده. واستنجد البابا بالفعل بإمبراطور بيزنطة قسطنطين الخامس[2] (741-775م) ولكن لم تنجح هذه المحاولة[3]. وفي هذا الموقف المحرج وجد البابا ستيفن الثاني نفسه مضطراً إلى العمل بسرعة للخروج من هذا المأزق، واتجه بنفسه إلى بيبن القصير ملك الفرنجة عام 754م.

---

(1) البابا ستيفن الثاني: تولي البابوية بعد البابا زكريا(752-741م)، وقد قام البابا ستيفن الثاني بزيارة مثمرة للبلاط الفرنجي في السادس من يناير سنة 752م لاعادة تتويج بيبن ومباركته وطلب المساعدة ضد اللمبارديين . وعلى بعد ثلاثة اميال من قصره في بونثيون Ponthion، مثل بيبن القصير دور المرشد لجواد البابا بمسكه العنان وقيادة الحصان حسب الطريقة التي نسبت إلى قسطنطين الكبير Constantine the Great (305-337م) في قيادته لجواد البابا سلفستر الأول Silvester I (314-335م) . وقد طلب البابا مساعدة بيبن الثالث لمواجهة خطر اللمبارد، فوعده بيبن بالمساعدة. انظر، عاشور: أوروبا، جـ 1، ص124-125؛ الحويرى: اللومبارديون، ص131؛ محمود القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان، ص45.

(2) قسطنطين الخامس: هو ابن الإمبراطور ليو الأول الايسوري(741-717م)، وكان شريكا لابيه في الحكم، تولي قسطنطين الخامس عرش الإمبراطورية البيزنطية عام 741م بعد وفاة ابيه، وقد تميز حكمه بمعاداة التماثيل والرموز المسيحية المجسدة مثله في ذلك والده الإمبراطور ليو الثالث، وقد جمع الإمبراطور قنسطنطين الخامس مجلساً من أساقفة الشرق في القسطنطينية 754م(المجمع المسكوني السابع)، حرم فيه عبادة الصور والتماثيل، ووصفها بإنها عمل "ممقوت"، وقال إن "الشيطان قد أعاد عبادة الأوثان إلي سابق عهدها عن طريق عبادتها". وفعل قسطنطين الخامس ما فعله هنري الثامن فيما بعد، فأغلق أديرة الرهبان والراهبات، وصادر أموالها، وحول مبانيها إلي أغراض غير دينية، ووزع أرضها على محاسبيه.... للمزيد أنظر، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص102؛ الشيخ : الإمبراطورية البيزنطية، ص136.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص131.

والتساؤلا هنا من هو بيبن القصير؟ وكيف وصل إلى عرش مملكة الفرنجة؟

وللاجابة على هذا السؤال ينبغي لنا توضيح دور رؤساء البلاط أو حجاب القصر[1] Major Domus في بلاط الفرنجة الملكي، وكيف وصل بهم الحال إلى تولي العرش الفرنجي والقضاء على سلالة الميروفنجيين. في البداية كانت وظيفة حاجب القصر أو رئيس البلاط يقوم صاحبها بالاشراف على خدم القصر وموظفيه، ولكنها اخذت تسمو تدريجياً حتى أصبحت أهم وظيفة في البلاط الملكي، وصاحبها أهم رجل في المملكة الفرنجية[2]. وكان من أهم ما شغل هذا المنصب بيبن الشيخ أو بيبن اوف لاندن[3] Pepin of Landen، الذي شغل رئيس البلاط في عهد الملك كلوثر الثاني (584-626م) وابنه داجوبرت الأول (629-639م)، وخلفه ابنه جريمولد Grimoald، الذي أصبح حاجباً لاوستراسيا (640-656م)[4]. وقد نجح جريمولد في ادارة اوستراسيا مدة سبعة عشر عاماً،

---

(1) اختلف المؤرخون العرب في ترجمة مصطلح Major Domus المترجم للغة الانجليزية بـ The Mayor of the palace والفرنسية Maire du Palais . فمنهم من يترجمه (بحاجب القصر) أو (حاجب البلاط) أو (ناظر القصر) أو (رئيس البلاط). للمقارنة أنظر : عاشور: أوروبا، جـ 1 ، ص178-183 ؛ عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الاوربية، ص88-92 ؛ عمران، أوروبا، ص149-152.

(2) Jeremiah O'sullivan and John Burns, Medieval Europe, New York , 1946., p. 167.

(3) كان فريديجار أول من أشار في حوليته إلي الجد الأكبر لاسرة "بيبن" بيبن اوف لاندن ، وذلك تحت أحداث سنة 613 عندما ذكر أن بيبن ذلك كان زعيما للاستقراطية العلمانية وكان رئيساً لبلاط أوستراسيا، ثم تنازل عن رئاسة البلاط لصهره انسجيز Ansegis (632-639م). وسرعان ما عاد ثانية بعد بضعة اعوام بعد وفاة الملك داجوبرت الأول وذلك سنة 639م، إلا انه توفي في العام المقبل أي سنة 640م.

Fredegar: The Fourth Book, PP.32-3.

(4) ايمان مسعد عبد الرؤوف عبدالله الوكيل: السياسة الداخلية لمملكة الفرنجة في عصر رؤساء بلاط الأسرة الميروفنجية(751-639م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعه طنطا 2009، ص22.

إلا إنه حاول سنة 656م نقل التاج إلى ابنهِ شلدبرت (Childebert)، فلم يحقق نجاحاً في مشروعه وقتل مع ابنه في السنة ذاتها[1].

وظهر في هذه الاثناء دور حاجب أوستراسيا بيبن الثاني أو بيبن هرستال Pepin of Hersital (687-714م) في أواخر القرن السابع، وهو ابن شقيقة جريمولد، واستطاع بيبن الثاني بعد اغتيال الملك داجوبرت الثاني سنة 679م من السيطرة على نوستريا وأوستراسيا وبرجنديا. مع ذلك فإن الحاجب ابقى الملك ثيودريك الثالث (673-679م) على العرش النوستوري محتفظاً لنفسه بالسلطة الفعلية[2] . فهو الذي يأمر بمصادرة الاملاك وتوزيعها وتعيين الحجاب في البلاطات الأخرى. ولم يعد الملوك الميروفنجيون غير اشباح هزيلة ولم يذكروا في المناسبات العامة إلا لماماً[3]. لكنه لم يجرؤ على أن يتخذ لقب الملك، فابقى في نوستريا ملكاً ميروفنجياً صار يرد اسمه في تواريخ الوثائق والعهود، وصار يظهر أمام الناس في أيام المواكب[4].

ويصف اينهارد، مؤرخ حياة شارلمان مدى ضعف سلطة الملوك الميروفنجيين مقارنة بتنامي سلطة حجاب القصر بقوله : "**لم يعد للملك سوى الاسم، والعقائص من الشعر المتهدل، واللحية الطويلة، يجلس على عرشه، ويعين بالادارة والحكومة، يستقبل السفراء ثم يصرفهم بما لقن من اجابات أو أوامر. أما حاجب القصر فانه، على ما هو معروف، ابقى له اللقب الملكي ووفر له ضروريات الحياة، ولم يكن للملك من الممتلكات سوى ضيعة صغيرة اتخذها مقراً، وليس له**

---

(1) Liber Historiae Francorum,pp.36-15; Orton, The shorter Cambridge Medieval History, Vol .I, P.158 .

انظر أيضاً، ايمان مسعد عبد الرؤوف: السياسة الدخلية لمملكة الفرنجة في عصر رؤساء بلاط الأسرة الميروفنجية، ص22-23.

(2) O'Sulillivan, Jeremiah and Burns, John , Medieval Europe, New York , 1946 , P. 167 ; Davis , A History of Medieval Europe, p.118.

(3) عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الاوربية، ص79-80.

(4) Pfister , "Gaul under the Merovingian Franks" , P. 127 .

إلا حاشية صغيرة العدد . ويرتحل الملك، كلما اقتضت الاحوال ذلـك، في عربـة تجرها الثيران، ويقودها راعي بقر على النحو المألوف في عربات الفلاحين . وعلى هذه الهيئة يجيء إلى القصر، وإلى الاجتماع السنوي للمجلس الملكي، بينما يتولى الحاجب الاشراف على الادارة، فيقرر كل ما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية من أمور"[1] . وبذلك، فقـد برزت قوة حاجب القصر وأخذ يمسك بزمام الـسلطة بعـد أن تحول الملك الميروفنجـي إلى رمز لا يملك من السلطة إلا الاسم فقط.

تولي شارل مارتل المطرقة(714-741م) منصب رئـيس الـبلاط عـام 714م بعد وفاة والده بيبن هرستال، وقام شارل مارتل بسلـسلة مـن الحـروب لتـأمين مملكة الفرنجة من ناحية الشرق، وقـام بعـدة حمـلات ضـد الـسكسون وضـد الفريزيين وضد البافاريين، وأوقف الزحـف الاسـلامى تجـاه مملكـة الفرنجـة، واستطاع هزيمة المسلمين في معركة تور بواتيية سنة732م[2] .

إن الانجازات التي حققها شارل مارتـل جعلتـه بحـق المؤسـس الحقيقـي لحكم السلالة الكارولنجية[3]، وكان صاحب الـسلطان الفعلـي والنظـري طيلـة

---

(1) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 44-45.

(2) أطلقت عدة تسميات على هذه المعركة مثل تور، نسبة إلي مدينة تـور القريبـة مـن المعركـة، وبواتييـه، وبـلاط الـشهداء، والـبرت أو البرتـات، وهـي الترجمـة العربيـة لجبـال الـبرانس (البرنييه)Pyrenees . وتعرف المصادر الاسـلامية المعركـة باسـم (وقعـة الـبلاط) أو (غـزوة البلاط) . حول المصادر الاوربية أنظر : Oman , Dark ages , pp. 291 -9.

(3) اختلف المؤرخون في أصل تسمية الكارولنجيين . فيشير احد الاراء ان التسمية جاءت نسبة إلي شارل مارتل، ويشير رأي اخر إلي ارتباط اسمهم بشارلمان، بينما يرى فريق ثالث ان التـسمية مشتقة من كون ثمانيـة شخـصيات مـن افـراد هـذه الاسـرة كانـت اسمـائهم شـارل (كـارل، كارلوس)، وهم شارل مارتل، شارلمان، شارل الابن الذي مـات في عهـد والـده، وشـارل الثاني (الاصلع) (ملك الفرنجة الغربيين 843-877 وإمبراطـور 875-877)، وشـارل ملـك بروفنس (855-863)، وشارل السمين (ملك الفرنجة 884-887 وإمبراطور 881-887)، وشارل البسيط (ملك الفرنجة الغربيين 893-923)، وشارل دوق اللورين . للتفاصيل انظر :
Painter, Sidney , A History of the Middle Ages 285- 1500, London, Macmillan & Coltd, 1963, p. 481.

حكمه، ولا سيما في السنوات الأربع الاخيرة . فلم يرشح ملكاً على المملكة بعد وفاة الملك داجوبرت الثالث[1] Dagobert III (711-716م). ومع ذلك، لم يحاول تتويج نفسه، وقسم المملكة قبل وفاته سنة 741م بين أولاده الثلاثة : فعهد إلى ابنه الكبير كارلومان Carloman باوستراسيا وثورنجيا، وإلى بيبن القصير بنوستريا وبرجنديا وبروفانس، أما ابنه الثالث كريفو[2] Crifo فخصص له اقطاعيات موزعة بين الممالك الثلاث[3] . ويدل تقسيم شارل للمملكة بين أبناءه على أنه كان فعلاً الحاكم الحقيقي في مملكة الفرنجة، إذ كيف له أن يقسم المملكة بين أبناءه وليس هو الحاكم الفعلي للمملكة، كما أنه لم يرشح ملكاً على المملكة بعد وفاة داجوبرت الثالث، ولكنه لم يحاول تتويج نفسه.

بعد وفاة شارل مارتل، قضى بيبن وشقيقه كارلومان ردحاً من الزمن في إخماد التمردات في بافاريا وصد غارات السكسون، إلى جانب تمرد شقيقهما كريفو الذي انتهى به الأمر إلى السجن. وفي محاولة لمواجهة مطالب العناصر المناوئة والمتذمرة، اتفق بيبن وكارلومان على اسناد التاج الميروفنجي سنة 743م إلى شلدريك الثالث (743-751م) مع احتفاظهما بالسلطة الفعلية[4] .

---

(1) الملك داجوبرت الثالث : ولد في سنة 699م، وتوفي سنة 716م . خلف ابيه شلدبرت الثالث في عرش علي نوستريا وبرجنديا عام 711م، وهو ملك نوستريا وبرجنديا . كان بيبن القصير يوجه قراراته طيلة فترة حكمه، وقد مات بيبن في عهده بعد ثلاث سنوات من توليه العرش وخلفه شارل مارتل . انظر،

Wood: The Merovingian Kingdoms ,p.256.

(2) كريفو: كريفو أو جريفون Griffon هو الابن الثالث لشارل مارتل، استعبد من الميراث في البداية وادخل سلك الرهبنه 741م، في عام 747م - بعد اقصاء كارلومان- اطلق بيبن القصير سراحه فاستعاد حريته، لكنه لم يحفظ الجميل وانضم إلي صفوف الثوار السكسون ضد بيبن القصير، وبعد ذلك سار بمفرده نحو أكوتين لمحاربة اخيه الذي انتصر عليه وقتل في وادي موريين Maurienne في إيطاليا سنة 752م. انظر، نجاة محمد احمد : السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان، حاشية ص49.

(3) C. Warren Hollister , Medieval Europe, New York , John Wileyson, 1978, P. 68 .

(4) Oman , Dark ages, PP. 268 -9 .

في عام 747م، اعتزل كارلومان شؤون الدولة، فأصبح بيبن القصير منفرداً في منصب حجابة القصر. وقد اتخذت العلاقة بالبابوية في عهده طابعاً جديداً. فمنذ أوائل القرن الثامن، فقدت الإمبراطورية البيزنطية كل ما تبقى لها من حق في إدعاء السيطرة على إيطاليا، إلى جانب عدم قدرتها على حماية الكنيسة. تزامن ذلك مع اختلاف جوهري حول العقيدة المسيحية بين الكنيستين الشرقية والغربية. فقد اعترضت الكنيسة الارثوذكسية (الشرقية) على عبادة الايقونات (الصور والتماثيل) التي شجعتها الكنيسة الكاثوليكية. وقد أصدر البابا جريجوري الثالث (731-741م) في سنة 731م قرار (الحرمان الكنسي) ضد اللايقونيين[1]. وهكذا، فقد أسهم الخلاف حول عبادة الايقونات في تعميق التباعد بين البابوية والبيزنطيين، وأدى من جانب أخر إلى التقارب بين الفرنجة والبابوية، حيث دعم الفرنجة جهود الكنيسة الكاثوليكية في تشجيع الايقونات.

تزامنت هذه الأحداث مع إدراك بيبن القصير لضرورة إنهاء الدولة الميروفنجية وعزل الملك شلدريك الثالث. لقد كان بيبن القصير ملكاً "من **الناحية العملية**" de facto، يطمح أن يكون "**ملكاً شرعياً**"[2] de Jure. إلا أنه تردد في تحقيق هذا الطموح، الذي يتعارض مع تقاليد الوصول إلى العرش الذي يشترط أن يرتبط بالاسرة الميروفنجية. ولما تعذر عليه هذا الارتباط الاسري، كانت كنيسة روما مخرجاً لتحقيق هذا الطموح. وقد استغل الخلافات بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية لعوامل عقائدية وطموحات إقليمية ترتبط برغبة الإمبراطورية البيزنطية في ضم الممتلكات الكنسية في إيطاليا إلى ممتلكاتها الإمبراطورية.

---

(1) Hollister, Medieval Europe, PP. 7071-; Burr :The Carolingian Revolution, p. 577 - 580.

(2). Henri Pirenne , A History of Europe , Vol . I , New York , Doubleday Anchor Books , 1956, p. 57.

وقد أوردت الحوليات الملكية الفرنجية Annales Regni Francorum تحت أحداث سنة 749م أن بيبن القصير أرسل وفداً إلى البابا زكريا [1] Zacharias (741-752) مكوناً من فولارد Fulard، رئيس دير القديس دنيس Denis وبورشارد Burchard أسقف ورزبورج Wurzboug، للمثول أمام البابا وسؤاله حول **"من هو الاجدر بحكم المملكة، أهو شلدريك الذي ليس له من السلطة سوى اللقب أم بيبن الحاكم الحقيقي؟"** فاجاب البابا زكريا بأن المهيمن على السلطات ينبغى أن يصبح ملكاً، وأصدر مرسوماً بابوياً بتعين بيبن القصير ملكاً. كما أوردت الحوليات الملكية الفرنجية تحت أحداث سنة 750م أنه طبقاً لعادة الفرنجة تم تعيين بيبن القصير (الثالث) ملكاً، وتوج من قبل رئيس الاساقفة بونيفاس، واعتلى عرش الفرنجة في سواسون، وذلك بعد أن عزل شلدريك الثالث[2] Childeric III (743-751)،

---

(1) البابا زكريا : ولد في سان سفرينو في إيطاليا، وتوفي في روما في سنة 752م. وأصبح بابا بين (741-752م)، وهو من اصل يوناني خلف البابا جريجوري الثالث في المنصب البابوي في عام 741م . كرس حياته للقيام بعلاقات دبلوماسية مع مملكتي اللمبارد والفرنجة والإمبراطورية البيزنطية . فعقد السلام مع اللمبارد، وحافظ على علاقات ودية مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس (741-775م) ونصحه باعادة عبادة الايقونات في الشرق. وقد ترجم البابا زكريا (محاورات البابا جريجوري الكبير) إلي اليونانية . أنظر،

The New Encyclopaedia Britannica , Vol . X , p. 852 .

(2) شلدريك الثالث: تولى شلدريك الثالث حكم مملكة الفرنجة بعد وفاة الملك ثيودريك الرابع(721-737م)، وقد عينه بيبن القصير على العرش بعد خلو العرش الميروفنجى لمدة ست سنوات، ويعتقد انه ابن ثيودريك الرابع، ولكن هناك رأى يقول بانه ابن الملك شلبريك الثانى(715-721م). انظر:

Wood: The Merovingian Kingdoms ,pp.290,354.

آخر ملك ميروفنجي. وبذلك، يُعد بيبن الثالث أول عاهل رسمي للسلالة الكارولنجية [(1)].

نعود من الاستطراد سريعاً، حيث نجد أن البابا ستيفن الثاني يتجه بنفسه إلى بيبن القصير ملك الفرنجة عام 754م. وعندما علم الملك بيبن بقدوم البابا بادر باستقباله، وأرسل ابنه شارلمان وجماعة من نبلاء المملكة للقاء البابا

---

(1) Annales Regni Francorum: dans Monumenta Germaniae Historica, SS. RER (Hannoverae. 1895) ed Kurze, Tome I, PP.810-; Jeremiah O' Sullivan, Medieval Europe., P. 183 ; G.L . Burr , The Carolingian Revolution, PP. 581 , 584 ; C. warren Hollister and Joe w. Leedom , Medieval Europe A short source book , New York , John wiley sons , 1982 , pp. 6768-.

استمرت الاسرة الكارولنجية في المانيا حتى سنة 911م، وفي فرنسا حتى سنة 987م وملوك هذه الاسرة هم: بيبن الثالث، شارلمان، لويس التقي (814-840م)، لوثر Lothaire (إمبراطور 840-855م)، لويس الجرماني Louis the German (ملك الفرنجة الشرقيين 843-876م)، شارل الاصلع Charles the Bald (ملك الفرنجة الغربيين 843-877م وإمبراطور 875-877م)، لويس (إمبراطور 855-875م)، (شارل ملك بروفنس 855-875م) لوثر ملك اللورين (855-869م)، كارلومان ملك بافاريا (876-880م)، لويس ملك سكسونيا (876-882م)، شارل السمين Charles the Fat (ملك الفرنجة الغربيين 877-879م)، لويس الثالث ملك الفرنجة الغربيين (879-882م)، كارلومان ملك الفرنجة الغربيين (879-884م)، شارل البسيط Charles the Simple ملك الفرنجة الغربيين (893-923م)، لويس الرابع ملك الفرنجة الغربيين (936-954م)، لوثر ملك الفرنجة الغربيين (886-954م)، شارل دوق اللورين، لويس الخامس (ملك الفرنجة الغربيين 986-987م) . وقد حكم من هذه الاسرة اثنان وعشرون ملكاً : اربعة في إيطاليا (المملكة الوسطى)، وستة في المانيا (المملكة الشرقية)، وتسعة في فرنسا (المملكة الغربية) . وقد انتهت هذه الاسرة سنة 987م، بتأسيس اسرة هيو كابيه Hugh Capet (987-1328م) في فرنسا، التي حكم فيها اربعة عشر ملكاً، أولهم هيو كابيه (938-996م) (987-996م). للتفاصيل أنظر :

Sidney Painter , A History of the Middle Ages , p. 481 ; Encyclopaedia Britannica online; Encyclopaedia International .

ومصاحبته، أما هو فقد استقبل البابا على مسافة ثلاثة اميال من قصره. وهنا تضرع البابا ستيفن إلى الملك بيبن وقد امتلأت عيناه بالدموع وهو يطلب مساعدته لاستعادة ممتلكاته التي استولى عليها اللمبارديين، فوعده بيبن بالمساعدة. وقام البابا بتتويج بيبن بيده واضفى عليه لقب البطريقية من باب التشريف في يوليو عام 754م[1].

أدي الاعتراف بشرعية حكم بيبن إلى التحالف بين الملكية الفرنجية والبابوية ذلك التحالف الذي جعل ملوك الفرنجة منذئذ فصاعداً الحماه للكرسي البابوي[2]، في الوقت الذي انقطعت فيه علاقة البابوية بالإمبراطورية البيزنطية بسبب السياسة اللاأيقونية[3] التي اتبعها الاباطرة الأيسورين[4]. وبذلك توطدت العلاقات والروابط بين البابوية ومملكة الفرنجة[5]. وبهذه الخطوة أخذ البابا ستيفن الثاني من بيبن أساسا للسلطة الزمنية مقابل الاعتراف الاسمي به كملك عام 754م[6].

ومن المسلم به أن التحالف البابوي الفرنجي كان بداية النهاية لمملكة اللمبارديين، بدليل أن استولف قد افزعه نبأ التحالف بين البابوية والفرنجة، وحاول اصلاح الأمور ولكن بعد فوات الاوان، إذا لم يلبث أن شن الملك

---

(1) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص124-125؛ الحويرى: اللومبارديون، ص131.

(2) كرستوفر دوسن: تكوين أوروبا، ص 264.

(3) اللاايقونية: هي تحطيم الصور ومناهضة عبادتها، وكان الدافع لهذه الحركة هو اعتقاد ديني، وادعي عباد الصور أن مناهضتها أو تحطيمها يعتبر إنكار لحقيقة التجسيد وبالتعبية إنكار للعقيدة المسيحية، ونشب نزاع مرير بين مؤيدي الحركتين اجتمع فيه من الاختلافات والدوافع السياسية والفلسفية بل العنصرية أيضاً ما يرجع أصول كثير منها إلي الماضي البعيد. انظر، موس: ميلاد العصور الوسطي، ص 302-303.

(4) دوسن: تكوين أوروبا، ص 264؛ عفاف صبره، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية 1982، ص 39.

(5) Burr, G.L,: "The Carolingian Revolution and Intervention in Italy", in: The Cambridge Medieval History, Cambridge, University Press, 1964, p.599.

(6) هلستر: تاريخ اوروبا، ص 117.

بيبن القصير حملتين عسكريتين ضد اللمبارد بين عامى 755 و 756م[1]، ونجح في انزال الهزيمة بالجيش اللمباردى حتى اجلاهم عن المدن التي استولوا عليها منذ وفاة ليتوبراند بعد أن حاصر بافيا عدة ايام، واجبر استولف على احترام البابوية، وإعادة ما اخذه منها من املاك، بعد أن اقسم وتعهد بعدم تهديد البابوية مرة أخرى، فضلا عن اعترافه بالتبعية لملك الفرنجة[2].

ومع ذلك لم تتحسن الأمور إذ استغل استولف خروج الجيش الفرنجى من إيطاليا، وتراجع عن الوفاء بما تعهد به، مما جعل بيبن يعود مرة أخرى وهزمه أيضاً، وجعله يتعهد بدفع جزية سنوية لملك الفرنجة تعادل ثلث دخله الملكي، فضلا عن مدينة رافنا وعدد آخر من المدن التي اخلاها اللمبارديون[3]، في حين توفى استولف سنة756م. ومن ثم اخذت مملكة اللمبارديين في الذبول والانحلال، ولم تعد تمثل خطراً على البابوية، أو تسبب ازعاجاً لدولة الفرنجة[4].

أما البابوية فقد غدت املاكها أقوى وحده مترابطة في إيطاليا، إذ امتدت من البحر الادرياتى ورافنا شرقا حتى روما غربا عبر الابنين، في حين فشلت الملكية اللمباردية في محاولتها توحيد إيطاليا. وهكذا اكتسبت البابوية سلطناً زمنياً إلى جانب سلطانها الروحي، حتى ظلت عقبة في سبيل الوحدة الإيطالية حتى القرن التاسع عشر[5].

---

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص135-136.
(2) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 44-45؛ الحويرى: اللومبارديون، ص135-136.
(3) موس : ميلاد العصور الوسطى، ص 340؛ عاشور: أوروبا، جـ 1، ص125-126؛ الحويرى: اللومبارديون، ص 136.
(4) موس : ميلاد العصور الوسطى، ص 340؛ عاشور: أوروبا، جـ 1، ص125-126.
(5) عاشور: أوروبا، جـ 1، ص 126.

عقب وفاة الملك ببين القصير[1] عام 768م جرت المناداة بولديه شارلمان وكارلومان، وكان قد قسم مملكته بينهما قبل وفاته. وكان نصيب شارلمان[2] (768-814) هو أوستراسيا Austrasia، والجانب الأكبر من نوستريا Nustria وما يتبع ذلك من الأراضي الواقعة بين نهري اللوار والجارون، ونصيب كارلومان(768-771) كان برجنديا وبروفانس وبافاريا والمانيا والجزء الجنوبى الشرقى من أكوتين[3]. وبذلك، كانت حصة شارل ذات أهمية سياسية وعسكرية، لاحتوائها على أهم إمارتين تشكلان الثقل الاساسي للدولة هما : اوستراسيا ونوستريا. ومع ذلك، لم تكن حصة كارلومان قليلة الأهمية، ولا سيما إنه سيطر على الأجزاء الغربية والجنوبية من المملكة .

وترتب على هذا التقسيم إن مملكة كارلومان كان يحيط بها مملكة شارلمان، كما جعل لكل من الاخوين نصيبا من المناطق التي تصل الأراضي

---

(1) كان لببين القصير اضافة إلى شارل وكارلومان ابنا ثالثا اسمه ببين، توفي طفلا، إلى جانب ابنه اسمها جزيلا Gisela توفيت سنة 810م . للتفاصيل أنظر:

Lewis Thorpe , Einhard and Notker the stammerer two lives of chariemagne , London , penguin books , 1971 , p. 3 .

(2) اسم شارلمان Charlemagne هو تخفيف للمصطلح اللاتيني Carlus Magnus (كارلوس العظيم) الذي استخدم بعد مائتي سنة أو اكثر من وفاته في (اناشيد المآثر الفرنسية) Chansons - de - Geste . ويعني اسم شارلمان وفقا لاصله اللاتيني (الرجل العظيم) . ولذلك ترجم إلى الانجليزية Charles The Great والفرنسية Charles le Grand والى الالمانية Karl der Grosse. ويؤكد المؤرخون الالمان على استخدام اسم كارل بدلاً من شارل أو شارلمان . للمقارنة أنظر:

Lewis Thorpe :Einhard and Notker., P. 1 ; Harold Lamb , Charlemagne The Legend and the man, London , Robert Hale limited , 1955 , P.9 .

ويشير هالفن إلى أن لقب شارلمان استخدم لاول مرة سنة 841م، أو بعد ذلك بفترة قصيرة، من قبل حفيده Nithard . للمقارنة أنظر:

Louis Halphen , Charlemagne et L' Empire Carolingien , Paris , Editions Albin Michel 1949 , P. 57.

(3) Kleinclausz, A: Charlemagne, Paris. 1934, p.3-4.

الرومانية بالأراضي الجرمانية[1]. وربما ذلك التقسيم كان رغبة من بيبن في أن يهيئ للأخوين ما يحفزهما على الاهتمام بالمصالح المشتركة بينهما، والعمل على إقرار السلام سوياً في بافاريا أو أكوتين، أي أن المهارة السياسية بُذلت لتخفيف المساوئ الناجمة عن التقسيم، وذلك إدراكاً لما ينطوي عليه التقسيم من مساوئ[2].

كان كارلومان في السادسة عشرة من عمره بينما كان شارلمان في السادسة والعشرين، وقد ساد بين الاخوين روح العداء منذ البداية، فقد كان كارلومان سريع الاثارة ووقع فريسة سهلة في أيدى المتملقين الذين ذكروا له أنه هو الابن الشرعى لبيبن وله الحق في أن يحوز كل المملكة، باعتبار أن شارلمان ابناً غير شرعى لبيبن، ولذا أخذ كارلومان يزعم لنفسه الحق في أن يحصل على كل المملكة[3]، لكننا لا نؤيد ذلك الرأي، وذلك لأنه يغاير ما تميز البيت الكارولنجي من توريث أملاكهم، فلم يحاول شارل مارتل أو حتى شارلمان نفسه فيما بعد أن يجعلا لأبنائهم الغير شرعيين نصيباً في الارث الملكي[4].

تحمل شارلمان بصبر عداء شقيقه وحسده فلم تخرجه تصرفاته عن الاتزان إلى الغضب. وعلى أية حال، فإنهما كانوا دائماً على حافة النزاع والقتال لولا نفوذ أمهما برثراده Bertrada[5] التي عملت على التوفيق بينهما. وعندما قامت ثورة بإقليم أكوتين، طلب شارلمان المساعدة من شقيقه ولكن رفض كارلومان

---

(1) ديفز: شارلمان، ص 51.

(2) Oman: Dark Ages,p.330.

(3) اينهارد: سيرة شارلمان، حاشية ص 53.

(4) ديفز: شارلمان، ص 52.

(5) برثراده : وردت برثراده فى لاكرواLacroix باسم برث Berthe وهماتروود Himiltrude وسميت صاحبة القدم الطويلة، لان احدى قدميها اطول من الأخرى. وهى ابنه كونت لاوونLaon . كانت تصاحب زوجها فى رحلاته وحملاته، وكثير ما كانت تسدى اليه النصح. وقد ورد ذكرها فى القصص باسم برتا ذات القدم المفرطح. للمزيد انظر، نجاة محمد احمد: السياسة الخارجية لشارلمان لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان، ص81.

مساعدته، وذلك لأن أملاكه في أكوتين لم يصبها أي أذى بسبب هذه الثورة، وهنا شارلمان اعتمد على نفسه واستطاع القضاء على الثورة بدون مساعدة شقيقه، وبذلك ظلت أكوتين تعيش في هدوء وسلام ولمدة عقد من الزمان لم تتفجر بها ثورات ذات أهمية[1]. وهكذا استطاع شارلمان القضاء على ثورة أكوتين، ولكن لم ينسى موقف شقيقه والتي اعتبرها خيانة[2]، ومع ذلك بذلت جهود كبيرة للمصالحة بينهما عن طريق والدتهما، واقتنع شارلمان بمصالحة شقيقه إلا أنه رأى أن يحترز منه ويراقبه مستقبلاً خوفاً منه[3].

نتيجة هذه الاحداث فكر شارلمان في إقامة تحالف سياسي ضد شقيقه كارلومان وذلك لتطويقه من الشمال والجنوب ولذا سعى إلى عقد معاهدة رسمية مع تاسيلو الثاني Tassilo II[4](748-788م) دوق بافاريا الذي كان من اتباع والده، وكان قد ثار عليه. كما عمل على محالفة دسيدريوس ملك اللمبارديين بإيطاليا، والذي كان يرغب أيضاً في التحالف مع مملكة الفرنجة[5].

---

(1) وفاء مختار غزالي: السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة 2013، ص 109-112.

(2) وذلك لان قانون الفرنجة يقضى بأنه يجب أن يضع الوارثون احقادهم وخلافاتهم جانباً، ويتحدوا معاً ضد عدو الوطن. انظر، ديفر: شارلمان، ص54-44.

(3) Oman: Dark Ages,p.337.

(4) تاسيلو الثاني : تولى تاسيلو دوق بافاريا الدوقيه من 748 حتى 788م، وكان قد اقسم بالتبعية لبيبن ملك الفرنجة فى عام 757م، ولكن لم يقف مع الملك بيبن تجاه الثورة التي قامت ضده فى أكوتين عام 763م وثار ضده، ولكن فى عام 787 جدد تبعيته لملك الفرنجة شارلمان، وعقد معاهدة رسمية مع شارلمان، ولكن في العام التالي أُتهم تاسيلو بانه حرض الآفار ضد الفرنجة، فاستدعاه شارلمان الذي قبض عليه واودعه في احد الاديرة، واصبحت بافاريا من دوقية شبة مستقلة إلي جزء حقيقي من مملكة الفرنجة، وقام بتقسيمها إلي كونتيات اقطعها لاتباعه. للمزيد انظر: اينهارد: سيرة شارلمان، ص 83-85؛ Cawley Charles: BAVARIA, p.9.

(5) Oman: Dark Ages,p.337.

على الجانب الآخر في مملكة اللمباردين توفي الملك استولف في عام 756م، وجرى استدعاء شقيقه راتشيس من دير مونت كاسينو ليخلفه على المملكة، ولكن دسيدريوس(757-774) الذي كان يريد العرش لنفسه، عارض بشدة عودة راتشيس إلى العرش. ومن الجدير بالذكر أن دسيدريوس وجد تأييد قوياً من البابا ستيفن الثاني ومن بيبن القصير ملك الفرنجة الذي ساعده في الوصول إلى العرش اللمباردي، وذلك بعد أن أخذ منه وعداً بالمحافظة على الاتفاقية التي عقدها استولف سنة 754م، وجرى تجديدها 756م، يضاف إلى ذلك أن دسيدريوس أقسم في حضور ممثل الملك بيبن القصير في إيطاليا أن يعيد إلى البابا مدن فاينزا، ايمولا، فيراري، بولونيا، انكونا، اوزيمو، واومانا والمناطق التابعة لها[1].

وبالفعل توج دسيدريوس ملكاً في مارس 757م. ولكن لم يكد يتوج حتى كشف عن نواياه الحقيقة تجاة البابوية ومملكة الفرنجة على حداً سواء، ويظهر ذلك واضحاً في إنه إستغل فرصة انشغال الملك بيبن القصير بمتاعبه في إقليم أكوتين، ورفض أن يسلم البابا الأراضي التي وعد بها باستثناء فاينزا ودوقية فيراري[2]. فقد سار دسيدريوس على سياسة سلفه استولف، بل ورث عن طموحاته. واعتبر دسيدريوس وفاة بيبن القصير عام 768م نهاية التدخل الفرنجي في إيطاليا، وفرصة سانحة بالغة الأهمية لتحقيق طموحاته في توسيع رقعته وفرض نفوذه في جميع أنحاء إيطاليا، وتحطيم الروابط المتينة القائمة بين البابوية ومملكة الفرنجة[3]، ويحرم البابوية من الهبات السخية التي كانت تصلها باستمرار من الفرنجة من جهة أخرى[4].

من هذا المنطلق، اعتقد دسيدريوس أنه اجتاز مرحلة الخوف من التدخل فيما وراء جبال الالب. ولقد عزم على توثيق المصاهرات السياسية بإقامة

---

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص137-138.

(2) الحويرى: اللومبارديون، ص138.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص144.

(4) الحويرى: اللومبارديون، ص 144-145.

مصاهرات عائلية مع الزعماء الكاثوليك المجاورين هادفاً من ذلك الحيلولة دون تقديم هؤلاء يد المساعدة للبابوية. ومحاولة الدخول في علاقات وطيدة مع جيرانه الفرنجة. وسار على تلك السياسة حتى يمتد نفوذه ليصل إلى أقصى شبة الجزيرة الإيطالية. وقد بلغ طموحه مداه حين سعى إلى تحويل المملكة اللمباردية القائمة على الانتخاب إلى مملكة وراثية[1].

من منطلق تنفيذ سياسته بعيدة المدى تلك، فإنه وثق علاقاته مع دوقي اللمبارديين في سبوليتو Spolete وبنفنتيو Benevent إذ زوج إحدى بناته وهى ادلبرج Adelberge إلى اريجيس Arechis دوق بنفنتيو، والأخرى وهى ليتوبرج Liutberge لتاسيلو Tassilon دوق بافاريا، أما ابنته الثالثة وهى دسيدراتا Desiderata[2] فكان يأمل أن يزوجها إلى أحد ملكى الفرنجة على أن يتزوج ابنه ادلجيس Adalgise من شقيقتهما جيزيلا Gisela[3].

وهكذا حاول دسيدريوس تطويق روما والأملاك البابوية. ومن البديهى أنه رسم خطط مشروعه بمهارة وإحكام بالغين. فهو لم يستهدف من ورائه دعم موقفه ومكانته لدى الفرنجة فحسب، بل أراد أيضاً أن يقلب السياسة التي اتبعها الفرنجة تجاه إيطاليا في السنوات الأخيرة رأسا على عقب، ولهذا لو كان بيبن حياً، لعرف ما يجول بخاطر دسيدريوس، وبالتالى أوقف هذا المشروع[4].

---

(1) Kleinclausz: Charlemagne, p.7.

(2) دسيدراتا : وردت دسيدراتا فى "لاكروا" باسم هيرمنجارد Hermendard بدلا من دسيدراتا، كذلك اعتبرها شقيقة دسيدريوس وليست ابنته. انظر: نجاة محمد احمد : السياسية الخارجية لشارلمان، حاشية، ص 82.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص 144-145.

جيزيلا: كانت جيزيلا متدينة ومحبة للعلم بعكس ما اشتهرت به بقية اخوات وبنات شارلمان، وكانت تقوم بنسخ المخطوطات فى دير Chelles قرب باريس. انظر: وفاء الغزالى: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، حاشية ص 113.

(4) Kleinclausz: Charlemagne, pp.6-7.

على الجانب الآخر أيضاً بمملكة الفرنجة نجد إن الملكة برثراده والدة شارلمان تعمل على هذا التحالف وتوجهت إلى إيطاليا، وانتهت مساعيها بالنجاح، وباركت هذا المصاهرة وكانت راضيه عنها[1]، إذا مارست الأم نوعا من التأثير الخاص على سياسة شارلمان، ونجحت في تسييره في الاتجاه نحو السلام. وكانت من طبيعة الملكة الأم إنها تجنح دائما إلى السلام، إذ سعت إلى اقامة سلام عام بين حكام الغرب المسيحي من اللمباردیين والبافاريين والبابوية، وتم ذلك بفضل وساطة رئيس دير ستيرم Sturm في فولدا[2] Fulda وبعدها تدخلت هى شخصياً[3].

وبعدما عادت الملكة الأم من إيطاليا التقت بشارلمان في مدينة سيلز[4] Seltz وسعت الأم جاهدة لتزويجه. واقترحت عليه الزواج بدسيدراتا Desiderata ابنة دسيدريوس ملك اللمبارديين. وفي الوقت نفسه اقترحت أيضاً تزويج جيزيلا الأميرة الفرنجية بابن دسيدريوس ادالجيس[5]. وقد وافق شارلمان وسعى إلى هذه الزواج هادفاً من ذلك تحصين نفسه ضد شقيقه كارلومان، اضف إلى ذلك انه عقد حلفاً مع تاسيلو دوق بافاريا حتى يستخدمه سهماً في حربه المرتقبة ضد شقيقه[6].

---

(1) Calmette, Joseph : Charlemagne Sa vie et son Oeuver, Paris 1945, p.49

(2) فولدا : مدينة المانية تقع علي نهر الفولدا علي بعد حوالي 88كم من، غالبية سكانها من الكاثوليك، بها اسقفية كاثوليكية وكاتدرائية وكنيسة سان ميشيل وبها دير مشهور بناه القديس بونيفاس سنة 744م . انظر:

Moore : Encyclopedia of Places, p.292.

(3) نجاة محمد احمد : السياسية الخارجية لشارلمان، ص 81-82.

(4) سليز: مدينة تقع على ضفاف نهر الراين الاسفل في منطقة الالزاس في شمال شرق فرنسا. تبلغ مساحة هذه المدينة 21 (كم^2)، وهى عاصمة مقاطعة كان Cant وتبعد 41كم جنوب ميتز . انظر:

Moore : Encyclopedia of Places, p.748.

Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie,p 1741.

(5) لم توافق جيزيلا شقيقة شارلمان علي هذا الزواج، ولجأت إلي أحد الاديرة، انظر

Kleinclausz: Charlemagne, p.8.

(6) Oman: dark Ages,pp.337-8.

والملاحظ إن كارلومان اظهر في كافة المناسبات صداقة حميمة لدسيدريوس، لكون أملاكه تتلاصق مع الأملاك اللمباردية لمسافات طويلة، كذلك تبادلا الهدايا. ويتضح من ذلك تقدم بروز وفاق سياسي فرنجى لمباردى، وفرنجي بافاري[1].

وهكذا يتضح لنا بجلاء توافق مساعى دسيدريوس مع رغبات برثراده التي ارتسمت لنفسها إقامة مصاهرة فرنجية لمباردية[2]، ولكن لم ترق هذه التطورات للبابوية . فعندما سمع البابا ستيفن الثالث[3] (768-772م) بهذه الأحداث، حذر الفرنجة من التحالف مع اللمبارد، ولكنه كان غير متأكد عما إذا كان شارلمان أو كارلومان الذي يريد أن يتزوج وسارع إلى مراسلتهما قائلاً: **"لقد امتلأ قلبي غيظاً وفزعاً عندما تواترت الاخبار بأن الملك اللمباردي يحاول جاهداً حث احدكما على الزواج من ابنته وهو في حقيقته مشروع من عمل الشيطان وعمل غير شرعي لا تقره الكنيسه، وأنه لجنون كبير أن يرتبط بيتكم الملكي المنحدر من شعب الفرنجة العريق الذي يفوق جميع الشعوب قاطبة بالزواج من الجنس اللمباردي الحقير، وهو عنصر منبوذ وثني كريه لا وزن له بين الشعوب. . . ."**[4]. وهدد بإيقاع عقوبة الحرمان Excommunication، إذا لم تؤخذ تحذيراته بنظر الاعتبار. ومع ذلك، عندما تزوج شارلمان من عروسه اللمباردية دسيدراتا ابنة

---

(1) Kleinclausz: Charlemagne, p.7-8; Calmette: Charlemagne, p.49.

(2) Kleinclausz: Charlemagne, p.8.

(3) البابا ستيفن الثالث: ولد ستيفن الثالث حوالي عام 720م بصقلية، أتى إلي روما في عهد البابا جريجوري الثالث(741-731م) واقام معه في القديس Chrgsogonus حتى أصبح رجل دين علي الطريقة البندكتية، ولكنه أخذ من هذا الدير بواسطة بالبابا زكريا(752-741م) الذي رسمه كاهناً، وظل ستيفن ملازما للبابا بولس الأول(757-767م) وهو علي فراش الموت. انظر، احمد محمد: اللومبارديون في إيطاليا، حاشية ص164.

(4) Gerhard Seeliger , "Conquests and Imperial Coronation of Charles the Great" in : The Cambridge Medieval History , vol .II , Cambridge , The University Press , 1964 , p. 596; Oman , Dark ages ,P. 338; Kleinclausz: Charlemagne, p.6.

دسيدريوس، لم ينفذ البابا ستيفن الثالث تهديداته[1]. إذ انه لم يرى في هذا التحالف سوى خطر يهدده، والسبب في ذلك خوفه من طموحات دسيدريوس وصمت شارلمان نتيجة تلك المصاهرة وتأييده لها، وأرسل البابا خطاباً إلى شارلمان اعترض فيه على الزواج، وأنه تزوج من قبل ولا يستطيع الزواج مرة أخرى من الأميرة اللمباردية. إلا أن بعض المؤرخين ذكروا إن برثراده اجبرت شارلمان على تطليق زوجته "امودرو" "amodru". والملاحظ إن الطلاق آنذاك كان مسموحاً به ويمارس عند الفرنجة[2]- علماً بأن المسيحية على المذهب الكاثوليكى تمنع الطلاق منعاً باتاً- إلا ان واقع الأمر امودرو لم تكن زوجة شرعية بل كانت محظية[3].

ويبدو أن البابا كان مدركاً لعدم امكانه مواجهة الفرنجة واللمبارد في آن واحد. فخضع للأمر الواقع. لقد أدى هذا الزواج إلى أن يصبح للملك دسيدريوس موقع متميز في روما. وأخذ دسيدريوس يحرص على الظهور بمظهر الصديق للبابا، وتم التغلب على أعداء اللمبارد وأنصار كارلومان[4]. ومما يدلل على محاولة البابوية مهادنة الوضع الجديد الرسالة التي بعث بها البابا ستيفن الثالث إلى شارلمان، وضمنها ثناءه على ملك اللمبارد باعتباره "منقذه وابنه البار"، الذي أعاد أخيراً ميراث القديس بطرس[5].

وتحقيقاً لسياسة المصاهرة التي سارت عليها برثراده، توجهت إلى بافيا عاصمة اللمبارديين لتطلب ابنة دسيدريوس كزوجة لابنها البكر شارلمان؛ مما

---

(1) Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II ,, P. 596 .

(2) ظل الفرنجة يمارسون عاداتهم وتقاليدهم الوثنية بما فى ذلك حق الزوج فى تطليق زوجته والزواج بأكثر من واحدة، كحفاظاً على عدم ارتداهم إلي الوثنية. لذا اغفل رجال الدين الكاثوليك عن عملية الطلاق. انظر : نجاة محمد احمد : السياسية الخارجية لشارلمان، حاشية، ص 87.

(3) Calmette: Charlemagne, p.51.

(4) Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II , P. 596 .

(5) Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II , P. 596 .

يؤكد بوضوح بالغ الدور النشط للملكة الأم في تسيير أمور شارلمان الشخصية، بل والسياسية أيضاً[1]. وعادت الأم ومعها دسيدراتا اللمباردية إلى مملكة الفرنجة وإن لم يتم زواج جيزيلا التقية التي رفضت الزواج ودخلت الدير[2].

احتفل شارلمان بزواجه في هدوء ودون أي احتجاج مؤثر من البابا الذي هدأت ثائرته عندما قام دسيدريوس بمعاونته ضد مؤامرة رجال الدين في روما، والتي قيل إن كارلومان أثارها رغبة في عزل البابا. وكان أن تم الزواج في مدينة ميتز في عيد الميلاد عام 770م[3]. ومما يسترعى الانتباه إن اينهارد لاذ بالصمت بخصوص هذا الموضوع، ولم يوضح لنا حقيقة الدوافع الكامنة وراء تحالف سيدة مع دسيدريوس، وهل كان ذلك موجها ضد كارلومان أم لا واكتفى بالإشارة إلى أن سيده تحالف مع دسيدريوس وأكد هذا التحالف بالزواج من ابنته[4]. وهذا أيضاً مثالاً على إن التحالف كان يتم بالزواج، وإن المصاهرات السياسية كانت تأكيداً للتحالفات السياسية بين الممالك الجرمانية بعضها البعض.

حدثت بعض الأمور قبل ذلك بوقت قصير أجلت القضاء على مملكة اللمبارديين على يد الفرنجة. فقد حدث بعد وفاة البابا بولس الأول[5] (757-767م) في 767م أن أصبحت الفرصة مواتية للارستقراطية العسكرية لتحل محل البيروقراطية الاكليروسية التي هيمنت وسيرت آخر بابويين. وقام توتو Toto دوق توسكانيا Toscane بفرض انتخاب شقيقه قسطنطين للبابوية وهو أحد العلمانيين الذين أنعم عليه في بضعة أيام بكافة الرتب الاكليريكية، وانتهى المطاف بتتويجه

---

(1) Kleinclausz: Charlemagne, p.9.

(2) ديفز: شارلمان، ص56.

(3) Kleinclausz: Charlemagne, pp.9-10.

(4) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 115.

(5) البابا بولس الأول: كان بولس الأول شقيقاً لستيفن الثانى، تولى البابوية 757م، وظل فى البابوية إلي سنة 767م. والجدير بالذكر انه أرسل إلي بيين القصير ساعة تدور بتروس شهدتها بلاد الفرنجة لاول مرة؛ مما يؤكد أن الفرنجة كانوا على علم ببعض الساعات منذ عهد بيين. انظر،
Bouillet: Dictionnaire universel d'histoire et de géographie,p 1444.

بابا في الخامس من يوليو من عام 767م، إلا أن فريق من رجال الدين ثار على تلك الأوضاع، وتزعم هؤلاء الثوار شخصاً يدعى كريستوف Christophe وابنه سرجيوس- وكان الأول مستشارا للبابا بولس السابق وكان الآخر يشغل منصب أمين غرفة المقدسات في كنيسة القديس بطرس-، وقاموا باستدعاء ملك اللمبارديين درسيدريوس. وبفضل الجيوش اللمباردية التي أرسلها دسيدريوس أن تمكن من الاطاحة بالبابا قسطنطين(767م) وسمل عينية. وفي مستهل عام 768م تمكن الظافرون من تنصيب ستيفن الثالث (768-772م) أحد رجال الدين بابا على البابوية. وأدت هذه الأحداث إلى ارتفاع مكانة كريستوف وابنه سرجيوس اللذان استغلا ضعف البابا ستيفن الثالث واستبدا بالامر وهيمنا على البابوية[1].

استبد الامر بالبابا ستيفن الثالث وحاول أن يقلل من نفوذ كريستوف وابنه، بطلب المساعدة من مملكة الفرنجة، ولكن مملكة الفرنجة كانت تمر آنذاك بفترة اضطراب بسبب النزاع المستمر بين شارلمان وكارلومان حالت دون تدخلهما في شئون إيطاليا، مما جعل البابا يستعين بملك اللمبارديين للتخلص من كريستوف وابنه، فعمل دسيدريوس على استغلال الفرصة وانتهى ذلك بموت كريستوف وإيداع ابنه السجن مع العديد من أنصاره وبذلك انتصر الحزب اللمباردى في روما على خصومه دون منازع[2]، وأعقب ذلك أن أرسل البابا رسالة إلى شارلمان ذكر فيها أن كريستوف وابنه تآمرا على قتله وانه يدين بحياته إلى دسيدريوس الذي لم يتوان عن المجئ إلى روما لرد الاملاك البابوية[3]. ولكن عندما طالب البابا دسيدريوس بإقامة مفاوضات مباشرة لحل النزاع بينهما والتنازل عما اغتصبه من أملاك، رفض المطالب البابوية رفضاً تاماً[4].

---

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص 139-141.

(2) الحويرى: اللومبارديون، ص143؛ وفاء الغزالى: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 154.

(3) الحويرى: اللومبارديون، ص144؛ وفاء الغزالى : السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص154.

(4) نجاة محمد احمد : السياسة الخارجية لشارلمان، ص90.

وحدث أن كتب البابا ستيفن الثالث خطاباً إلى شارلمان يشرح له الاحداث الجارية آنذاك حتى يشعره بمدى خطورة ازدياد نفوذ دسيدريوس وخطره على روما والبابوية. وبالفعل أدرك شارلمان خطورة الموقف وما يمثله ازدياد نفوذ دسيدريوس في روما من خطورة على مملكة الفرنجة؛ لذا خلال صيف 771م قام بتطليق زوجته اللمباردية دسيدراتا. فانهار التحالف السياسي الذي تشكل نتيجة هذا الزواج، بل تحول إلى عداء مرير، وأنهى هذا الطلاق مخاوف البابوية من التحالف الفرنجي اللمباردي الذي يهدد نفوذها في إيطاليا. ويقال أن سبب تطليق دسيدراتا بدعوى إنها مريضة وعاقر، وإن كنا في الحقيقة لا نستطيع الجزم بالدافع الذي حدا به إلى طلاقها[1].

تزوج شارلمان من فتاة أخرى هي هلدجارد[2] Hildegard[3]، وبالرغم من غضب أمه وشجارها معه إلا أن ذلك لم يصرفه عن قراره، وكذلك موقف باقي الفرنجة الذين وجهوا له اللوم والتأنيب واعتبروا ذلك خيانة[4]، وظلوا على حبهم لدسيدراتا التي كانت في نظرهم الزوجة الشرعية[5]. أما البابا فلم يظهر أي احتجاج على الطلاق الذي يخالف قوانين الكنيسة وربما كان ذلك يوافق أهدافه الخاصة[6].

(1) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 115.

(2) هلدجارد: هى فتاة من اقليم سوابيا الذي يقع بالجنوب الغربى من المانيا الاتحادية حاليا. وكانت فى الثلاثين من عمرها عند زواجها من شارلمان عام 771م. وقد انجبت له اربعة اولاد هم : شارل وبيبن ولويس ولوثر وخمسة بنات من بينهن : روترود وبرثا. وقد استمر زواج شارلمان بها حتى وفاتها عام 783م. انظر: اينهارد: سيرة شارلمان؛ حاشية، ص 116-117.

(3) اينهارد: سيرة شارلمان، ص 116.

(4) ديفز: شارلمان، ص56.

(5) Oman: Dark Ages,p.338.

(6) Gerhard Seeliger :Conquests and Imperial, p. 596.

بينما كانت الامور تجرى على هذا النحو أن توفي كارلومان فجأة في زهرة شبابه في مستهل العام الرابع من حكمه 771م، وفي لحظة ما "وصل الوفاق بينه وبين شقيقه شارلمان إلى طريق مسدود لا يمكن إعادته إلى حاله إلا بمشقة بالغة". واندلعت مشكلة كبرى، فالملك المتوفي كان قد ترك أرملة وهى جربرجا وولدين قاصرين، ونتج عن قيام شارلمان باغتصاب أملاك شقيقه لجوء الارملة مع ولديها إلى دسيدريوس لمناصرتها وإرجاع أملاك ولديها المغتصبة، إضافة إلى تطليق شارلمان لابنته كل هذه الامور أججت الحرب بين شارلمان واللمبارديين، ونتج عن ذلك بروز المشكلة اللمباردية في الافق[1].

وكان أن مات البابا ستيفن الثالث عام 772 وخلفه البابا هادريان الأول Hadrain I (772-795)[2] الذي اشتهر بكراهيته الشديدة لللمبارديين، والذي ساءت العلاقات بينه وبينهم في هذه الفترة، واستغل دسيدريوس الفرصة التي اتيحت له، وهى لجوء ارملة كارلومان إليه، وقام بتجنيد الجيش اللمباردى كله واتجه به صوب روما، مصطحبًا معه ارملة كارلومان وولديها، وحاول دسيدريوس أن يجبر البابا على تتويج ولدى كارلومان ومنحهما بركته حتى يجعل منهما منافساً خطيراً لشارلمان انتقاماً منه لطلاق ابنته من ناحية وليفسد العلاقات بين البابوية والفرنجة من ناحية أخرى، ومن ثم يحقق حلمه في إيطاليا الموحدة تحت نفوذه، لكن البابا رفض لأن ذلك يتنافى مع مصالحه الشخصية في محالفة الفرنجة مما أدى إلى تشديد دسيدريوس قبضته على روما، فعمل البابا على الاستنجاد بشارلمان حيث بعث إليه سفارة يطلب منه إنقاذ الكنيسة والاكسارخية

---

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص147؛ نجاة محمد احمد :السياسة الخارجية لشارلمان، ص 93؛ وفاء الغزالى: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 154.

(2) البابا هادريان الأول : تولى البابا هادريان الكرسي البابوي في فبراير سنة 772م، وينحدر من احدى الاسر البارزة في مدينة روما التي احتل افرادها مواقع عليا مدنية ودينية إلى جانب امتلاكها اقطاعيات واسعة ومناطق زراعية شمال المدينة . انظر،
Donald Bullough , The Age of Charlemagne , London ,Elek Books LTD , 1965, P.49 .

مثلما فعل أبوه بيبن القصير من قبل[1].

استقبل شارلمان رسول البابا عام 773م، وكان مشغولاً آنذاك بتأمين حدود مملكته الشرقية ولذا رجح اجتناب الحرب في إيطاليا. وحاول أن يتفاوض مع دسيدريوس حول تسليم الأراضي التي استولى عليها للبابوية، حتى إنه أراد أن يقدم له مبلغاً من المال أربع عشرة الف قطعة من الذهب إذا اصلح اخطاءه مع البابا، ولكن لم تنجح محاولة شارلمان بسبب تصميم دسيدريوس على فرض ارادته[2].

ولكن الخطر الذي يهدد شارلمان إذا نجح دسيدريوس في محاولته وأخضع روما فربما أثار المنافسين من أبناء شقيقه. ولذا وجب ان يقرر بالمبادرة إلى السلاح والحرب، وقد جهز جيشين في جنيف يوليو 773م: أحدهما بقيادة عمه برنارد؛ والآخر تحت قيادة شارلمان نفسه. كانت ممرات الجانب الإيطالي محصنة بقوة من قبل دسيدريوس. وتشير الروايات المتأخرة إلى مجموعة لمباردية أرشدت الفرنجة عبر الجبال إلى إيطاليا بطرق سرية. ومن المؤكد تاريخياً أن شارلمان حرك قسماً من جيشه بطريق غير مباشر، في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات مستمرة مع دسيدريوس، مما دفع الاخير إلى الاطمئنان والتخلي عن تحصين وضعه في الممرات والانسحاب إلى بافيا، بينما التجأ ابنه ادلجيس Adalgis وجربرجا ارملة كارلومان وأبنائها إلي حصن فيرونا Verona[3].

---

(1) الحويرى: اللومبارديون، ص147-149؛ وفاء الغزالى: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 154-156.

(2) نور الدين حاطوم: العصر الوسيط، ص 153؛ الحويرى: اللومبارديون، ص150؛ وفاء الغزالى: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 156-157.

(3) كارلس ديفز، شارلمان، ص ص69-70 ؛

Gerhard Seeliger : Conquests and Imperial, CMH.vol .II , P. 9 ; Bullough :The Age of Charlemagne, P.50 .

ولم يكن شارلمان يعلم بذلك حتى ترك الجزء الاكبر من جيشه على حصار بافيا واتجه إلى فيرونا التي لم تقاوم وسقطت في يده واستطاع ادلجيس الفرار إلى بيزنطة وسُلمت جربرجا وأولادها إلى شارلمان[1]. وبقيت بافيا تدافع بقوة. وفي هذه الاثناء أراد شارلمان زيارة روما ليصلي على ضريح القديس بطرس. وتلقى هادريان الخبر بمفاجأة وخوف، غير أنه تماسك واستقبل "حامى الرومان" باحتفال مهيب وبما هو أهل له. والتقى الملك والبابا في كنيسة القديس بطرس، وتبادلا الايمان والضمانات المشتركة، وبعد أن استسمح شارلمان من البابا دخل روما. ثم طلب البابا من شارلمان تجديد هبة ابيه بيبن للبابا في كيرسى Quierzy عام 754م، فأعطاه نيابة رافنا ودوقتى سبوليتو وبنفنتو والبندقية واستريا وكتب صكا بذلك للبابا، ثم عاد إلى بافيا التي استمر حصارها تسعة اشهر حتى فتكت بها المجاعات والأوبئة حتى اضطرت المدينة إلى الاستسلام يونيو 774م، وأُخذ دسيدريوس وعائلته أسيراً إلى مدينة ليبج[2]. ولم يكتفى شارلمان بضم لمبارديا لمملكته بل أعلن نفسه ملك الفرنجة واللمبارديين[3].

كانت حملة شارلمان على اللمبارد تختلف عن حملة والده بيبن القصير (الثالث). فخلافاً لوالده أرهق شارلمان دسيدريوس بحصار طويل وأجبره على الاستسلام، واعاد للكنيسة كل ما خسرته. وبذلك فقد أخضع عموم إيطاليا

---

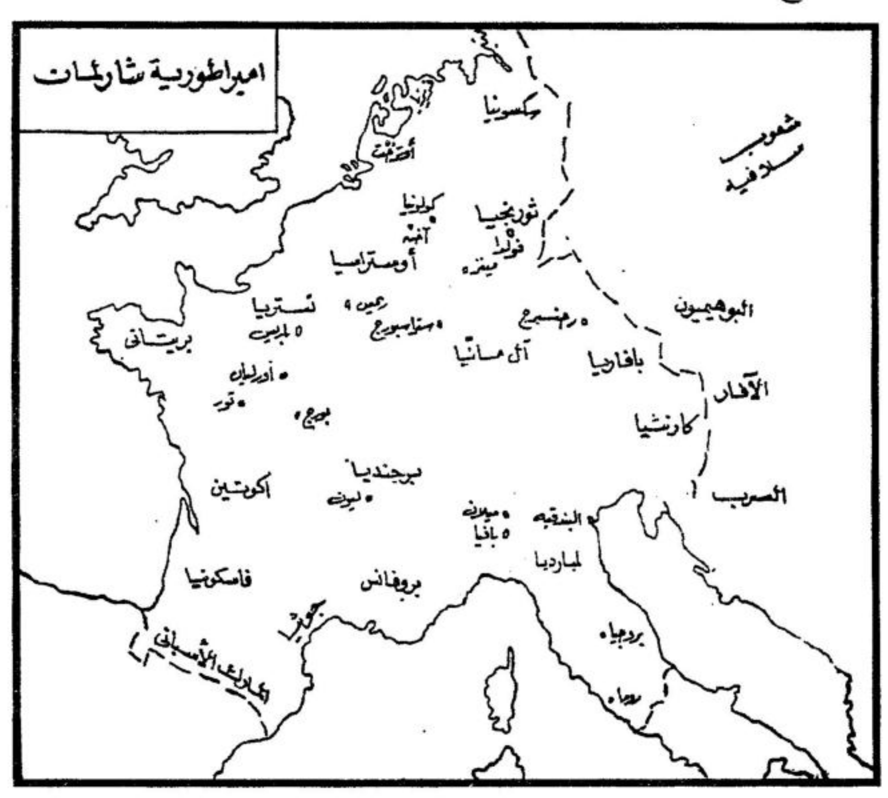
(1) يقال إن شارلمان عثر فى فيرونا على أسرة كارلومان، غير إن التاريخ لاذا بالصمت تجاه مصيرها، وان كان الارجح أنهم نزلوا بأديرة غير معروفة إذ ان اعدامهم يثير العواطف. انظر: ديفز: شارلمان، ص 73-74.

(2) قام شارلمان بحلق شعر دسيدريوس واودع مع زوجته دير كوربي Corbey الواقع على نهر السوم فى فرنسا حيث قدر لهما ان يقضيا فيه بقية حياتهما. ويقال ان دسيدريوس هرب مع زوجته عبر جبال الالب إلى بافاريا عند دوق بافاريا حيث قضيا بقية حياتهما هناك. انظر، Oman, Dark Ages ,p.347

(3) نور الدين حاطوم: العصر الوسيط، ص 153-154؛ الحويرى: اللومبارديون، ص151؛ وفاء الغزالى: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة، ص 160-161 لمزيد من التفاصيل عن إمبراطورية شارلمان انظر خريطة رقم (6).

لسلطته. فاستطاع شارلمان بعد ست سنوات من حكمه أن يحقق ما عجز عنه والده بيبن، وهو اكماله القضاء على مملكة اللمبارد نهائياً، وضم ممتلكاتها إلى مملكته، على الرغم من السيادة الاسمية للبابوية عليها.

أخيراً، يمكن القول إن سقوط مملكة اللمبارديين يعتبر أمراً حاسماً في تاريخ إيطاليا، وحال دون توحيد ذلك القطر، وقدر له أن يبقى ممزقاً حتى نهاية القرن التاسع عشر.



خريطة رقم (6) حدود إمبراطورية شارلمان

نقلاً عن: سعيد عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، ص156.

* * *

الخاتمة

وبعد ليس الغرض من هذه الكلمة الختامية أن تكون تليخصاً لما انتهى إليه البحث من نتائج، وإلا صار الأمر تكراراً لا مبرر له، وإنما أردت بهذه الكلمة أن أعبر عن النتائج التي انتهيت إليها والتي أعتقد أنني توصلت إليها.

ولقد اشتمل البحث على العديد من القضايا التي ناقشها الباحث، منها أصول القبائل الجرمانية التي ارجعها معظم المؤرخين إلى المناطق المحيطة بالبحر البلطي وشبة جزيرة اسكنديناوه. كما ناقش الباحث علاقة الجرمان بالإمبراطورية الرومانية تلك العلاقة التي مرت بأدوار مختلفة، حيث كانت في بدايتها سلمية حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، ولكن نتيجة الضغوط المستمرة على الجرمان أن بدأ موقفهم السلمي يتغير تجاه الإمبراطورية الرومانية، وفي النهاية انتهت هذه العلاقة بغزو الجرمان لأراضي الإمبراطورية الرومانية وإقامة العديد من الممالك الجرمانية بين ربوعها.

من أهم القضايا التي تناولها الباحث أيضاً، هي نشأة الممالك الجرمانية التي اتخذت عدة مراحل على فترات متفاوتة حتى نجحوا في النهاية تأسيس ممالكهم الخاصة على انقاض الإمبراطورية الرومانية الغربية تارة بالسلم وتارة بالعنف وتارة أخري بالخديعة. وأن بعض الاباطرة الرومان والبيزنطيين نجحوا في كبح جماح هذه العناصر المتبربرة مثل الإمبراطور ثيودوسيوس الذي نجح بفضل مهارته السياسية في تحويل القوط الغربيين إلي معاهدين أوفياء، وذلك حين هيأ لهم موطناً آمناً في إقليم تراقيا. والإمبراطور زينون أيضاً الذي نجح في ابعاد خطر القوط الشرقيين عن الإمبراطورية الشرقية حين عهد إلى الملك ثيودريك بالتوجه -مع قومه- إلى إيطاليا بهدف تخليصها من أدواكر. وبذلك نجح الإمبراطور

زينون ابعادالقوط الشرقيين عن البلقان، وتخلص من عبثهم، وفي نفس الوقت أكد سلطة الإمبراطورية الرسمية على إيطاليا حيث أن ادواكر قد بدأ في توطيد استقلاله عن الإمبراطورية.

وتناولت أيضاً قضية المصاهرات السياسية بين الممالك الجرمانية في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي، وأن الملك ثيودريك Theodoric (489-526م) قام العديد من المصاهرات السياسية مع العديد من الحكام البرابرة في الغرب من القوط الغربيين، الفرنجة، البرجنديين، الوندال، والثورنجيين وذلك قرب نهاية القرن الخامس الميلادى. وبذلك حاول الملك ثيودريك استخدام المصاهرات السياسية لتأكيد نفوذه وتعزيز سلطته وهيبته ضد منافسيه، ونجح في ذلك إلي حد كبير.

وقد حاول الباحث ايضاح العلاقات بين الممالك الجرمانية في تلك الفترة، تلك العلاقات التي تمثل جانباً منها في المصاهرات السياسية. وقد توقفت تلك العلاقات على عدة عوامل منها المصلحة السياسية لكل ملك من هؤلاء الملوك، فقد اثبتت الدراسة أن كل ملك من هؤلاء الملوك كان مصالحه الخاصة ومخاوفة ومستقبله في المشهد السياسي في اوائل القرن السادس، وكل واحداً منهم يعمل سوياً مع القوي الخارجية عندما يعتقد إنها مفيده لسياسته، حيث أن الخلافات والفرص المتاحة لتوسيع نفوذه يمكن تأتى وتذهب في مشاهد سياسية مختلفة، ولا يمكن تحديدها ببساطة على يد شخص تزوج بأخرى. وأن الملوك الجرمان يعرفون كيف تُصنع السياسة والحروب والتحالفات السياسية، وهم أيضاً يعرفون كيفية استخدام الأوضاع ونفوذ الدم الملكى، الثروة والنجاح في المعارك، لتعزيز نفوذهم ضمن محيطهم السياسى الخاص.

كما توصل الباحث إلي نتيجة هامة هي أن المصاهرات السياسية قد تكون سبباً في القضاء على مملكة من الممالك الجرمانية، وهو ما حدث بالفعل مع مملكة البرجنديين، فقد كانت المصاهرة بين كلوفس وكلوتيلدا سبباً في الحرب

بين الفرنجة والبرجنديين، حيث دعت كلوتيلدا أبنائها لمهاجمة البرجندبين انتقاماً لمقتل والديها. فلم تنس كلوتيلدا حجم المآسى والمصائب التي لحقت بأسرتها على يد عمها جندوباد. وفي نفس الوقت تحالف ثيودريك ملك القوط الشرقيين أيضاً مع الفرنجة بسبب مقتل حفيده سجريك، وانتهى الأمر بالقضاء على مملكة البرجنديين. كذلك وضح الباحث مصاهرة شارلمان ودسيدراتا، والتي كانت أيضاً سبباً من أسباب نهاية مملكة اللمبارديين في إيطاليا. وهكذا نرى دور المصاهرات السياسية في القضاء على بعض الممالك.

كما تناول أيضاً قضية المصاهرات السياسية بين القوط الغربيين والفرنجة، فقد حاول الباحث ايضاح العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة عن طريق المصاهرات السياسية بينهما. وقد كانت العلاقات بين القوط الغربيين والفرنجة في تلك الفترة واحدة من حالات العداء بدلاً من السلام، على الرغم من احتمال وجود فترات سلام قصيرة وسط هذه الحروب. كما توصل الباحث إلي نتيجة هامة هي ملوك الفرنجة في تلك الفترة حاولوا تأكيد وتعزيز وضعهم طريق الزواج السياسي مع القوط الغربيين، وذلك من اجل كسب مزيد من السلطة والأراضي والثروة والاتباع المخلصين، والتي من شأنها تحسين وضعه من أجل التنافس الداخلي، فضلاً عن الدعم العسكرى في حملاته الخارجية. وهكذا نجد أن تقسيم مملكة الفرنجة أسفر عن صراع كبير بين الملوك المنافسين. كذلك حاول ملوك القوط الغربيين محالفة الفرنجة، مثل الملك اثاناجيلد القوطي الذي رتب زواج سياسي مع كلاً من سيجبرت وشلبريك ملوك الفرنجة من أجل حماية حدود مملكته الشمالية.

ومن أهم القضايا التي تناولها الباحث أيضاً، قضية الأميرة كلوتيلدا الصغرى زوجة امالريك ملك القوط الغربيين، حيث تعرضت للضرب لدرجة النزيف وسوء المعاملة من زوجها امالريك، الذي كان يريد تحويلها من الكاثوليكية إلي الآريوسية، مما أدى إلي اشعال نار الحرب بين المملكتين، تلك

الحرب التي انتهت بمقتل الملك امالريك، وهكذا نجد ان بعض المصاهرات كان لها تأثير سلبي على بعض الممالك الجرمانية بدلا من إحلال السلام بينهما.

كذلك تناول الباحث دور الأميرة انجوند في التأثير على زوجها الأميرة هرمنجلد، حتى نجحت في تحويله من الآريوسية إلي الكاثوليكية، مما كان له دوراً كبيراً في تمرد الأمير هرمنجلد ضد والده ليوفجيلد، وانتهى الأمر بفشل ثورة الأمير وقتله. ويظهر أيضاً الدور السلبي للمصاهرات في تلك القضية.

ومن أهم القضايا التي تناولها الباحث أيضاً، دور النساء في تلك المرحلة، فلقد لعبت النساء دوراً كبيراً في تاريخ الممالك الجرمانية خاصة الملكة كلوتيلدا ودورها في تعميد الملك كلوفس على الكاثوليكية، كما أوضح الباحث أيضاً دورها في القضاء على مملكة البرجنديين.

ومن جانب أخر أثبت الباحث من خلال الدراسة العديد من النقاط الهامة، أهمها: الدور الايجابي للملكة برونهيلد في الحفاظ على عرش مملكة الفرنجة لصالح ابنها شلدبرت الثاني ضد مطامع الملك شلبريك، فغالبية المصادر والمراجع التي تناولت الحديث عن الملكة برونهيلد تركز على الجانب السلبى في حياة الملكة الذي يتلخص دورها في الصراعات التي سادت داخل الأسرة الفرنجية.

ومن أهم القضايا التي تناولها الباحث هي المصاهرات السياسية بين الفرنجة واللمبارديين، ودروها في عقد السلام والتحالف بين المملكتين، ذلك السلام الذي لم يستمر طويلاً خاصّة بعد التحالف البيزنطي الفرنجي للقضاء على اللمبارديين.

كذلك تناول الباحث قضية التحالف البيزنطي الفرنجي ضد اللمبارديين، والحملات الفرنجية على مملكة اللمبارديين التي تسببت بالكثير من المعاناة للسكان الرومان في إيطاليا، إذ عاملهم الفرنجة معاملة الأعداء، مع أنهم أتو الي إيطاليا بغية تخليصهم من اللمبارديين. ومن النتائج التي توصل إليها الباحث فشل

التحالف الفرنجي البيزنطي لم يقم على دعائم راسخة منذ بدايته ولم يحقق الهدف الذي عقد من اجله، إذ كانت تزلزله في الواقع الشكوك المتبادلة بين الطرفين، وإتهام كل منهما للآخر بالعمل لمصلحته. ونجح الملك أوثاري في قطع جذور ذلك التحالف تماماً، عندما أرسل سفارة من قبله إلي جونترام ملك الفرنجة وعم شلدبرت الثاني يطلب عقد اتفاقية صلح وسلام بين المملكتين. وبذلك عاد السلام بين المملكتين.

كما أوضح الباحث العديد من مشاريع الزواج، والتي كانت عبارة عن خطط للتحالف بين الممالك الجرمانية، كما أوضح دور هذه المشاريع في الحفاظ على التعاون والتحالف بين الطرفين.

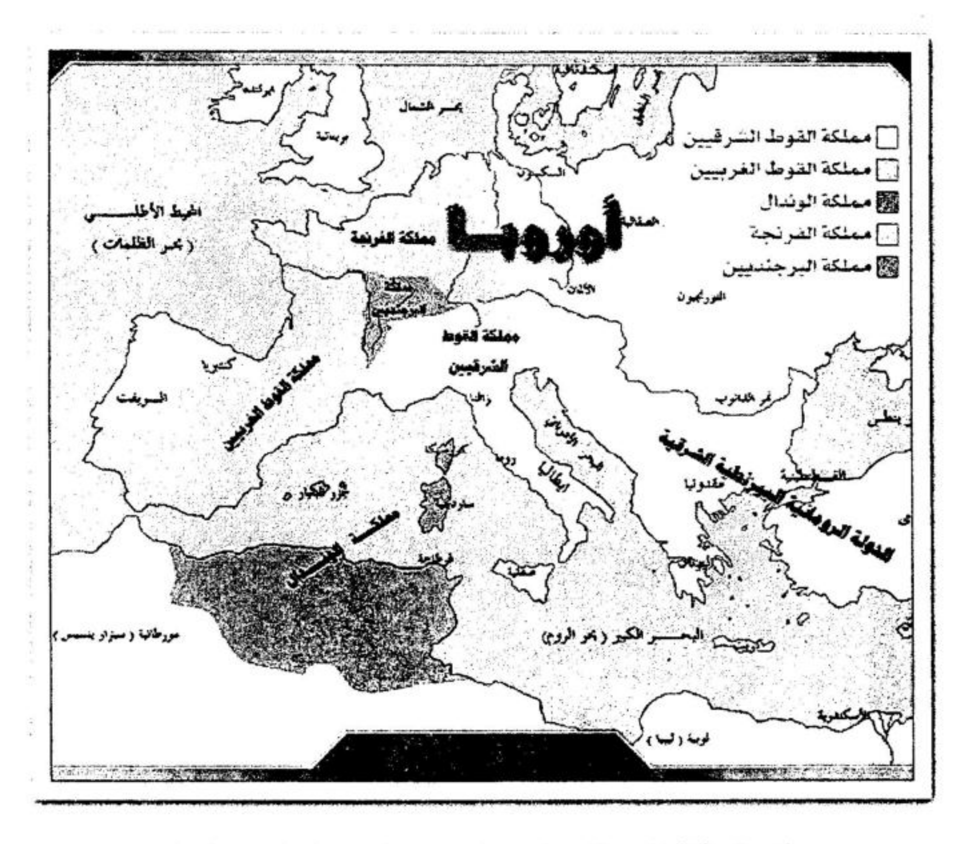
* * *

قائمة الملاحق والخرائط

ثبت بالمصاهرات السياسية بين الممالك الجرمانية

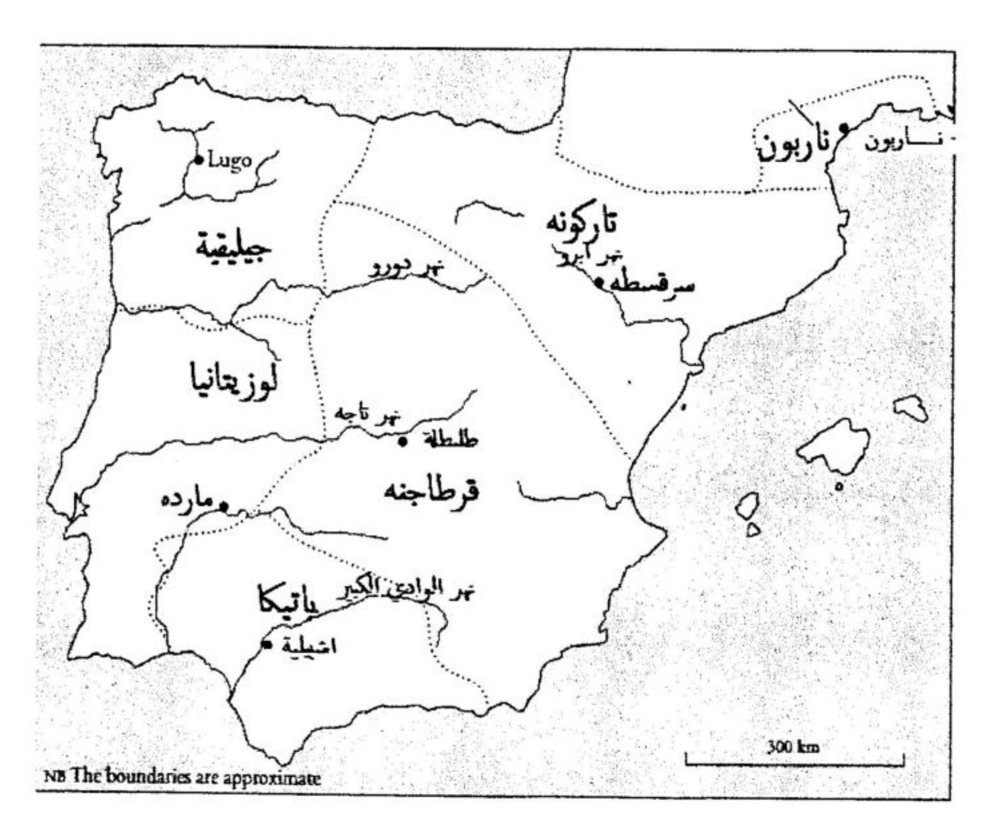
م	المصاهرة	اطراف المصاهرة	تاريخ المصاهرة
1	كلوفس وكلوتيلدا.	الفرنجة والبرجنديين	عام 492 أو 494م
2	ثيودريك العظيم وأودفيلدا.	القوط الشرقيين والفرنجة	حوالي عام 493م
3	آلاريك الثانى وثيودوجوثا.	القوط الغربيين والشرقيين	حوالي عام 500م
4	سيجسموند واوسترجوثا.	البرجنديين والقوط الشرقيين	في نهاية القرن الخامس
5	امالريك وكلوتيلدا الصغري.	القوط الغربيين والفرنجة	حوالي عام 526 أو 527م
6	ثيودبرت الأول ووزجارد.	الفرنجة واللمبارديين	عام 540م
7	ثيودوبلد الأول ووالديرادا.	الفرنجة واللمبارديين	حوالى عام 551م
8	ألبوين وكلوسندا.	اللمبارديين والفرنجة	بين عامي 556و560م
9	سيجبرت وبرونهيلد.	الفرنجة والقوط الغربيين	عام 566م
10	شالبريك وجالسيونثا.	الفرنجة والقوط الغربيين	بين عامي 567-568م
11	هرمنجلد وانجوند.	القوط الغربيين والفرنجة	عام 579م
12	مشروع زواج ريكاردو وريجونثا.	القوط الغربيين والفرنجة	احداث اعوام 581-584م
13	خطوبة ريكاردو وكلودوسندا.	القوط الغربيين والفرنجة	احداث اعوام 586-587م

14	مشروع زواج أوثاري وكلودوسندا.	اللمبارديين والفرنجة	عام 589م
15	أدلوالد وابنة ثيودبرت الثاني.	اللمبارديين والفرنجة	عام 600م
16	ثيـودريك وارمنبرجا.	الفرنجة والقوط الغربيين	عام 607م
17	شارلمان ودسيدراتا.	الفرنجة واللمبارديين	عام 770م



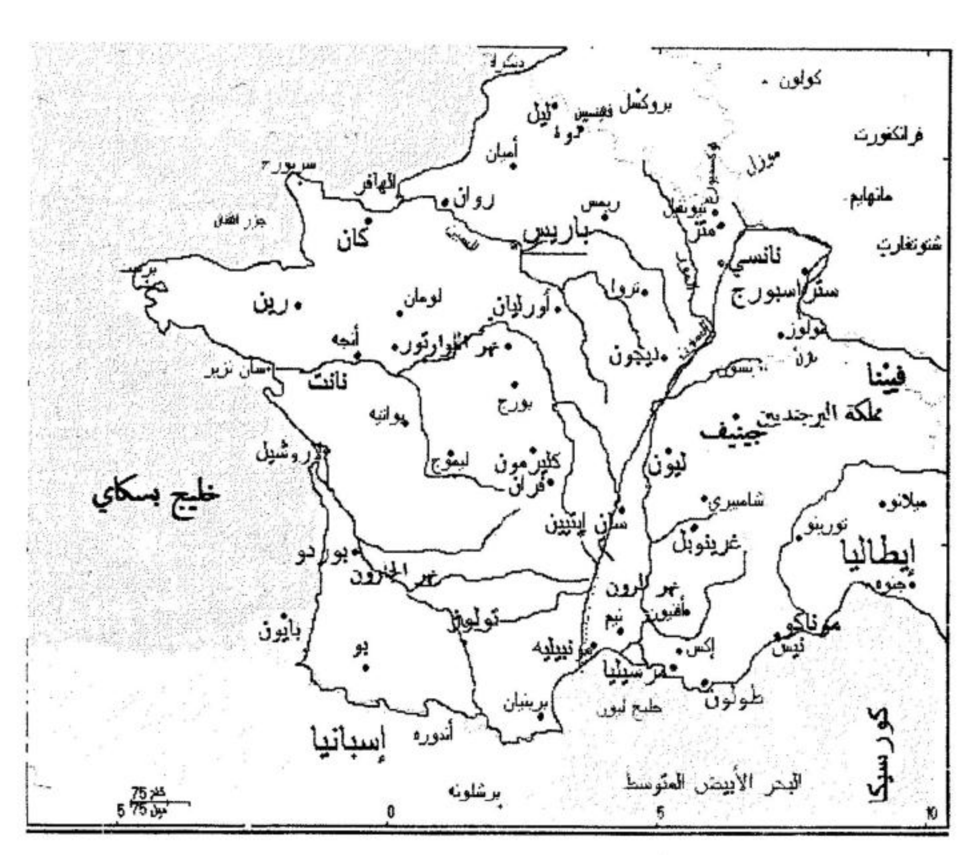
خريطة رقم(7) الممالك الجرمانية في القرن السادس الميلادي

www.n2hr.com/up/uploads/images/n2hrcom-9169f8e5e7.jpg



خريطة رقم (8) أهم المقاطعات القوطية في إسبانيا

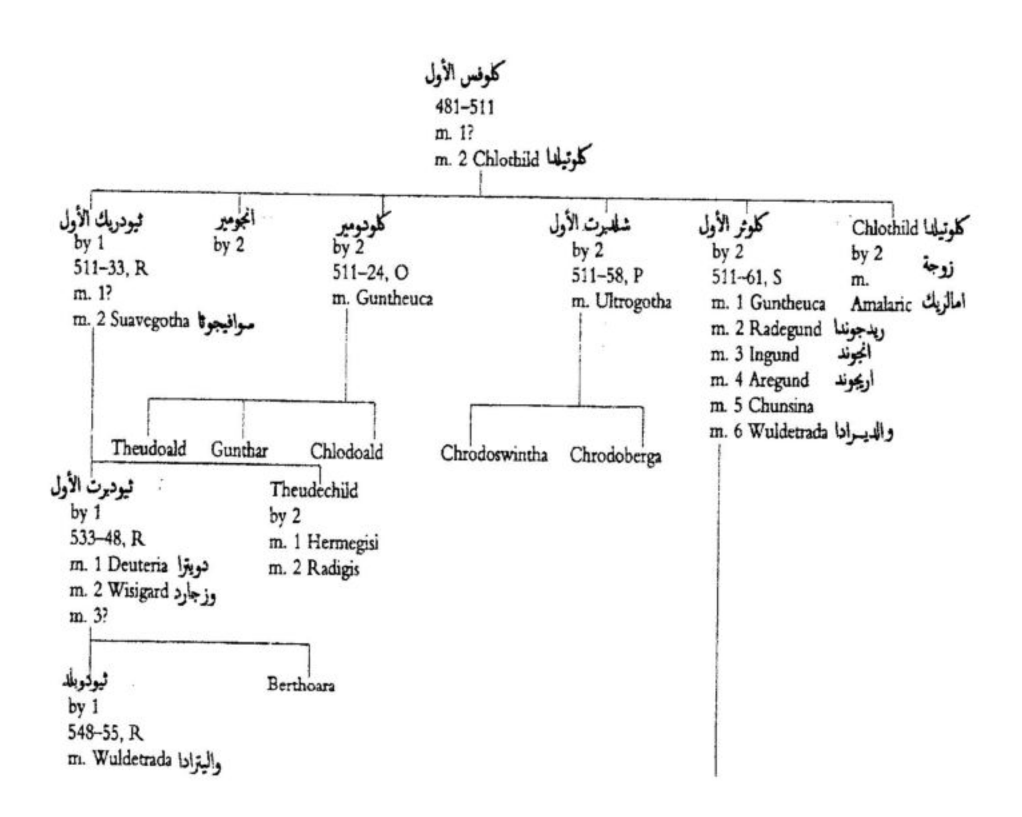
نقلاً عن محمد عبده حتامله : ايبيريا قبل مجئ العرب المسلمين، ص203.



خريطة رقم (9) أهم المدن الفرنسية

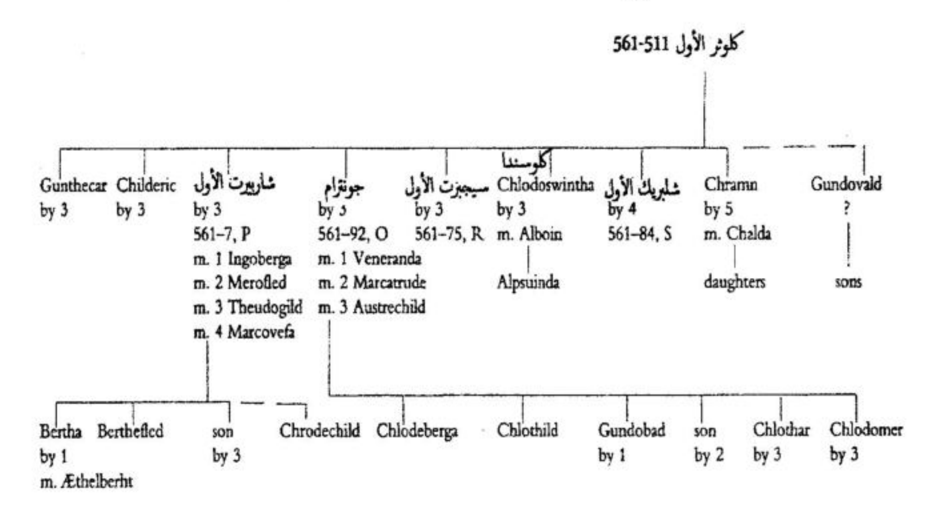
نقلاً عن : https://pbs.twimg.com/media/CM6eQNpVAAAnvzu.jpg

ثبت بأسماء ملوك الفرنجة الـميروفنجيين



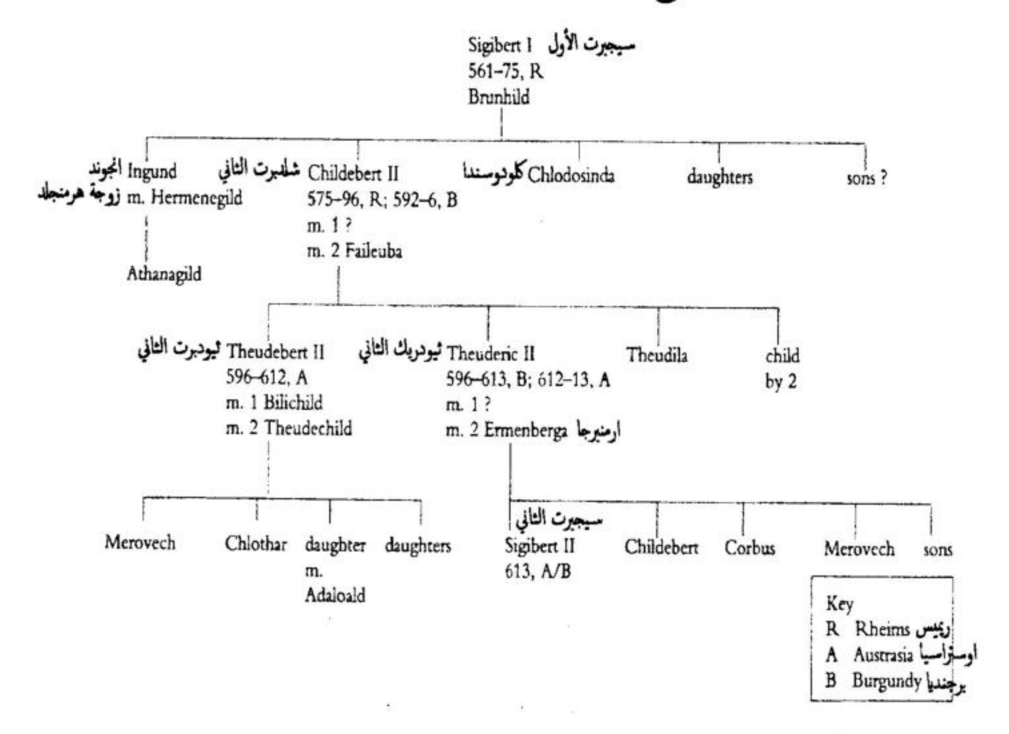
نقلاً عن : **Wood: The Merovingian Kingdoms, p.344.**

تابع ملوك الفرنجة الميروفنجيين



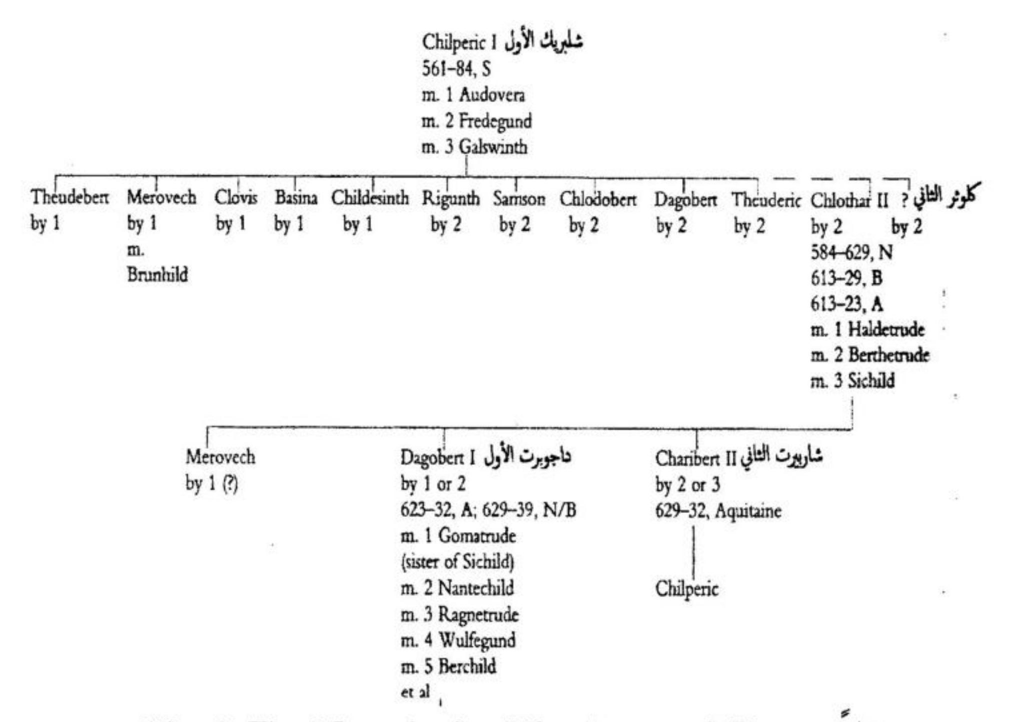
Wood: The Merovingian Kingdoms, p.345. : نقلاً عن

تابع ملوك الفرنجة الميروفنجيين



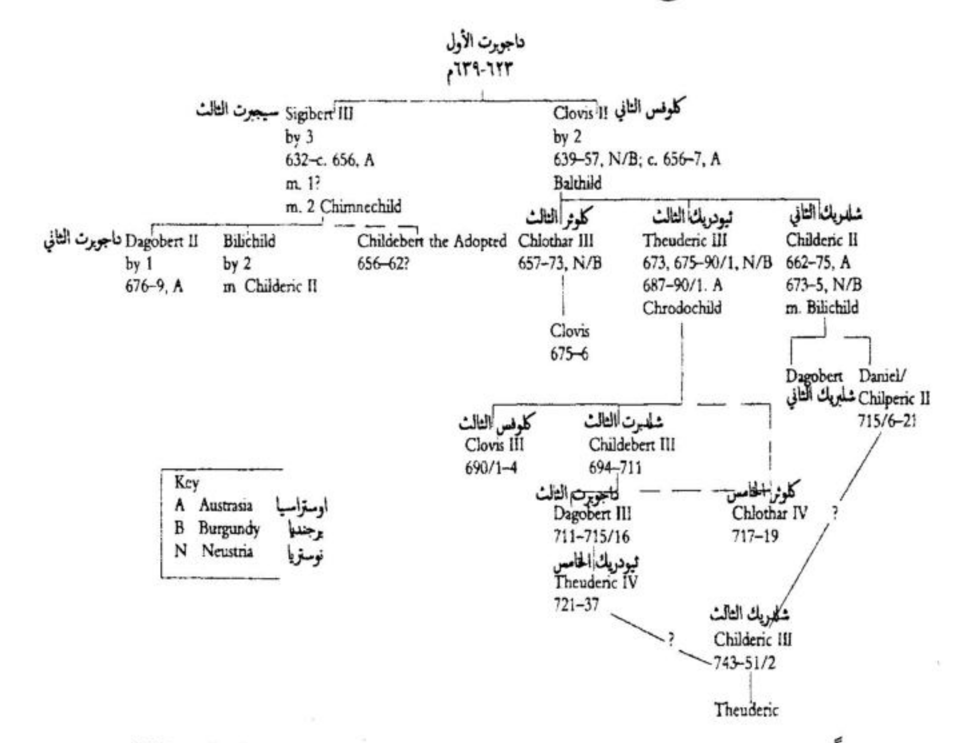
Wood: The Merovingian Kingdoms, p.347. : نقلاً عن

تابع ملوك الفرنجة الميروفنجيين



نقلاً عن : Wood: The Merovingian Kingdoms, p.348.

تابع ملوك الفرنجة الميروفنجيين



نقلاً عن : Wood: The Merovingian Kingdoms, p.349.

الملوك اللمبارد في إيطاليا

ألبوين	٥٦٨ — ٥٧٢
كليف	٥٧٢ — ٥٧٣
أوثارى	٥٨٤ — ٥٩٠
أجيلولف	٥٩٠ — ٦١٦
أدالوالد	٦١٦ — ٦٢٦
آريولد	٦٢٦ — ٦٣٦
روثارى	٦٣٦ — ٦٥٢
رودوالد	٦٥٢ — ٦٥٣
أريبرت الأول	٦٥٣ — ٦٦٢
جودبرت	٦٦٢
بركتاريت	٦٦٢
جريموالد	٦٦٢ — ٦٧١
بركتاريت (ثانية)	٦٧١ — ٦٨٨
كونبرت	٦٨٨ — ٧٠٠
ليوتبرت	٧٠٠ — ٧٠١
أريبرت الثانى	٧٠١ — ٧١١
آنسبراند	٧١٢
ليوتبراند	٧١٢ — ٧٤٣
هلدبراند	٧٤٣ — ٧٤٤
راتشيس	٧٤٤ — ٧٤٩
أستولف	٧٤٩ — ٧٥٦
دسدريوس	٧٥٦ — ٧٧٤

نقلاً عن : محمود محمد الحويري : اللومبارديون في التاريخ والحضارة، ص235.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأجنبية .

ثانيـــــاً : المصادر الأجنبية المعربة .

ثالثـــــاً : المراجع الأجنبية .

رابعـــاً : المراجع العربية والمعربة .

خامساً : الدوريـــــــات .

سادساً : دوائر المعارف الاجنبية .

ســابعاً : الرسائل العلمية :

- الرسائل الأجنبية غير المنشورة .
- الرسائل العربيـــة غير المنشورة .

أولاً : المصادر الأجنبية :

AGATHIAS

- Agathias: The Histories , eng . trans , Frendo ,(J.),(Newyork . 1975)

AIMOINI MONACHI

- Aimoini Monachi Floriaacensis: Gestis Regum Francorum, dans Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome.3, Paris, p. 21-143.

ANNALES REGNI FRANCORUM

- Annales Regni Francorum : dans Monumenta Germaniae Historica, SS. RER (Hannoverae. 1895), ed Kurze, Tome I.

ANONYMUS VALESIANUS

- Anonymus Valesianus: Excerpta Valesiana, recensuit Jacques Moreau (Bibliotheca Scriptorum graecorum et romanorum Teubneriana),Editionem correctiorem curavit Velizar Velkow,(Leipxic.1968).

AMMIANUS MARCELLINUS

- Ammianus Marcellinus : eng . trans , Rolfe ,(J.c.), (London. 1935)

AUSTRASIAN LETTERS

- Austrasian Letters In Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, by Brian Hancock, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990.

AVITUS OF VIENNE

- Avitus of Vienne: Letters and Selected Prose,(Translated Texts for Historians, Volume 38) Translated with an introduction and notes by Danuta Shanzer and Ian Wood, (Liverpool University Press 2002).

BAUDONIVIA

- De Vita Sanctae Radegundis libri duo edidit Bruno Krusch, (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII), Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Merovingicarum II,PP.358-395.

- Baudonivia. *"The Life of the Holy Radegund"* in Jo Ann McNamara and John E. Halborg, with E. Gordon Whatley, ed. and trans. Sainted Women of the Dark Ages. Durham, NC: Duke University Press, 1992: PP.86-105.

CANDIDUS OF ISURIAN

- Candidus of Isaurian : In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire,vol,2, trans, Blockley, Roger C (Francis Cairns.1983), PP.463-473.

CASSIODORUS

- Cassiodorus : The Letters of Cassiodorus eng . trans . Hodgkin, (TH.), (London , 1886).

EVAGRIUS

- Evagrius : The Ecclesiastical History of Evagrius , eng . trans , Whtby , (M.), (Liverpool . 2000)

FLODOARD

- Flodoard : Histoire de l'Eglise de Reims, Trans, M Guizot, (Paris.1824).

FREDEGAR

- Fredegarii et aliorum chronica, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888), pp.1-194.

- Fredegarii chronicon. English & Latin. The Fourth Book of the Chronicle of Fredegar, with its continuations. Translated by J.M. Wallace-Hadrill. Westport, CT: Greenwood Press, 1981.

- The "Historia epitomata" The Third Book of the Chronicle of Fredegar , by Woodruff , Jane Ellen, an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987.

GREGORY OF TOURS

- Gregorii Episcopi Turonensis Libri Historiarum Francorum X, editionem alteram curaverunt Bruno Krusch et Wilhelmus Levison (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MCMLI) Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum I.

- Gregory of Tours : The History of the Franks, Translated by Ernest Brehaut, New York: Columbia Uuiversity Press,1916.

- Gregory of Tours. The History of the Franks. Translated by Lewis Thorpe. New York: Penguin, 1974.

HUGONIS VIRDUNENSI

- Hugonis Virdunensi: Chronico Virdunensi Hugonis Abbatis Flaviniacensis , dans Recueil des historiens des Gaules et de la France,Tome III, PARIS, PP.353-365.

HYDATIUS

- Hydatius :The Chronicle of Hydatius, Edited with an English translation by R. W. Burgess,(Oxford.1993).

ISIDORE OF SEVILLE

- Isidore of Seville : History of the kings of the Goths, Vandals, and Suevi , Translated From The Latin by Guido Donini and Gordon B. Ford, (Leiden 1970).

JORDANES

- Jordanes. The Gothic History of Jordanes, eng . trans . Charles Christopher Mierow (Princeton University Press, 1915).

JOHN OF BICLAR

- John of Biclaro: Chronicle In Conquersors and Chroniclers of Early Medieval Spain, Trans Kenneth Wolf, (Liverpool 1999).

LIBER HISTORIAE FRANCORUM

- Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica Scriptores Rerum Merovingicarum (Hannoverae Impensis Bibliopolii Hahniani MDCCCLXXXVIII) , edidit Bruno Krusch ,Tomvs II, (Hannoverae. 1888), pp.215-328.

MARIUS OF AVENCHES

- Marii Episcopi Aventicensis Chronica: in Chronica Minora Saec. IV. V. VI. VII edidit Theodorus Mommsen (Berolini apud Weidmannos MDCCCXCIII.1898). Monumenta Germaniae Historica. Avctorum Antiquissimorum Tomvs, XI. VOL. II, pp.225-239.

PAUL THE DEACON

- Paul the Deacon. History of the Langobards. Translated by William Dudley Foulke. University of Pennsylvania Press, 1907.

PLINY

- Pliny: Natural History,In Thirty-Seven Books,Translated by Philemon Holland, VOL. I.,(New York, 1947).

PROCOPIUS

- Procopius of Caesarea: History of the Wars, Books I and II (Persian wars), In six Volumes, eng. trans Dewing , (H.B.),vol .1, (London . 1913).

- Procopius of Caesarea : History of the Wars: Books 3-4 (Vandalic War), eng. trans Dewing , (H.B.) vol .2. (London , 2007).

- Procopius. History of the Wars in Seven Volumes. Translated by H. B. Dewing. LOEB Classical Library (Harvard UP, 1914).

- The Persian War, eng. trans Dewing, (H.B.),Vol .1, (London . 1992)

- The Vandalic War, eng. Trans, Dewing, (H.B.) Vol .2.,(London . 1990)

- Gothic War , eng.trans , Dewing . (H.B.), Vol .5, (London . 1992)

TACITUS

- Tacitus, Germania. Translated by M. Hutton. LOEB Classical Library 35. Harvard UP, 1980.

THEOPHANES

- Theophanes: The Chronicle of Theophanes The Confessor , Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, trans. by Mango, C. & Scott , R., (Oxford. 1997).

VENANTIUS FORTUNATUS

- Venantius Fortunatus: Personal and Political Poems. Translated by Judith W. George. Translated Texts for Historians 23. Liverpool: Liverpool University Press, 1995.

- Venantius Fortunatus. "*The Life of the Holy Radegund*" In Jo Ann McNamara and John E. Halborg, with E. Gordon Whatley, ed. and trans. Sainted Women of the Dark Ages. Durham, NC: Duke University Press, 1992: 70-86.

JOHN OF ANTIOCHE

- John of Antioche : Fragments , eng . trans , Gordon , (C.D.), in the Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan . 1960).

MALCHUS OF PHILADELPHIA

- Malchus of Philadelphia : In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire,vol,2, trans, Blockley, Roger C(Francis Cairns.1983), PP.401-462.

MALALAS

- Malalas , (J.): Chronicle of Malalas , eng . Trans Jeffery (A) , (Melbourne . 1986)

MARCELLINUS COMES

- The Chronicle of Marcellinus Comes : Translation and Commentary, Brian Croke, (Sydney 1995).

OLYMPIODORUS OF THEBES

- Olympiodorus of Thebes: in The Fragmentary Classicising Historians of the later Roman Empire,trans by, R. C. Blockley, Francis Cairns 1983, PP.151-220.

ORIGO GENTIS LANGOBARDORUN

- Anonymus: Origo gentis Langobardorum in Monumenta Germaniae Historica. Scriptores rerum Langobardicarum et Italicarum, Saec.VI-IX, edidit Societas aperiendis fontibvs, (Hannover: Impensis Bibliopolii Hahniani .1988), pp. 1-6.

PRISCUS OF PANIUM

- Priscus of Panium: In The Fragmentary Classicising Historians of the Later Roman Empire,vol,2, trans, Blockley, Roger C(Francis Cairns.1983), PP.221-400.

ثانياً : المصادر الأجنبية المعربة والعربية :

• المورخ المجهول: تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق وتعليق طارق منصور، تقديم زبيده محمد عطا، القاهرة 2008.

• بروكبيوس القيصرى :

-الحروب القوطية، ترجمة عفاف سيد صبره، جزءان، الأول والثاني، القاهرة 1986.

-التاريخ السري، ترجمة صبري ابو الخير سليم، طـ 1، القاهرة2001.

• تاكيتوس : تاكيتوس والشعوب الجرمانية، ترجمة إبراهيم طرخان، القاهرة 1959.

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

• **Kazhdan**, Alexander. :The Oxford Dictionary Of Byzantium, in three volumes, 1-3, Oxford University Press (New York 1991).

• **Arnold** , (J.J.) : Theoderic , The Goths and the Restoration of the Roman Empire , (Michigan . 2008)

• **Barbero and Loring**: The Formation of The Sueve and Visigoths Kingdoms In Spain, In The New Cambridge Medieval History, Volume 1, Cambridge University Press, 2008, PP.162-192.

• **Barni**, G: La Conquete de l'Italie, Paris, 1975.

• **Bradley** , (H.) : The Goths from Earliest Times to the End of Gothic Dominion in Spain , (London . 1888).

• **Bóna, István** : The Dawn of the Dark Ages: The Gepids and the Lombards in the Carpathian Basin, Translated by László Boros (Budapest, 1976).

• **Bullough**, Donald: The Age of Charlemagne , London ,Elek Books LTD, 1965.

• **Burr**, G.L,: "The Carolingian Revolution and Intervention in Italy", in: The Cambridge Medieval History, Cambridge, University Press, 1964,

• **Burns** . (TH.): A History of the Ostrogoths , (Indiana . 1992)

• **Bury** . (T.B.):

- History of the later Roman Empire : from the death of Theodosius I to the death of Justinian , In Two Volumes ,Volume 1 , University of Toronto, (New York. 1923).
- The Invasions of Europe by Barbarian , Aseries of Lecture , without Numbers of the Pages , (London . 1928)

• **Busnan** , Mattew: ADictionary of the Roman Empire, (New York 1991).

• **Calmette,** Joseph : Charmagne Sa vie et son Oeuver, Paris 1945.

• **Carl**, Stephenson : Mediaeval History , New York , Harper Brothers-publishers, 1951 .

• **Charles**, Cawley: BAVARIA, in Medieval Lands database, Foundation for Medieval Genealogy, retrieved August 2012.

• **Collins** , (R.):

- Early Medieval Europe 300-1000 (Basingstoke: Macmillan Education, 1990).
- Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400-1000. 2nd ed. New York:St. Martin's Press, 1995.
- *Fredegar*. Vol. 13 in Authors of the Middle Ages. Historical and religious writers of the Latin West, ed. Patrick J. Geary. (Brookfield, VT: Variorum, 1996).
- Early Medieval Europe, 300-1000,(New York: St. Martin's Press, 1999).

• **Daly**, William W., "Clovis: How Barbaric, How Pagan?," *Speculum* Vol. 69, No. 3. (Jul., 1994).

• **Davis,** R.H. C., A History of Medieval Europe From Constantine to saint Louis, London , Longman , 1988 .

• **Dill**, Sir Samuel, Roman Society in Gaul in the Merovingian Age , London , George Allen &- unwin LTD, 1926 .

• Drinkwater, J. F., "The Usurpers Constantine III (407-411) and Jovinus (411-413)", Britannia, 29 (1998), p. 269-298.

• **Dudden**,(H) : Gregory The Great, In Two Volumes, Vol.I. (London,1905).

• **Ewig**, Eugen :

- "Studien zur merowingischen Dynastie." *Frühmittelalterliche studien 8* (1974),pp. 15-59.

- "Die Namengebung bei den ältesten Frankenkönigen und im merowingischen Königshaus." pp.21-69 In *Francia* 18, no. 1 (1991).

• **George**, Anita :Annals of The Queens of Spain, Vol.1,New York 1850.

• **George**, Judith : Venantius Fortunatus*: A Latin Poet in Merovingian Gaul*. Oxford: Clarendon Press, 1991.

• **Ghosh** , Shami :The Barbarian Past in Early Medieval Historical Narrative , Toronto 2009.

• **Guizot** , M : Collection des Memoires Relatifs A L histoire de France, Paris 1823.

• **Goffart** , W:

- Byzantine Policy in The West under Tiberius and Maurice (579-585), in Traditio, Vol. 13, 1957, pp.73-118.
- The Narrators of Barbarian History (A.D. 550-800) : Jordanes, Gregory of Tours, Bede, and Paul the Deacon. Princeton, N.J.: (Princeton University Press, 1988).

• **Gordon**,(C.d.) The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Michigan , 1960).

• **Hadrill**, J.M.Wallace, , Fredegar and the History of France , The John Rylands Library, Manchester.

• **Halphen** , Louis: Charlemagne et L' Empire Carolingien , Paris , Editions Albin Michel 1949.

• **Harold** , Mattingly Harold:Tacitus on Britain& German, Suffolk 1950.

• **Heather** , (P .)

- The Goths , (Blackwell . 1996)
- "Cassiodorus and the Rise of Amal Genealogy and the Goths under Hun Domination "in The Journal of Roman Studies, vol . 79 , (1989) PP.103-128.

- **Hodgkin** , (TH.) :
  - Italy and her Invaders , vols .1-5 (Oxford . 1891)
  - Theoderic the Goths, (Newyork and London, 1891)
- **Hollister**, C. Warren:
  - Medieval Europe,New York , John Wileyson, 1978.
  - Medieval Europe A short source book , New York , John wiley sons , 1982.
- **James** , Edward:
  - The Origins of France , Ist ed ., London , The Macmillan press , 1982.
  - The Franks Peoples of Europe. Oxford, UK: Blackwell, 1991.
- **Jussen**, Bernhard : Spiritual kinship as social practice: godparenthood and adoption in the early Middle Ages. Translated by Pamela Selwyn. Rev. and expanded English ed. The University of Delaware Press series, The family in interdisciplinary perspective. Newark, DE: University of Delaware Press, 2000.
- **Kleinclausz**, A: Charmagne, Paris. 1934.
- **Lamb**, Harold: Charlemagne The Legend and the man, London , Robert Hale limited , 1955.
- **Nelson**, Janet L. "Queens as Jezebels: The Careers of Brunhild and Balthild in Merovingian History." *In Medieval Women*, ed. Derek Baker, 31-77. Oxford: Basil Blackwell, 1978.
- **Merrills**, Andy and Richard Miles: the Vandals, Blackwell 2010
- **Moorhead** , (J .) : Theoderic in Italy , (Oxford . 1992)
- **Murray**, Alexander Callander Murray: From Roman to Merovingian Gaul: *a reader*. (Readings in medieval civilizations and cultures,5) (Broadview Press, 1999) .
- **O'Sulilliven** , Jeremiah and Burns, John , Medieval Europe, New York , 1946 .

• **Oman** , (CH.) : The Dark Ages , 476 -918 , (London . 1928).

• **Orton** , C.W. Previte : The shorter Cambridge Medieval History, Vol .I , (Cambridge, 1952) .

• **Ostrogorsky** : History of the Byzantine State. Trans - by Jon Hussey. (Oxford 1968).

• **Painter**, Sidney: A History of the Middle Ages 285- 1500, London, Macmillan & Coltd, 1963.

• **Pfister** , (CH.) : " Gaul under the Merovingian Franks ", in Cambridge Medierval History vol . II , (Cambridge. 1913).

• **Pirenne**, Henri:

- A History of Europe , Vol . I, New York , Doubleday Anchor Books , 1956 .
- A History of Europe from the Invasions to 16 Century , eng . transs Mail , (B .) , (London . 1961).

• **Reverdy**,G: Les relations de Childebert II et de Byzance, in Revue Historique, 1913, t. 114, pp.61-86.

• **Rouche**, Michel : Clovis (paris : fayard, 1996),.

• **Schmidt** , (L .): "The Visigoths in Gaul" , 412 - 507 , Cambridge Medieval History , (Cambridge . 1911)

• **Seeliger**, Gerhard , " Conquests and Imperial Coronation of Charles the Great" , in : The Cambridge Medieval History , VOL.II , Cambridge, The University Press, 1964 .

• **Sécretan**, Edouard: Le premier royaume de Bourgogne,(Lausanne 1868).

• **Smith**, William : Dictionary Of Greek And Roman Geography,in Two Volumes, Vol-2, (London 1875).

• **Sterns** , Indrikis: The Greater Medieval Historians , Boston University Press of America , 1980 .

• **Thompson**,(Jannes Westfall), the Middle ages 300-1500 , Vol. I, (London .1931) .

• **Thompson** , (E.A.):

- Goths in Spain , (Oxford . 1969)
- The Huns , (Oxford . 1996)

• **Thorpe**, Lewis, Einhard and Notker the stammerer two lives of chariemagne , London , penguin books , 1971.

• **Treadgold**, Warren : A Concise History of Byzantium, (Palgrave.2001).

• **Vasiliev**, A.A.: History of the Byzantine empire, Wisconsin 1999.

• **Villari** , (P .):

- The Barbarian Invasions of Italy , en , .trans , Linda ., v., (London 1890).
- The barbarian Invasions of Italy,Vol II , London, 1902 .

• **Vyver**, A. Van de Vyver , "La Victoire contre les Alamans et la Conversion de Clovis (suite).", pp. 35-94 In *Revue Belge de Philologie et d'Histoire* tome 16, (1937).

• **Walter** C. perry: The Franks From Their First Appearance in History To The death of King Pepin, (London ,1957).

• **Werner**, Karl Ferdinand: Histoire de France: Les origines (avant l'an mil) (Paris: Fayard, 1984).

• **Wilson** , Emily :The rise of the Carolingians or the decline of the Merovingians?, Academic Essays, Access: History Vol. 2, No. 1.

• **White**, Stephen D.: "Clotild's Revenge: Politics, Kinship, and Ideology in the Merovingian Blood Feud." *In Portraits of Medieval and Renaissance Living: essays inmemory of David Herlihy*, ed. Samuel Kline Cohn and Steven Epstein (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1996).

• **Wood** , (I .):

- "Gregory of Tours and Clovis." Revue Belge de Philologie et d'Histoire 63, no. 2 (1985): 249-272.
- "Clermont and Burgundy: 511-534." *Nottingham Medieval Studies* 32 (1988):119-125.
- The Merovingians kingdoms , 450 - 751 , (London and Newyork . 1991)

- "Fredegar's Fables" in *Historiographie im frühen Mittelalter*, ed. Anton Scharer and Georg Scheibelreiter, pp. 359-366 (Vienna, 1994).

• **Wolfram** , (H .):

- History of the Goths, trans. Thomas J. Dunap (Berkeley: University of California Press, 1997).
- The Roman Empire and its Germanic peoples. Translated by Thomas Dunlap. Berkeley: University of California Press, 1997

رابعاً : المراجع العربية والمعربة :

• إبراهيم على طرخان : دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (دولة القوط الغربيين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958.

• احمد غانم حافظ: الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلي الانهيار، دار المعرفة الجامعية، 2007.

• ادوار بروي وآخرون، القرون الوسطى (تاريخ الحضارات العام)، م 3، ط1، بيروت، منشورات عويدات، 1986 .

• اسامة زكى زيد : اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة فى ضوء كتابات بولس الشماس (568-774)، الاسكندرية، ط1987.

• اسامة ابراهيم حسيب: معركة شالون بين الهون والرومان، 451م، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الاولي القاهرة 2009.

• إسحق عبيد : من آلارك إلى جستنيان، دراسة فى حوليات العصور المظلمة، الطبعة الأولى، القاهرة 1977 .

• اسد رستم : الروم، الجزء الأول، بيروت 1955.

• إسمت غنيم:
- إمبراطورية جستنيان، الإسكندرية 1977.
- زواج التحالف في العصور الوسطى(ط1986)، ضمن كتاب دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م، ص209:238.
- الآفار، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطي، الاسكندرية 1994.

• السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية، بيروت1965.

• بيريل سمالى: المؤرخون فى العصور الوسطى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار المعارف ط2، القاهرة (1984م)،.

• جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، مكتبة شباب الجامعة، الإسكندرية 1988

• جيبون، إدوارد : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة 1997 .

• داهموس، جوزيف : سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحى الشاعر، ط2، القاهرة 1992.

• دوسن، كرستوفر: تكوين أوروبا، ترجمة محمد مصطفي زيادة وسعيد عاشور، موسسة سجل العرب، القاهرة 1967.

• ديفز: أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدي، ط1، الاسكندرية 1958.

• سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، جـ1، التاريخ السياسي، دار النهضة العربية، القاهرة 1972.

• سيد أحمد على الناصرى :

- الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة1976 .
- تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، القاهرة 1991.

• صلاح محمد ضبيع :

- القوط الشرقيون في البلقان 473-488م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة2014.
- الهون وبيزنطة دراسة في العلاقات السياسية 337-450م، ضمن كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة2014.

• عبد القادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوروبية، المكتبة العصرية، بيروت 1967 .

• عفاف صبره:

- الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية 1982.
- الدولة البيزنطية، الاردن، 2012.

• عليه عبد السميع الجنزورى : جريجورى التورى وقيام دولة الفرنجة، القاهرة 1986.

• فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة و السيد الباز العريني، الجزء الأول، دار المعارف، ط6، (القاهرة1966).

• كانتور، نورمان. ف: التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، ط5، عين للدراسات والبحوث، القاهرة 1997 .

• محمد عبده حتاملة: ايبيريا قبل مجئ العرب المسلمين، عمان 1996.

• محمد مرسى الشيخ

- الممالك الجرمانية في اوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، (القاهرة 1975).

- تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة 1994.

• محمد فتحى الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان"، القاهرة 1989 .

• محمود محمد الحويرى

- اللومبارديون الحويرى: اللومبارديون في التاريخ والحضارة (568-774م)، القاهرة دار المعارف، ط 1986.

- رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة 1995.

• محمود سعيد عمران :

- المؤرخ جريجوري التورى وتأريخه للملك كلوفس من خلال كتاب تاريخ الفرنجة، (بيروت 1980).

- مملكة الوندال فى شمال إفريقيا، الإسكندرية 1985.

- معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، دار المعرفة الجامعية 1986.

- معالم تاريخ الأمبراطورية البيزنطية، القاهرة 2000.

• موس: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967.

• نور الدين حاطوم: تاريخ العصر الوسيط فى أوربة، دار الفكر 1982.

• هلستر ورن : تاريخ اوروبا، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1988.

• هاري ألمر: تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن، الجزء الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهره 1963م.

• وفاء مختار غزالي : السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطي، دار الافاق العربية، ط1، القاهرة 2013.

• ول ديورانت: قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف. والترجمة والنشر (القاهرة، 1965م) مج 3، ج 2.

• ول ديورانت:قصة الحضارة، 5م، ترجمة محمد بدران، القاهرة 1990.

خامساً : الدوريات :

• إبراهيم طرخان: نهاية الامبراطورية في الغرب 476م، مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة. مجلد 20 . ديسمبر 1958 .

• صلاح الأمين عبدالله محمد: البرابرة الجرمان ودورهم في سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام 476 م، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية بجامعة بنغازى، العدد الأول - المجلد الثاني لسنة 2014 م.

• عبدالهادي التازي: شمالي أفريقيا و الوندال، 439-534م، المجلة التاريخية المصرية، مج 11 لسنة1963.

• فاطمة عبد اللطيف الشناوي: معركة سواسون عام 486م، مجلة كلية الآداب جامعة حلوان، العدد 22 لسنة 2007، الجزء الثاني.

• مشتاق طالب حسين الخفاجي: اتيلا ودوره السياسي والعسكري في بناء الإمبراطورية الهونية 406-453م، مجلة كلية التربية، جامعة بابل - (العراق)، ع1، لسنة 2008.

• وسام عبد العزيز فرج: السلاف في شبه جزيرة البلقان و جهود الإمبراطورية البيزنطية لاسترداد سيادتها 1018-591م، المجلة التاريخية المصرية، مج31، 30، لسنه 1984.

سادساً : دوائر المعارف الاجنبية.

• **Bouillet** , Marie Nicolas : Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, (paris 1872).

• **Moore**, W.G, The Penguin Encyclopedia of Places, London,1971.

• **Encyclopaedia Britannica Online.**

سابعاً : الرسائل العلمية :

الرسائل الاجنبية غير المنشورة.

• **Brian,** Hancock , Studies in Austrasian politics and diplomacy from Theudebert I to Childebert II, A Thesis in the Department of History at Concordia University 1990.

• **Crisp**, Ryan Patrick, M.A: Marriage and Alliance in The Merovingian Kindoms, 481-639,A Dissertation sumitted for the Degree of Doctor of Philosophy (Ohio University 2003).

• **Woodruff**, Jane Ellen: The "Historia epitomata" (third book) of the "Chronicle" of Fredegar , an annotated translation and historical analysis of interpolated material, Ph. D. University of Nebraska-Lincoln 1987.

الرسائل العربية غير المنشورة.

• احمد محمد محمود عبدالله: اللومبارديون في إيطاليا(568-774م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة حلوان.

• ايهاب صديق العربى: مملكة القوط الشرقيين، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية البنات للأداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس 2011.

• سعيد محمد طه محمد: مملكة الفرنجة في عهدي كلا من كلوتير الثاني وابنه داجوبير الأول (614-638م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة بنها 2015.

• سمر ربيع عبد الغفار: المرأة في المجتمع الجرماني، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة المنصورة 2016.

• كريم عبد الغنى عبد العاطى: هجرات القوط الغربيين ودولتهم في جنوب غالة واسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، جامعة المنصورة 2009م.

• محمد بخيت بخيت محمد: الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مارقيان دراسة في السياسة الداخلية والخارجية (457-450م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة سوهاج 2013م.

• محمد شاكر محمود: الجرمان، نظمهم وعلاقتهم بالامبراطورية الرومانية حتى نهاية القرن الثالث الميلادى رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة عين شمس 1993.

• محمود عبد الواحد محمود حبيب القيسي: العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية في عهد شارلمان(768-814م)، اطروحة دكتوراه بكلية الآداب جامعة بغداد 2003.

• محروس عبد القدوس سعيد : جوستنيان وسياسة الاسترداد، رسالة ماحستير غير منشورة بكلية الآداب جامعة الزقازيق 1986 .

• مصطفي الروبي جمعة: الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور زينون (491-474م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب جامعة حلوان 2013.

• نجاة محمد محمد عبدالله: السياسة الخارجية لمملكة الفرنجة في عهد شارلمان (768- 814م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعه بنها 2005.

• وفاء عبد الحميد محمد السيد: الإمبراطور موريس (582-620م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعه عين شمس 1988.

• ايمان مسعد عبد الرؤوف عبدالله الوكيل: السياسة الدخلية لمملكة الفرنجة في عصر رؤساء بلاط الأسرة الميروفنجية (751-639م)، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب جامعه طنطا 2009.

* * *

الفهرس

إهداء 6

المُقــدمة 7

عرض لأهم مصادر البحث 15

التمهيد 65

الفصل الأول : "نشأة الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى" 91

الفصل الثاني : "ظهور الزَّواج السّياسي في الممالك الجرمانية" 143

الفصل الثالث : "الزَّواج السّياسي بين القوط الغربيين والفرنجة" 205

الفصل الرابع : "الزَّواج السّياسي بين الفرنجة واللمبارديين" 269

الخاتمة 347

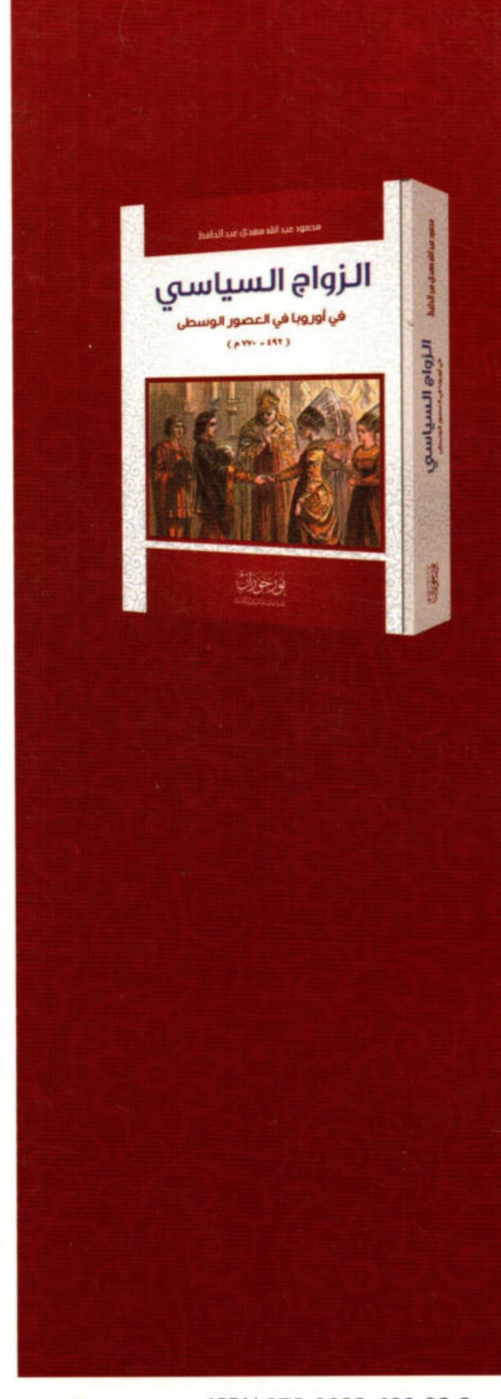
قائمة الملاحق والخرائط 353

قائمة المصادر والمراجع 363

يُعد موضوع الزَّواج السّياسي في أُوروبا العصور الوسطى من الموضوعات المهمه في مجال دراسات تاريخ العصور الوسطى، نظرا لشيوعه آنذاك عند مختلف العناصر التي حفل بها عالم العصور الوسطي، وأيضًا لما له من الصفة الإجتماعية، السياسية والإنسانية. وقد تم استخدام الزَّواج السّياسي لتسوية النزاعات بين القبائل والعائلات النبيلة، ولإقامة تحالفات سياسية، ولتعزيز معاهدات السلام بين ذوي القربى.

وقد لعبت المرأة دوراً ملحوظاً في الحياة السياسية لزعماء الجرمان إذ حفلت علاقاتهم بإقامة تحالفات عن طريق المصاهرة أو مايعرف بالزواج السياسي. وكان الزواج في الكثير من الحالات وسيلة ذات مضامين اقتصادية وسياسية وسلطوية هامّة. فإذا كانت الحروب هي التجلي الأكثر شدة ووحشية لحل المشكلات السياسية ما بين الأسر الحاكمة والدول المتنافسة، فإن القصور التي عُقدت فيها حفلات الزواج والمصاهرات، كانت الوجه الأكثر دبلوماسياً وانسانياً لحل تلك المشكلات المستعصية.

ولقد شاع الزَّواج السّياسي فى العصور التاريخية حتى صارت ظاهرة فى أوروبا فى العصور الوسطي، وهى ظاهرة تحتاج إلي الرصد والتدوين والتحليل والاستنتاج، وهو ما أحاوله فى هذا الكتاب ولكن فى فترة محددة فى تاريخ العصور الوسطى الأوروبية، في الفترة الممتدة من عام ٤٩٢م حتى عام ٧٧٠م.




ISBN 978-9933-600-98-3



دمشق – سورية – ص.ب 5658
00963 933 329 555
00963 941 329 555
nourpublishing@gmail.com